

نام كتاب: معالم المدرستين

پديدآور: عسکری، مرتضى

تاريخ وفات پديدآور: ۱۴۲۸ ه. ق

موضوع: شيعه و سنی، دفاعيه ها و رديه ها

زبان: عربی

تعداد جلد: ۳

ناشر: مركز الطباعة و النشر للمجمع العالمی لأهل البيت عليهم السلام

مكان چاپ: قم

سال چاپ: ۱۴۲۶ ه. ق

نوبت چاپ: دوم

ص: ۳

[الجزء الاول]

الاهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا إمام العصر ورحمة الله وبركاته.

سيدي يا ابن رسول الله (ص) إليك اهدى هذا المجهود الضئيل.

يا أَيُّها العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بَبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

أَيُّها الجواد الكريم، اشفع لنا عند الله ليغفر ذنوبنا ويكشف عنا وعن قومنا الضر؛ إنه أرحم الراحمين.

صغير خدامكم

مرتضى العسكرى

ص: ٧

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

فَبَشِّرْ عِبَادِ\* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ.

(الزمر / ١٧ - ١٨)

ص: ٩

مقدمة الطبعة الخامسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، والسلام على أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلى أصحابه البررة الميامين، وبعد:

لمّا كان هذا الكتاب في بحوثه نسيجا وحده، شأنه في ذلك شأن كتابي «عبدالله بن سبأ» و «خمسون ومائة صحابي مختلق» ولم تُنسخ على منوال سابق؛ كان لا بدّ لبحوث كلٍّ منها أن تتكامل تدريجيًا، لذا صدر:

الجزء الاول منه:

في طبعته الاولى عام ١٤٠٥ في ٢١٥ صفحة.

وفي طبعته الثانية عام ١٤٠٦ في ٣٧١ صفحة.

وفي طبعته الثالثة عام ١٤٠٩ في ٥١٩ صفحة.

وفي طبعته الرابعة عام ١٤١٢ في ٦١٦ صفحة.

وفي طبعته الخامسة عام ١٤١٦ في ٥٩٢ صفحة.

والجزء الثانى منه:

في طبعته الاولى عام ١٤٠٥ في ٣٧٨ صفحة.

وفى طبعته الثالثة عام ١٤١٢ فى ٤٠٥ صفحة.

واجرى على طبعتهما فى سنة ١٤١٦ تصويبات واستدراكات.

ص: ١٠

ولو فسخ الله تعالى فى الاجل، وشاء لى - عز اسمه - أن أستدرك على بعض بحوث هذا الكتاب بعد هذه الطبعة فسوف الحق المستدرك على طبعاته القادمة بآخر الكتاب ولا اغيّر وضع البحوث عمّا هو عليه فى هذه الطبعة إن شاء الله تعالى، هذا والكمال لله وحده.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

مرضى العسكرى

نجل السيّد محمد الحسينى

نجل السيّد اسماعيل آل شيخ الاسلام

ص: ١١

مخطّط بحوث الكتاب

بحوث تمهيدية بتبين منشأ الخلاف بين مدرستى الامامة والخلافة، وتنقسم بحوث الكتاب بعدها إلى قسمين :

القسم الاول : بحوث مصادر الشريعة الاسلامية لدى المدرستين وسبل الوصول إليها، وعليها تُبنى العقيدة الاسلامية وأحكامها، وتشمل البحوث الخمسة الآتية:

أولاً- بحوث المدرستين فى الصحبة والصحابة.

ثانياً- بحوث المدرستين فى الامامة والخلافة، وهما من سبل الوصول إلى الشريعة الاسلامية وتكوين الرؤية الصحيحة للاسلام.

ثالثاً- بحوث المدرستين فى مصادر الشريعة الاسلامية، وتنقسم إلى مجموعتين:

أ- دراسة روايات المدرستين حول القرآن الكريم.

ب- بحوثهما حول سنة الرسول (ص)، وبيان كيفية اتّخاذ مدرسة

الخلفاء الاجتهاد والعمل بالرأى من مصادر الشريعة الاسلامية فى عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص). وبها يتم بحث مصادر الشريعة الاسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة الخلفاء.

رابعاً- قيام الامام الحسين (ع) ضد الانحراف عن سنة الرسول بسبب الاجتهاد والعمل بالرأى.

خامساً- تمكن أئمة أهل البيت (ع) من إعادة سنة الرسول إلى المجتمع بعد قيام الامام الحسين (ع)، وتمكن مدرستهم من نشر سنة الرسول (ص)

ص: ١٢

بعد ذلك . وبهذا يتم بحث مصادر الشريعة الاسلامية وسبل الوصول إليها لدى مدرسة أهل البيت، وتتم بذلك بحوث الاسس الفكرية لدى المدرستين.

ص: ١٣

بحوث تمهيدية

ص: ١٤

توطئة

من آثار الخلاف بين أبناء الائمة الاسلامية

بعض صفات الله ومنشأ الخلاف حولها

الخلاف فى صفات الانبياء ومنشأها

الخلاف حول الاحتفال بذكرى الانبياء

الخلاف حول البناء على قبور الانبياء

الخلاف فى البكاء على الميت ومنشأه

الخلاف فى تأويل آيات من كتاب الله

خلاصة وخاتمة

ص: ١٥

شرع الله للانسان بمقتضى ربوبيته، من الدين ما ينظم حياته ويسعده ويوصله إلى درجة الكمال الانساني، وهداه بواسطة أنبيائه إليه وسماه الاسلام .<sup>١</sup> كما سنّ لجميع مخلوقاته أنظمة تتناسب وفطرتهم وتوصلهم إلى درجة الكمال في وجودهم، وهداهم إلى السير بموجبها إلهامياً أو تسخيراً.

<sup>٢</sup> وكان النوع الانساني كلما توفى رسول من رسل الله في أمة منه، قام أصحاب الطول والسلطان من تلك الأمة بتحريف ما يخالف هوى أنفسهم من شريعة نبيهم أو كتمانه، ثم ينسبون ما لديهم من الشريعة المحرفة إلى الله ورسوله.<sup>٣</sup>

ص: ١٦

ثم يجدد الله دين الاسلام بإرسال نبي جديد ينسخ بعض الشعائر

والطقوس التي لامسها التحريف . ولما أرسل الله خاتم أنبيائه محمداً (ص) بالقرآن، أنزل فيه اصول الاسلام من عقائد وأحكام في آيات محكمة وأوحى إليه تفصيل ما أنزل في القرآن ليبين للناس ما نزل إليهم<sup>٤</sup>، فعلمهم الرسول شرائع الاسلام من كيفية ركعات الصلاة وتعدادها، وما يمسون عنه في الصوم وشرائطه، والطواف وأشواطه وبدايته ونهايته، إلى غيرها من أحكام واجبة ومستحبة ومحرمة، فتكون منها لدى المسلمين الحديث النبوي الشريف . وكذلك جعل الله تجسيد الاسلام في سيرة رسول الله (ص) وأمر الناس باتباعه في قوله تعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ / ٢١.

وسمى مجموع السيرة والحديث النبوي في الشرع الاسلامي بالسنة،

وأمرنا الله ورسوله باتباع سنة الرسول (ص).

<sup>٥</sup> وهكذا أكمل الله تبليغ الاسلام إلينا في القرآن والسنة النبوية، وتوفى

<sup>١</sup> (١). قال الله سبحانه وتعالى: إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ \ آل عمران / ١٩. وقال: وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ \ آل عمران / ٨٥.  
<sup>٢</sup> (٢). قال الله سبحانه وتعالى: إِنْ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى \* الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى \* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى \* وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى \* فَجَعَلَهُ غُثًا أَحْوَى \ الاعلى / ١-٥.

وقال: إِنْ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى \ طه / ٥٠.

وقال سبحانه: إِنْ وَأَوْحَى رُبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ... \ النحل / ٦٨.

وقال سبحانه: إِنْ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ \ الاعراف / ٥٤.

<sup>٣</sup> (٣). قال الله سبحانه: إِنْ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ - \

<sup>٤</sup> (١). قال سبحانه: إِنْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ \ النحل / ٤٤.

<sup>٥</sup> (٢). أمر الله في آية: إِنْ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ \ بالافتداء بسيرة الرسول (ص)، وفي آية: إِنْ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا \ الحشر / ٧، أمر بالعمل بحديث الرسول (ص) والسنة عبارة عنها.

ص: ١٧

الرسول (ص) بعد أن أخبر أمته وحذرّها بأنّه يجرى في هذه الامّة ما جرى في الامم السابقة حذو النعل بالنعل والقُدّة بالتؤدّة، وأنّه لو دخل من الامم السابقة أحدهم في جحر ضبّ لدخل من هذه الامّة أحدهم كذلك في جحر ضبّ.<sup>٦</sup>

\*\*\*

وكان من أمر التحريف في هذه الامّة أنّ الله سبحانه وتعالى حفظ القرآن

ص: ١٨

من أن تناله يد التحريف وقال:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ الحجر / ٩.

وقال: لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ فَصَلَّتْ / ٤٢.

وأما السنّة التي رويت لنا سيرةً وحديثاً في روايات كثيرة، فإنّ الله

لم يحفظها من التحريف، كما يتّضح ذلك جلياً في اختلاف الروايات النبوية التي بأيدي جميع المسلمين اليوم، ولتعارض بعضها مع بعض. وأدّى الاختلاف في الحديث الشريف إلى أن يهتمّ بعض العلماء بمعالجته، وألّفوا كتباً مثل:

<sup>٦</sup> (١). تجد تفصيل الاحاديث الواردة في هذا الشأن في البحث الخامس من البحوث التمهيدية بالجزء الثاني من « خمسون ومائة صحابيّ مختلق ». وراجع -

أيضاً - نصوص الاحاديث في المصادر

التالية:

أ- إكمال الدين للصدوق / ص ٥٧٦، وروى المجلسي عنه في البحار ٣ / ٨، وفي تفسير الاية:

أَلَّا تَلْرَكُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ\E في كلّ من مجمع البيان للطبرسي وجلاء الازهان لكازر.

ب- صحيح البخارى، كتاب الانبياء، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ١٧١ / ٢، ح ٣، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي (ص):

أَلَّا تَلْتَبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - الحديث\E

١٧٦ / ٤، ح ١ و ٢.

وفتح البارى بشرح البخارى ١٧ / ٦٣ و ٦٤.

ج- صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ / ٢١٩، كتاب العلم.

د- صحيح الترمذى ٩ / ٢٧ و ٢٨ و ١٠ / ١٠٩.

ه- سنن ابن ماجه، ح ٣٩٩٤.

و- مسند الطيالسي، ح ١٣٤٦ و ٢١٧٨.

ز- مسند أحمد ٢ / ٣٢٧، ٣٦٧، ٤٥٠، ٥١١ و ٥٢٧، و ٣ / ٨٤ و ٩٤، و ٤ / ١٢٥، و ٥ / ٢١ (ع) و ٣٤٠.

ح- مجمع الزوائد ٧ / ٢٦١ عن الطبراني.

ط- كنز العمال ١١ / ١٢٣ عن الطبراني في الاوسط والحاكم في المستدرک.

ي- في تفسير الاية: أَلَّا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَفَرُوا\E من سورة آل عمران في الدر المنثور للسيوطى عن المستدرک للحاكم.

تأويل مختلف الحديث،<sup>٧</sup> وبيان مشكل الحديث،<sup>٨</sup> وبيان مشكلات الاثار.<sup>٩</sup>

ومن جرّاء اختلاف الاحاديث، اختلف المسلمون في فهم القرآن و تشبّثت كلمتهم أبد الدهر. أضف إليه وجودهم في بيئات مختلفة، ومعاشرتهم أهل الاراء والملل والنحل الاخرى. كل ذلك أدّى إلى اختلاف رؤيتهم للاسلام، وبادر بعضهم إلى تأويل الايات الكريمة والصحيح ممّا بأيديهم من الحديث الشريف، وفقا لرأيهم ورؤيتهم للاسلام . وأدّى بهم ذلك إلى القطيعة في ما بينهم وعدم استماع بعضهم إلى آراء الاخرين، وإلى تكفير بعضهم بعضا.

كان ذلكم عوامل التشويش الداخلى، كما كان ثمة عوامل خارجية عملت في الداخل بواسطة عملائها كالاتى ذكره:

### عوامل التخريب الخارجى

من عوامل التخريب والتحريف فى مصادر الدراسات الاسلامية (كتب

ص: ١٩

الحديث والسيرة والتفسير) وغيرها، عوامل التخريب الخارجى وهى:

أولاً- أخبار أهل الكتاب التى انتشرت فى مصادر الدراسات الاسلامية من قبل أمثال: كعب الاحبار وتميم الدارى.

ثانياً- روايات وأخبار وضعها زنادقة أمثال: ابن أبى العوجاء وسيف ابن عمر، وانتشرت فى تلك المصادر.<sup>١٠</sup>

ثالثاً- وأخيراً، عندما غزت قوى الكفر (المستعمرون) بلاد المسلمين، حاربت الاسلام بأفتك سلاح هدام، حين وظّفت المبشرين من علماء اليهود والنصارى والمعروفين باسم المستشرقين ليُمنعوا فى طلب مواطن الضعف بمصادر الدراسات الاسلامية، ويحاربوا الاسلام بها. فاجتهد هؤلاء فى وضع فهارس للمصادر الاسلامية وتنظيمها وتنسيقها ونشرها بكل إتقان، وأشرفوا بواسطتها على كل ما فيها، والتقطوا من شتى الكتب كل خير موضوع ومدسوس يشوّه الاسلام، مثل اسطورة الغرائق، وغيرها، وألّفوا ممّا التقطوا منها بأسلوب عصرى بديع، كتباً مثل : (دائرة المعارف الاسلامية ) و (محمد النبىّ السياسى).<sup>١١</sup>

<sup>٧</sup> (١). تأليف ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت: ٢٨٠هـ - أو ٢٧٦هـ -).

<sup>٨</sup> (٢). تأليف ابن فورق محمد بن الحسن (ت: ٤٠٦هـ -).

<sup>٩</sup> (٣). تأليف أبى جعفر أحمد بن محمد الازدى المعروف بالطحاوى (ت: ٣٣١ أو ٣٣٢هـ -).

<sup>١٠</sup> (١). درسنا انتشار أخبار أهل الكتاب فى مصادر الدراسات الاسلامية فى الجزء السادس من سلسلة (قيام الائمة بإحياء السنّة)، وتخريب المستشرقين فى الجزء الثالث والرابع منه، وتخريب الزنادقة فى الجزء السادس منه، والبحوث التمهيدية من الجزء الاول من (خمسون ومائة صحابىّ مختلق). ودرسنا تحريف سيف منهم خاصّة فيه وكذلك فعلنا فى كتاب عبد الله بن سبأ.

<sup>١١</sup> (٢). وشذّب من المستشرقين فى كل عصرٍ آحاد خضعوا للحقّ.

وعمل الغزاة (المستعمرون) أخطر من ذلك في حربهم للاسلام، حين دفعوا إلى الواجهة في بلاد المسلمين تلاميذ اولئك وخريجي مدارسهم الفكرية ودعاة أفكارهم ومروجي حضارتهم، وسلطوا عليهم الاضواء وعرفوهم باسم المصلحين للاسلام ومنوري الفكر والتقدميين، فاستورد هؤلاء نتيجة

ص: ٢٠

أفكار اولئك إلى بلاد الاسلام، ونشروها بثتى وسائل النشر وبأسماء مختلفة وعناوين مشوقة للنفوس.

وكان من هؤلاء: السير سيد أحمد مؤسس جامعة عليغره الاسلامية في الهند، وأحمد لطفي السيد استاذ الجيل، وقاسم أمين نصير المرأة في مصر. وكذلك فعلوا في العراق وإيران وغيرها من البلاد الاسلامية.<sup>١٢</sup>

وكان من الطبيعي أن تقوم بين هؤلاء وبين حفظة الفكر الاسلامي الاصيل حرب يعين فيها المستعمر وعملاؤه والمغرر بهم تلاميذ المستشرقين.

وكان أفتك سلاح بأيدى هؤلاء ما تذرّعوا به في حرب الاسلام باسم تعريف الاسلام وتاريخه وتعريف الشخصيات الاسلامية، مثل ما فعل السير سيد أحمد حين كتب تفسير القرآن حسب زعمه، وجرى زيدان في قصصه . وجل محاولات هؤلاء وأساذتهم المستشرقين ترمى إلى شيء واحد وتستهدفه، وهو ما قاله أحدهم: (لا يُقتل الدين إلا بسيف الدين)!

وفي سبيل تحقيق هذه الخطة أخذوا يفسرون القرآن ويشرحون الحديث النبوي الشريف ويكتبون سيرة الرسول (ص) والائمة، يحاولون في كل ما يعملون أن يجرّدوا الجميع من الاتصال بالغيب، وعرضها على أنّها من طبيعة البشر، ثم يلوّحون من طرف خفي، وأحيانا يصرّحون جليا: أن كل فرد منهم وكل شيء من الاسلام كان متناسبا مع زمانه وكان تقدّميا في عصره ونافعا للبشر

ص: ٢١

في حينه، أمّا اليوم فنحن بحاجة إلى تطوير الاسلام وتجديده ليطابق مقتضيات العصر وحاجة أهله.

وهؤلاء مع سلاحهم هذا، الخفي أثره على الكثير، أضرّ على الاسلام والمسلمين من بعض السياسيين العملاء للغزاة الكفرة في بلادنا والذين نصبوهم حكّاما لبلاد المسلمين، بما قاموا به في الحرب الفكرية من تحريف لحقائق الاسلام باسم تعريف الاسلام أحيانا، والاسلام المتطوّر الملبي لحاجات العصر تارة أخرى.

<sup>١٢</sup> (١). هؤلاء وأمنالهم من دعاة الحضارة الغربية في البلاد الاسلامية ومهدمي الاعراف الاسلامية ومخالفي أحكامها. وقد ناقشنا بعض ما نشره هؤلاء من الفكر الغربي المستورد، وأصدرنا الجزء الاول منه في العراق، وامتنعت دور النشر من نشره، كما منعت الحكومة المارونية اللبنانية يومذاك من دخول الكتاب إلى لبنان، فلم تتمكن من إصدار بقية أجزائه، ووجدنا أفضل ما نشر في هذا الصدد كتاب (أجنحة المكر الثلاثة) تأليف عبد الرحمن حسن حبكة الميداني، من سلسلة (أعداء الاسلام)، ولنا بعض المؤاخذات على الكتاب.



من كل ما ذكرنا، يظهر جلياً أنّ المسلمين في هذا اليوم وبعد كل ما مرّ على الاسلام من تيارات فكرية، بحاجة شديدة إلى دراسات مستفيضة لاقوال الفرق الاسلامية وتمحيص ما لديها، خلافاً لما يراه بعض المسلمين الغياري الذين يرون السكوت عن كل ذلك أولى، حفظاً لوحدة المسلمين!

ولست أدري كيف يتم ذلك مع وجود الخوارج<sup>١٣</sup> الذين بنيت اصول عقائدهم على تكفير عامة المسلمين وأنهم هم وحدهم المسلمون وما عداهم مشركون؟ وعلى التبرؤ من الخليفة عثمان والامام عليّ وأمّ المؤمنين عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمر بن العاص ومن كان معهم، ثمّ لعن اولئك ولعن جميع المسلمين.

كيف يتم ذلك وفي المسلمين من تتوق نفسه إلى زيارة قبر الرسول

الاکرم (ص) وقبور أئمة المسلمين والتبرک بها والاستشفاع والتوسّل بهم إلى الله؟ وفيهم من يرى كل ذلك شركاً لله وخروجاً على الاسلام وبدعة محرّمة، وبذلك يرون أنّ جميع المسلمين بعد القرن الثالث الهجري إلى اليوم مشركون، وقد هدّموا مساجد المسلمين التي بنيت في طريق غار حراء وأمثاله من الاماكن

ص: ٢٢

المتبرّكة إلى جانب تهديمهم قبور أئمة المسلمين وامّهات المؤمنين وعمّ الرسول (ص) وابن الرسول (ص) وصحابته وشهداء احد!؟

ولا يفعل مثل ذلك من اليهود وتوراتهم وبيعهم والنصارى وكنائسهم، وفيها من الصليان وتماثيل عيسى ومريم (ع) وهم يعلنون أنّ عيسى ربّهم وأنّ الله ثالث ثلاثة - معاذ الله - وإنّما يعاهدون ولا يقال لهم: أنتم مشركون!

ثمّ إنّ المسائل المذكورة ونظائرها ليست مسائل تخصّ الفرد المسلم - مثل إسلبك اليدين في الصلاة، الذي تراه مدرسة أهل البيت والمالكية، خلافاً للاحناف والحنابلة الذين يرون وجوب التكتّف، ومثل الاختلاف في غسل الرجلين أو مسحهما في الوضوء ممّا يتيسّر للفرد المسلم أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه اجتهاداً أو تقليداً، ويستطيع الفرد الاخر المخالف له في الرأى أيضاً أن يعمل بموجب ما ثبت لديه حكمه، ويمكن لهما مع ذلك أن يعيشا في وفاق في مجتمع إسلامي واحد - وإنّما هي ممّا يبني المجتمع الاسلامي عليها، فإنّما أن يبني المجتمع على هذه العقيدة وتزول تلك، وإنّما أن يبني على تلك وتزول هذه.

وهي ليست بعد قضايا سياسية غير دينية يمكن التغاضي عنها حفظاً لوحدة المسلمين، وإنّ نشر ملايين النسخ من أمثال كتاب (وجاء دور المجوس) بأسماء مستعارة وغير مستعارة، وإنفاق بعض الحكومات على أمثالها، لتنسب إلى امّة كبيرة من المسلمين الخروج عن الاسلام، وإنفاقها ملايين الملايين في نشر دعائها في آلاف المعاهد والمساجد والمدارس بجميع أقطار الارض: أن معادهم من المسلمين مشركون، إضافة إلى إيفاد آلاف المبعوثين كذلك إلى جميع أقطار الارض لنشر دعائها من جانب واحد، فإنّ كل ذلك لم يكن بدافع سياسي غير ديني.

ص: ٢٣

<sup>١٣</sup> (١). منتشرون في الجانب الشرقي من جزيرة العرب وشمال أفريقيا.

كما أنّها ليست من قضايا أوجدها الاستعمار لايجاد التفرقة بين المسلمين ليحسن السكوت عليها، بل هي قضايا كانت قائمة ومنتشرة في المجتمع الاسلامي منذ عصر إمام الحنابلة أحمد (ت: ٢٤٠ هـ) وعصر الشيخ ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) من أتباع مدرسته، بل قبلهما وبعدهما إلى اليوم . وإن قتل مئات الالوف من المسلمي ن وإحراق مكاتبتهم في شتى العصور ومختلف البلاد خير دليل على ما نقول . فهي إذن ممّا يستفاد منها سياسيا من قبل تلك الحكومة أو ذلك الاستعمار، متى ماشاءت تلك أو شاء هذا، في ما إذا لم تعالج . ثمّ إنّها - كما ذكرنا - عقائد راسخة السكوت عنها على مضمّن لن يحقّق وحدة بين المسلمين ولا تقاربا ولا تفاهما، بل يعمّق الجرح ويوسّع شقّة الخلاف ويطيل أمدها، ولمزيد التوضيح وإقامة الدليل على ما بيّنت، أذكر بعض مشاهداتي من آثار مسائل الخلاف بين أبناء الامّة الاسلامية في ما يأتي:

ص: ٢٤

## ٢- من آثار الخلاف بعض ما شاهدت بين أبناء الامّة الاسلامية

اعتمدت في ما أشرت آنفا من تكفير المسلمين بعضهم بعضا، وما سأذكره منها في ما يأتي، مع أنواع من استدلالهم، إضافة إلى ما ورد في الكتب المطبوعة، على مشاهداتي في أسفاري إلى البلاد الاسلامية واجتماعي بعلماء فرق المسلمين ومفكرّهم وأبناء شعوبهم، وخاصة في سفراتي العشر لحجّ بيت الله الحرام.

### في السفارة الاولى:

وكان ممّا رأيت في سفري الاول للحجّ على عهد الملك عبد العزيز آل سعود : أنّ ركّبتنا - ركّب الحاجّ العراقي - عندما بلغ مدينة الرماح من بلاد الحكومة السعودية، مكنتنا فيها أربعا وعشرين ساعة، واشتركتنا جميعا في أداء الفرائض جماعة بمسجدهم. ولمّا دنت ساعة الرحيل، اجتمع علينا لفيف من أهالي المدينة يشاهدون رحيلنا، فحضر حشدهم من بدا عليه أنّه كان من ذوى معرفتهم، وخطب فيهم وأشار إلى أفراد الحاجّ وقال:

وهؤلاء مشركون. وقال أيضا: هؤلاء يبيكون على الحسن والحسين. ثمّ أشار إليّ وقال:

هذا مطوّعهم لو يطيح بيدي أذبحو وأطع دمو ... فانبرى له أحد الحجّاج

ص: ٢٥

وقال:

لماذا نحن مشركون؟ نحن حججنا بيت الله، زرنا قبر النبيّ...؟! فإذا به يردد ويزايد ويقول له:

أشركت، لو يجي أبو سعود ما يحامي عنك . ويش محمد؛ محمد رجّالا مثلي . (أى لا يستطيع الملك بسلطته ولا يستطيع جدّه سعود أن ينجيك مني. وأيّ شيء كان محمد، محمد كان رجلا مثلي وقد مات وانتهى أمره).

فارتعد الحاجّ العراقي وقال:

ماذا أقول؟ ماذا أقول؟ فقال له:

قل ما هو ضارّ إلّا الله، ما هو نافع إلّا الله. فردّد الحاجّ ما لقنه إياه. فانبرى له حاج عراقي آخر وقال له:

محمد رجّالا مثلك؟! فأكدّ قوله ثانية وقال:

محمد رجّالا مثلي، مات! فقال له الحاجّ:

محمد نزل عليه القرآن فهل ينزل عليك القرآن؟ فلم يحر جوابا، وبادرنا ركوب السيارات وتحركت بنا.

وكان في ركبنا حاجّ يحمل جواز سفر سعودي ويسكن العراق. فلما بلغنا الحدود وشاهده موظّف الجوازات السعودي، انتهره وقال له مستهزئا ومستنكرا:

تترك بلاد الاسلام وتسكن بلاد الشرك!؟

فأخذ الحاجّ السعودي يتذلل له ويتخشّع له ويطلب جواز سفره، حتّى أعاده إليه!!

في السفارة الثانية:

كان علماء العراق يومذاك يحملون همّ إعادة الاحكام الاسلامية إلى

ص: ٢٦

المجتمع، يوقظون أبناء الامّة الاسلامية في سبيل المطالبة بها، في مساجدهم واحتفالاتهم ومهرجاناتهم، ويعارضون السلطة في تشريعها قوانين مخالفة للاحكام الاسلامية . وكنا نتنمّم أخبار تحرّكات المسلمين في هذا السبيل في أيّ مكان كان، نؤيّد ثورة الجزائر على فرنسا، وندعم الثورة الفلسطينية بكلّ ما اوتينا من حَوْل وقوّة، ونستطلع أخبار الثورة الاريتيرية على الاحباش، ونرى من لوازم نجاح المعركة في سبيل إعادة الاحكام الاسلامية توعية المسلمين في هذا السبيل ثمّ تكاتفهم وتعاونهم في هذا الصدد ونسيان مسائل الخلاف في ما بينهم.

ولما نشبت المعركة الاسلامية في إيران بين سلطنة الطاغوت وعلماء المسلمين يومذاك بدءا بمعركتهم من المدرسة الفيزيوية في الجامعة الاسلامية الكبرى بقم، في اليوم الخامس والعشرين من شوال سنة ١٣٨٢ هـ-، استبشرنا بها خيرا، وحشدنا كلّ طاقتنا لمساعدتها، وجندنا أنفسنا لخدمتها؛ فقام علماء العراق بكلّ ما اوتوا من حَوْل وقوّة بتأييدها، جزاهم الله جميعا خيرا.

وكنت ممّن أقام الحفلات التأبينية، وأقمت ثلاث ليالٍ حفلة تأبينية كبرى في بغداد، القيت فيها خطب توجيهية توضّح أبعاد المعركة الاسلامية في إيران وآثارها ومغزاها.

في مثل هذا الظرف سافرت إلى الحجّ وأنا أحمل معي شعارا واطروحة، شعارى : الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين في سبيل إعادة حياة إسلامية في البلاد الاسلامية، واطروحتى : النهضة الاسلامية المتمثلة بالنهضة الاسلامية التي بدت طلائعها في إيران من قبل علماء المسلمين . وكنت أبذل الجهد في شرح دوافعها لقادة المسلمين ومفكّريهم واستنهاضهم لمساعدتها وبيان

أن معركة المسلمين في سبيل إعادة الاحكام الاسلامية واحدة، وأنه إذا نجحت المعركة في أي بلد إسلامي، فإنه ستنشر آثارها إلى غيرها، ويعمّ المسلمين خيرها، وكلّي أمل ورجاء أنّي سوف أجد اذنا صاغية لما أعرض من مأساة المسلمين في إيران،

ص: ٢٧

مع بيان وحدة القضية ووحدة المصير.

اجتمعت في هذه السفارة بقيادة الاخوان المسلمين في سوريا وسعيد رمضان بمكة، ومحمد آدم رئيس الثورة الاريتيرية في موقف عرفات، ومتقّفى الفلسطينيين في الا ردن وبيت المقدس ومحرّري الصحف الاسلامية وعلماء المسلمين وخطبائهم وقادة الحركات الاسلامية، أمثال أبي الحسن الندوي وأبي الاعلى المودودي رئيس الجماعة الاسلامية بباكستان يومذاك، إلى غيرهم.

بدأت عملي في المدينة بالمساهمة في كتابة النشرات التي كانوا يعدونها للتت وزيع على الحجيج، فأجريت تعديلات على صيغ النشرات، شرحنا فيها أبعاد النهضة الاسلامية في إيران وبيّنا ظلم حكومة الطاغوت وعمالتها لدول الكفر، نستنهض فيها المسلمين لاعانة أبناء الامة الاسلامية في إيران، ورجّحت توزيعها ليلة العيد على الحجّاج في المشعر الحرام، غ ير أنّي بوغت مساء السابع من ذي الحجة في مكة المكرمة بأنّ الشيخ المسؤول عن توزيعها وزّع بعضها في الحرم المكي الشريف فالقى القبض عليه وزجّ في السجن وحُجزت النشرات كافة. فاجتمعنا نحن علماء العراق وإيران يوم العيد بوليّ العهد فيصل، يومذاك، نطلب منه إطلاق سراح الموقوف والنشرات المحجوزة، فاعتنمت الفرصة وقلت : إنّ حكومتهم رفعت شعار تنفيذ أحكام القرآن في هذا البلد، وعليه يقتضى أن تعينوا المسلمين الذين يجاهدون في سبيل تطبيق أحكام القرآن في بلادهم ويصطدمون بحكومات بلادهم الذين يريدون تنفيذ أحكام الكفر، وأن تجعلوا من البلد الحرام ملجأ للمشرّدين منهم وتساعدوهم في شرح ظلامتهم لآخوانهم الحجيج، وذلك هو مصداق قوله تعالى:

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ.

ثمّ ذكرت قيام علماء المسلمين في الجامعة الاسلامية الكبرى بقم وأسهب

ص: ٢٨

في شرح أبعاد النهضة الاسلامية الطالعة بإيران ، وواجب قادة المسلمين خاصة الحكومة السعودية تجاهها، وختمت حديثي بشرح قضية العالم الذي وزّع نشرات التظلم على المسلمين وتوقيفه، وجرّت حول ذلك بيننا مناقشات، أدّت إلى إطلاق سراح الموقوف.

ونشرت الصحف بعد أداء المناسك ورجوعنا إلى مكة دعوة للحضور في المسجد الهندي بمكة مساء الجمعة للاستماع إلى خطبة الاستاذ المودودي.

فحضرنا الاحتفال بعد صلاة العشاء وألقى الاستاذ المحاضر خطبة<sup>١٤</sup> ذكر فيها ثمانية أمور تلزم المسلمين لاعادة الحياة الاسلامية إلى المجتمع، وتقدمت بعده خلف المذيع وخطبت معلقا على خطابه وقلت:

إن المسلمين في نهضتهم اليوم بحاجة إلى ثلاثة أمور:

أولاً- إن المسلمين بعد مضي أربعة عشر قرنا من بعثة الرسول الاكرم (ص) والظروف التي مرت عليهم بحاجة إلى دراسة موضوعية مستوعبة لكيفية استنباط الاحكام من مصادر الشريعة الاسلامية ودراية الحديث وفقه السنة وترك البقاء على تقايد العلماء السلف في كل ذلك.

ثانيا- إن الغزاة الكفرة لبلاد الاسلام- المستعمرين- استطاعوا أن يُشتتوا كلمة المسلمين، وبذلك استطاعوا أن يقضوا على كل حركة إسلامية في أي مكان تظهر. ثم شرحت ثورة الجزائر ضد الفرنسيين، والاريتيريين ضد الاحباش، وعلماء إيران ضد الطاغوت العميل، وأسهب في الشرح واستنهضت همم المسلمين لمساعدتهم.

وذكرت ثالثا- أننا اليوم بحاجة إلى إيمان كإيمان أبي ذرّ وعمّار وسميّة،

ص: ٢٩

وشرحت ما تحمّلوا من الاذى على أرض مكة التي نحن عليها في سبيل الاسلام.

\*\*\*

وفي المدينة المنورة بلغ عميد الجامعة الاسلامية الشيخ عبد العزيز بن باز خبير لقاءاتي بالوفود الاسلامية وأن أحد علماء بغداد من وصفه كذا وكذا في المدينة المنورة، فظنني من أتباع مدرسة الخلفاء ورغب في أن أزور الجامعة الاسلامية بالمدينة، وكانت جديدة التأسيس، وأرسل إلينا من سيّارات الجامعة ما حملتنا إليها مع بعض علماء بغداد ومتقفيها ووجهائها، وكان أساتذتها قد اجتمعوا في بهو كبير بانتظارنا واستقبلونا فيه واحتشد على نوافذ البهو فريق من الطلاب لمشاهدتنا. ولما استقر بنا المقام، بدأت بعد حمد الله والثناء عليه بتقديم تحايا علماء المسلمين في العراق ل هم وتهانيهم بتأسيسهم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ثم قلت:

إن رسول الله (ص) لما حلّ بهذا البلد بدأ بعقد التآخي بين المسلمين

المهاجرين والانصار، وبنى على ذلك التآخي مجتمعه الاسلامي المجيد. وأنتم بوجود طلبية من خمس وأربعين دولة عندكم تستطيعون أن تقتدوا به وتقدموا هذه الخدمة الجليلة للاسلام والمسلمين. والمسلمون اليوم بأمس الحاجة إليها، فإنهم في شتّى أصقاع الارض ابتلوا بالاستعمار الغازي الكافر؛ منهم من يشنّ تحت وطأته مباشرة، ومنهم من يسيطر عملاؤه عليهم وبدأوا اليوم يجاهدون الاستعمار وعملاءه. فهذه الجزائر يجاهد مسلموها فرنسا ويجرى عليهم ما يجرى، وفي أريتيريا يجاهد ثوارها هيلاسيلاسي إمبراطور الحبشة ويجرى عليهم ما يجرى، وعلماء المسلمين في إيران يجاهدون الطاغوت

<sup>١٤</sup> (١). كان قد أعدّها ليلقيها في ندوات رابطة العالم الاسلامي التي دُعِيَ للاشتراك في جلسات تأسيسها، ولما لم يسمح له بذلك ألقاها في ذلك المسجد.

وسَيِّدَه المستعمر ويكافحون لطرْد أقرسى استعمار كافر على وجه الارض لاعادة الاحكام الاسلامية إلى ا لبلد الاسلامى  
وجرى عليهم كذا وكذا.

ص: ٣٠

قلت هذا بعد أن أفضتُ في الحديث عن مآسى التفرقة بين المسلمين، وضربت الامثال لذلك وأتممت الحديث، وجاء دور  
مضيفي الشيخ بن باز للحديث - وكان قد انبىء بآنى من أتباع مدرسة أهل البيت، وكان ضريرا لا يبصر - فإذا به يتنحى ثم  
يقول بالحرف الواحد:

أنتم مشركون! أسلموا، ثم اطلبوا من المسلمين أن يتحدوا معكم.

فثار الدم في عروقي واشتركت معه في نقاش طويل، وذكره خارج عن الصد. <sup>١٥</sup>

\*\*\*

استمعت في سفراتي إلى الحج إلى خطباء الجمعة والجماعة في مكة والمدينة، واشتركت في النقاش أحيانا مع الخطباء بين  
صلاتي المغرب والعشاء بمسجد الخيف، وحضرت ندوات رابطة العالم الاسلامى بمكة مستمعا، واجتمعت في أسفاري  
بعلماء مصر وخاصة الازهر الشريف وسائر بلاد المسلمين في لبنان وبلاد الخليج والهند وباكستان وكشمير وغيرها  
وطارحتهم الحديث، وسمعت أحيانا ما لا يصلح نقله اليوم، وأدركت من خلال مطارحاتي مع مفكرى المسلمين وعلمائهم  
وقادتهم - ولا ينبئك مثل خبير - أنه لن يتحقق أى تقارب أو تفاهم بين المسلمين دون تدارس مسائل الخلاف والبحث عن  
منشئها ثم المبادرة إلى علاجها، وإذا كان لا بد لنا من معرفة منشأ الخلاف في مسائل الخلاف من أجل علاجها، فسنذكر  
في ما يأتى أمثلة منها، ثم نختم البحوث بما ينبغي أن نعمله في سبيل علاج مسائل الخلاف بحوله تعالى.

ونبدأ بذكر مسائل الخلاف حول بعض صفات الله عز اسمه.

ص: ٣١

٣- بعض صفات الله جل اسمه و منشأ الخلاف حولها

في المسلمين من يرى أن الله:

خلق آدم على صورته، <sup>١٦</sup> وأن له أصابع <sup>١٧</sup> وساقا <sup>١٨</sup> وقدماء.

<sup>١٥</sup> (١). إنما أشرت إلى أحاديثي في هذه السفرة ليعلم مدى إخلاصى للشعار الذى كنت أرفعه والاطروحة التى كنت أطرحها، وأحيانا كان الالم يعصر قلبى  
حين التحدت والدمع ينحدر من عيني، وإذا بى اجابه تلك المجابهة الفظة من ذلك الشيخ.

<sup>١٦</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام . صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير، ح ٢٨،  
وكتاب البر، باب النهى عن ضرب الوجه، ح ١١٥. ومسند أحمد ٢/ ٢٤٤، ٢٥١، ٣٢٣، ٣٦٥، ٤٢٤، ٤٦٢ و ٥٦٩.

وأنه يضع قدمه يوم القيامة على نار جهنم أو على جهنم فتقول: قطّ، قطّ، قطّ.<sup>١٩</sup>

وأن له مكانا، وأنه ينتقل من مكان إلى مكان، وذلك لما رووا أن رسول

ص: ٣٢

الله قال:

كان ربنا قبل أن يخلق خلقه في عماء - أي ليس معه شيء - ما تحته هواء، وما فوقه هواء، وما ثم خلق عرشه على الماء.<sup>٢٠</sup>

وأنه قال:

إن عرشه على سماواته كهكذا - وقال بأصابعه مثل القبة عليه - وإنه ليئط به أطيظ الرحل بالراكب.<sup>٢١</sup>

وأنه قال:

ينزل الله في آخر الليل إلى السماء الدنيا فيقول: من يسألني فأستجيب له، ومن يمألني فأعطيه....<sup>٢٢</sup>

<sup>١٧</sup> (٢). صحيح البخارى، تفسير سورة الزمر ٢/ ١٢٢. وكتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَيْدِي﴾ E٤ / (ع) ٦، وباب ﴿وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ﴾ ناظره E٤ /

١٩٢. وصحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، ح ١٩، ٢١ و ٢٢.

<sup>١٨</sup> (٣). صحيح البخارى، تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ E من سورة ن والقلم، الاية ٤٣، وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ﴾ ناظره E٤ / (ع) ٩.

<sup>١٩</sup> (٤). صحيح البخارى، تفسير سورة ق، وكتاب التوحيد، باب ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ E٤ / ١٩١. والترمذى، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار.

وصحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ح ٣٥، ٣٦، ٣٧ و (ع).

<sup>٢٠</sup> (١). سنن ابن ماجه، المقدمة، باب فى ما أنكرت الجهمية، ح (ع) ٢. وسنن الترمذى، تفسير سورة هود، الحديث الأول وفيه: العماء - أى ليس معه شيء - . ومسند أحمد ٤ / ١١ و ١٢.

<sup>٢١</sup> (٢). سنن أبى داود، كتاب السنّة، باب فى الجهمية، ح ٤٧٢٦. وسنن ابن ماجه، المقدمة، باب فى ما أنكرت الجهمية. وسنن الدارمى، كتاب الرقائق، باب فى شأن الساعة ونزول الربّ تعالى.

وراجع كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦ هـ-)، ومنهاج السنّة لابن تيمية.

<sup>٢٢</sup> (٣). صحيح البخارى، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة فى آخر الليل. وكتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ E، وكتاب الدعوات، باب الدعاء نصف الليل.

وصحيح مسلم، كتاب الدعاء، باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل. وسنن أبى داود، كتاب السنّة، باب فى الردّ على الجهمية، ح ٤٧٣٣. وسنن الترمذى، كتاب الصلاة، باب ما جاء فى

نزول الربّ إلى السماء الدنيا كلّ ليلة ٢ / ٢٣٣ و ٢٣٥، وكتاب الدعوات، باب حدّثنى الانصارى ١٣ / ٣٠. وسنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فى أىّ ساعات الليل أفضل، ح ١٣٦٦.

وسنن الدارمى، كتاب الصلاة، باب ينزل الله إلى السماء الدنيا. وموطأ مالك، كتاب القرآن، باب ٣٠.

ومسند أحمد ٢ / ٢٦٤، ٢٦٧، ٢ (ع) ٢، ٢، ٤١٩، ٤٣٣، ٤ (ع) ٧، ٥٠٤ و ٥٢١، و ٣ / ٣٤، و ٤ / ١٦.

وأنه قال:

ينزل في ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر...<sup>٢٣</sup>

ص: ٣٣

وأنه قال عن يوم القيامة:

يقال لجهنم: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الربّ تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قطّ قطّ.

وفي رواية:

فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قطّ قطّ. فهالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض.<sup>٢٤</sup>

حول رؤيته:

رووا أنّ رسول الله (ص) يرى ربّه يوم القيامة. فقد قال (ص):

يأتيني المؤمنون للشفاعة بعد إباء الانبياء من الشفاعة. فأنتلق فأستأذن على ربّي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجدا... إلى قوله: - ثمّ أشفع فيحدّ لي حدّا فادخلهم الجنّة، ثمّ أرجع، فإذا رأيت ربّي وقعت ساجدا - الحديث.<sup>٢٥</sup>

وأنه قال:

إنّ الله تبارك وتعالى ينزل يوم القيامة إلى العباد ليقضى بينهم.<sup>٢٦</sup>

ص: ٣٤

وأنه قال:

إنكم سترون ربكم عيانا.<sup>٢٧</sup>

<sup>٢٣</sup> (٤). سنن الترمذی، أبواب الصوم، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. وسنن ابن -

<sup>٢٤</sup> (١). كلتا الروایتین عن الصحابي أبي هريرة في تفسير سورة ق من صحيح البخارى ٣ / ١٢ (ع)، وفي باب أ\ وجوه يومئذ ناضرة\ E من كتاب التوحيد منه ١٩١ / ٤.

وعن أنس حديث القدم في باب قول الله تعالى: أ\ وهو العزيز الحكيم سبحانه ربك... E من كتاب التوحيد منه ١٢٩ / ٤.

وراجع سنن الترمذی، كتاب الجنّة، باب ما جاء في خلود أهل الجنّة وأهل النار، ١٠ / ٢٩. ومسنند أحمد ٢ / ٣٩٦.

<sup>٢٥</sup> (٢). صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: أ\ لما خلقت بيدي\ E (٤) / ١٧ (ع) ٥، وفي باب قول الله تعالى: أ\ وجوه يومئذ ناضرة\ E بتفصيل أوفى، راجع ١٩٠ / ٤ منه.

<sup>٢٦</sup> (٣). سنن الترمذی، كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة ٩ / ٢٢٩.



وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ يَرُونَ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا يَرُونَ الْقَمَرَ لَا يَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ.<sup>٢٨</sup>

وَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَئِذٍ:

مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ . فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبَقِيَ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مَنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَا كَانُوا حَتَّى يَأْتِينَا رَبَّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبَّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ ...<sup>٢٩</sup>

وَفِي رِوَايَةٍ:

حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنْ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، فَيَقَالُ: مَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتَّبِعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: ... نَحْنُ نَنْتَظِرُ رَبَّنَا الَّذِي نَعْبُدُ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: لَا نَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ... فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ عِلْمَةٌ

ص: ٣٥

فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: ... السَّاقِ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقِ نَبِيِّ يَسْجُدُونَ<sup>٣٠</sup> ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤُوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبَّنَا.<sup>٣١</sup>

فِي الْجَنَّةِ:

وَأَنَّهُ قَالَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَنَّةِ:

مَا بَيْنَهُمْ وَمَا بَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءَ الْكَبِيرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ.<sup>٣٢</sup>

<sup>٢٧</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: \أُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ\ ٤E / (ع) (ع).

<sup>٢٨</sup> (٢). صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: \أُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ\ E، وكتاب الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وباب وقت العشاء إلى نصف الليل، وكتاب التفسير، باب سورة ق.

وصحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما . والترمذى، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الربّ تبارك وتعالى / ١٠ (ع) و ٢٠.

<sup>٢٩</sup> (٣). صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية . وصحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: \أُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ\ ٤E / (ع) (ع)، وراجع تفسير سورة ق منه.

<sup>٣٠</sup> (١). ما بين القوسين ملخّص من لفظ الحديث في السجدة.

<sup>٣١</sup> (٢). صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب معرفة طريق الرؤية، ح ٢٢٩، واللفظ منه . وصحيح البخارى في تفسير سورة النساء، باب قوله: \إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ\ ٣E / (ع) ، واللفظ فيه مختصر، وكذلك في كتاب التوحيد منه، باب قول الله تعالى: \أُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ\ ٤E / (ع) ٩.

لو تفضّل الراؤون ربّهم ووصفوا لنا صورة ربّهم التي رأوه عليها وساقه التي هي علامة بينهم وبين ربّهم لكان ذلك فضلا منهم كثيرا يشكرون عليه ويحمدون .

<sup>٣٢</sup> (٣). صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: \أُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ\ ٤E / ١٩١. وفي صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربّهم، ح ٢٩٦.

وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: أَلَمْ تَبَيِّضْ وَجوهَنَا؟ أَلَمْ تَدْخُلْنَا الْجَنَّةَ وَتَنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ.<sup>٣٣</sup>

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ:

بينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب

ص: ٣٦

قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة!! قال:

وذلك قول الله: **سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ**. قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته.<sup>٣٤</sup>

وَأَنَّهُ قَالَ:

... أكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا. ثم قرأ رسول الله (ص): **وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ**.<sup>٣٥</sup>

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَخْبَرَ وَقَالَ: إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيَبْرُزُ لَهُمْ عَرْشُهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَبْقَى فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ إِلَّا حَاضِرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَاضِرَةً حَتَّى أَنَّهُ يَقُولُ لِلرَّجُلِ مِنْكُمْ: أَلَا تَذَكَّرُ يَا فُلَانُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فيقول:

يا ربِّ أفلم تغفر لي؟ فيقول:

بلى ... ثمَّ تنصرف إلى منازلنا فتلقانا أزواجنا فيقلن:

أهلاً ومرحباً، لقد جئت وإنَّ بك من الجمال والنور والطيب أفضل ممَّا فارقتنا عليه . فنقول:

إِنَّا جَالِسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَبِحَقِّنَا أَنْ نَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا.<sup>٣٦</sup>

\*\*\*

<sup>٣٣</sup> (٤). صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم، ح ٢٩٧.

<sup>٣٤</sup> (١). سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب في ما أنكرت الجهمية، ح (ع) ٤.

<sup>٣٥</sup> (٢). سنن الترمذی، كتاب صفة الجنة، باب رؤية الرب ١٠ / ١١ (ع) - ١٩.

<sup>٣٦</sup> (٣). سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب صفة أهل الجنة، ح ٤٣٣٦، ص ١٤٥١ - ١٤٥٢.

وسنن الترمذی، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة ١٠ / ١٦ - ١٧.

نكتفى بإيراد ما أوردنا من الاحاديث الكثيرة الوفيرة فى صفات أعضاء الله ورؤية العباد ربهم يوم القيامة، لأننا بصدد ضرب المثل لبيان منشأ الخلاف،

ص: ٣٧

ولسنا بصدد الاحصاء. وندرس فى ما يأتى الخلاف حول تأويل هذه الاحاديث.

الخلاف على تأويل تلکم الاحاديث:

فى المسلمين من يؤمن بظواهر تلك الاحاديث ويرى الايمان بها إيماناً بالله ودليلاً على القول بتوحيده تعالى، ويسمّون من يؤولها إلى غير معنى الجسمية بمعطلة الصفات، أى معطلة صفات الله.

وقد دون مسلم تلك الاحاديث فى كتاب الايمان من صحيحه، والبخارى فى كتاب التوحيد من صحيحه.

وآلف ابن خزيمة كتاباً سمّاه: (التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجلّ التى وصف بها نفسه فى تنزيله وعلى لسان نبيه، نقل الاخبار الصحيحة نقل العدول عن العدول من غير قطع فى إسناد ولا جرح فى ناقلى الاخبار الثقات).<sup>٣٧</sup>

وهذا فهرس بعض أبواب الكتاب كما جاء فى آخره:

أبواب كتاب ابن خزيمة:

إثبات النفس لله.

إثبات الوجه لله.

باب ذكر صورة ربنا جلّ وعلا.

باب ذكر إثبات العين لله جلّ وعلا.

باب إثبات السماع والرؤية لله جلّ وعلا.

ص: ٣٨

باب إثبات اليد للخالق البارئ جلّ وعلا.

باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجلّ.

<sup>٣٧</sup> (١). هو الحافظ الكبير إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت: ٣١١ هـ) استاذ البخارى ومسلم فى الحديث، طبع الكتاب سنة ١٣٧٨ هـ، نشر مكتبة الكليات الازهرية بميدان الازهر فى القاهرة. راجع ترجمة المؤلف فى مقدمة الكتاب.

باب ذكر البيان أن الله عز وجل ينظر إليه جميع المؤمنين.

باب ذكر البيان أن جميع المؤمنين يرون الله يوم القيامة مخليا به.

وآلف الامام الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي (ت: ٢٨٠ هـ-) كتاب: الرد على الجهمية، ومن أبوابه:

باب استواء الرب على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينوته من الخلق.

باب النزول ليلة النصف من شعبان.

باب النزول يوم عرفة.

باب نزول الرب يوم القيامة للحساب.

باب نزول الله لاهل الجنة.

باب الرؤية.<sup>٣٨</sup>

وآلف الذهبي كتاب (العلو العال للعلو الغفار)<sup>٣٩</sup> أورد فيه الايات والاحاديث التي يفهمون منها أن مكان الله في العلو المكاني، ثم ذكر أقوال الصحابة والتابعين والعلماء والمحدثين في تأييد ذلك.

منشأ الخلاف حول بعض صفات الله ورؤيته:

في المسلمين من درسنا آراءهم في صفات الله ا لمذكورة. وفيهم من يتلو في ردّ تلکم الاقوال قول الله تعالى : لا تُدْرِكُهُ  
الابصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ

ص: ٣٩

الانعام / ١٠٣.

ويقول: إن قول الله : وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ، أي: إلى أمر ربها ناظرة، أي: منتظرة، وذلك مثل قوله تعالى في حكاية قول أولاد يعقوب لآبيهم: **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا** يوسف / ٨٢. أي: واسأل أهل القرية، قدر في تلك الاية (أمر) وفي هذه الاية (أهل)، وهكذا تؤول سائر الايات التي ظاهرها يدل على أن الله تبارك وتعالى جسم.

ويسمّون أهل تلك الاقوال بالمجسّمة والمشبهة؛ أي الذين يشبهون ربهم بمخلوقاته ويقولون إنه جسم.

<sup>٣٨</sup> (١) ط. ليدن، سنة ١٩٦٠ م.

<sup>٣٩</sup> (٢) الامام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ-)، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة، باب الرحمة، ط . الثانية، سنة ١٣٨٨ هـ-.

ويروون عن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) أنه قال:

من زعم أن الله فوق العرش فقد صير الله محمولا ولزمه أن الشئ الذي يحمله أقوى منه . ومن زعم أن الله في شئ ، أو على شئ ، أو يخلو منه شئ ، أو يشغل به شئ ، فقد وصفه بصفة المخلوقين؛ والله خالق كل شئ ، لا يقاس بالقياس، ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشغل به مكان.<sup>٤٠</sup>

ويستشهدون بقول الامام علي (ع):

إن الله لا ينزل، ولا يحتاج أن ينزل؛ وإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص وزيادة، وكل متحرك يحتاج إلى من يحركه أو يتحرك به، فاحذروا في صفاته من أن تقضوا له على حدّ تحدّونه بنقص أو زيادة، أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو

ص: ٤٠

استنزال، أو نهوض أو قعود.<sup>٤١</sup>

وقال الراوى للامام علي بن موسى الرضا (ع):

إننا روبنا أن الله عز وجل قسم لموسى الكلام ولمحم د الرؤية . فقال أبو الحسن الرضا (ع): فمن المبلغ عن الله عز وجل إلى الثقلين الجن والانس : لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار و لا يحيطون به علما و ليس كمثله شئ ا ليس محمدا (ص)؟ قال: بلى، قال: فكيف يجىء رجل إلى الخلق جم يعا فيخبرهم انه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول: لا تدركه الابصار ... - الايات، ثم يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علما وهو على صورة البشر؟! أما تستحون؟ ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا، أن يكون يأتي عن الله بشئ ثم يأتي بخلافه من وجه آخر.

قال الراوى: فإنه يقول: لقد رأه نزلت أخرى فقال أبو الحسن (ع): إن بعد هذه الاية ما يدل على ما رأى حيث قال : ما كذب الفؤاد ما رأى يقول: ما كذب فؤاد محمد (ص) ما رأت عيناه. ثم أخبر بما رأى فقال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى آيات الله عز وجل غير الله، وقد قال : ولا يحيطون به علما فإذا رآته الابصار، فقد أحاطت به العلم، ووقعت المعرفة . فقال أبو قرّة: فتكذب بالروايات؟ فقال أبو الحسن (ع): إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها ....<sup>٤٢</sup>

ص: ٤١

<sup>٤٠</sup> (١) الكافي، الجزء الاول، كتاب التوحيد، باب العرش والكرسى، ح ٧، وباب الحركة والانتقال، ح ٣ و ٩. والتوحيد للشيخ الصدوق، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ٩، ١٠ و ١٢، وباب (وكان عرشه على الماء)، ح ١١، وباب معنى الرحمن على العرش استوى E، ح ٥، ٦، ٧ و ٨. والبحار للمجلسي، ط. الجديدة، كتاب التوحيد، باب نفى الجسم والصورة والتنشبيه والحلول والاتحاد، ح ٢٣، ٢٣ / ٨٧.

<sup>٤١</sup> (١) الكافي، كتاب التوحيد، باب الحركة والانتقال، ح ١. والتوحيد للصدوق، باب نفى المكان والزمان والحركة عنه تعالى، ح ١٨. والبحار للمجلسي، كتاب التوحيد، باب نفى الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى، ح ٢٥، ٢٥ / ٣١١.

<sup>٤٢</sup> (٢) توحيد الصدوق، ط. طهران سنة ١٣٨٧ هـ، ص ١١١-١١٢. وأحاطت به العلم، أى:

أحاطت به الابصار علما، وقد أوردنا الحديث موجزا. والبحار، كتاب التوحيد، باب نفى الرؤية وتأويل الايات، ح ١٤، ٣١ / ٤. والكافي، كتاب التوحيد، باب في إبطال الرؤية، ح ٢.

وهكذا بيّن أئمة أهل البيت (ع) تفسير الايات وكشفوا عن المقصود من الساق واليد والعرش ونظائرهما في الايات الكريمة، وأن الله خلق آدم على صورته في الحديث،<sup>٤٣</sup> وتركنا إيرادها لأننا لسنا بصدد إيراد أدلة المدرستين واستقصاء أدلتهما في ما ارتأيا، بل أردنا أن نورد أمثلة مما ورد من الاحاديث المتعارضة في صفات الله لدى المدرستين، وأن أحاديث كل مدرسة تؤول آيات القرآن باتجاهها الخاص، وأنه هكذا نشأ الخلاف حول صفات الله.

ثم ندرس في ما يأتي منشأ الخلاف في بعض صفات الانبياء بحوله تعالى.

ص: ٤٢

#### ٤- الخلاف في صفات الانبياء و ما خصهم الله بها ومنشأه

يرى البعض حول صفات الانبياء:

أن التبرك بآثار الانبياء واتخاذ قبورهم محلاً للعبادة شرك.

وأن البناء على قبورهم في حدّ الشرك.

وأن الاحتفال بأيام مواليدهم ومواليد الاولياء معصية وبدعة محرمة.

وأن التوسّل إلى الله بغيره في حدّ الشرك، والاستشفاع برسول الله (ص) بعد وفاته مخالف للشرع الاسلامي.

ويستدلّ مخالفوهم بما يأتي:

#### أ- التبرك بآثار الانبياء

يستدلّون على مشروعية التبرك بآثار الانبياء بما تواتر نقله في جميع كتب الحديث أن الصحابة تبركوا برسول الله (ص) وآثاره في حياة الرسول (ص) بمباشرته، ودعوته بذلك، وتبركوا- أيضا- بآثاره بعد وفاته، وفي ما يأتي بعض ما يستدلّون به:

#### التبرك ببصاق النبي (ص):

في صحيح البخارى عن سهل بن سعد في باب ما قيل في لواء

ص: ٤٣

<sup>٤٣</sup> (١). يراجع بشأن صفات الله كتب: الكافي للشيخ الكليني، كتاب التوحيد. والتوحيد للشيخ الصدوق. وعيون أخبار الرضا للشيخ الصدوق، الباب رقم ١١، ما جاء عن الرضا من الاخبار في التوحيد.

النبيّ (ص) من كتاب المغازي: <sup>٤٤</sup> إن رسول الله (ص) قال يوم خيبر:

لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله . قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها. فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله (ص) كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين علي؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه. فأرسل فاتي به ... ولفظه في كتاب الجهاد والسير: <sup>٤٥</sup> فأمر فدعى له، فبصق في عينيه، فبرئ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء ...

- الحديث.

وفي لفظ سلمة بن الأكوع بصحيح مسلم:

قال: فأتيت عليا فجئت به أقوده وهو أرمد حتى أتيت به رسول الله (ص) فبصق في عينيه فبرئ وأعطاه الراية -  
الحديث. <sup>٤٦</sup>

التبرك بوضوء النبي (ص):

في صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : رأيت رسول الله (ص) وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجده. فاتي رسول الله (ص) بوضوء، فوضع رسول الله في ذلك الاناء يده، وأمر الناس أن يتوضأوا منه . فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضأوا من عند آخرهم. <sup>٤٧</sup>

ص: ٤٤

وفي رواية اخرى عن جابر بن عبد الله أنه قال:

قد رأيتني مع النبيّ (ص) وقد حضر العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فاتي النبي (ص) به، فأدخل يده فيه، وفرج أصابعه ثم قال: حتى على أهل الوضوء، البركة من الله . فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه، فتوضأ الناس وشربوا. فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة - فقيل لجابر:- كم كنتم يومئذ؟ قال : ألفا وأربعمائة . وفي رواية: خمس عشر مائة. <sup>٤٨</sup>

<sup>٤٤</sup> (١) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٣ / ٣٥. وكتاب الجهاد والسير، الباب رقم ١٠٢، ١٠٨ / ٢، وباب ما قيل في لواء النبي ٢ / ١١١، وباب فضل من أسلم على يديه رجل ٢ / ١١٥. وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب علي بن أبي طالب ٢ / ١٩٩. وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب (ع)، ح ٣٢ و ٣٤، وباب غزوة ذي قرد وغيرها، ح ١٣٢. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب ١٣ / ١٧٢.

<sup>٤٥</sup> (٢) صحيح البخاري، باب دعاء النبي إلى الاسلام ٢ / ١٠٧.

<sup>٤٦</sup> (٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، ح ١٣٢.

<sup>٤٧</sup> (٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة ١ / ٣١.

<sup>٤٨</sup> (١) صحيح البخاري، كتاب الاشرية، باب شرب البركة والماء المبارك ٣ / ٢١٩.

وسنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الوضوء من الاناء ١ / ٢٥. ومسند أحمد ١ / ٤٠٢. وسنن الدارمي عن عبد الله بن عمر، المقدمة، باب ما أكرم الله النبي (ص) من تفجير الماء من بين أصابعه ١ / ١٥.

التبرک بنخامة النبىّ (ص):

روى البخارى فى صلح الحديبية، عن عروة بن مسعود، قال عن رسول الله (ص) وأصحابه:

والله ما تنخّم رسول الله (ص) نخامة إلّا وقعت فى كفّ رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وأنّه إذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوءه.<sup>٤٩</sup>

التبرک بشعر النبىّ (ص):

روى مسلم فى صحيحه: أنّ رسول الله (ص) أتى منى وحلق رأسه بعد أن رمى ونحر (ثمّ جعل يعطيه الناس).

ص: ٤٥

وفى رواية اخرى:

أنّه دعا الحائق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال: اقسمه بين الناس.<sup>٥٠</sup>

وروى أيضا عن أنس قال:

لقد رأيت رسول الله (ص) والحلّاق يحلقه وأطاف به أصحابه. فما يريدون أن تقع شعرة إلّا فى يد رجل.<sup>٥١</sup>

وفى ترجمة خالد باسد الغابة : أنّ خالد بن الوليد كان له الاثر المشهود فى قتال الفرس والروم، وافتتح دمشق، وكان فى قلنسوته التى يقاتل بها شعر من شعر رسول الله (ص) يستنصر به وببركته، فلا يزال منصورا.

وفى ترجمته - أيضا - باسد الغابة والاصابة ومستدرک الحاكم - واللفظ له :-

أنّ خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال:

اطلبوها. فلم يجدوها. ثمّ طلبوها فوجدوها، وإذا قلنسوة خلقته، فقال خالد : اعتمر رسول الله (ص) فحلق رأسه وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالا وهى معى إلّا رزقت النصر.<sup>٥٢</sup>

<sup>٤٩</sup> (٢). صحيح البخارى، كتاب الشروط، باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٨٢ / ٢، وكتاب الوضوء منه، باب البزاق والمخاط ونحوه ... ٣٨ / ١، وباب استعمال فضل وضوء الناس ... ٣٣ / ١. ومسند أحمد ٣٢٩ / ٤ و ٣٣٠.

<sup>٥٠</sup> (١). صحيح مسلم، كتاب الحجّ، باب بيان أنّ السنّة يوم النحر أن يرمى ثمّ ينحر ثمّ يحلق، والابتداء فى الحلق بالجانب الايمن من رأس المح لوق، ح ٣٢٣ و ٣٢٤.

وراجع ح ٣٢٤ و ٣٢٥ منه فى سنن أبى داود بكتاب المناسك، باب الحلق والتقصير، ح ١٩٨١، ٢ / ٢٠٣. وطبقات ابن سعد ١ / ١٣٥. ومسند أحمد ٣ / ١١١، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٤، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٣٩، ٢٥٦ و ٢٨٧، ٤ / ٤٢. ومغازى الواقدي / ٤٢٩.

<sup>٥١</sup> (٢). صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب قرب النبىّ (ص) من الناس وتبركهم به، ح ٧٤، ص ١٨١٢.



ص: ٤٦

وروى البخارى: أنه كان عند أم سلمة زوج النبي (ص) شىء من شعر النبي فإذا اصاب إنسانا عين أرسلوا إليها قدحا من الماء تغمس الشعر فيه، فيداوى من اصاب.<sup>٥٣</sup>

قال عبيدة: لآن تكون عندى شعرة منه - أى النبي (ص) - أحب إلي من الدنيا وما فيها.<sup>٥٤</sup>

التبرك بسهم النبي (ص):

روى البخارى فى صلح الحديبية وقال:

نزل الرسول (ص) بجيشه فى أقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول الله (ص) العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه.<sup>٥٥</sup>

التبرك بموضع كف النبي (ص):

فى ترجمة حنظلة من الاصابة ومسند أحمد ما موجه:

قال حنظلة: دنا بى جدى إلى النبي (ص) فقال:

ص: ٤٧

إن لى بنين ذوى لحي ودون ذلك، وإن ذا أصغرهم، فادع الله له. فمسح رأسه وقال:

بارك الله فيك أو بورك فيه. قال الراوى:

فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالانسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه ويقول: باسم الله، ويضع يده على رأسه ويقول: على موضع كف رسول الله (ص)، فيمسحه عليه.

وقال الراوى: فيذهب الورم.<sup>٥٦</sup>

<sup>٥٣</sup> (٣). المستدرک للحاکم، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب خالد بن الوليد ٣ / ٢٩٩. واللفظة وترجمة خالد فى اسد الغابة والاصابة. وموجز الخبر بمنتخب

کنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / ١٧٨. وتاريخ ابن كثير ٧ / ١١٣.

<sup>٥٤</sup> (١). وأوردناه ملخصا من صحيح البخارى، كتاب اللباس، باب ما يذكر فى الشيب ٤ / ٢٧.

<sup>٥٤</sup> (٢). طبقات ابن سعد ٦ / ٦٣. وصحيح البخارى، كتاب الوضوء، باب الماء الذى يغسل به شعر الانسان ١ / ٣١.

<sup>٥٥</sup> (٣). صحيح البخارى، كتاب الشروط، باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٢ / ٨١. وراجع كتاب المغازى منه، باب غزوة

الحديبية. وراجع طبقات ابن سعد ٣ / ٢٩، وباب ذكر علامات بعد نزول الوحى ١ / ١١٨. ومغازى الواقدي / ص ٢٤٧.

<sup>٥٦</sup> (١). مسند أحمد ٥ / ٦٨، وتفصيله بترجمة حنظلة بن حذيم بن حنيفة التميمي فى الاصابة وفى لفظه، وأورد الخبر أيضا بأسناد اخرى.

وفى لفظ الاصابة:

ويقول: باسم الله، ويضع يده على رأسه موضع كف رسول الله (ص)، فيمسحه عليه، ثم يمسح موضع الورم، فيذهب الورم.

\*\*\*

كان انتشار البركة من رسول الله (ص) إلى من حوله كانتشار الضوء من الشمس والشذى من الزهر، لا ينفك عنه أينما حلّ، في صغره وكبره، سفره وحضره، ليله ونهاره، سواء أكان في خبأ حليمة السعدية رضيها، أم في سفره إلى الشام تاجرا، أم في خيمة أم معبد مهاجرا، أم في المدينة قائدا وحاكما. وما أوردناه أمثلة من أنواعها وليس من باب الاحصاء، فإن إحصاءها لا يتيسر للباحث، وفي ما أوردناه الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وندرس بعد هذا في ما يأتي مسألة الاستشفاع برسول الله (ص) ثم ندرس منشأ الخلاف في جملة ميّزات رسول الله (ص) على سائر الناس إن شاء الله تعالى.

ص: ٤٨

ب- الاستشفاع برسول الله (ص)

يستدلّ القائلون بمشروعية التوسّل برسول الله (ص) والاستشفاع به في كلّ زمان، بأنّ ذلك وقع برضا من الله قبل أن يخلق النبيّ (ص) وفي حياته وبعده، وكذلك يقع يوم القيامة. وفي ما يأتي الدليل على ذلك:

أولا- التوسّل بالنبيّ (ص) قبل أن يُخلق:

روى جماعة منهم الحاكم في المستدرک، من حديث عمر بن الخطاب (رض) أن آدم لما اقترف الخطيئة قال:

يا ربّ أسألك بحقّ محمد لما غفرت لي. فقال الله:

يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه؟ قال:

يا ربّ لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوبا: «لا إله إلاّ الله محمد رسول الله» فعلمت أنّك لم تضيف إلي اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك. فقال الله:

صدق يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ، ادعني بحقه فقد غفيت لك، ولولا محمدا خلقتك.

وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الانبياء من ذريّتك»<sup>٥٧</sup>.

<sup>٥٧</sup> (١). مستدرک الحاكم، كتاب التاريخ في آخر كتاب البعث ٢ / ٦١٥. ومجمع الزوائد ٨ / ٢٥٣.

وتحقيق النصرة للمراغي (ت: ٨١٦ هـ-) / ص ١١٣ - ١١٤. وهو الذي نقله عن الطبراني.

وأخرج المحدثون والمفسرون في تفسير الآية : **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَاعَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** البقرة / ٨٩: أن اليهود من أهل المدينة وخيبر إذا قاتلوا من يليهم من مشركى العرب من الاوس والخزرج وغيرهما قبل

ص: ٤٩

أن يبعث النبي، كانوا يستنصرون به عليهم، ويستفتحون لما يجدون ذكره في التوراة، فيدعون على الذين كفروا ويقولون: (اللهم إنا نستنصرك بحق النبي الاميِّ إلّا نصرتنا عليهم) أو يقولون: (اللهم انصرنا عليهم باسم نبيك ...).<sup>٥٨</sup> فلما جاءهم كتاب من عند الله وهو القرآن مصدق لما معهم، وهو التوراة والانجيل، وجاءهم ما عرفوا، وهو محمد (ص) ولم يشكوا فيه، كفروا به، لأنه لم يكن من بنى إسرائيل.<sup>٥٩</sup>

ثانياً- التوسّل بالنبيّ (ص) في حياته:

روى أحمد بن حنبل والترمذى وابن ماجّة والبيهقى عن عثمان بن حنيف: أن رجلا ضرير البصر أتى النبيّ (ص) فقال:

ادعُ الله أن يعافيني. قال:

إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتَ فهو خير لك. قال:

فادعُ. قال:

فأمره أن يتوضّأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة. يا محمد، إني توجهت

ص: ٥٠

بك إلى ربّي في حاجتي لتقضى لي. اللهم شفّعه فيّ».<sup>٦٠</sup>

<sup>٥٨</sup> (١). يظهر من الروايات أنّهم كانوا يدعون بأمتال هذه الادعية ممّا فيه التوسّل بالنبيّ (ص) إلى الله جلّ اسمه.

<sup>٥٩</sup> (٢). تواترت الروايات بالمضمون الذي أوردناه في كلّ من:

دلائل النبوة للبيهقى / ٣٤٣ - ٣٤٥. وتفسير الآية ٨٩ من سورة البقرة بتفسير محمد بن جرير الطبري / ٣٢٤ - ٣٢٨. وتفسير النيشابوري بهامشه / ١ / ٣٣٣.

والحاكم بتفسير الآية ٨٩ من سورة

البقرة من كتاب التفسير بمسندركه / ٢٦٣ / ٤. وتفسير السيوطي عن دلائل النبوة لابي نعيم . وتفسير محمد بن عبد حميد . وتفسير أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي. وتفسير أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٠ هـ).

<sup>٦٠</sup> (١). مسند أحمد / ٤ / ١٣٨. وسنن الترمذى، كتاب الدعوات / ٨٠ - ٨١. وسنن ابن ماجّة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة،

ح / ١٣٨٥، ص ٤٤١. وابن الاثير بسنده بترجمة عثمان بن حنيف من اسد الغاية. والبيهقى برواية صاحب كتاب تحقيق النصرة عنه. تحقيق النصرة / ١١٤.

وأوردنا لفظ إمام الحنابلة أحمد لأن المنكرين للشفاعة من أتباع الشيخين: ابن تيمية وابن عبد الوهاب هم من أتباع ابن حنبل.

صححه البيهقي والترمذي.

ثالثاً- التوسّل بالنبيّ (ص) بعد وفاته:

روى الطبراني في معجمه الكبير من حديث عثمان بن حنيف:

أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رض) في حاجة له، فكان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا إليه ذلك. فقال عثمان بن حنيف: أتت الميضة فتوضاً، ثم أتت المسجد فصلّ ركعتين، ثم قل:

«اللهم إنني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد (ص) نبي الرحمة. يا محمد، إنني أتوجه بك إلى ربي لتقضي حاجتي». وتذكر حاجتك.

فانطلق الرجل فصنع ما قال له. ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاءه البواب، فأخذ بيده، فأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة، فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، فقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كانت الساعة، وقال: ما كان لك من حاجة فاذكرها.<sup>٦١</sup>

ص: ٥١

ج- الاستشفاع بالعباس عم النبيّ (ص):

في صحيح البخاري: أن عمر بن الخطاب (رض) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال:

اللهم إنا كنا نتوسّل إليك بنبينا فتسقيننا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبينا فاسقنا. قال: فيسقون.<sup>٦٢</sup>

كان الاستشفاع بالعباس لأنه عمّ رسول الله (ص) وليس لصفة أخرى فيه.

\*\*\*

مع وجود هذه الاحاديث من سنة الرسول (ص)، لا ينبغي أن يكون ثمة خلاف في مسألة صفات الانبياء - وخاصة خاتم الرسل - المذكورة، وما فضلهم الله بها وخصهم على سائر الناس. وسنذكر في ما يأتي بعض ما نراه سبباً للخلاف في صفات خاتم الرسل خاصة.

منشأ الخلاف حول صفات رسول الله (ص):

مع صراحة النصوص المتواترة المذكورة آنفاً حول بعض صفات الانبياء، كيف نشأ الخلاف حولها؟

<sup>٦١</sup> (٢). تحقيق النصرة/ ١١٤ و ١١٥، رواه عن الطبراني في معجمه الكبير.

<sup>٦٢</sup> (١). صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الامام الاستسقاء إذا قحطوا، وكتاب فضائل أصحاب النبي، باب مناقب العباس بن عبد المطلب ٢ /

٢٠٠، و ١ / ١٢٤. وسنن البيهقي، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الاستسقاء بمن ترجى بركة دعائه ٣ / ٣٥٢.

الجواب: أنا إذا أنعمنا النظر في روايات جمّة أخرى رويت في انتقاص شأن الانبياء، وانتشرت في كتب الحديث، والتي تنزل منزلة الانبياء عن مستوى سائر الناس، وجدنا أنّها هي التي تكون للمعتقد بصحتها رؤية خاصة تناقض

ص: ٥٢

محتوى الاحاديث الالفة. ولثلاً يطول بل المقام، نكتفى في ما يأتي بالاشارة إلى بعض ما روى بشأن خاتم الانبياء وأفضل المرسلين (ص)، ففيه كفاية لمن أراد أن يتدبّر ويتبصّر. منها:

١- ما رواه البخارى في صحيحه وقال:

إنّ رسول الله (ص) قبل أن ينزل عليه الوحي قدّم إلى زيد بن عمرو بن نفيل سفرة فيها لحم، فأبى أن يأكل منها، ثمّ قال:

إني لا أكل إلّا ممّا ذكر اسم الله عليه.<sup>٦٣</sup>

إذا فإنّ زيدا كان في الجاهلية أفضل من رسول الله، يتجنّب من أمر الجاهلية ما لا يتجنّبه رسول الله (ص).

٢- روى البخارى ومسلم:

أنّ رسول الله (ص) لمّا جاءه جبرائيل بآيات: **إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** إلى قوله: **عَلَّمَ بِالْقَلَمِ** رجع النبيّ (ص) إلى بيته ترجف بوادره، وقال لخديجة: **إني خشيت على نفسي**. فقالت له خديجة: أبشر، كلّا فوالله لا يخزيك الله أبدا. وانطلقت به إلى ورقة بن نوفل، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية، فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رآه. فقال ورقة: هذا الناموس الذي انزل على موسى - الحديث.<sup>٦٤</sup>

ص: ٥٣

إذا فإنّ ورقة النصراني كان أدري بالوحي وجبرائيل من رسول الله (ص) الذي خوطب بالوحي، ومن كلام ورقة اطمأنّ النبيّ (ص) بمصيره، وإلّا فإنّه كان يريد أن يلقي بنفسه من حلق من جبل، بحسب ما رواه ابن سعد في طبقاته، وقال الطبري: إنّ رسول الله (ص) قال: **إنّ الأبعد - يعني نفسه - لشاعر أو مجنون لا تحدّث بها عنّي قريش أبدا**.<sup>٦٥</sup>

٣- روى البخارى ومسلم وقالوا:

<sup>٦٣</sup> (١). البخارى، كتاب الذبائح، باب ما ذبح على النصب والاصنام ٣/ ٢٠٧. ومسنّد أحمد ٢/ ٦٩ و ٨٦.

وزيد بن عمرو بن نفيل كان ابن عمّ الخليفة عمر ووالد زوجته، جاء ذكره في ترجمة ابنه سعيد في الاستيعاب ٢/ ٤.

<sup>٦٤</sup> (٢). صحيح البخارى، باب بدء الوحي ٣/ ١، وتفسير سورة اقرأ. وصحيح مسلم، كتاب الايمان، باب بدء الوحي، ح ٢٥٢. ومسنّد أحمد ٦/ ٢٢٣ و ٢٣٣.

والبواذر: اللّحة بين المنكب والعنق، تضطرب عند الفزع.

وقد لخصنا الخبر.

وناقشنا روايات بعثة النبيّ الواردة في كتب الحديث والسيرة والتفسير وذكرنا عللها في الجزء -

<sup>٦٥</sup> (١). تاريخ الطبري، ط. اوريا ١/ ١١٥٠.

إنَّ رسولَ الله (ص) كان يغضب فيلعن ويسبّ ويؤذى من لا يستحقّها، ودعا الله أن يجعلها لمن بدرت منه إليه زكاة وطهوراً.<sup>٦٦</sup>

٤- ورويا أيضا وقالوا:

إنَّ بعض اليهود سحر رسول الله (ص) حتّى يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله.

٥- روى مسلم:<sup>٦٧</sup>

أنَّ رسول الله (ص) مرَّ بقوم يلقحون النخل، فقال:

لو لم تلقحوها لصلح. فتركوا تلقيحها فخرج شيصا، فقال: أنتم أعلم بأمور دنياكم.<sup>٦٨</sup>

ص: ٥٤

٦- ورويا أيضا:

أنَّ رسول الله (ص) استمع إلى غناء جوارٍ من الانصار، فنهههم

أبو بكر.<sup>٦٩</sup>

٧- روى مسلم:

أنَّ رسول الله (ص) رفع عائشة على منكبها لتنظر إلى الحبشة الذين يلعبون في المسجد، فنهههم عمر.<sup>٧٠</sup>

وفي رواية الترمذى:

إذ طلع فانفضّ الناس، فقال رسول الله (ص):

إنى لانظر إلى شياطين الجنّ والانس قد فروا من عمر.<sup>٧١</sup>

<sup>٦٦</sup> (٢). صحيح البخارى، كتاب الدعوات، باب قول النبي (ص): من آذيته. وصحيح مسلم، كتاب البرّ والصلة، باب من لعنه النبي (ص) وليس له أهلا.

<sup>٦٧</sup> (٣). صحيح البخارى، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، وكتاب الطبّ، باب هل يستخرج السحر، وباب السحر، وكتاب الادب، باب إن الله يأمر بالعدل، وكتاب الدعوات، باب

تكرير الدعاء. وصحيح مسلم، باب السحر.

<sup>٦٨</sup> (٤). صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معاش الناس. وسنن ابن ماجه، باب تلقيح النخل.

<sup>٦٩</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب فضائل أصحاب النبي، باب مقدم النبي (ص) وأصحابه المدينة، وكتاب العيدين، باب سنّة العيدين لاهل الاسلام. وصحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة  
فى لعب يوم العيد.

<sup>٧٠</sup> (٢). صحيح مسلم، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة فى اللعب الذى لا معصية فيه فى أيام العيد، ح ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١ و ٢٢.

وفى رواية:

أنَّ جاريةً سوداءً ضربت بالدفِّ وغمَّت بين يدي رسول الله (ص) بعد رجوعه من إحدى غزواته، فدخل عمر فألقت الدفَّ تحت استنها، ثمَّ قعدت عليها، فقال رسول الله (ص):

إنَّ الشيطان ليخاف منك يا عمر.<sup>٧٢</sup>

٨- روى البخارى ومسلم فى صحيحهما:

عن عائشة: أنَّ النبيَّ (ص) سمع رجلاً يقرأ فى المسجد، فقال:

ص: ٥٥

رحمه الله، أذكرنى كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا.<sup>٧٣</sup>

\*\*\*

رأينا فى ما مرَّ أنَّ زيد بن عمرو بن نفيل ابن عمِّ الخليفة عمر كان أتقى لله من رسول الله (ص)، يمتنع من أكل ما ذبح على الارصاب والاصنام، بينما يأكله رسول الله (ص).

وأنَّ ورقة بن نوفل النصرانى يدرك أنَّ الذى جاء إلى النبيَّ (ص) هو جبرائيل ورسول الله لم يعرفه، وخشى أن يكون أصابه مسَّ من الجنِّ وأنَّ آيات سورة اقرأ هى من سجعهم.

وأنَّ سحر اليهود أثر فى رسول الله (ص) فكان يرى أنَّه يفعل الشئء وما فعله.

وأنَّه أسقط من القرآن آيات نسيها حتَّى قرأها بعض الصحابة.

وأنَّه أمر بعدم تلقيح النخل ليصلح، فلما أصبح شبيصاً قال لهم: أنتم أعلم بامور دنياكم منى.

وأنَّه استمع إلى غناء جوارٍ من الانصار، وكرهه أبو بكر، وقال فى شأن عمر:

إنَّ الشيطان ليفرّ منك.

\*\*\*

<sup>٧١</sup> (٣). سنن الترمذى، أبواب المناقب، باب مناقب عمر.

<sup>٧٢</sup> (٤). سنن الترمذى، أبواب المناقب، باب مناقب عمر. ومسنند أحمد ٥/ ٣٥٣.

وقد ناقشنا هذه الاحاديث وذكرنا عللها فى الجزء ٢، ٣، ٤ و ٥ من كتاب قيام الائمة يا حياء السنة.

<sup>٧٣</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب الشهادات، باب شهادة الاعمى ونكاحه . وصحيح مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب الامر بتعهّد القرآن، ح ٢٢٤. وسنن أبى داود،

كتاب التطوّع، باب فى رفع الصوت بالقراءة فى صلاة الليل، ح ١٣٣١، وكتاب الحروف والقراءات، الباب الاول، ح ٣٩٧٠.

إنّ تلکم الاحادیث وأمثالها تثبت أنّ رسول الله (ص) كان دون زید فی الجاهلیة، وبعد الاسلام كان ورقة النصرانی أدری بالوحي وجبرائیل من رسول الله (ص)، وأنّ أبا بكر وعمر كانا أكثر تجنّباً للهو واللغو من رسول الله (ص)،

ص: ٥٦

وأنّ الصحابیّ الذي قرأ من القرآن ما كان قد أسقطه الرسول (ص) منه كان أقوى ذاکرة من رسول الله (ص)، وأنّ رسول الله (ص) كسائر الناس لا يعصمه الله من عبث اليهود وسحرهم، وأنّه يغضب ويلعن ويسبّ من لا يستحقّ.<sup>٧٤</sup>

ومن آمن بصحة الاحادیث المذكورة آنفاً، تتكوّن له رؤية تناقض محتوی الاحادیث التي أشرنا إليها فی ما خصّ الله به خاتم أنبيائه (ص) وميّزه عن سائر الناس بفضائل جمّة، وحقّ للرجل (ذی المعرفة) من السعودیین إذن أن يقول: «محمد رجالاً مثلي، مات».

أضف إلى هذه الاحادیث التي كوّنت رؤية تناقض تلك الفضائل، ما فعله الخليفة الصحابي عمر بن الخطاب واجتهاده فی قطع الشجرة التي بويح تحتها رسول الله (ص).<sup>٧٥</sup> وتفصيل الخبر فی شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٥٩.

وينقض جميع الاحادیث التي تنقص من منزلة رسول الله (ص) ما أخبر عنه الامام علي (ع) عن رسول الله (ص) فی خطبته الفاصعة، حيث قال:

ولقد قرن الله به ٩ من لدن أن كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني

ص: ٥٧

بالاقتداء به. ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع يومئذ بيت في الاسلام غير رسول الله ٩ وخديجة، وأنا ثالثهما؛ أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوة. ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه «فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ قال:

هذا الشيطان أيس من عبادته.<sup>٧٦</sup>

<sup>٧٤</sup> (١). لما كانت أحاديث مدرسة الخلفاء تكوّن رؤية تنزّل من مستوى الرسول الاكرم (ص) عن مستوى الانسان العادي وخاصة في مثل الخبر المختلق في قصة الغرائق التي بيّنا زيفها في الجزء.

الرابع من (قيام الائمة بإحياء السنّة) ويمكن من خلالها إلقاء الشبهات في الوحي والقرآن، استند المستشرقون من مبشّري النصراني في دراساتهم للاسلام إلى أحاديث مدرسة الخلفاء، وتركوا أحاديث مدرسة أهل البيت ظهرياً.

<sup>٧٥</sup> (٢). شفاء الصدور / ص ٢٧، وهي شجرة بيعة الرضوان في صلح الحديبية.

<sup>٧٦</sup> (١). نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة رقم ١٩٢.



ولست أدري كيف لم يكن الرسول (ص) يعرف نفسه كما ورد ذلك في خبره مع ورقة،<sup>٧٧</sup> وكان على كتفه خاتم النبوة الذي يعرفه به كل من شاهده من أهل الكتاب؟

وتنقضها أيضا الروايات التي ذكرت في دلائل النبوة التي صدرت منه وله قبل أن يبعث، مثل ما تم له في سفرته الاولى إلى الشام مع عمه أبي طالب، والثانية في تجارة خديجة، وإخبار الرهبان بأمر بعثته، وتظليل سحابة له، مما علمه جميع من كان معه في السفرتين، وانتشرت أخبارهما في كتب الحديث والسير.<sup>٧٨</sup>

وإخبار أهل الكتاب بظهوره قبل أن يبعث، وخبره في التوراة.<sup>٧٩</sup>

ص: ٥٨

وتسليم الشجر والحجر عليه قبل بعثته.<sup>٨٠</sup>

كيف كان لا يعرف نفسه وقد بشر به عيسى بن مريم (ع) كما أخبر تعالى عنه بقوله: **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ الصَّف / ٤٦؟**

كيف لا يعرف نفسه وأهل الكتاب كانوا يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الْبَقْرَةَ / ١٤٦، والانعام / ٢٠؟

يعرفون الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْاِعْرَافِ / ١٥٧.

\*\*\*

سيأتى في بحوث مصادر الشريعة الاسلامية من هذا الكتاب محاولات السلطات الاسلامية رفع مقام الخلافة في أنظار المسلمين على مقام النبوة، ونذكر هنا منها مثلا واحدا من سيرة الحجّاج بن يوسف الثقفي والى الخليفة عبد الملك على العراق، إذ خطب في الكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله (ص) بالمدينة، فقال:

<sup>٧٧</sup> (٢). راجع صحيح البخارى، كتاب المناقب والمرضى والادب . وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة . وسنن أبي داود، كتاب اللباس . والترمذى، كتاب المناقب. ومسنند أحمد ٢/ ٢٢٣، و ٣/ ٤٣٤ و ٤٤٢، و ٤/ ١٩٥، و ٥/ ٣٥، ٧٧، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩٥، ٩٨، ١٠٤، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٥٤، ٤٣٨، ٤٤٢ و ٤٤٣، و ٦/ ٣٢٩.

<sup>٧٨</sup> (٣). طبقات ابن سعد، ط. اوربا ١/ ١ ق ١/ ٧٣، ٧٦، ٨٣، ٩٨، ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٩ منه، و ٣/ ١ ق ١/ ١٥٣. وما رواه البخارى في آخر كتاب بدء الوحي من أخبار هرقل من ظهوره. وسنن الترمذى، كتاب المناقب، باب ما جاء في بدء النبوة ١٣/ ١٠٦. وسيرة ابن هشام ١/ ١٩٤ و ٢٠٣، وراجع أيضا ص ٢٣١، ٢٣٩ و ٢٥١ منه.

<sup>٧٩</sup> (٤). صحيح البخارى، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في الاسواق ٢/ ١٠، وكتاب التفسير، باب تفسير سورة الفتح، وكتاب فضائل القرآن، الباب الاول . وطبقات ابن سعد، ط. اوربا ١/ ١٢٣، و ١/ ١ ق ٢/ ١٧، ٨٧ و ٨٩. وسنن الترمذى، كتاب المناقب، الباب الاول.

<sup>٨٠</sup> (١). صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب نسب النبي، ح ٢، ص ١٧٨٢. ومسنند أحمد ٥/ ٨٩، ٩٥ و ١٠٥. ومسنند الطيالسى، ح ٧٨١. وطبقات ابن سعد ٨/ ١٧٩. وتسليم الشجر عليه فى:

سنن الدارمى، المقدمة، الباب رقم ٣. وطبقات ابن سعد ٨/ ١٧٩.

تَبَّأْ لَهُمْ! إِنَّمَا يَطُوفُونَ بِأَعْوَادٍ وَرَمَّةٍ بَالِيَةٍ! هَلَّا طَافُوا بِقَصْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ! أَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ خَلِيفَةَ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ رَسُولِهِ؟<sup>٨١</sup> وسيأتي تفصيل ذلك في الجزء الثالث من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ص: ٥٩

وإن الذي نجده من اتجاه بعض المسلمين في القرون المتأخرة من تهوين أمر الرسول (ص) إن هو إلَّا نتيجة لتلك المحاولات مدى القرون، سواء في ما رووا من روايات تحطّ من قدر رسول الله (ص)، أم ما أوّلوا من آيات القرآن وغير ذلك ممّا فعلوا في توجيه المسلمين إلى ما أرادوا. ومنها ما رأوا في الاحتفال بذكرى ميلاد الرسول (ص)، كما سنذكره في ما يأتي.

ص: ٦٠

#### ٥- الخلاف حول الاحتفال بذكرى الانبياء وذكرى عباد الله الصالحين

نكتفي في إيراد أقوال المانعين لاقامة المولد النبوي بإيراد فتوى الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية حيث قال:

لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول (ص)، ولا غيره؛ لأن ذلك من البدع المحدثّة في الدين....<sup>٨٢</sup>

أما من يرى استحباب الاحتفال بذكرهم فإنه يستدلّ على صحّة ذلك بأنّ جُلّ مناسك الحجّ احتفال بذكرى الانبياء والاولياء، كما سنذكر أمثلة منه في ما يأتي:

أ- مقام إبراهيم:

قال سبحانه وتعالى:

وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى الْبَقَرَةَ / ١٢٥.

وفي صحيح البخارى<sup>٨٣</sup> ما ملخصه:

ص: ٦١

أنّ إبراهيم وإسماعيل (ع) لمّا كانا بينان البيت، جعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتّى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر، فوضعه له، فقام عليه وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

<sup>٨١</sup> (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٢٤٢. وراجع كتاب المبرد، ط. النهضة بمصر / ص ٢٢٢.

<sup>٨٢</sup> (١). صحيفة الشرق الاوسط بتاريخ ٣ / ١٢ / ١٩٨٤ في مقال تحت عنوان (حكم الاحتفال بالمولد النبويّ وغيره من الموالد).

<sup>٨٣</sup> (٢). صحيح البخارى، كتاب الانبياء، باب يزفون التسلان في المشى ٢ / ١٥٨ و ١٥٩.

وفى رواية بعدها: حتى ارتفع البناء وضعف الشيخ على نقل الحجارة، فقام على حجر المقام، فجعل يناوله الحجارة.

\*\*\*

إنَّ الله سبحانه أمر الناس - كما هو واضح - أن يتبرَّكوا بموطئ قدمي إبراهيم (ع) في بيته الحرام ويتَّخذوا منه مصلىً، إحياءً لذكرى إبراهيم وتخليداً، وليس فيه شيء من أمر الشرك بالله جلَّ اسمه.

ب- الصفا والمروة:

قال الله سبحانه:

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا الْبَقْرَةَ / ١٥٨.

وروى البخارى ما ملخصه:

أنَّ هاجر لما تركها إبراهيم (ع) مع ابنتها إسماعيل بمكة ونفذ ماؤها عطشت وعطش ابنها وجعل يتلوى، فانطلقت إلى جبل الصفا كراهية أن تنظر إليه، فقامت عليه تنظر هل ترى أحدا، فلم ترَ أحدا، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى، سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادى، ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا، فلم ترَ أحدا، فعلت ذلك سبع مرَّات.

قال ابن عباس: قال النبي (ص):

فذلك سعى الناس بينهما

ص: ٦٢

- الحديث. ٨٤

\*\*\*

جعل الله السعى بين الصفا والمروة من مناسك الحج، إحياءً لذكرى سعى هاجر بينهما واحتفالاً بعملها، واستحباب الهرولة فى محلّ الوادى الذى سعت فيه هاجر سعى الانسان المجهود، إحياءً لذكرى هرولتها ه ناك.

ج- رمى الجمار:

روى أحمد والطيالسى فى مسنديهما عن رسول الله (ص) أنه قال:

<sup>٨٤</sup> (١) صحيح البخارى، كتاب الاتيباء، باب يزفون النسلان فى المشى ١٥٨ / ٢. وراجع معجم البلدان، مادة: (زمزم)، وذكر تأريخ إسماعيل (ع) من تأريخ الطبرى وابن الاثير.

إنَّ جبريل ذهب بإبراهيم (ع) إلى جمرة العقبة، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ. ثم أتى الجمرة الوسطى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ. ثم أتى الجمرة القصوى، فعرض له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، فساخ.  
٨٥ ...

هكذا جعل الله إحياء ذكرى رمى إبراهيم (ع) الشيطان والاحتفال بذكره من مناسك الحجّ.

#### د - الفدية:

قال الله سبحانه في قصة إبراهيم وإسماعيل (ع):

فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ \* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ

ص: ٦٣

الصَّابِرِينَ \* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ \* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ \* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ  
الْبَلَاءُ الْمُبِينُ \* وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ الصَّافَّاتُ / ١٠١ - ١٠٧

\*\*\*

وكذلك جعل الله إحياء ذكرى فداء إبراهيم (ع) ابنه إسماعيل (ع)

وإرسال الله الكبش فدية له والاحتفال بها من مناسك الحجّ، وأمر الحجّاج بالفدية في منى اقتداءً بإبراهيم (ع) واحتفالاً  
بذكرى موقفه من طاعة الله.

\*\*\*

في مقام إبراهيم (ع)، انتشرت البركة من قدمي إبراهيم (ع) إلى موطن قدميه، وأمر الله باتخاذ مسجداً في بيته الحرام،  
وجعله الله من مناسك الحجّ إحياءاً لذكره.

وفي ما يأتي نذكر انتشار البركة من آدم (ع) أبي البشر.

#### انتشار البركة من آدم (ع) والاحتفال بذكره:

وفي بعض الاخبار أنّ الله جلّ اسمه تاب على آدم (ع) عصر التاسع من ذى الحجة بعرفات، ثمّ أفاض به جبرائيل عند  
المغيب إلى المشعر الحرام، وبات فيه ليلة العاشر يدعو الله ويشكره على قبول توبته. ثمّ أفض منه صباحاً إلى منى وحلق

٨٥ (٢). مسند أحمد ١/ ٣٠٦، وقريب منه في ١٢٧. ومسند الطيالسي، ح ٢٦٩٧. وراجع مادة: (الكعبة) من معجم البلدان؛ وتأريخ إبراهيم وإسماعيل (ع) من  
تأريخ الطبري وابن الاثير. وساخت قوائمه في الارض: غاصت في الارض.

فيه رأسه يوم العاشر إمارة لقبول توبته وعتقه من الذنوب، فجعل الله ذلك اليوم عيداً له ولذريته، وجعل كل ما فعله آدم أبداً الدهر من مناسك الحج لذريته، يقبل توبتهم عصر التاسع بعرفات، ويذكرون الله ليلاً بالمشعر الحرام، ويحلقون رؤوسهم يوم العاشر بمنى. ثم اضيف إلى هذه المناسك ما فعله بعد ذلك إبراهيم وإسماعيل (ع) وهاجر، وتمت بها مناسك الحج للناس كما ذكرناه سابقاً.

ص: ٦٤

إذا، فإن أعمال الحج كلها تبرك بتلك الأزمنة والامكنة التي حل بها عباد الله الصالحون اولئك، وكلها احتفال بذكرهم أبداً الدهر.

وفي ما يأتي نضرب مثالا لانتشار الشؤم - أيضاً - إلى المكان من المكين.

#### انتشار الشؤم إلى المكان من المكين:

روى مسلم أن رسول الله (ص) عام تبوك نزل بالناس الحجر عند بيوت ثمود، فاستسقى الناس من الابار التي كان يشرب منها ثمود، فعجنوا منها ونصبوا القدور باللحم. فأمرهم رسول الله (ص) فأهرقوا القدور وعلفوا العجيين الابل. ثم ارتحل بهم حتى نزل بهم على البئر التي كانت تشرب منها الناقة ونهاهم أن يدخلوا على القوم الذين عذبوا، قال : إنني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم.<sup>٨٦</sup>

وفي لفظ مسلم: ولا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذرا أن يصيبكم مثل ما أصابهم . ثم زجر وأسرع حتى خلفها.

وفي لفظ البخاري: ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

وفي رواية اخرى بمسند أحمد: وتقع بردائه وهو على الرحل.<sup>٨٧</sup>

#### منشأ الشؤم والبركة في المكان:

من أين رثأ شؤم بلاد ثمود وآبار ثمود وانتشر منها إلى غيرها عدا أنه نشأ من قوم ثمود، وانتشر منهم إلى بلادهم وآبارهم، وبقي فيها إلى عصر خاتم

ص: ٦٥

<sup>٨٦</sup> (١). أورده مسلم باختصار في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، ح ٤٠، واللفظ لمسند أحمد ١١٧ / ٢. وصحيح

البخاري، كتاب المغازي، باب نزول

النبي (ص) الحجر. والطبري في خبر ثمود، ط. اوربا ١ / ٢٥٠.

<sup>٨٧</sup> (٢). مسند أحمد ٢ / ٦٦.

الانبياء (ص)، وإلى ما شاء الله، ومن أين نشأ فضل بئر ناقة صالح (ع) عندما كان من شرب ناقة صالح (ع) منها، وانتشر الفضل منها إلى البئر، وبقي فيها إلى عصر خاتم الانبياء (ص)، وإلى ما شاء الله.

وليست ناقة صالح (ع) وبئرها بأكرم على الله من إسماعيل (ع) وبئرته زمزم، بل كذلك جعل الله البركة في زمزم من بركة إسماعيل (ع) أبد الدهر.

وكذلك شأن انتشار البركة مما يفيضه الله على عباده الصالحين في أزمته خاصة مثل بركة يوم الجمعة.

بركة يوم الجمعة:

في صحيح مسلم:

«أن الله خلق آدم يوم الجمعة، وأدخله الجنة يوم الجمعة...»<sup>٨٨</sup>

هذا وغيره مما أفاضه الله على عباده الصالحين في يوم الجمعة، خلد البركة في يوم الجمعة أبد الدهر.

البركة في شهر رمضان:

وكذلك الشأن في بركة شهر رمضان؛ فقد قال سبحانه:

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ الْبَقْرَةَ / ١٨٥.

وقال سبحانه:

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ... القدر / ١ - ٣.

إذا فقد انتشرت البركة من ليلة القدر التي انزل فيها القرآن على خاتم

ص: ٦٦

أنبياء الله (ص) إلى جميع أزمته شهر رمضان، وتخلدت البركة في ذلك الشهر من تلك الليلة إلى أبد الدهر.

هكذا وجدنا انتشار البركة من الزمان ال مبارك والمكان المبارك بما بارك به على أصفياه، وأمرنا الله بأن تقتدى بعمل أصفياه، ونقلد أعمالهم في أزمته وأمكنتها، احتفالاً بذكرهم وإحياً لآمرهم، ولتشمنا البركة التي عمّتهم. وما المانع الشرعي من القيام بالاحتفال بأمثالها من المناسبات الاسلامية كميلادال رسول (ص)، وليلة اسرى به (ص) من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى، ويوم بعثه (ص) الله رحمة للعالمين؟

\*\*\*

<sup>٨٨</sup> (١). صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل الجمعة، ح ١٧ و ١٨.

بعد انتهائنا من الإشارة إلى رجحان الاحتفال بذكرى أصفياء الله، نوّكد أنّنا نقصد من الاحتفال بذكرى أصفياء الله - مثلا - قراءة سيرة رسول الله (ص) الصحيحة غير المحرّفة في ليلة ميلاده (ص)، وإطعام الطعام في سبيل الله وإهداء ثوابه لرسول الله (ص) مع الاجتناب من القيام بأعمال ابتدعها بعض المتصوّفة.

ونشير في ما يأتي إشارة عابرة إلى الخلاف حول مسألة البناء على

القبور واتّخاذها محلاً للعبادة.

ص: ٦٧

٦- الخلاف حول البناء على قبور الانبياء و اتّخاذها محلاً للعبادة

استدلّ قسم من المسلمين على تحريم البناء على القبور بروايات أهمّها ما يأتي:

أ-

عن عليّ قال: كان رسول الله (ص) في جنازة، فقال:

أيكم ينطلق إلى المدينة فلا يدع بها وثنا إلّا كسره، ولا قبراً إلّا سوّاه، ولا صورة إلّا لطخها؟ فقال (رجل):

أنا يا رسول الله، فانطلق فهاب أهل المدينة، فرجع. فقال عليّ:

أنا أنطلق يا رسول الله. قال:

فانطلق. فانطلق، ثمّ رجع، فقال:

يا رسول الله، لم أدع بها وثنا إلّا كسرتّه، ولا قبراً إلّا سوّيته، ولا صورة إلّا لطختها.

وقد تكرر ورود هذا الحديث في كتب الحديث واكتفينا بإيراد أتمّ لفظ منه.<sup>٨٩</sup>

ص: ٦٨

علّة الحديث:

أولاً - سنذكر في ما يأتي أنّ رسول الله (ص) زار قبر أمّه، وبكى وأبكى من حوله. وكانت أمّه قد توفيت في السنة السادسة من عمره الشريف بالمدينة المنورة، وعلى هذا فقد زار الرسول قبر أمّه بعد نبي ف وأربعين سنة، حين هاجر إلى المدينة المنورة، وأنّ أثر قبر أمّه عند ذاك كان ماثلاً للعبان، وإلّا لماعرف قبرها. وإذا كان الحكم الاسلامي هو تسوية القبور فلم لم يأمر النبيّ (ص) بهدم قبر أمّه عند ذاك؟

<sup>٨٩</sup> (١). مسند أحمد ١/ ٨٧، ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١١١، ١٢٨، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٥، ١٥٠. ومسند الطيالسي، ح ٩٦ و ١٥٥.

ثانياً- إنَّ أهل المدينة بعد أن أسلم بعضهم أرسل لهم الرسول (ص) بادي ذى بدء مصعب بن عمير، يُعلِّم من أسلم منهم ما ورد من الاسلام يومذاك . ولَمَّا وفدوا إلى الحجِّ، حضر المسلمون منهم العقبة وبايعوا رسول الله (ص) سرّاً، ولم ينتشر الاسلام بينهم إلى أن هاجر الرسول (ص) إليهم، وتبعه الامام عليّ (ع) بعد ثلاث أو أكثر، وقصّة ورواه المدينة بعد ذلك مشهورة.

وتدرّج الرسول (ص) في بسط حكمه على المدينة بعد أن عاهد يهود قريظة وبنى النضير وبنى قينقاع، ودخل أهل المدينة كلَّهم في الاسلام متدرّجاً. فمتى كان إرسال النبيّ (ص) الامام عليا (ع) من تشييع جنازة إلى المدينة ليهدم الاصنام ويسوّى القبور ويلطخ الصور، كالحاكم الذى لا رادّ لامره؟ أضف إليه أن محتوى الخبر أن المرسل الأوّل ذهب، وهم فى تشييع الجنازة، ورجع خائباً، ثمّ أرسل النبيّ (ص) الامام عليا (ع) بعده وهم لا يزالون فى تشييع الجنازة، فكيف يتمّ ذلك!؟

ثالثاً- وفى بقية الحديث أن الامام عليا (ع) قال لابي الهياج الاسدى:

أبعثك فى ما بعثنى رسول الله (ص)، أمرنى أن اسوّى كلّ قبر وأطمس كلّ صنم.<sup>٩٠</sup>

ص: ٦٩

ولا يكون إرسال الامام أبا الهياج الاسدى فى أمر إلّا فى عصر خلافته، وعليه يتّجه هذا السؤال : متى كان إرسال الامام أبا الهياج الاسدى؟

أفى عصر خلافته وبعد الفتوحات الاسلامية وبعد زمن الخلفاء الثلاثة، أم قبله؟ وإلى أى بلد بعث الامام عليّ أبا الهياج لتهديم القبور وطمس الاصنام؟

وأخيراً فى كلا الخبرين أمر من الرسول (ص) والامام عليّ (ع)- إن صح الخبران- بتهديم قبور المشركين فى بلد الشرك، فكيف يدلّ ذلك على انتشار هذا الحكم إلى قبور المسلمين ووجوب تهديمها؟

ب-

رووا عن النبيّ (ص) أنه قال: اللهم لا تجعل قبرى وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.<sup>٩١</sup>

وفى الرواية الثانية شخّص الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال:

قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.<sup>٩٢</sup>

عَلَقَ الْحَدِيثُ :

<sup>٩٠</sup> (١) . مسند أحمد ١ / ٨٩ و ٩٦ .

<sup>٩١</sup> (١) . مسند أحمد ٢ / ٢٤٤ .

<sup>٩٢</sup> (٢) . مسند أحمد ٢ / ٢٨٥ .



إنّ بنى إسرائيل بعد أن ساروا من مصر وعبروا البحر وجازوا التيه وبلغوا فلسطين، أصبح لهم بيت عبادة وهو (بيت المقدس) ولم يكن لهم بيت عبادة غيره. وفي عصر سليمان أصبح لسليمان الملك النبيّ بلاط يسمّى هيكل سليمان . فأين كانت قبور أنبيائهم التي اتّخذوها مساجد؟ وكان بيت المقدس وبلده تحت أنظار المسلمين والعرب قبل عصر رسول الله (ص)، وأمّا ما بقي من قبور أنبيائهم مثل قبر الخليل وموسى بن عمران، فإنّا لم نر ولم نسمع ولم يكتب أحد أن اليهود اتّخذوها وثنا . وعلى فرض أن قبراً اتّخذ وثنا، فإنّه لا

ص: ٧٠

يصدق على احتياّم القبر وزيارة القبر، فإنّ اتّخاذه وثنا يعنى أن يستقبل القبر كما تستقبل الكعبة فى الصلوات . فأين هذا من ذاك؟

\*\*\*

ليس مورد الشكّ فى كلّ ما ذكرناه، وما سنذكره بعد هذا، أحاديث رسول الله (ص) - معاذ الله - وإنّما البحث يجرى حول رواة الاحاديث الذين لم يعصمهم الله من الخطأ والسهو والنسيان .

كان ما ذكرناه أمثلة من أدلّة من رأى البناء على القبور مخالفاً للشريعة الاسلامية.

وفى ما يأتى أدلّة من رأى ذلك موافقا لها:

أدلّة من رأى جواز اتّخاذ مقابر الانبياء محللاً للعبادة:

يستدلّ من يرى صحّة اتّخاذ مقابر الانبياء محللاً للعبادة بأنّ الطائفتين حول الكعبة يطوفون حول حجر إسماعيل (ع) ويتمسّحون بجداره، وفيه قبر إسماعيل (ع) وأمّه هاجر، كما أجمع عليه علماء الامّة الاسلامية.

فقد ورد فى سيرة ابن هشام (ت: ٢١٨ هـ) وتاريخ الطبرى (ت: ٣١٠ هـ) وابن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ) وابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ)، واللفظ لابن هشام:

ودفن إسماعيل - فى الحجر مع أمّه هاجر. وفى لفظ ابن الاثير: وأوصى إسماعيل أن يدفن عند قبر أمّه فى الحجر.<sup>٩٣</sup>

وروى ابن سعد فى طبقاته وقال:

إنّ إسماعيل لمّا بلغ عشرين سنة توفّيت أمّه هاجر وهى ابنة تسعين سنة،

ص: ٧١

<sup>٩٣</sup> (١). راجع ذكر خبر إسماعيل (ع) وولده فى كلّ من سيرة ابن هشام، ط. مصر سنة ١٣٥٥ هـ، ٦ / ١. وتاريخ الطبرى، ط. اوربا ١ / ٣٥٢. وتاريخ ابن الاثير، ط. اوربا ١ / ٨٩. وتاريخ ابن كثير ١ / ١٩٣. ومادة: (حجر) من معجم البلدان.

فدفنها إسماعيل في الحجر. وإنَّ إسماعيل توفَّى بعد أبيه، فدفن في الحجر ممَّا يلي الكعبة مع أمه هاجر.

وفي رواية بعدها:

قبر إسماعيل تحت الميزاب بين الركن والبيت.<sup>٩٤</sup>

وفي الاكتفاء للكلاعي ما موجهه: دفن هاجر وإسماعيل وابنه نابت في الحجر.<sup>٩٥</sup>

وقد وصف ابن جببر قبري إسماعيل وأمّه هاجر في رحلته وقال:

وتحت الميزاب في صحن الحجر، بمقربة من جدار البيت الكريم،

قبر إسماعيل (ع) وعلامته رخامة خضراء مستطيلة قليلا شكل محراب تتصل بها رخامة خضراء مستديرة، وكلتاها غريبة المنظر، فيهما نكت تنفتح عن لونها إلى الصفرة قليلا كأنها تجزيع، وهي أشبه الأشياء بالنكت التي تبقى في البيدق من حلّ الذهب فيه. وإلى جانبه ممَّا يلي الركن العراقي قبر أمّه هاجر رضی الله عنها، وعلامته رخامة خضراء سعتها مقدار شبر ونصف. يتبرك الناس بالصلاة في هذين الموضعين من الحجر، وحقّ لهم ذلك لأنهما من البيت العتيق، وقد انطبقا على جسدين مقدّسين مكرّمين، نورهما الله، ونفع ببركتهما كلّ من صلّى عليهما. وبين القبرين المقدّسين سبعة أشبار.<sup>٩٦</sup>

ص: ٧٢

كان هذا ما ورد في كتب مدرسة الخلفاء، وورد في كتب حديث مدرسة أهل البيت كالآتي:

ورد في الكافي للكليني (ت: ٣٢٩ هـ) وكتاب من لا يحضره الفقيه وعلل الشرائع للصدوق (ت: ٣٨١ هـ) والوافي للفيض (ت: ١٠٨٩ هـ) والبحار للمجلسي (ت: ١١١١ هـ) واللفظ للاول: وفيه - أي في الحجر - قبر هاجر وقبر إسماعيل (ع).<sup>٩٧</sup>

وفيها أيضا: وفيه - أي في الحجر - قبور أنبياء.<sup>٩٨</sup>

<sup>٩٤</sup> (١). لخصنا روايات ابن سعد الثلاث من طبقاته ١/ ٢٥، ط. اوربا.

<sup>٩٥</sup> (٢). الاكتفاء في مغازي المصطفى والثلاثة الخلفاء / ص ١١٩، تصحيح هنري ماسه، مطبعة جول كربونل، الجزائر، ١٩٣١ م.

والكلاعي هو أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم الحميري الكلاعي، ولد سنة ٥٦٥ هـ، وتوفّي سنة ٦٣٤ هـ. اعتمدنا ترجمته من مقدّمة الكتاب.

<sup>٩٦</sup> (٣). ابن جببر هو محمد بن أحمد بن جببر الكنانى الاندلسي، البلسنى الاصل، الغرناطى الاستيطان. ولد ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة ٥٤٠ أو سنة ٥٣٩ هـ، وتوفّي بالاسكندرية ليلة الاربعاء، التاسع أو السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٦ هـ. وكان أدبيا بارعا، شاعرا-

<sup>٩٧</sup> (١). فروع الكافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل (ع) وبناتهما البيت، ح ١٤، ط. دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٩١ هـ، ٢١٠ / ٤. وفقهه من لا يحضره الفقيه، كتاب الحجّ، باب علل الحجّ،

ح ٣، ط. دار الكتب الاسلامية، طهران ١٣٩٠ هـ، ٢ / ١٢٥ - ١٢٦، وباب نكت في حجّ الانبياء والمرسلين، ح ٨، ١٤٩ / ٢. والوافي، كتاب الحجّ، باب حجّ إبراهيم وإسماعيل (ع)، ط. الاولى ٢٨ / ٨.

والبحار، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع) وأزواجه وبناء البيت، ح ٤١، ١٤٣ / ٥، وح ٥٤، ١٤٤ / ٥.

ورود أيضا في الكافي والوافي والبحار: ودفن في الحجر، مما يلي الركن

ص: ٧٣

الثالث، عذارى بنات إسماعيل (ع).<sup>٩٩</sup>

وروى أبو بكر الفقيه عن النبي (ص) أنه قال:

ما من نبي هرب من قومه إلا هرب إلى الكعبة يعبد الله فيها حتى يموت وأن قبر هود وشعيب وصالح في ما بين زمزم والمقام، وأن في الكعبة قبر ثلاثمائة نبي، وما بين الركن اليماني إلى الركن الأسود قبر سبعين نبيا.<sup>١٠٠</sup>

ويستدلون على صحة البناء على القبر، إضافة إلى ما سبق، بأن قبور رسول الله (ص) والخليفين أبي بكر وعمر في بناء مسقف منذ أن توفوا إلى يومنا الحاضر.

ويستدلون أيضا بقوله تعالى:

وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى الْبَقْرَةَ / ١٢٥. وقوله تعالى في ما أخبر عن قصة أصحاب الكهف:

قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا الْكَهْفِ / ٢١.

\*\*\*

إن الوهابيين يسمون المسلمين الذين يزورون قبور الانبياء والصحابة والائمة بالقبوريين . ومن الاخرى، مع ما ذكرنا، أن يسموا خاتم الانبياء (ص) وأصحابه والانبياء من قبلهم الذين طافوا حول حجر إسماعيل (ع) بالقبوريين، لمافي حجر إسماعيل من قبر هاجر وإسماعيل (ع) وولده وكذلك أنبياء من قبلهم!!

ص: ٧٤

هكذا كان اختلاف الاحاديث في بناء القبور، أو بالاحرى اختلاف فهم الاحاديث، منشأ هذا الخلاف.

وفي ما يأتي نذكر الخلاف حول البكاء على الميت ومنشأه.

ص: ٧٥

<sup>٩٨</sup> (٢). فروع الكافي، كتاب الحج، باب حج إبراهيم (ع)، ح ١٥، ١٤ / ٤، ٢١٠. والبحار عن الصدوق، كتاب النبوة، باب أحوال أولاد إبراهيم (ع)، ح ٤٠، ١٤٢ / ٥، ١٤٢.

ط. الاولى كمباني، وباب أخبار أولاد إبراهيم، ح ٥٥، ١٤٤ / ٥، والوافي، كتاب الحج، باب حج إبراهيم ٨ / ٢٨.

<sup>٩٩</sup> (١). فروع الكافي، كتاب الحج، باب حج إبراهيم، ح ١٦، ٢١٠ / ٤، والوافي، كتاب الحج، باب حج إبراهيم ٨ / ٢٨. والبحار، ح ٥٦، ١٤٤ / ٥.

<sup>١٠٠</sup> (٢). مختصر كتاب البلدان، تأليف أبي بكر أحمد بن الفقيه الهمداني (ت: ٣٤٠ هـ)، ط. بريل بلدين سنة ١٣٠٢ هـ، ص ١٧.

## ٧- الاختلاف في البكاء على الميت ومنشأه

كان البكاء على الميت، وخاصة الشهيد، من سنة الرسول (ص)، فقد روى البخارى فى صحيحه: أن النبى نعى زيدا وجعفرا وابن رواحة للناس قبل أن يأتهم خبرهم وقال:

أخذ الراية زيد، فاصيب. ثم أخذها جعفر، فاصيب. ثم أخذها ابن رواحة، فاصيب، - وعيناه تذرغان - ...<sup>١٠١</sup>

وفى ترجمة جعفر من الاستيعاب واسد الغابة والاصابة وخبر غزوة مؤتة من تأريخ الطبرى وغيره ما ملخصه:

لما اصيب جعفر وأصحابه دخل رسول الله (ص) بيته وطلب بنى جعفر، فشمهم ودمعت عيناه، فقالت زوجته أسماء: بأبى وامى ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء؟ قال: نعم، اصابوا هذا اليوم. فقالت أسماء: فقامت أصيح وأجمع النساء، ودخلت فاطمة وهى تبكى وتقول: وا عمّاه. فقال رسول الله (ص): على مثل جعفر فلتبكي البواكى.

بكاء الرسول (ص) على ابنه إبراهيم:

فى صحيح البخارى:

قال أنس: دخلنا مع رسول الله (ص) ... وإبراهيم وجود بنفسه.

ص: ٧٤

فجعلت عيننا رسول الله تذرغان، فقال له عبد الرحمن بن عوف (رض): وأنت يا رسول الله؟! فقال:

يا ابن عوف، إنها رحمة. ثم أتبعها باخرى فقال: إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون.

وفى سنن ابن ماجه:

فانكبّ عليه وبكى.<sup>١٠٢</sup>

بكاء الرسول (ص) على حفيده:

فى صحيح البخارى:

<sup>١٠١</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب فضائل أصحاب النبى، باب مناقب خالد بن الوليد ٢ / ٢٠٤، ط. الحلبي بمصر.

<sup>١٠٢</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب قول النبى (ص): إنا بك لمحزونون ١ / ١٥٨، واللفظه. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان والعيال، ح ٦٢. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فى النظر إلى الميت، ح ١٤٧٥، ١ / ٤٧٣. وطبقات ابن سعد، ط. اوربا ١ / ١ ق ٨٨ / ١. ومسند أحمد ١٩٤ / ٣.

أن ابنة النبي (ص) أرسلت إليه: أن ابنا لي قبض فأتنا. فقام ومعه سعد ابن عبادة ورجال من أصحابه. فرفع إلى رسول الله (ص) ونفسه تتفقع. ففاضت عيناه، فقال سعد:

يا رسول الله، ما هذا؟ فقال:

هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.<sup>١٠٣</sup>

ص: ٧٧

نذب الرسول (ص) إلى البكاء على عمه حمزة:

في مغازي الواقدي وطبقات ابن سعد ما موجه:

لما سمع رسول الله (ص) بعد غزوة احد البكاء من دور الانصار على قتلاهم، ذرفت عينا رسول الله (ص) وبكى، وقال: لكن حمزة لا يواكى له.

فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساء بنى عبد الاشهل فساقهن إلى باب رسول الله (ص) فبكين على حمزة. فسمع ذلك رسول الله (ص) فدعا لهن وردهن. فلم تبكى امرأة من الانصار بعد ذلك إلى اليوم على ميّت إلا بدأت بالبكاء على حمزة، ثم بكت على ميّتها.<sup>١٠٤</sup>

بكى الرسول (ص) على قبر امه وأبكي من حوله:

زار رسول الله (ص) قبر امه فبكى وأبكي من حوله.<sup>١٠٥</sup>

أمر الرسول (ص) بإرسال الطعام لاهل المصاب:

لما جاء نعي جعفر، قال النبي (ص):

<sup>١٠٣</sup> (٢). تتفقع: أى تضطرب روحه لها صوت وحشجة كصوت الماء إذا ارتقى في القرية الخالية.

صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص):

«يعدّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه» E

واللفظ له. وكتاب المرضى، باب عيادة الصبيان ٣/٤. وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميّت، ح ١١، ص ٦٣٦. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميّت، ح ٣١٢٥، ٣/١٩٣. وسنن النسائي، كتاب الجنائز، باب الامر بالاحتساب والصبر ١/٢٦٤. ومسند أحمد ٢/٣٠٦، و ٣/٨٣، ٨٨ و ٨٩.

<sup>١٠٤</sup> (١). وأوردناه من ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد، ط. دار صادر بيروت ١٣٧٧ هـ، ٣/١١. وأكثر تفصيلا منه في مغازي الواقدي ١/٣١٥-٣١٧. وبعده إمتاع الاسماع ١/١٦٣. ومسند أحمد ٢/٤٠، وتأريخ الطبرى.

وأورده ابن عبد البر بإيجاز بترجمة حمزة من الاستيعاب، وباختصار أيضا، ابن الاثير بترجمته من اسد الغابة.

<sup>١٠٥</sup> (٢). سنن النسائي، كتاب الجنائز، باب زيارة قبر المشرك ١/٢٦٧. وسنن أبي داود، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، ح ٣٢٣٤، ٣/٢١٨. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين، ح ١٥٧٢، ١/٥٠١.

اصنعوا لاهل جعفر طعاما، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم.<sup>١٠٦</sup>

ص: ٧٨

عَيَّنَ الرَّسُولُ (ص) أَيَّامَ الْحَدَادِ عَلَى الْمَيِّتِ:

تواتر عن النبي (ص) أنه عَيَّنَ حداد المرأة على غير زوجها ثلاثا، وعلى زوجها فكما قال الله : **أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**<sup>١٠٧</sup> البقرة / ٢٣٤.

منشأ الخلاف حول البكاء على الميِّت:

مرّ في ما سبق أنّ رسول الله (ص) بكى على المتوفّي قبل أن يتوفّي وبعده، خاصّة الشهيد، وأنّه أمر بالبكاء على الشهيد، وبكى على قبر امّه وأبكي من

ص: ٧٩

حوله، وأمر بصنع الطعام لاهل الميت، وعيّن حداد المرأة على غير الزوج ثلاثا.

إذن، فالبكاء على المتوفّي والحداد عليه وصنع الطعام لاهله، من سنّة الرسول (ص)، فما هو منشأ الخلاف والنهي عن البكاء على الميِّت؟ نرجع أيضا إلى صحيح البخارى ومسلم فنجد حديث المنع عن البكاء من الخليفة عمر (رض).

الخليفة عمر يروى أنّ رسول الله (ص) نهى عن البكاء، وأمّ المؤمنين عائشة تستدرک عليه:

في صحيح البخارى ومسلم، عن ابن عباس:

لَمَّا أَنْ أَصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صَهِيْبٌ يَبْكِي وَيَقُوْلُ، وَآخَاهُ! وَآخَاهُ! فَقَالَ عُمَرُ: يَا صَهِيْبُ، أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ:

<sup>١٠٦</sup> (٣). سنن ابن ماجة، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الطعام يبعث إلى أهل الميت، ح ١٦١٠-

<sup>١٠٧</sup> (١). راجع البخارى، كتاب الجنائز، باب حداد المرأة على غير زوجها ١ / ١٥٤، وكتاب الطلاق، باب تحدّ المتوفّي عنها زوجها أربعة أشهر وعشرا ٣ / ١٨٩،

وباب ٦٨ الكحل للحادة، وباب القسط للحادة عند الظهر، وباب تلبس الحادة ثياب العصب، وباب ١٨ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا \ ٣E / ١٨٩ و ١٩٠.

وصحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الاحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلّا ثلاثة أيام، ح ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٩٠، ١٤٩١، ص ١١٢٤-

١١٢٨. وسنن أبي داود، كتاب الطلاق، باب حداد المتوفّي عنها زوجها، ح ٢٩٩، ٢٩٠ / ٢، وباب في ما تجتنبه المعتدة في عدتها، ح ٢٣٠٢، ٢٩١ / ٢. وسنن

الترمذى، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في عدة المتوفّي عنها زوجها ٥ / ١٧١-١٧٤. وسنن النسائي، كتاب الطلاق، باب عدة المتوفّي عنها زوجها، وباب

الاحداد، وباب سقوط الاحداد عن الكتابية المتوفّي عنها زوجها، وباب ترك الزينة للحادة المسلمة دون اليهودية والنصرانية، وباب ما تجتنب الحادة من الثياب

المصبغة، وباب الخضاب للحادة. وسنن ابن ماجة، كتاب الطلاق، باب هل تحدّ المرأة على غير زوجها، ح ٢٠٨٥-٢٠٨٧، ١ / ٣٧٤. وسنن الدارمي، كتاب

الطلاق، باب في إحداد المرأة على الزوج ٢ / ١٦٧. وموطأ مالك، كتاب الطلاق، ح ١٠١ و ١٠٥.

وطبقات ابن سعد ٤ / ق ٢٧ / ١ و ٢٨، و ٨ / ٧٠. ومسنند أحمد ٥ / ٨، و ٦ / ٣٧، ١٨٤، ٢٤٩، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٣٢٤-٣٢٦، ٣٦٩، ٤٠٨ و ٤٢٦. ومسنند

الطيالسي، ح ١٥٨٧، ١٥٨٩ و ١٥٩١.

«إِنَّ الْمَيِّتَ لِيُعَذَّبُ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»

؟ فقال ابن عباس : فلمّا مات عمر، ذكرت ذلك لعائشة فقالت : رحم الله عمر، والله ما حدّث رسول الله (ص): إن الله يعذب المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكن رسول الله (ص) قال:

«إِنَّ اللَّهَ لِيُزِيدَ الْكَافِرَ عَذَابًا بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ».

وقالت: حسبكم القرآن: **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**. قال ابن عباس (رض) عند ذلك: والله ه و أضحك وأبكى.<sup>١٠٨</sup>

وفي صحيح مسلم: ذكر عند عائشة أن ابن عمر يرفع إلى النبي (ص):

«إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبِكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»

فقلت: وهل،<sup>١٠٩</sup> إنّما قال رسول الله (ص):

ص: ٨٠

«إِنَّهُ لِيُعَذَّبُ بِخَطِيئَتِهِ أَوْ بِذَنْبِهِ وَإِنْ أَهْلُهُ لِيَكُونَ عَلَيْهِ».

وفي رواية قبله: ذكر عند عائشة قول ابن عمر: الميّت يعذب ببكاء أهله عليه، فقالت رحم الله أبا عبد الرحمن سمع شيئاً فلم يحفظه. إنّما مرّت جنازة ليهوديّ على رسول الله وهم يبكون عليه، فقال:

«أَنْتُمْ تَبْكُونَ وَإِنَّهُ لِيُعَذَّبُ».<sup>١١٠</sup>

قال الامام النووي (ت: ٦٧٦ هـ-) في شرح صحيح مسلم عن روايات النهي عن البكاء المروية عن رسول الله (ص): وهذه الروايات من رواية عمر بن الخطاب وابنه عبد الله - رضي الله عنهما - وأنكرت عائشة ونسبتها إلى النسيان والاشتباه عليهما، وأنكرت أن يكون النبي (ص) قال ذلك.<sup>١١١</sup>

ويظهر من الحديث الاتي أنّ منشأ الخلاف كان في اجتهاد الخليفة عمر في النهي عن البكاء في مقابل سنّة الرسول (ص) بالبكاء، فقد ورد في الحديث أنّه : مات ميّت من آل الرسول (ص) فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر ينهاهنّ ويطردهنّ فقال رسول الله (ص):

<sup>١٠٨</sup> (١) صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب قول النبي (ص): يعذب الميّت ببكاء أهله عليه ١٥٥ / ١ و ١٥٦. وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميّت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٢، ص ٦٤١.

<sup>١٠٩</sup> (٢) وهل: بفتح الواو وفتح الهاء وكسرهما، أى غلط ونسى.

<sup>١١٠</sup> (١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الميّت يعذب ببكاء أهله عليه، ح ٢٥ و ٢٦، ص ٦٤٢ و ٦٤٣، وح ٢٧، ص ٦٤٣. وقريب منه لفظ الترمذى فى كتاب الجنائز، باب ماجاء فى الرخصة فى البكاء على الميّت ٢٢٥ / ٤. وسنن أبى داود، كتاب الجنائز، ح ٣١٢٩، ١٩٤ / ٣.

<sup>١١١</sup> (٢) شرح النووى بهامش صحيح مسلم، ط. المطبعة المصرية ١٣٤٩ هـ، ٢٢٨ / ٦، كتاب الجنائز، باب الميّت يعذب ببكاء أهله عليه.

دعهن يا عمر فإن العين دامعة والقلب مصاب والعهد قريب.<sup>١١٢</sup>

وفى صحيح البخارى: كان عمر (رض) يضرب فيه بالعصا، ويرمى

ص: ٨١

بالحجارة، ويحشى بالتراب.<sup>١١٣</sup>

\*\*\*

كان ذلكم منشأ الخلاف فى شأن البكاء على الميت، والاحاديث المتعارضة الواردة بشأنه فى كتب الصحاح، ولعل اجتهاد الخليفة عمر (رض) فى المنع كان منشأ للاحاديث المروية فى منع البكاء على الميت. فقد رووا غير ما ذكرنا بعض الحديث فى تأييد اجتهاد الخليفة الصحابي عمر، ولا مجال فى هذه العجالة لبيان علل تلك الاحاديث. وفى ما ذكرنا الكفاية فى معرفة منشأ الخلاف فى شأن البكاء والذى نحن بصدده.

\*\*\*

إلى هنا استعرضنا أمثلة من مسائل الخلاف التى كان منشأها اختلاف الاحاديث فى كل منها. ونذكر بحوله تعالى فى ما يأتى آيات من كتاب الله مما نشأ الخلاف حول تأويلها.

ص: ٨٢

٨- آيات من كتاب الله نشأ الخلاف حول تأويلها

من أمثلة ما نشأ الخلاف حولها، خلاف فى تأويل بعض آيات من كتاب الله المجيد نذكر أمثلة منها فى ما يأتى:

دعاء غير الله وحكم غير الله:

أ- دعاء غير الله:

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس المذهب الوهابى فى كتابه

(الاصول الثلاثة وأدلتها) ص ٤ منه:

إعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم هذه الثلاث مسائل والعمل بهن:<sup>١١٤</sup>

<sup>١١٢</sup> (٣). سنن النسائى، كتاب الجنائز، باب الرخصة فى البكاء على الميت. وسنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء فى البكاء على الميت، ح ١٥٨٧، ص

٥٠٥. ومسنند أحمد ٢/ ١١٠،

٢٧٣، ٣٣٣، ٤٠٨ و ٤٤٤.

<sup>١١٣</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض ١/ ١٥٨. وقوله: «يضرب فيه» أى يضرب لاجل المنع من البكاء.



الاولى - أن الله خلقنا ...

الثانية - أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، والدليل قوله تعالى : **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**<sup>١١٥</sup> الجن / ٢٨.

ص: ٨٣

وقال في ص ٥ منه:

أن الحنيفية ملّة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، وبذلك أمر جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى : **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**؛ ومعنى يعبدون: يوحدوني. وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو دعوة غيره معه - إلى قوله في ص ٨ منه -: **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**.

وقال في ص ٤٦ منه:

القاعدة الرابعة: إن مشركي زماننا أغلظ شركا من الاولين، لأن الاولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، ومشركو زماننا شركهم دائما في الرخاء والشدة، والدليل قوله تعالى : **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** العنكبوت / ٦٥.

وقال في ص ٨ من رسالته (الدين وشروط الصلاة)<sup>١١٤</sup> ما ملخصه: العبادة لها أنواع كثيرة؛ منها الدعاء، الدليل قوله تعالى : **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ**.

وورد في رسالة (شفاء الصدور) التي أصدرتها دار الافتاء العامة ردًا على رسالة الجواب المشكور ص ٣:

رفعوا إلى خليفة زعماء دعوة التوحيد والذين أزاخوا غياهب الشرك عن هذه البلاد - أى عن مكة المكرمة والمدينة المنورة - وطهروها من أدرانها وقضوا على كل أثر له ...<sup>١١٧</sup>

\*\*\*

يقصدون بدعاء غير الله أو مع الله أن يقول المسلم مثلا: (يا رسول الله)

ص: ٨٤

<sup>١١٤</sup> (١) كذا جاء في الاصل.

<sup>١١٥</sup> (٢) رسالة الاصول الثلاثة، ط. مطبعة المدني، ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ.

ورسالة الدين وشروطها أيضا طبع فيها . وكذلك استدلوا بقوله تعالى : **أَلَمْ يَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا** E الاسراء / ٥٦، وآيات اخرى نظيرها.

<sup>١١٦</sup> (١) رسالة الاصول الثلاثة، ط. مطبعة المدني، ٢٩٥ شارع رمسيس بالقاهرة سنة ١٣٨٠ هـ. ورسالة الدين وشروطها أيضا طبع فيها بلا تأريخ.

<sup>١١٧</sup> (٢) رسالة شفاء الصدور، ط. الاولى مؤسسة النور للطباعة والتجليد.

للتوسل به إلى الله، أو يدعو غيره من أولياء الله كذلك . وأدلتهم كلها تدور حول قوله تعالى **فلا تدعوا مع الله** ونظائرها مما نهى الله عن الدعاء مع الله أو غير الله.

### ب- حكم غير الله:

حكم غير اللّٰه مثله كمثل دعاء غير الله .

وقال مخالفوهم: ما أشبه الليلة بالبارحة ! وما أشبه هذا الاستدلال باستدلال الخوارج في تكفير من رضى بالتحكيم في صفين بأمثال قوله تعالى:

إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ<sup>١١٨</sup> يوسف / ٦٧. وقوله:

أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ الْإِنْعَامَ / ١١٤.

وكان بداية ذلك في معركة صفين، عندما أمر معاوية برفع كتاب الله على الرماح ودعوة جيش العراق إلى قبول حكم القرآن، وانخداع أكثرية أفراد جيش العراق بذلك، وإجبا رهم الامام عليا بترك القتال وقبول دعوة معاوية بالتحكيم، ثم تعيين معاوية من قبله عمرو بن العاص حكما، وإجبار جيش العراق الامام عليا على تعيين أبي موسى الاشعري حكما من قبله. فلما اجتمع الحكمان وخدم عمرو بن العاص أبا موسى وقال له : نخلع عليا ومعاوية ونترك الامر للناس ليختاروا لهم إماما. سبق أبو موسى عمرا بالكلام وقال : أنا أخلع عليا ومعاوية عن الامر ليختار المسلمون لهم إماما . ثم خطب بعده ابن العاص وقال: إنّه خلع صاحبه كما رأيتم، وأنا أنصب صاحبي للامامة. فتنازعا وتسابا وافترقا، بعد هذا أحسن من قبل التحكيم من جيش العراق بخطتهم ونادوا بشعار: ( **لا حكم إلا لله** ) وقالوا: إنا كفرنا بقبولنا التحكيم، وتبنا إلى الله،

ص: ٨٥

ويجب على الآخرين أن يعترفوا بالكفر، ثم يتوبوا مثلنا، ومن لم يفعل، فاولئك هم الكافرون.

وهكذا كفّروا أولا من اشترك في تلك الحوادث من عائشة وعثم ان وعليّ وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص ومن تبعهم، ثم شمل حكمهم بالكفر عامة المسلمين، وسمّوا أنفسهم بالشراة، ووضعوا سيوفهم قرونا طويلة على عواتقهم يقتلون بها المسلمين ويقتلون.<sup>١١٩</sup>

وصدق رسول الله (ص) حيث أخبر عن الخوارج وقال : **يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان، لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد.**<sup>١٢٠</sup> وفي أحاديث اخرى: **لاقتلنهم قتل ثمود.**<sup>١٢١</sup>

<sup>١١٨</sup> (١). نكرّر قولنا: بأننا لسنا بصدد إحصاء أدلة الطرفين في البحث، وإنما تأتي بأمثلة منها .

<sup>١١٩</sup> (١). راجع أخبار يوم صفين في تاريخ الطبري وابن الاثير وابن كثير، ثم أخبار الخوارج فيها وفي غيرها من كتب التاريخ.

<sup>١٢٠</sup> (٢). كان ذلك عندما بعث ابن عم الرسول علىّ من اليمن بذهبية إلى الرسول فقسمها بين أربعة من المؤلفة قلوبهم، فتغضبت قريش والانصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا! قال: إنما أتألفهم.

## جواب مخالفهم في المسألتين:

يقول في جواب هؤلاء واولئك مخالفوهم بأن القرآن يفسر بعضه بعضا، وإذا كان قد ورد في القرآن قوله تعالى : **إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ** فقد ورد فيه أيضا

ص: ٨٦

قوله تعالى:

**فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ** المائدة / ٤٢.

فقد خول نبيّه في هذه الاية أن يحكم بين أهل الكتاب، وفي آية اخرى أمر بأن يتخذوا حكما من الناس بقوله تعالى : **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا** إن يريد إصلاحا **يُوقِّعُ اللَّهُ النَّسَاءَ** / ٣٥.

ولا منافاة بين الايتين، فإن الاية الاولى عندما أثبتت (الحكم) لله لم تثبت له حكما محدودا مثل ما للقضاة في المحاكم بأن لهم أن يحكموا بين الناس بموجب القوانين المرعية، وأنه ليس لهم أن يعينوا حاكما من قبلهم، وإنما ذلك لذي سلطة أعلى، وعلى هذا فليس للقضاة (الحكم) مطلقا، وإنما لهم أن يحكموا بين الناس فحسب، ولكن الله له أن يحكم بين الناس بموجب حكمه، وله أن يأذن لغيره بالحكم، أي: له أن يعين حاكما على أي جهة في ملكه، فله الحكم مطلقا. وعلى هذا فإن الانبياء بحكم الله يحكمون، حين يحكمون، وكذلك الاثنان اللذان يحكمان بين الزوجين . إذا فإن حكم اولئك الحكام إذا حكموا بموجب ما أمر الله، ليس ح كم ما سوى الله، ولا حكم غير الله، ولا حكم دون الله، ولا حكم مع الله، وإنما هو حكم بأمر الله وحكم بإذن الله.

وسياتى جوابهم على دعاء غير الله في ذكر (دعوة الرسول (ص) والتوسل به إلى الله) بعيد هذا إن شاء الله تعالى.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى بعض الايات الاخرى التي تثبت بعض الصفات لله فإنها لا تثبت لها محدودة بحد، وإنما تثبت لها لله مطلقا. مثل إثبات صفة الملك لله تعالى.

صفة الملك لله:

لا منافاة في إثبات صفة الملك لله في قوله تعالى:

ص: ٨٧

---

فأقبل رجل ... مخلوق الرأس فقال : يا محمد، أتق الله ! فقال النبي (ص): فمن يطيع الله إذا عصيته، أيا مننى على أهل الارض ولا تأمنونى !؟ فلما ولى، قال النبي (ص): إن من ضئضى هذا قوما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الاسلام- الحديث. صحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: **أَتَعْرِجُ الْمَلَائِكَةَ** ... \٤E / ١٨٨. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٤٣، ص ٧٤١.

١١١ (٣). صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ح ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ و ١٤٦.

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ المائدة / ١٨، وقوله تعالى:

لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ الْإِسْرَاءِ / ١١١،

والفرقان / ٢، وأمثالهما.

وبين قوله تعالى:

وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ النِّسَاءُ / ٣، ٢٤، ٢٥ و ٣٦ وآيات أخرى مثلها، لأنه سبحانه وتعالى يقول: قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُنزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آل عمران / ٢٦.

إذا فإنَّ الله تعالى حين يُملِّك عبده لم يملك العبد عندئذ م ع الله، ولم يملك غير الله ولا سوى الله ولا دون الله، وإنما العبد وما يملك لمولاه، وإن تملك العبد بإذن الله من أجل مصاديق (الملك لله)، أى: إن ملك الله ليس محدودا كملك عبده الذي يحدِّ بحدود مشيئة الله وإذن الله، ولا حول للعبد أن يتصرَّف في ما خولَّه الله بأكثر مما حدَّد الله له في التصرَّف من زمان ومكان وسيطرة. وكذلك الشأن في صفة الخالقية.

الخالق والمحيى:

كذلك شأن صفة (الخالق) و (المحيى)، فإنه سبحانه وتعالى خالق كلِّ شَيْءٍ الانعام / ١٠٢، و هل من خالق غير الله فاطر / ٣. وقال الله تعالى: أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ الاعراف / ٥٤. وقال تعالى: وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ الْمُؤْمِنِينَ / ٨٠. وقال: فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى الشورى / ٩.

ولا منافاة بين هذا وبين أن يأذن لعيسى بن مريم عليه السلام أن يخلق ويحيى كما قال سبحانه مخاطبا إياه: وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا

ص: ٨٨

فَتَكُونُ طَيْرًا بِأِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْإِبْرَصَ بِأِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأِذْنِي المائدة / ١١٠، وقوله تعالى عن لسان عيسى: أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنْ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَابْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْإِبْرَصَ وَاحْيِي الْمَوْتَى تى بِإِذْنِ اللَّهِ آل عمران / ٤٩.

فإنَّ الله سبحانه حين يخلق ليس كالآلة الصانعة لا يحول عن عمله ولا يزول - جلَّ عن ذلك - وليس كالبشر حين يعمل لا يستطيع أن يهب قدرة العمل لغيره، بل إنَّه قادر أن يخلق الحياة، إنسانا كان أو حيوانا، من طريق اللقاح بين الزوجين، ويستطيع أن يخلقه بيديه من دون أب ولا أم، مثل آدم، ويقدر كذلك أن يأذن لعيسى فيخلق بإذنه، والخالق في كلِّ ذلك هو الله تعالى.

وكذلك شأن الاحياء، فإنه قادر على أن يحيى الموتى بلا واسطة يوم القيامة، وقادر على أن يهب الاحياء لرسوله عيسى بن مريم (ع) فيحيى الموتى بإذنه، وقادر على أن يجعل الاحياء فى ضرب بعض بقرة بنى إسرائيل الصفراء بميتهم المقتول فيحيا المقتول ويخبرهم عن قاتله.<sup>١٢٢</sup>

وإن عيسى بن مريم حين خلق الطير وأحى الموتى، كان الخلق والاحياء بإذن الله، وعلى هذا فإن عيسى حين خلق الطير وأحى الموتى لم يخلق مع الله، ولم يحي مع الله، ولم يخلق ولم يحي غير الله ولا دون الله، وإنما خلق وأحى بإذن الله.

### الولى والشفيع:

وكذلك شأن صفة الولى والشفيع:

فإنه لا منافاة فى شأن الشفاعة بين قوله تعالى:

أ- أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا

ص: ٨٩

يَعْقِلُونَ. قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ الزمر / ٤٣ و ٤٤.

ب- مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ السجدة / ٤.

ج- لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعَ الْانعام / ٥١.

د- وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعَ الْانعام / ٧٠.

وبين قوله تعالى:

أ- مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ يونس / ٣.

ب- مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ البقرة / ٢٥٥.

ج- يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا طه / ١٠٩.

د- وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ... سبأ / ٢٣.

ه- لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا مريم / ٨٧.

<sup>١٢٢</sup> (١). إشارة إلى الايات ٤٧-٧٣ من سورة البقرة.

و- وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى الْإِنْبِيَاءَ / ٢٨.

فإنه تعالى حين يأذن لعباده الصالحين أن يشفعوا، كانت الشفاعة لله فأذن لهم أن يشفعوا. فالشفيع عندئذ ليس دون الله. وكذلك شأن الولي:

فإن قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ التوبة / ١١٦.

وقوله: أَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ البقرة / ١٠٧.

وقوله: أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا الكهف / ١٠٢.

ص: ٩٠

هذه الاقوال لا تنافي قوله تعالى:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ المائدة / ٥٥.

لا منافاة بينهما وليس شركا أن نقول: الله ولينا ورسوله ومن يقيم الصلاة وعتوتى الزكاة فى الركوع من المؤمنين، لان الولاية لله وهو الذى أعطى هذه الولاية لهما كما أعطى للوالد الولاية على ولده.

\*\*\*

فى كل الصفات المذكورة صح أن يقال: الله، هو الحاكم والمالك والشفيع والولىّ و ... وصحّ- أيضا- أن يقال لمن منح من عبده هذه الصفات: المالك والحاكم والشفيع والولىّ. وإن أوضح مثال لما قلنا، المورد الاتى:

من يتوفى الانفس:

قال تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمُ النحل / ٢٨.

وقال: تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ النحل / ٣٢.

وقال: تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ الانعام / ٦١.

وقال: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ السجدة / ١١.

وقال: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْإِنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا الزمر / ٤٢.

فمن قال: إن الملائكة تتوفى الانفس حين موتها بإذن الله، لم يكذب ولم يشرك، ومن قال: ملك الموت عزرائيل يتوفى الانفس حين موتها بإذن الله، لم يكذب ولم يشرك. ولا منافاة بين القولين وبين القول بأن الله يتوفى الانفس حين موتها، وفي كل هذه الحالات لم يتوفى الانفس غير الله ولا مع الله بل إن الله هو

ص: ٩١

الذى توفىها.<sup>١٢٣</sup> وكذلك الشأن بالنسبة إلى الصفات الاخرى المذكورة سابقا.

دعوة الرسول (ص) والتوسل به إلى الله:

بنأ على ما بيننا بأن كلاً من الحاكم والمالك والشفيع والخالق والمحيي والمميت والولي إذا كان بإذن الله فليس ثمة غير الله ولا دون الله ولا مع الله، بنأ على ذلك فإن دعوة النبي (ص) في التوسل به إلى الله - أيضاً - إذا كان بإذن الله، فليس ثمة دعاء غير الله ولا دون الله ولا مع الله، وليس من مصاديق ما نهى الله عنه في قوله تعالى: **فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا.**

وقد مر بنا في الحد يث المروى بمسند أحمد وسنن الترمذى وابن ماجه ورواية البيهقي والتي صححوها بأن رسول الله (ص) علم الصحابي الضريب أن يدعو بعد الصلاة ويقول:

«اللهم إني أسألك وأتوجه بنبيك محمد نبي الرحمة . يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي . اللهم فشفعه في»<sup>١٢٤</sup>.

فقضى الله حاجته وشفع رسوله فيه وشفاه، وإن هذا النوع من التوسل من مصاديق قوله تعالى:

**وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ الْمَائِدَةَ / ٣٥.**

**يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ الْاَسْرَاءِ / ٥٧.**

\*\*\*

إلى هنا استعرضنا بعض مسائل الخلاف وأشرنا إلى ما كان ظاهرا من منشئها. وفي ما يلي ندرس الباعث الحقيقي لما نشأ من الخلاف وهما أمران:

ص: ٩٢

أ- استكبار المخلوقين أبد الدهر.

<sup>١٢٣</sup> (١). هذا الاستدلال مستفاد من قول الامام علي، برواية الصدوق عنه في باب الرد على التنوية والزنادقة بكتاب التوحيد/ ص ٢٤١.

<sup>١٢٤</sup> (٢). راجع مصادره في باب الاستشفاع برسول الله في حياته من هذه المقدمة.

ب- حاجة السلطة فى هذه الامّة إلى إراءة حياة قدوات الانسانية بما لا يناقض حياتها الغارقة فى الشهوات . وفى ما يلى بيانهما:

أ- الباعث الحقيقى الاول على ما نشأ من الخلاف:

أولاً- فى بدء الخليقة:

حكى الله سبحانه عما جرى من إبليس حين لم يسجد لادم (ع) بقوله:

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ. قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ص / ٧٥ و ٧٦.

و قَالَ لَمْ أَكُنْ لَّا سَجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَآءٍ مَسْنُونٍ

الحجر / ٣٣.

إنَّ إبليس عبد الله وحده لا شريك له عمر الملائكة، ثم لم يخضع لادم صفى الله فى عصره واستهان به فكان من أمره ما كان.

أما الناس الذين استكبروا واستهانوا بأنبياء الله وأصفيائه بعد ذلك فإليكم أمثلة من أمرهم فى ما يأتى:

ثانياً- فى الامم السابقة:

قال قوم نوح لنبيهم نوح:

مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ... وَمَا نَرَى لَكَ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ هود / ٢٧.

وقالوا: ما هذا إلا بشرٌ مثلكم يريد أن يتفضل عليكم المؤمنون / ٢٤.

وقال قوم نوح وعاد وحمود لرسولهم:

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَنَا إبراهيم / ١٠.

وقالوا لنبيهم:

مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ

ص: ٩٣

المؤمنون / ٣٣.



وكان جواب الانبياء لأممهم في هذا الاعتراض والاستهانة بهم ما أخبر الله عنه وقال:

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِبْرَاهِيمَ / ١١.

ثالثا- في عصر خاتم الانبياء (ص):

روى ابن حجر في ترجمة ذى الخويصرة رأس الخوارج من الاصابع عن أنس، قال:

كان في عهد رسول الله (ص) رجل يعجبنا تعبده واجتهاده، وقد ذكرناه لرسول الله (ص) فلم يعرفه، فوصفناه بصفته فلم يعرفه. فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل علينا فقلنا: هو هذا. قال: إنكم لتخبرونني عن رجل إن في وجهه لسعفة من الشيطان. فاقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم، فقال له رسول الله (ص): اتشدك الله، هل قلت حين وقفت على المجلس: «ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني»؟ قال: اللهم نعم! ثم دخل يصلي، فقال رسول الله (ص): من يقتل الرجل - الحديث. وفي آخر الحديث قال (ص): لو قتل ما اختلف من أمتي رجلان.<sup>١٢٥</sup>

ص: ٩٤

رابعا- في عصرنا:

قال الرجل (ذو المعرفة) من السعوديين:

(محمد رجالا مثلي، مات).

وسبب هذا القول - أيضا - هو الاستكبار كما كان شأن السابقين.

خلاصة البحث:

إن إبليس لا يرى فضلا لصفى الله ونبيه آدم على نفسه فلا يخضع له ويقول عنه: إنه بشر.

وقوم نوح وعاد وثمود لا يرون لانبيائهم من فضل عليهم ويقولون لانبيائهم: إن أنتم إلا بشر مثلنا.

وذو الخويصرة رأس الخوارج يقول لجمع فيهم رسول الله: ما في القوم أفضل مني أو خير مني.

وكذا الامر في عصرنا.

<sup>١٢٥</sup> (١). راجع ترجمة ذى الخويصرة من الاصابة.

وذو الخويصرة التميمي حرقوس بن زهير. أصل الخوارج، قال لرسول الله عندما كان يقسم قسما: يا رسول الله: إعدل! فقال له: ويحك من يعدل إذا لم أعدل؟! وقال فيه: إن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين كمروق السهم من الرمية. راجع ترجمة ذى الخويصرة في اسد الغابة. وتفصيل قول رسول الله فيه وفي الخوارج وقتال الامام على إياهم في صحيح مسلم، باب ذكر الخوارج، وباب التحريض على قتل الخوارج. وباب الخوارج شر الخلق والخليقة. والسعفة: قروح تخرج في الوجه والرأس، ويكون المعنى أثر ضربة الشيطان في وجهه.

إذا فالباعث الأوّل للاستهانة بأصفياء الله هو الاستكبار.

## ب- الباعث الثاني لما نشأ من الخلاف:

الباعث الثاني على الخلاف في الامّة الاسلامية مدى القرون، هو حاجة السلطات الحاكمة على المسلمين إلى إراءة حياة القدوات الانسانية، من الانبياء والاصفياء، بما لا يناقض حياتهم الغارقة في الشهوات والمنهمكة في أتباع هوى النفس. وكان من أثر العاملين الأوّل والثاني، أن أوّلت آيات من الذكر الحكيم إلى ما يبيّن صدور المعاصي من أنبياء الله وأصفيائه، ووضعت روايات في انغماسهم

ص: ٩٥

في الملاهى والشهوات، وأحيانا استفادوا من الاخبار الاسرائيلية في ذلك مثل مارووا عن داود وزوجة اوريا،<sup>١٢٦</sup> إلى غيرها، والكثير من أمثالها التي رووها في سيرة الانبياء؛ وقد مرّ بنا أمثلة ممّا رووا في سيرة أفضل الانبياء وخاتمهم محمد (ص). وفي هذا السبيل، سبيل تسوية الانبياء والاصفياء بغيرهم من البشر، والقول بعدم وجود ميزة لهم عمّن سواهم، أوّلوا آيات من الكتاب العزيز المصرّحة بمعجزات الانبياء، مثل خلق عيسى (ع) من الطين طيرا بإذن الله ونظائره، ووضعت روايات تتفق وما يقولون به من عدم وجود ميزة لاصفياء الله عمّن سواهم من البشر.

وفي مقابل تلكم الاحاديث وتأويلات آيات كتاب الله، بدافع العاملين المذكورين آنفا، نجد في كتب التفسير والحديث والسيرة أحاديث اخرى تدلّ على ميّزات أصفياء الله. فأمّن بها طائفة من المسلمين، وأوّلت آيات كتاب الله بما يوافق تلك الاحاديث. وأنتج ما ذكرناه رؤية خاصّة لصفات الله وصفات أنبيائه وعن العرش والكرسى وسائر المعارف الاسلامية تناقض رؤية الطائفة الاخرى. وكلّ طائفة آمنت بما لديها بما يبلغ بها إلى تكفير من يخالفها في الرأى. وإنّ ما وقع من التفرقة مدى القرون كان من أثر ما ذكرناه. أمّا العلاج فسنذكره بحوله تعالى في الخاتمة الآتية.

ص: ٩٦

## ٩- خلاصة وخاتمة

شرح الله للانسان الاسلام نظاما مناسباً لفطرته، وهدها بواسطة أنبيائه (ع) وكان كلّما توفّي نبيّ وغيرت أمته شريعته، جدّد الله دينه بإرسال نبيّ جديد. واقتضت حكمته ختم الشرائع بشريعة خاتمهم، فحفظ اصول الاسلام بحفظ القرآن من الزيادة والنقصان أبد الدهر، وجعل بيان الاحكام وشرحها في سنّة رسوله (ص) ولم يحفظها مثل القرآن من الزيادة والنقصان، ولم يعصم روايتها عن السهو والنسيان، ولم يعصم نسّاخ كتاب الحديث من الخطأ والزلل. ومضى على رواية سنّة الرسول (ص) أربعة عشر قرنا وتداول المسلمون من روايات سنّة الرسول (ص) سيرة وحديثا ما تعارض بعضه مع بعض الشىء الكثير، مع وجود المجمل والمفصلّ العامّ والخاصّ فيها، والعوامل الخارجية المؤثّرة في رواية الحديث، والتي أشرنا إليها سابقا، فاختلّفت اجتهادات المجتهدين في ترجيح بعضها على بعض، مضافا إلى اجتهاداتهم لكلّ فرقة رؤية خاصّة للاسلام أوّلت بموجبها آيات متشابهات في كتاب الله الكريم، وحملت عليها آيات محكمات اخرى.

<sup>١٢٦</sup> (١). راجع أخبار سيرة النبي داود(ع) في تاريخ الطبرى وغيره.

وهكذا انقسم المسلمون إلى فرق ومذاهب، ومضت عليهم قرون طويلة كَفَرَّ خلالها المسلمون بعضهم بعضاً، وقتلت كل فرقة من خالفها في الرأي أحياناً، وهدمت ديارهم! فكيف يمكن توحيد كلمة المسلمين مع وجود هذه المفارقات، ووجود مسائل الخلاف بينهم ممّا أوردنا أمثلاً منها في ما سبق؟ لا،

ص: ٩٧

لن يتمّ التقارب بين المسلمين هكذا، ومع بقائهم على تقليد اجتهادات السلف، فلا بدّ للمسلمين من أن تبدى كل طائفة منهم ما لديها من رؤى للإسلام وتأويل للقرآن وحديث مروى واجتهادات للسلف نشأ منها الخلاف، على شرط أن يتمّ ذلك بأسلوب الدعوة إلى الحقّ والبحث العلمي الرصين، دون الركون إلى السباب والشتائم والافتراء انتصاراً لرأيها وطائفتها - أعاذنا الله من ذلك - ثمّ الاستماع بتجردٍ إلى مآلدى الطوائف الأخرى كذلك، والحقيقة بنت البحث.

والسبيل الصحيح للوصول إلى ذلك، أن يبادر علماء المسلمين إلى تلك الدراسات بتجردٍ علميٍّ بحت، ثمّ تعرض نتائج تلك الدراسات على الاندية العلمية الإسلامية الكبرى، مثل الجامع الأزهر الشريف في القاهرة، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، والجوامع الإسلامية الكبرى في النجف الأشرف وقم وخراسان والقيروان والزيتونة، لبحثها وتمحيصها . ثمّ لتنتشر بعد ذلك حكومات البلاد الإسلامية ما تتمخض عنه دراسات تلك الجامعات بين المسلمين كافة ليتسنى لجميع المسلمين من أراد منهم أن يفهم رأى غيره تفهماً واعياً لا لبس فيه ولا غموض ولا نيز، وله بعد ذلك أن يتقبّل رأى غيره بقبول حسن، أو يعذر أخاه المسلم في ما اتخذ له من رأى . وهكذا يتيسر للمسلمين أن يتفهم بعضهم بعضاً ويتقاربوا ويوحّدوا جهودهم في ما يصلح لهم.<sup>١٢٧</sup>

ص: ٩٨

ومن الضروري في هذا السبيل أن يبدأ بالبحث عن مصادر الشريعة الإسلامية وكيفية أخذ المسلمين منها وسبل الوصول إلى السنّة النبوية.

<sup>١٢٧</sup> (١). لقد شرحت ضرورة القيام بدراسات مقارنة لسنة الرسول (ص) بتجردٍ علميٍّ بحت لعلماء المسلمين وكتّابهم ومفكرهم بمصر والحجاز والشام ولبنان والهند وباكستان والعراق وغيرها، سواء في الجامعات الإسلامية والاندية العلمية بها أو في اجتماعي العلماء على انفراد، واستعنت با لله وقمت منذ نيف وخمسين سنة بهذه الدراسات. ولما كانت أمّ المؤمنين عائشة أكثر من تحدّثت عن سيرة الرسول الأكرم (ص) بين أمّهات المؤمنين وأهل البيت وجميع الصحابة، وكان أكثر الباحثين مسلمين وغير مسلمين من المستشرقين وتلاميذهم يتعرّفون على سيرة الرسول (ص) من خلال الأحاديث المروية عنها، ولن تتيسر دراسة سيرة الرسول دون الدراسة العلمية لمجموعة الأحاديث المروية عنها بتجردٍ علميٍّ بحت، لهذا اضطررت إلى دراسة أحاديثها دراسة مقارنة، وطبعت الجزء الأول منها، ولما يطبع الجزء الثاني منها. ورأيت خلال دراستي من الاختلاف في أخبار السيرة وأخبار العصر الإسلامي الأول ما أكرهني على نشر بعض دراستي باسم (خمسون ومائة صحابي مختلق) وقصدى من هذه التسمية أن آتبه العلماء إلى ما في أخبار العصر الإسلامي الأول من عظيم الاختلاق، وطبع منها جزءان ترجم فيهما ثلاثة وتسعون صحابياً يا مختلقاً وأكثر من سبعين راوياً للحديث مختلفين - أيضاً - أسندت إليهم روايات في الفتوح والردة وغير ذلك مختلقة جميعها . وكتبت مقدمة لهذه الدراسة مجلدى عبد الله بن سبأ ونُشرا، وبقي نشر المجلد الثالث من (خمسون ومائة صحابي مختلق) والثالث من عبد الله بن سبأ، وإلى الله أشكو ما لاقيت من الأرجاف في هذا السبيل.

وللوصول إلى هذا الهدف الجليل قمت مستعينا بالله تعالى بتأليف هذا الكتاب وفق المنهج التالي:

### منهج البحث في الكتاب:

أوردنا في ما سبق أمثلة من مسائل الخلاف ومنشأ الاختلاف ودوافعهما وبقي لنا دراسة جذور الخلاف والاختلاف . وسندرسها في أبواب القسم الأول من هذا الكتاب ليدرسها المصلحون الغيارى على الاسلام والمسلمين وينسّقوا جهودهم في ضوء معرفتها لتقريب أبناء الامّة الاسلامية وتوحيد كلمتهم ضدّ أعداء الاسلام إن شاء الله تعالى.

ونقول في هذا الصدد: لمّا كان جميع طوائف المسلمين ينتهون إلى مدرستين:<sup>١٢٨</sup> مدرسة الامامة ومدرسة الخلافة، بحثت في الكتاب:

ص: ٩٩

أولاً- عن رأى المدرستين في الصحابة وعدالتهم، لأنهم من سبل الوصول إلى سنّة الرسول (ص). وترى مدرسة الخلافة أنّهم جميعاً عدول لا يتطرّق الشكّ إلى عدالة أىّ واحد منهم، ويصحّ أخذ الحديث من جميعهم . وترى المدرسة الاخرى أنّ في الصحابة البرّ التقى الذى يؤخذ منه الحديث، وفيهم من وصمه الله فى كتابه بالنفاق وقال: **وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمُ التَّوْبَةُ / ١٠١**.

هكذا درست أدلّة الطرفين فى هذا الباب بتجرّد علميٍّ، ثمّ بحثت عن رأى المدرستين فى الامامة والخلافة وأدلتّهما فى ما ارتأتا، لأنّ الخلفاء الاربعة الاوائل لدى إحداهما من سبل الوصول إلى الشريعة الاسلامية وتروى فى حقّهم عن الرسول (ص) أنّه قال:

«خذوا بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين من بعدى وعضّوا عليها بالنواجذ»

، ثمّ إنّها تتخذ من اجتهاداتهم مصدرا للشريعة الاسلامية.<sup>١٢٩</sup>

وكذلك الائمة الاثنا عشر لدى مدرسة أهل البيت (ع) فإنّهم يرونهم من سبل الوصول إلى الشريعة الاسلامية ويأخذون منهم كلّ ما يروون عن الرسول (ص) من أحكام بلا ترديد. فلا بدّ مع هذا من تمحيص أدلّة الطرفين فى هذا السبيل.

ثانياً- درست بحوث المدرستين فى مصادر الشريعة الاسلامية بكلّ أمانة علمية، وختمت البحوث بذكر بعض أنواع نشاط المدرستين الثقافى والسياسى والاجتماعى وآثارها فى المجتمع الاسلامى.

ثالثاً- أوردت فى الاخير بعض ما افترى به على مدرسة أهل البيت (ع) وحاولت القيام بتمحيصه.

ص: ١٠٠

<sup>١٢٨</sup> (١). سيأتى بيانه فى بداية البحوث، إن شاء الله تعالى .

<sup>١٢٩</sup> (١). يأتى بحث نقد الحديث ودراسة مواقفهم من اجتهادات مجتهدى مدرسة الخلفاء فى الجزء الثانى فى باب : بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الاسلامية، إن شاء الله تعالى.

وأَسألُ اللهَ أنْ يوفِّقني للبحثِ عنِ رواياتِ المدرستينِ حولِ القرآنِ الكريمِ بمنهَ تعالى.

وها هي البحوثُ أَعرضها على الملاِ الاسلاميِ الكريمِ راجياً أنْ ينظروا فيها بتجرّدِ علميٍّ، وينبّهوني على أخطائي في سبيلِ نشرِ المعرفةِ الاسلاميةِ وتيسيرِ التقاربِ والتفاهمِ بينِ المسلمينِ، إن شاءَ اللهُ تعالى.

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يوسف / ١٠٨.

ص: ١٠١

القسم الاول: بحوث المدرستين حول مصادر الشريعة الاسلامية

ص: ١٠٢

توطئة

في تأريخِ الفكرِ الاسلاميِ نجدُ انقساماً بيّناً بعدَ وفاةِ النبيِّ (ص) بينِ مدرستينِ متعارضتينِ، مدرسةِ السلطةِ الحاكمةِ بعدَ الرسولِ حتّى آخرِ الخلفاءِ العثمانيينِ، ومدرسةِ أئمةِ أهلِ البيتِ (ع) حتّى الامامِ الثانيِ عشرِ.<sup>١٣٠</sup> ولم يزلِ الخلافُ قائماً بينِ خريجيِ المدرستينِ وأتباعهما من المسلمينِ، ولا يزالُ كذلكِ حتّى عصرنا الحاضرِ، وإلى ما شاءَ اللهُ.

وفي ما يلي من هذا البحثِ نسمّي المدرسةِ الاولىِ بمدرسةِ الخلفاءِ، والاخرى بمدرسةِ أهلِ البيتِ. ونبدأُ بذكرِ منشأِ الخلافِ بينهما، ثمَّ نوردُ أمثلةً من وجوهِ الخلافِ، إن شاءَ اللهُ تعالى.

موارد الخلاف:

تتفقُ المدرستانِ في القرآنِ الكريمِ، وتلتزمانِ بما أحلّه وحرّمه وفرضه وندب إليه، وتختلفانِ في تأويله وخاصّةً متشابه آياته أشدَّ الاختلافِ. ثمَّ تختلفانِ في الامورِ الثلاثةِ التالية:

أ- في الصحابة.

ب- في الامامةِ والخلافةِ، وهما من سبيلِ الوصولِ إلى مصادرِ الشريعةِ

ص: ١٠٣

الاسلامية.

<sup>١٣٠</sup> (١). إنّما حدّدنا مدرسة السلطة الحاكمة بآخِر الخلفاء العثمانيين، ومدرسة أهل البيت بالامام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، لأن مدرسة الخلفاء تلتزم بشرعية حكومة الخلفاء بعد النبيّ وتسميهم بخلفاء النبيّ، وتلتزم مدرسة أهل البيت بأحقية الأئمة الاثني عشر في الحكم وتسميهم أو صياء النبيّ. ولهذا سمينا الاولى بمدرسة الخلفاء، والثانية بمدرسة أهل البيت.

ج- فى مصادر الشريعة الاسلاميه بعد القرآن.

وسندرس بحوث المدرستين فى كلّ منها بعد دراسة المصطلحات الواردة فى بابه فى أوّل الباب . ونبدأ هنا بدراسة المصطلحات المشتركة فى جميع أبواب الكتاب أوّلا، ثمّ بدراسة كيفية تدوين معاجم اللغة العربية ثانيا.

ص: ١٠٤

اللغة العربية والمصطلحات الاسلامية

أوّلا- تعريف المصطلحات

وهى:

أ- لغة العرب.

ب- المصطلح الشرعى أو المصطلح الاسلامى.

ج- مصطلح المتشرّعة أو مصطلح المسلمين.

د- الحقيقة والمجاز.

ونسَمّى الأوّل أحيانا ب- (تسمية العرب)، والثانى ب- (تسمية الشارع)، والثالث ب- (تسمية المسلمين) ونقول:

أ- لغة العرب:

إنّما تتحدّث عن لغة العرب لأنّ القرآن نزل بلغتهم، فنقول:

إنّ جلّ الألفاظ العربية التى نستعملها اليوم، كانت شائعة فى معانيها قبل الاسلام وبعد الاسلام حتّى اليوم، مثل: الاكل والنوم والليل والنهار.

ومن تلكم الألفاظ ما ورد فى لغة العرب فى معانٍ متعدّدة، مثل لفظ: (غنم) الذى كان فى البدء بمعنى كسب الغنم، ثمّ استعمل أيضا فى لغة العرب بمعنى الفوز بالشىء بلا مشقّة، ثمّ استعمل فى الاسلام فى الفوز بالشىء مطلقا، سواء أكان الفوز بمشقّة أم دون مشقّة.

وقد يرد لفظ عند قبيلة بمعنى، وعند اخرى بمعنى آخر، مثل (الائلب)

ص: ١٠٥

فإنه في لغة أهل الحجاز: الحجر، وفي لغة تميم: التراب.<sup>١٣١</sup>

وفي عصرنا يستعمل لفظ: (المبسوط) ويراد به عند العراقيين: المضروب، ولدى الشاميين واللبنانيين: المسرور، وفي مثل هذه الحالة يجب أن نقول مثلاً: (الاثلب) في لغة تميم بمعنى كذا، وفي لغة الحجازيين بمعنى كذا، وكذلك الامر في (المبسوط).

### ب- المصطلح الشرعي أو «المصطلح الاسلامي»:

عندما بعث الله خاتم أنبيائه (ص) استعمل بعض الالفاظ العربية في غير معانيها الشائعة لدى العرب، مثل: (الصلاة) التي كانت تستعمل في مطلق (الدعاء) واستعملها رسول الله (ص) في عبادة خاصة لها قراءات خاصة مقارنة بأفعال خاصة من قيام وركوع وسجود، مما لم تكن معروفة لدى العرب. وهذا ما نسميه ب- (المصطلح الشرعي أو الاسلامي) سواء في ذلك أغير المعنى اللغوي للفظ مثل (الصلاة) أم جاء الشارع الاسلامي بلفظ جديد في معنى جديد، مثل: (الرحمن) صفة لله تعالى.

ويعرف (المصطلح الشرعي) بورود اللفظ في معناه في القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف، وبدون ذلك لا يوجد المصطلح الشرعي.

إذا فالمصطلح الشرعي: ما استعمله الشارع في معنى خاصّ وبلغ الرسول (ص) ذلك.

### ج- مصطلح المتشرعة أو «تسمية المسلمين»:

من الالفاظ ما هي شائعة في معانٍ خاصة بها لدى المسلمين عامة مثل: (الاجتهاد) و (المجتهد) الشائعين لدى عامة المسلمين في الفقه والفقيه، وكان

ص: ١٠٦

اللفظان في لغة العرب بمعنى بذل الجهد في طلب الامر،<sup>١٣٢</sup> وبأذل الجهد، واستعملنا بنفس المعنى اللغوي في حديث الرسول (ص) كما روى عن رسول الله (ص) أنه قال:

«فضل العالم على المجتهد مائة درجة»

، أي على المجتهد في العبادة.<sup>١٣٣</sup>

وفي ما روى عن سيرته (ص) وقيل:

<sup>١٣١</sup> (١). تهذيب اللغة للازهرى، ط. القاهرة، سنة ١٣٨٤ هـ، ٩١ / ١٥.

<sup>١٣٢</sup> (١). مادة: (جهد) من نهاية اللغة لابن الاثير.

<sup>١٣٣</sup> (٢). مقدّمة سنن الدارمي، باب فضل العلم والعالم، ح ٣٢، ١ / ١٠٠.

كان رسول الله يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره.<sup>١٣٤</sup>

ولم يرد (الاجتهاد) و (المجتهد) بمعنى: الفقه والفقهاء، في القرآن الكريم ولا الحديث النبوي الشريف، ونسَمَّى هذا النوع من التسمية ب- (عرف المتشرعة) و (تسمية المسلمين).

ومن هذا النوع من التسمية ما لا يكون شائعا لدى عامة المسلمين، بل يكون شائعا لدى بعضهم، مثل كلمة : (صوم زكريا) المستعمل لدى بعض المسلمين في الصوم مع الالتزام بالصمت والا متناع عن التكلم . وهذا النوع من المصطلح ينبغي أن نسَمِّيه باسم البلد الشائع فيه، فنقول : هذا اصطلاح المسلمين من أهل بغداد، أو اصطلاح المسلمين في القاهرة مثلا، ولا يصح أن نسَمِّيه ب- (اصطلاح المسلمين) أو (عرف المتشرعة) أو (تسمية المسلمين) مطلقا وبدون تقييد.

وكذلك الامر بالنسبة إلى التسمية الشائعة لدى أهل مذهب من المذاهب الاسلامية أو لدى فرقة تنتمي إلى الاسلام.

مثل: (الشاري) و (المشرك) لدى الخوارج؛ ف- (الشاري) عندهم بمثابة

ص: ١٠٧

المجاهد عند كافة المسلمين، و (المشرك) عندهم: جميع المسلمين وكل من لا ينتمي إلى الخوارج.

ومثل (الرافضي) الذي يميز به بعض أتباع مدرسة الخلفاء بعض أتباع مدرسة أهل البيت (ع).

و (الناصبي) عند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) الذي يسمون به كل من يبغض الائمة من أهل البيت (ع).

وفي مثل هذه الحالة، نسَمَّى الاول ب- (اصطلاح الخوارج) والثاني ب- (اصطلاح مدرسة الخلفاء) والثالث ب- (اصطلاح مدرسة أهل البيت).

وبناءً على ما ذكرنا، فإذا ورد لفظ (الناصبي) لدى أتباع مدرسة الخلفاء لا ينبغي أن نفهم منه أعداء أهل البيت (ع). وكذلك إذا ورد لفظ (الشاري) عند غير الخوارج لا نفهم منه ما اصطلاح عليه الخوارج.

د- الحقيقة والمجاز:

إذا شاع استعمال اللفظ في معناه، بحيث لم يتبادر إلى ذهن السامع عند استماع الكلمة غير ذلك المعنى، مثل لفظ : (الاسد) الذي يفهم منه : الحيوان المفترس، لا غيره . ومثل لفظ : (الصلاة) التي لا يفهم منها لدى المسلمين غير : القيام بالاعمال الخاصة المقرونة بأذكار خاصة.

في مثل هذه الحالة، يوصف (الاسد) بأنه حقيقة في الحيوان المفترس، و (الصلاة) بأنها حقيقة في الاعمال المخصوصة، ويسمى الاول ب- (الحقيقة اللغوية) والثاني ب- (الحقيقة الشرعية).

<sup>١٣٤</sup> (٣). صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، طيب الاجتهاد في العشر الاواخر من شهر رمضان، ح ١١٧٥.



وقد يستعمل لفظ (الاسد) ويقصد به: الرجل الشجاع، ويقال: رأيت أسداً يتكلم في المسجد. وهذا الاستعمال يسمّى استعمالاً مجازياً ويقال: استعمل (الاسد) مجازاً في الرجل الشجاع. ولا بدّ عند ذلك من وجود قرينة في الكلام أو في المقام، تدلّ على أنّه لم يقصد من (الاسد) المعنى الحقيقي، مثل

ص: ١٠٨

قولك هنا: (يتكلم في المسجد) فإنّ الاسد لا يتكلم، وهذه قرينة على أنّ القائل لم يقصد الحيوان المفترس، وإنّما قصد رجلاً شجاعاً.

ثانياً- كيفية تأليف مجاميع اللغة العربية:

عندما قام علماء اللغة العربية بتدوين اللغة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، سجّلوا أمام كلّ لفظ ما وجدوا له من معنى، منذ العصر الجاهلي إلى زمانهم، سواء أكان ذلك المعنى شائعاً عند أهل اللغة أم في الشرع الاسلامي، أو لدى المسلمين، غير أنّ فقهاء المسلمين بذلوا جهداً مشكوراً مدى القرون في تحديد المصطلحات الاسلامية الفقهية وتعريفها، مثل مصطلح الصلاة والصوم والحجّ وغيرها، فأصبحت المصطلحات الاسلامية الفقهية معروفة لدى جميع المسلمين. ولمّا لم يبذل نظير ذلك الجهد في تعريف المصطلحات الاسلامية غير الفقهية، أصبح بعض المصطلحات غير معروف لدى المسلمين، أهي من نوع الاصطلاح الشرعي؟ أم من نوع تسمية المسلمين واصطلاح المتشرّعة؟ وأدّى ذلك إلى اللبس والغموض في إدراك المفاهيم الاسلامية، وأحياناً في معرفة بعض الاحكام الشرعية، نظير ما وقع في لفظي الصحابي، والصحابة، كما سندرسهما في ما يأتي.

ص: ١٠٩

البحث الاوّل: بحوث المدرستين حول الصحبة والصحابة

ص: ١١٠

تعريف الصحابي لدى المدرستين

عدالة الصحابة لدى المدرستين

خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

ص: ١١١

الفصل الاوّل: تعريف الصحابي لدى المدرستين

ص: ١١٢

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء

## تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع)

ضابطتهم لمعرفة الصحابي

مناقشة ضابطة معرفة الصحابي

ص: ١١٣

تعريف الصحابي لدى المدرستين

تعريف الصحابي في مدرسة الخلفاء:

قال ابن حجر في مقدمة الاصابة، الفصل الاول في تعريف الصحابي : الصحابي من لقي النبي (ص) مؤمنا به، ومات على الاسلام. فيدخل في مَنْ لقيه من طالته مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعَمى.<sup>١٣٥</sup>

وذكر في (ضابط يستفاد من معرفته صحبة جمع كثير) وقال: (إنهم كانوا في الفتوح لا يؤمرون إلا الصحابة).

(وإنه لم يبق بمكة ولا الطائف أحد في سنة عشر إلا أسلم وشهد مع النبي حجة الوداع) و (إنه لم يبق في الاوس والخزرج أحد في آخر عهد النبي (ص) إلا دخل في الاسلام) و (ما مات النبي (ص) وأحد منهم يظهر الكفر).<sup>١٣٦</sup>

وإذا راجع باحث أجزاء كتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلق) يرى مدى تسامحهم في ذلك ومبلغ ضرره على الحديث.

ص: ١١٤

تعريف الصحابي بمدرسة أهل البيت (ع):

إن مدرسة أهل البيت ترى أن تعريف الصحابي: هو ما ورد في قواميس اللغة العربية كالاتي :

الصاحب وجمعه: صَحْب، وأصحاب، وصِحاب، وصَحابة<sup>١٣٧</sup> و (الصاحب: المعاشر<sup>١٣٨</sup> والملازم،<sup>١٣٩</sup> (ولا يقال إلا لمن كثرت ملازمته)،<sup>١٤٠</sup> (وإن المصاحبة تقتضي طول لبثه).<sup>١٤١</sup>

<sup>١٣٥</sup> (١). الاصابة ١ / ١٠.

وهذا القول بمدرسة الخلفاء هو مصدر الشهيد الثاني حين قال في كتابه الدراية، الباب الرابع في بعض المصطلحات في أسماء الرجال وطبقا لهم: (الصحابي) من لقي النبي مؤمنا به ومات على الاسلام.

<sup>١٣٦</sup> (٢). المصدر السابق ص ١٦، وقبله ص ١٣.

<sup>١٣٧</sup> (١). راجع لسان العرب، مادة: (صحاب).

<sup>١٣٨</sup> (٢). همان.

<sup>١٣٩</sup> (٣). مفردات الراغب، مادة: (صحاب).

وبما أنّ الصحبة تكون بين اثنين، يتضح لنا أنّه لا بدّ أن يضاف لفظ (الصاحب) وجمعه (الصَّحْب و ...) إلى اسم ما في الكلام، وكذلك ورد في القرآن في قوله تعالى : يا صاحِبِي السَّجْنِ و أصحابِ مُوسَى، وكان يقال في عصر الرسول (ص): (صاحب رسول الله ) و (أصحاب رسول الله ) مضافا إلى رسول الله (ص) كما كان يقال : (أصحاب بيعة الشجرة ) و (أصحاب الصُّفَّة) مضافا إلى غيره، ولم يكن لفظ الصاحب والاصحاب يومذاك أسماء لاصحاب الرسول (ص) ولكنّ المسلمين من أصحاب مدرسة الخلافة تدرّجوا بعد ذلك في تسمية أصحاب رسول الله (ص) بالصحابيِّ والاصحاب، وعلى هذا فإنّ هذه التسمية من نوع (تسمية المسلمين) و (مصطلح المتشرّعة).

كان هذا رأى المدرستين في تعريف الصحابي.

### ضابطةهم لمعرفة الصحابي:

ذكر مترجمو الصحابة بمدرسة الخلفاء ضابطة لمعرفة الصحابي، كما نقلها ابن حجر في الاصابة وقال:

ومما جاء عن الائمة من الاقوال المجملّة في الصفة التي يعرف بها كون

ص: ١١٥

الرجل صحابيا وإن لم يرد التنصيص على ذلك، ما أورده ابن أبي شيببة في مصنّفه من طريق لا بأس به : أنّهم كانوا في الفتوح لا يؤمّرون إلّا الصحابة.<sup>١٤٢</sup>

والرواية التي جاءت من طريق لا بأس به بهذا الصدد هي التي رواها الطبري وابن عساكر بسندهما، عن سيف، عن أبي عثمان، عن خالد وعبادة، قال فيها:

وكلت الرؤساء تكون من الصحابة حتّى لا يجدوا من يحتمل ذلك.<sup>١٤٣</sup>

وفي رواية اخرى عند الطبري عن سيف قال:

إنّ الخليفة عمر كان لا يعدل أن يؤمّر الصحابة إذا وجد من يجزى عنه في حربه . فإن لم يجد ففي التابعين بإحسان، ولا يطمع من انبعث في الرّدّة في الرئاسة ....<sup>١٤٤</sup>

### مناقشة ضابطة معرفة الصحابي:

إنّ مصدر الروايتين هو سيف المتّمهم بالوضع والزندقة.<sup>١٤٥</sup>

<sup>١٤٠</sup> (٤). همان.

<sup>١٤١</sup> (٥). همان.

<sup>١٤٢</sup> (١). الاصابة ١ / ١٣.

<sup>١٤٣</sup> (٢). الطبري، ط. اوربا ١ / ٢١٥١.

<sup>١٤٤</sup> (٣). الطبري، ط. اوربا ١ / ٢٤٥٧ و ٢٤٥٨.

<sup>١٤٥</sup> (٤). همان.

وسيف يروى الضابطة عن أبي عثمان، وأبو عثمان الذي يروى عن خالد وعبادة في روايات سيف، تخيَّله سيف : يزيد بن اسيد الغسانی، وهذا الاسم من مختلفات سيف من الرواة.<sup>١٤٤</sup>

ومهما تكن حال الرواة الذين رووا أمثال هذه الروايات، وكائنين من كانوا، فإنّ الواقع التاريخي يناقض ما ذكروا؛ فقد روى صاحب الاغانى وقال:

ص: ١١٦

أسلم امرؤ القيس على يد عمر وولاه قبل أن يصلّى لله ركعة واحدة.<sup>١٤٧</sup>

وتفصيل الخبر في رواية بعدها عن عوف بن خارجة المرّي قال:

والله إنني لعند عمر بن الخطاب (رض) في خلافته، إذ أقبل رجل أفحج<sup>١٤٨</sup> أجلح أمعر يتخطّى رقاب الناس حتى قام بين يدي عمر، فحيّاه بتحيّة الخلافة.

فقال له عمر: فمن أنت؟

قال: أنا امرؤ نصرانيّ، أنا امرؤ القيس بن عدى الكلبي.

فعرفه عمر، فقال له: فما تريد؟

قال: الاسلام.

فعرضه عليه عمر، فقبله. ثمّ دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاة.<sup>١٤٩</sup> فأدبر الشيخ واللواء يهتزّ على رأسه - الحديث.<sup>١٥٠</sup>

ويخالفه - أيضا - ما في قصة تأمير علقمة بن علاثة الكلبي بعد ارتداده، وقصته كما في الاغانى والاصابة<sup>١٥١</sup> بترجمته ما يلي:

<sup>١٤٥</sup> (٤). راجع ترجمة سيف في أوّل الجزء الاوّل من كتاب عبد الله بن سبأ.

<sup>١٤٦</sup> (٥). راجع مخطوطة (رواة مختلفون) للمؤلف، وكتاب عبد الله بن سبأ، ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، ١ / ١١٧.

<sup>١٤٧</sup> (١). الاغانى، ط. ساسى ١٤ / ١٥٨.

<sup>١٤٨</sup> (٢). الافحج: من تدانت صدور قدميه وتباعد عقباه. والاجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه. والامر: قليل الشعر.

<sup>١٤٩</sup> (٣). قضاة: قبائل كبيرة، منهم قبائل حيدان وبهراء وبلبي وجهينة، ترجمتهم في جمهرة أنساب ابن حزم ص ٤٤٠ - ٤٦٠. وكانت ديارهم في الشحر ثمّ في نجران ثمّ في الشام، فكان لهم ملك ما بين الشام والحجاز إلى العراق. راجع مادة قضاة، معجم قبائل العرب ٣ / ٩٥٧.

<sup>١٥٠</sup> (٤). الاغانى، ط. ساسى ١٤ / ١٥٧. وأوجزه ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ص ٢٨٤.

<sup>١٥١</sup> (٥). ترجمته في الاصابة ٢ / ٤٩٦ - ٤٩٨. والاعغانى، ط. ساسى ١٥ / ٥٦. وقصة تنافر علقمة وعامر في الاغانى ١٥ / ٥٠ - ٥٥. وفي جمهرة ابن حزم ص

أسلم علقمة على عهد رسول الله وأدرك صحبته. ثم ارتدّ على عهد أبي

ص: ١١٧

بكر. فبعث أبو بكر إليه خالدا ففرّ منه.

قالوا: ثمّ رجع فأسلم.

وفى الاصابة:

شرب الخمر على عهد عمر، فحدّه، فارتدّ ولحق بالروم . فأكرمه ملك الروم، قال له : أنت ابن عمّ عامر بن الطفيل . فغضب وقال: لا أراني اعرف إلا بعامر.<sup>١٥٢</sup> فرجع وأسلم.

وفى الاغاني والاصابة - واللفظ للاول:-

لمّا قدم علقمة بن علاثة المدينة وكان قد ارتدّ عن الاسلام، وكان لخالد ابن الوليد صديقا، فلقية عمر بن الخطاب (رض) في المسجد في جوف الليل، وكان عمر (رض) يشبّه بخالد، فسلم عليه وظنّ أنّه خالد.

فقال له: عزلك؟

قال: كان ذلك.

قال: والله ما هو إلا نفاسة عليك وحسدا لك.

فقال له عمر: فما عندك معونة على ذلك؟

قال: معاذ الله، إنّ لعمر علينا سمعا وطاعة وما نخرج إلى خلافه.

ص: ١١٨

فلمّا أصبح عمر (رض) أذن للناس، فدخل خالد وعلقمة. فجلس علقمة إلى جنب خالد، فالتفت عمر إلى علقمة فقال له:

<sup>١٥٢</sup> (١). وقعت منافرة بين علقمة وعامر ذكرها الاخباريون، قال في الاغاني، ط. ساسي ١٥ / ٥٠: إنّ علقمة كان قاعدا ذات يوم ببول، فبصر به عامر، فقال: لم أر كالليوم عورة رجل أقيح ...

فقال علقمة: أما والله ما وثبت على جاراتها ولا تنازل كنتاجها، يعرض بعامر ...

فقال عامر: والله لانا أكرم منك حسبا وأثبت منك نسبيا ...

فقال علقمة: لانا خير منك ليلا ونهارا.

فقال عامر: لانا أحبّ إلى نسانك - إلى آخر القصة، في الاغاني، وترجمة علقمة في الاصابة.

قال المؤلف:

ولذلك أنف علقمة من أن يكرم لأنّه ابن عمّ عامر وبشتهر ذلك عنه.

إيه يا علقمة، أنت القائل لخالد ما قلت؟

فالتفت علقمة إلى خالد، فقال:

يا أبا سليمان أفعلتها؟

قال: ويحك! والله ما لقيتك قبل ما ترى، وإنّي أراك لقيت الرجل.

قال: أراه والله.

ثمّ التفت إلى عمر (رض) فقال:

يا أمير المؤمنين! ما سمعت إلّا خيرا.

قال: أجل، فهل لك أن أوّيك حوران؟<sup>١٥٣</sup>

قال: نعم.

فولاه إياها فمات بها، فقال الحطيئة يرثيه - الحديث.

وزاد فى الاصابة:

فقال عمر: لان يكون من ورائى على مثل رأيك أحبّ إلىّ من كذا وكذا.

\*\*\*

كان ما نقلناه هو الواقع التاريخى غير أنّ علماء مدرسة الخلفاء استندوا إلى ما رووا واكتشفوا مّا رووا ضابطة لمعرفة صحابة رسول الله (ص) وأدخلوا فى عداد الصحابة مختلقات سيف بن عمر المتّهم بالزندقة ممّا درسناه فى كتابنا (خمسون ومائة صحابىّ مختلق).

بعد دراسة رأى المدرستين فى تعريف الصحابىّ، ندرس فى ما يأتى أمر عدالة الصحابة لدى المدرستين.

ص: ١١٩

الفصل الثانى : عدالة الصحابة لدى المدرستين

ص: ١٢٠

<sup>١٥٣</sup> (١) حوران: كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع. معجم البلدان ٢ / ٣٥٨.

رأى مدرسة الخلفاء فى عدالة الصحابة

رأى مدرسة أهل البيت (ع) فى عدالة الصحابة

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق

ص: ١٢١

رأى مدرسة الخلفاء فى عدالة الصحابة:

ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابة كلهم عدول، وترجع إلى جميعهم فى أخذ معالم دينها.

قال إمام أهل الجرح والتعديل الحافظ أبو حاتم الرازى<sup>١٥٤</sup> فى مقدمة كتابه:

فأما أصحاب رسول الله (ص) فهم الذين شهدوا الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه (ص) ونصرته وإقامة دينه وإظهار حقه، فرضهم له صحابة، وجعلهم لنا أعلاما وقدوة، فحفظوا عنه (ص) ما بلغهم عن الله عز وجل، وما سنّ وشرع وحكم وقضى وندب وأمر ونهى وحظر وأدب، ووعوه وأتقنوه، ففقهوا فى الدين، وعلموا أمر الله ونهيه ومراده، بمعينة رسول الله (ص) ومشاهدتهم منه تفسير الكتاب وتأويله، و تلقفهم منه واستنباطهم عنه؛ فشرّفهم الله عز وجل بما منّ عليهم وأكرمهم به من وضعه إياهم موضع القدوة، فنفى عنهم الشكّ والكذب والغلط والريبة والفخر واللمز، وسماهم عدول الامّة، فقال عزّ ذكره فى محكم كتابه: **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ** البقرة/ ١٤٣. ففسّر النبىّ (ص) عن الله عزّ ذكره قوله: (وَسَطًا) قال: عدلاً فكانوا عدول الامّة، وأئمة الهدى، وحجج الدين، ونقلة الكتاب والسنة.

وندى الله عزّ وجلّ إلى التمسك بهديهم والجرى على منهاجهم والسلوك

ص: ١٢٢

لسبيلهم والافتداء بهم، فقال: **وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ ... وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ...** النساء/ ١١٥.

ووجدنا النبىّ (ص) قد حضّ على التبليغ عنه فى أخبار كثيرة ووجدناه يخاطب أصحابه فيها، منها أن دعا لهم فقال:

«نصّر الله امرأ سمع مقالتي فحفظها ووعاها حتى يبلغها غيره».

وقال (ص) فى خطبته:

<sup>١٥٤</sup> (١). هو أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ، وكتابه هذا (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ط. حيدرآباد سنة ١٣٧١ هـ،

نقلنا ما أورده من ص ٧-٩ منه.

<sup>١٥٥</sup> (١). ترى مدرسة أهل البيت أن المقصود من كل ذلك: المؤمنون منهم، كما نصّت الآية عليه، وسيأتى مزيد بيانه إن شاء الله تعالى.

«فليبلغ الشاهد منكم الغائب»

، وقال:

«بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عني ولا حرج».

ثم تفرقت الصحابة - رضى الله عنهم - فى النواحي والامصار والثغور، وفى فتوح البلدان والمغازى والامارة والقضاء والاحكام، فبث كل واحد منهم فى ناحيته والبلد الذى هو به ما وعاه وحفظه عن رسول الله (ص)،<sup>١٥٦</sup> وأفتوا فى ما سئلوا عنه مما حضرهم من جواب رسول الله (ص) عن نظائرها من المسائل، وجرّدوا أنفسهم مع تقدمة حسن النية والقربة إلى الله تقدّس اسمه لتعليم الناس الفرائض والاحكام والسنن والحلال والحرام، حتى قبضهم الله عزّ وجلّ. رضوان الله ومغفرته ورحمته عليهم أجمعين.

وقال ابن عبد البرّ فى مقدمة كتابه - الاستيعاب<sup>١٥٧</sup> :-

(ثبتت عدالة جميعهم). ثم أخذ بإيراد آيات وأحاديث وردت فى حقّ المؤمنين منهم نظير ما أوردناه من الرازى.

وقال ابن الاثير فى مقدمته لكتاب اسد الغابة:<sup>١٥٨</sup>

ص: ١٢٣

(... إن السنن التى عليها مدار تفصيل الاحكام ومعرفة الحلال والحرام إلى غير ذلك من امور الدين، إنّما ثبتت بعد معرفة رجال أسانيدھا ورواتها، وأولهم والمقدّم عليهم أصحاب رسول الله (ص)، فإذا جهلهم الانسان كان بغيرهم أشدّ جهلا وأعظم إنكارا، فينبغى أن يعرفوا بأنسابهم وأحوالهم ...

والصحابه يشاركون سائر الرواة فى جميع ذلك إلّا فى الجرح والتعديل، فإنّهم كلّهم عدول لا يتطرّق إليهم الجرح (...).

وقال الحافظ ابن حجر فى الفصل الثالث، فى بيان حال الصحابة من العدالة، من مقدمة الاصابة:<sup>١٥٩</sup>

(اتفق أهل السنّة على أنّ الجميع عدول، ولم يخالف فى ذلك إلّا شذوذ من المبتدعة ...).

وروى عن أبى زرعة أنّه قال:

<sup>١٥٦</sup> (٢). سترى فى ما يأتى إن شاء الله أنّ مدرسة الخلافة منعت نشر حديث الرسول وخاصة كتابته إلى رأس المائة من الهجرة!

<sup>١٥٧</sup> (٣). الاستيعاب فى أسماء الاصحاب للحافظ المحدث أبى عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ التمرى القرطبي المالكي (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ).

<sup>١٥٨</sup> (٤). اسد الغابة فى معرفة الصحابة لابی الحسن عزّ الدين على بن محمد بن عبد الكريم -

<sup>١٥٩</sup> (١). الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى الشافعى المعروف بابن حجر (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) وقد رجعنا

إلى ط. المكتبة التجارية سنة ١٣٥٨ هـ بمصر ١٧/١ - ٢٢.



إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله (ص) فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدى ذلك إلينا كله ا لصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبتلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة).<sup>١٦٠</sup>

ص: ١٢٤

كان هذا رأى مدرسة الخلفاء فى عدالة الصحابة، وفى ما يلى رأى

مدرسة أهل البيت (ع) فى ذلك:

رأى مدرسة أهل البيت (ع) فى عدالة الصحابة:

ترى مدرسة أهل البيت تبعاً للقرآن الكريم: أن فى الصحابة مؤمنين أثنى عليهم الله فى القرآن الكريم وقال فى بيعة الشجرة مثلاً: لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا الفتح / ١٨. فقد خصّ الله الثناء بالمؤمنين ممن حضروا بيعة الشجرة ولم يشمل المنافقين الذين حضروها مثل عبد الله بن أبى وأوس بن قبيطى.<sup>١٦١</sup>

وكذلك تبعاً للقرآن ترى فىهم منافقين ذمهم الله فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى:

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ التوبة / ١٠١.

وفىهم من أخبر الله عنهم بالافك، أى من رموا فراش رسول الله (ص) بالافك<sup>١٦٢</sup> - نعوذ باللّٰه من هذا القول - ، وفىهم من أخبر الله عنهم بقوله: وإذا رأوا تجارةً أوّ لهموا أنفضوا إليها وتركوك قائماً الجمعة / ١١. وكان ذلك عندما كان رسول الله قائماً فى مسجده يخطب خطبة الجمعة.

ص: ١٢٥

وفىهم من قصد اغتيال رسول الله بمروره على عقبة عند رجوعه من غزوة تبوك،<sup>١٦٣</sup> أو من حجة الوداع.<sup>١٦٤</sup>

<sup>١٦٠</sup> (٢) الاصابة ١ / ١ (ع). وأبو زرعة: هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد . قال ابن حجر فى تقريب التهذيب ٢ / ٥٣٦، الترجمة ١٤٧٩: إمام حافظ ثقة مشهور من الطبقة الحادية عشرة من الرواة. مات سنة أربع وستين ومائتين، وروى عنه من أصحاب الصحاح مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

أقول: لست أدرى ماذا يقول الامام أبو زرعة فى حق المنافقين من أصحاب رسول الله (ص).

<sup>١٦١</sup> (١) راجع خبر بيعة الشجرة/ بيعة الرضوان فى مغازى الواقدى ص ٥٨٨. وإمتاع الاسماع للمقريزى ص ٢٨٤.

وأخطأ شارح الامتاع وذكر (ابن خولى) والصواب ما أثبتناه.

<sup>١٦٢</sup> (٢) إشارة إلى قصة الافك التى نزلت فى شأنها الايات ١١ - ١٧ من سورة النور فى براءة امّ المؤمنين عائشة عمّا رُميت به كما روتها هى، أو فى براءة مارية عمّا رُميت به على قول غيرها، كما فى الجزء الثانى من أحاديث امّ المؤمنين عائشة.

<sup>١٦٣</sup> (١). مسند أحمد ٥ / ٣٩٠ و ٤٥٣. وراجع صحيح مسلم ٨ / ١٢٢ - ١٢٣، باب صفات المنافقين.

وإنّ التشرّف بصحبة النبيّ (ص) ليس أكثر امتيازاً من التشرّف بالزواج بالنبيّ (ص)، فإنّ مصاحبتهنّ له كانت من أعلى درجات الصحبة، وقد قال الله تعالى في شأنهنّ:

يا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا \* وَمَن يَفْعَلْ مِثْلَ ذَلِكَ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهِ رِسَالَةٌ إِتَتْكُم مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَانَ مُوسَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَسُولًا وَقَدْ أَخَذَنَّا أَخِي هَارُونَ بِمَا أَخَذْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَمَلًا بَشَرًا لَّئِن لَّمْ يَكُنْ لَّهِ رِسَالَةٌ إِتَتْكُم لَكُنْتُمْ أَكْثَرًا مُّجْرِمِينَ \* يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النَّسَاءِ ... الاحزاب / ٣٠ - ٣٢.

وقال في اثنتين منهنّ:

إِنْ تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُمْسِكِ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ - إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى - ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةٌ نُّوحُ وَامْرَأَةٌ لُوطُ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّذَيْنِ آمَنُوا امْرَأَةٌ فَرَعَوْنِ إِذْ قَالَتُ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ... وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ ... التَّحْرِيمِ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى آخِرِهَا.

ومنهم من أخبر عنهم الرسول (ص) في قوله عن يوم القيامة:

ص: ١٢٦

«وإنّه يُجاء برجال من امتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول : يا ربّ اصحابي . فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح : وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المائدة / ١١٧ . فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم».<sup>١٦٥</sup>

وفي رواية:

«ليردنّ علىّ ناس من أصحابي الحوض حتّى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول : أصحابي، فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك».<sup>١٦٦</sup>

ومجمع الزوائد ١ / ١١٠ و ٦ / ١٩٥ . ومغازي الواقدي ٣ / ١٠٤٢ . وإمتاع الاسماع للمقريزي ص ٤٧٧ .

وفي تفسيره وهما بما لم ينالوا E\ الاية ٧٤ من سورة التوبة بتفسير الدر المنثور للسيوطي ٣ / ٢٥٨ - ٢٥٩ .

<sup>١٦٤</sup> (٢) . جاء في أحاديث الشيعة أنّ ذلك كان عند مرجعه من حجة الوداع وبمناسبة واقعة غدیر خم بأرض الجحفة . وراجع الملحق بآخر الكتاب . البحار . ط .

المكتبة الإسلامية بطهران سنة ١٣٩٢

هـ، ٢٨ / ١٠٦ .

<sup>١٦٥</sup> (١) . صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة المائدة، باب وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني، وكتاب الانبياء، باب واتخذ الله إبراهيم

خليلا . والترمذي، أبواب صفة القيامة، باب ما

جاء في شأن الحشر، وتفسير سورة طه .

<sup>١٦٦</sup> (٢) . البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض ٤ / ٩٥، وراجع كتاب الفتن، باب ما جاء في قوله تعالى: \ وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ ... E\ الانفال / ٢٥، منه . وابن

ماجة، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، ح ٥٨٣٠ . وراجع مسند أحمد ١ / ٤٥٣ و ٣ / ٢٨ و ٥ / ٤٨ .

وفي صحيح مسلم:

«ليردنّ علىّ الحوض رجال ممن صاحبنى حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إلىّ اختلجوا دونى، فلاقولنّ: أى ربّ اصيحابى. فليقالنّ لى: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»<sup>١٦٧</sup>.

ضابطة لمعرفة المؤمن والمنافق:

لما كان فى الصحابة منافقون لا يعلمهم إلّا الله، وقد أخبر نبيّه بأنّ عليا لا يحبّه إلّا مؤمن ولا يبغضه إلّا منافق، كما رواه الامام علىّ (ع)<sup>١٦٨</sup> وأمّ المؤمنين

ص: ١٢٧

أمّ سلمة،<sup>١٦٩</sup> وعبد الله بن عباس<sup>١٧٠</sup>، وأبو ذرّ الغفارى،<sup>١٧١</sup> وأنس ابن

ص: ١٢٨

مالك،<sup>١٧٢</sup> وعمران بن حصين.<sup>١٧٣</sup> وكان ذلك شائعا ومشهورا فى عصر رسول الله (ص):

قال أبو ذرّ: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلّف عن الصلوات والبغض لعلىّ بن أبى طالب.<sup>١٧٤</sup>

<sup>١٦٧</sup> (٣). صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ٤ / ١٨٠٠، ح ٤٠.

<sup>١٦٨</sup> (٤). الامام علىّ ابن عمّ الرسول أبى طالب بن عبد المطلب: ولد فى جوف الكعبة، كما رواه الحاكم فى المستدرک ٣ / ٤٨٣. والمالكى فى الفصول المهمة. وابن المغازلى الشافعى (ت: -).

<sup>١٦٩</sup> (١). أمّ سلمة هند ابنة أبى امية بن المغيرة القرشى المخزومى: كانت قبل رسول الله (ص) عند أبى سلمة بن عبد الاسد المخزومى، أسلما قديما وهاجرا إلى الحبشة ثمّ إلى المدينة. ولما جرح أبو سلمة باحد وتوفى سنة ثلاث من الهجرة، تزوّجها رسول الله وكانت مصيبة، وتوفيت بعد قتل الحسين سنة إحدى وستين. روى عنها أصحاب الصحاح ٣٧٨ حديثا. راجع ترجمتها وترجمة زوجها باسد الغابة، وجوامع السيرة ص ٢٧٦، وتقريب التهذيب ٢ / ٦١٧. وحديثها فى شأن المنافقين فى سنن الترمذى ١٣ / ١٦٨. ومسند أحمد ٦ / ٢٩٢. والاستيعاب ٢ / ٤٦٠، بطرق متعدّدة. وتأريخ ابن كثير ٧ / ٣٥٤. وكنز العمال، ط. الاولى ٦ / ١٥٨.

<sup>١٧٠</sup> (٢). عبد الله ابن عمّ النبی العباس بن عبد المطلب، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، وتوفى سنة ثمان وستين بالطائف، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٦٦٠ حديثا. ترجمته باسد الغابة والاصابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

<sup>١٧١</sup> (٣). أبو ذرّ جندب أو بريد بن جنادة أو عبد الله أو السكن أو غير ذلك: تقدّم إسلامه وتأخّرت هجرته، فشهد ما بعد بدر من غزوات رسول الله. توفى منفيا بالربذة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٨١ حديثا. ترجمته فى التقريب ٢ / ٤٢٠. وجوامع -

<sup>١٧٢</sup> (١). أنس بن مالك بن النضر الانصارى الخزرجى: روى هو أنّه خدم النبي عشر سنين، كان يخلق ذراعيه بخلوق للمعة بياض كانت به، وكان ذلك من دعاء الامام على عليه لكتمانه الشهادة بحديث الغدير أن يضره الله ببيضاء لا تواربها العمامة، أشار إليه فى الاعلاق النفيسة ص ١٢٢، وتفصيله بشرح نهج البلاغة ٤ / ٣٨٨، وتوفى فى البصرة بعد التسعين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٨٦ حديثا.

ترجمته باسد الغابة. والتقريب. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته فى شأن المنافقين بكنز العمال، ط. الاولى ٧ / ١٤٠.

<sup>١٧٣</sup> (٢). أبو نجيد عمران بن حصين الخزاعى الكعبى: أسلم عام خيبر، وصحب الرسول وقضى بالكوفة، وتوفى بالبصرة سنة ٥٢. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨٠ حديثا. وروايته بشأن المنافقين

بكنز العمال، ط. الاولى ٧ / ١٤٠. ترجمته فى التقريب ٢ / ٧٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

وقال أبو سعيد الخدرى: إنا كنا نعرف المنافقين - نحن معاشر الانصار - بيغضهم على بن أبي طالب.<sup>١٧٥</sup>

وقال عبد الله بن عباس: إنا كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (ص) بيغضهم على بن أبي طالب.<sup>١٧٦</sup>

ص: ١٢٩

وقال جابر بن عبد الله الانصارى: ما كنا نعرف المنافقين إلا بيغض على بن أبي طالب.<sup>١٧٧</sup>

لهذا كله ولقول رسول الله (ص) فى حق الامام على (ع):

«اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».<sup>١٧٨</sup>

فهم محتاطون فى أخذ معالم دينهم من صحابى عادى عليا ولم يواله، حذرا من أن يكون الصحابى من المنافقين الذين لا يعلمهم إلا الله.

ص: ١٣١

الفصل الثالث: خلاصة بحث الصحابة لدى المدرستين

ص: ١٣٣

الصحابى وعدالته فى مدرسة الخلفاء:

ترى مدرسة الخلفاء أن الصحابى من لقي النبى (ص) مؤمنا به، ولو ساعة من نهار، ومات على الاسلام.

<sup>١٧٤</sup> (٣). مستدرک الصحيحين ١٢٩ / ٣. وكنز العمال ٩١ / ١٥.

<sup>١٧٥</sup> (٤). أبو سعيد سعد بن مالك بن سنان الخزر جى الخدرى: شهد الخندق وما بعدها . مات بالمدينة سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل : سنة أربع وسبعين. وروى عنه أصحاب الصحاح ١١٧٠ حديثا. ترجمته باسد الغاية ٢ / ٢٨٩، والتقريب ١ / ٢٨٩. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وحديثه فى شأن المنافقين فى صحيح الترمذى ١٣ / ١٦٧، وحلية أبى تميم ٦ / ٢٨٤.

<sup>١٧٦</sup> (٥). فى تاريخ بغداد ٣ / ١٥٣، قال: كانوا عند ابن مسعود فتلا ابن عباس: «يُعْجِبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» الفتح / ٢٩. قال: على بن أبي طالب. ثم قال: إنا كنا نعرف -

<sup>١٧٧</sup> (١). جابر بن عبد الله بن عمرو الانصارى السلمى : صحابى ابن صحابى، شهد بيعة العقبة مع أبيه، وشهد ١٧ غزوة مع النبى وصقن مع الامام على، ومات بالمدينة بعد السبعين. روى عنه أصحاب الصحاح ١٥٤٠ حديثا. ترجمته باسد الغاية ١ / ٢٥٦ - ٢٥٧. والتقريب ١ / ١٢٢. وجوامع السيرة ص ٢٧٦. وروايته فى شأن المنافقين فى الاستيعاب ٢ / ٤٦٤. والرياض النضرة ٢ / ٢٨٤. وفى تاريخ الذهبى ٢ / ١٩٨ ولفظه: (ما كنا نعرف منافقى هذه الامة). وفى مجمع الزوائد ٩ / ١٣٣ ولفظه: (ما كنا نعرف منافقينا معشر الانصار ...).

<sup>١٧٨</sup> (٢). سنن الترمذى ١٣ / ١٦٥، باب مناقب على. وسنن ابن ماجه، باب فضل على، الحديث المرقم ١١٦. وخصائص النسائى ص ٤ و ٣٠. ومسنند أحمد ١ / ٨٤، ٨٨، ١١٨، ١١٩، ١٥٢ و ٣٣٠، ٤ / ٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠ و ٣٧٢، ٥ / ٣٠٧، ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٦، ٤١٩ و ٥٤٨. ومستدرک الصحيحين ٢ / ١٢٩ و ٣ / ٩. والرياض النضرة ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٥. وتاريخ بغداد ٧ / ٣٧٧ و ٨ / ٢٩٠ و ١٢ / ٣٤٣. ومصادر اخرى كثيرة.

وأنه لم يبقَ بمكّة والطائف أحدٌ سنة عشر إلّا أسلم وشهد مع النبي (ص) حجّة الوداع.

وأنه لم يبقَ فى الاوس والخزرج أحد فى آخر عهد النبي (ص) إلّا دخل فى الاسلام.

وأنهم (كانوا فى الفتوح لا يؤمّرون إلّا الصحابة) وبهذه القاعدة عدّوا جمعا فى عداد الصحابة ممّن برهنّا فى كتابنا (خمسون ومائة صحابى مختلف) أنّهم مختلفون ولم يكن لهم وجود فى التاريخ.

وترى أنّ جميع الصحابة عدول لا يتطرق إليهم الجرح، ومن انتقص أحدا منهم فهو من الزنادقة، ثم يلتزمون بصحّة كلّ ما رواه من سُمى فى اصطلاحهم بالصحابى، ويأخذون من جميعهم معالم دينهم.

### الصحابىّ فى مدرسة أهل البيت (ع):

ترى مدرسة أهل البيت (ع) أنّ لفظ الصحابىّ ليس مصطلحا شرعيا، وإنّما شأنه شأن سائر مفردات اللغة العربية، و (الصاحب) فى لغة العرب بمعنى الملازم والمعاشر ولا يقال إلّا لمن كثرت ملازمته، والصحبة نسبة بين اثنين، ولذلك لا يستعمل الصاحب وجمعه الاصحاب والصحابة فى الكلام إلّا مضافا، كما ورد فى القرآن الكريم **يا صاحِبِى السَّجْنِ و أَصْحَابُ مُوسَى**. وكذلك كان يستعمل فى عصر الرسول (ص) ويقال: صاحب

ص: ١٣٤

رسول الله، وأصحاب رسول الله، مضافا إلى رسول الله (ص) أو مضافا إلى غيره، مثل قولهم (أصحاب الصُّفّة) لمن كانوا يسكنون صُفّة مسجد الرسول (ص) ثمّ استعمل الصحابى بعد رسول الله (ص) بلا مضاف إليه وقصد به أصحاب رسول الله (ص) وصار اسما لهم، وعلى هذا فإنّ (الصحابى) و (الصحابة) من اصطلاح المتشرّعة وتسمية المسلمين وليس اصطلاحا شرعيا.

أمّا عدالتهم؛ فإنّ مدرسة أهل البيت ترى - تبعا للقرآن الكريم - أنّ فى الصحابة منافقين مردوا على النفاق، ورّموا فراش رسول الله (ص) بالافك، وحاولوا اغتيال رسول الله (ص) وأخبر عنهم الرسول أنّهم يوم القيامة يختلجون دون رسول الله (ص) فينادى: اصيحابى اصيحابى، فيقال له: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم . وإنّ منهم مؤمنين أثنى الله عليهم والرسول (ص) فى أحاديثه، وأنّهم المقصودون فى ما ورد من الثناء فى القرآن والحديث، وقد عيّن النبي (ص) العلامة الفارقة بين المؤمن والمنافق: حبّ الامام على وبغضه، ومن ثمّ فإنّهم ينظرون فى حال الراوى فإن كان ممّن قاتل الامام عليّا أو الائمة من أهل البيت (ع) وعاداهم فإنّهم لا يلتزمون بأخذ ما يروى أمثال هؤلاء، صحابيا كان أو غير صحابى.

\*\*\*

كان هذا رأى المدرستين فى تعريف الصحابى وعدالته. وفى ما يأتى بحوثهما فى الامامة والخلافة.

ص: ١٣٥

البحث الثاني: بحوث المدرستين في الامامة

ص: ١٣٦

الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الاسلام

بحوث مدرسة الخلفاء في الامام

بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الامامة

خلاصة بحث الامامة لدى المدرستين

ص: ١٣٧

الفصل الاول: الواقع التاريخي لقيام الخلافة في صدر الاسلام

ص: ١٣٨

أمر كتابة وصية رسول الله (ص).

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول.

السقيفة وبيعة أبي بكر.

دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه.

التحصن بدار فاطمة عليها السلام.

من تخلف عن بيعة الخليفة أبي بكر.

إستخلاف عمر وبيعته.

الشورى وبيعة عثمان.

الامام على (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه.

بيعة الامام (ع).

ص: ١٣٩

ينبغي لنا قبل الشروع في دراسة رأى المد رستين في الامامة والخلافة، أن ندرس الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام، فنقول:

بُدئ الخلاف في أمر الحكم في الاسلام يوم وفاة رسول الله (ص). فقد كان رسول الله (ص) عقد لواء بيده لمولاه وابن مولاه اسامة بن زيد لحرب الروم، وأمره على جيش لم يبقَ أحَدٌ من وجوه المهاجرين الاولين والانصار إلَّا انتدب فيه، فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد ... فعسكر بالجرف - موضع على ثلاثة أميال من المدينة - فتكلم قوم وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين! فغضب رسول الله (ص) غضبا شديدا، وخرج معصبا، عليه قطيفة، فصعد المنبر وقال:

«ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري اسامة؟ ولقد طعنتم في إمارة أبيه قبله . وأيم الله إن كان للامارة خليقا، وإن ابنه من بعده لخليق للامارة».

ثم نزل.

وجاء الذين يخرجون مع اسامة يودعونهم ويمضون إلى المعسكر. وثقل رسول الله (ص)، وجعل يقول:

«أنفذوا بعث اسامة».

فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله (ص) وجعه.

وفي يوم الاثنين أمر اسامة الجيش بالرحيل، فجاءهم الخبر أن رسول الله (ص) يموت. فأقبل اسامة وعمر وأبو عبيدة إلى المدينة.<sup>١٧٩</sup>

ص: ١٤٠

أمر كتابة وصية رسول الله (ص):

روى ابن عباس وقال:

لما حضر النبي (ص) وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال:

«هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده».

قال عمر: إن النبي غلبه الوجع وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله.

واختلف أهل البيت، فمنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللفظ والاختلاف قال:

<sup>١٧٩</sup> (١). أوردتها ملخصة من طبقات ابن سعد، ط. بيروت ٢ / ١٩٠ - ١٩٢. وراجع بقية مصادره في باب بعث اسامة من عبد الله بن سبأ، الجزء الاول.

«قوموا عني، لا ينبغي عندى التنازع».<sup>١٨٠</sup>

وفى رواية:

بكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء فقال: اشتد برسول الله (ص) وجعه، فقال:

«إئتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا».

فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي التنازع، فقالوا، هجر رسول الله (ص)....<sup>١٨١</sup>

وفى رواية:

فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (ص) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم.<sup>١٨٢</sup>

ص: ١٤١

موقف الخليفة عمر في وفاة الرسول (ص):

توفى رسول الله (ص) نصف النهار يوم الاثنين وأبو بكر غائب بالسنح، وعمر حاضر، فاستأذن عمر ودخل عليه مع المغيرة بن شعبه، وكشف الثوب عن وجهه، وقال عمر:

وا غشياه، ما أشد غشى رسول الله (ص).

فقال المغيرة: مات والله رسول الله (ص).

فقال عمر: كذبت، ما مات رسول الله (ص)، ولكنك رجل تحوسك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يُفنى المنافقين.<sup>١٨٣</sup>

أخذ عمر يقول: إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى، إن رسول الله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى عن قومه وغاب أربعين ليلة. والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال وأرجل من يزعمون أنه مات.<sup>١٨٤</sup>

<sup>١٨٠</sup> (١). البخارى، كتاب العلم، باب كتابة العلم / ١ - ٢٢ - ٢٣.

<sup>١٨١</sup> (٢). البخارى، باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد / ٢ - ١٢٠، وكتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب . وفى صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ترك الوصية. وراجع سائر مصادر الخبر ونصومه فى أول خبر السقيفة فى حديث غير سيف من كتاب عبد الله بن سبأ، ط. الخامسة، بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ، / ١ - ٩٨ - ١٠٢.

<sup>١٨٢</sup> (٣). صحيح البخارى، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب كراهية الخلاف، وباب قول المريض: قوموا عني، من كتاب المرضى، وفى باب مرض النبي من كتاب المغازى. وبآخر باب ترك الوصية من كتاب الوصية من صحيح مسلم. وسائر مصادره فى كتاب عبد الله بن سبأ -

<sup>١٨٣</sup> (١). مسند أحمد / ٦ / ٢١٩. وسائر مصادره فى عبد الله بن سبأ / ١ - ١٠٢ - ١٠٣.

<sup>١٨٤</sup> (٢). تاريخ الطبرى، ط. اوربا / ١ - ١٨١٨.



من قال إنه مات علوت رأسه بسيفي، وإنما ارتفع إلى السماء.<sup>١٨٥</sup>

فُتلى عليه في المسجد:

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.<sup>١٨٦</sup>

ص: ١٤٢

وقال العباس بن عبد المطلب: إن رسول الله قد مات وإني رأيت في وجهه ما لم أزل أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت، وقال: هل عند أحدكم عهد من رسول الله (ص) في وفاته فليحدثنا؟ قالوا: لا. فقال: اشهدوا أيها الناس أن أحدا لا يشهد على رسول الله بعهد عهد إليه في وفاته....<sup>١٨٧</sup>

فما زال عمر يتكلم حتى أزيد شدا،<sup>١٨٨</sup> حتى جاء الخليفة أبو بكر من السنح وتلا: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ الآية.

فقال عمر: هذا في كتاب الله؟ قال: نعم. فسكت عمر.<sup>١٨٩</sup>

السقيفة وبيعة أبي بكر:

اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة، وتبعهم جماعة من المهاجرين، ولم يبق حول رسول الله إلّا أقاربه، وهم تولّوا غسله وتكفينه وهم: عليّ، والعبّاس، وابناه الفضل وقثم، واسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله، وأوس ابن خولى الانصارى.<sup>١٩٠</sup>

ص: ١٤٣

السقيفة برواية الخليفة عمر:

---

<sup>١٨٥</sup> (٣). تأريخ أبي الفداء ١/١٦٤.

<sup>١٨٦</sup> (٤). رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢ ق ٥٧. وفي كنز العمال ٤/٥٣، ح ١٠٩٢. وابن كثير في ٥/٢٤٣ من تأريخه. ورواه الاميني في غديره عن شرح الواهب للزرقاني ٨/٢٨١. وراجع ابن ماجه، ح ٦٢٧، والاية ١٤٤ من سورة آل عمران.

<sup>١٨٧</sup> (١). رواه ابن سعد في طبقاته ٢/٢ ق ٥٧. وابن كثير في تأريخه ٥/٢٤٣. وفي السيرة الحلبية ٣/٣٩٠-٣٩١. وكنز العمال ٤/٥٣، ح ١٠٩٢. والتمهيد للباقلاني ص ١٩٢-١٩٣.

<sup>١٨٨</sup> (٢). أنساب الاشراف ١/٥٦٧. وابن سعد ٢/٢ ق ٥٣. وكنز العمال ٤/٥٣. وتأريخ الخميس ٢/١٨٥. والسيرة الحلبية ٣/٣٩٢.

<sup>١٨٩</sup> (٣). الطبقات لابن سعد ٢/٢ ق ٥٤. والطبرى ١/١٨١٧-١٨١٨. وابن كثير ٥/٢٤٣.

والسيرة الحلبية ٣/٣٩٢. وابن ماجه، ح ١٦٢٧. وإن هذه الآية التي قرأها على عمر هي التي كان ابن مكنوم قد قرأها عليه قبل ذلك. وكان التشكيك في موت الرسول يوم وفاته من خصائص الخليفة عمر ابن الخطاب، فإن أصحاب السير والمؤرخين لم يذكروا هذا التشكيك عن غيره.

<sup>١٩٠</sup> (٤). راجع النص لابن سعد في الطبقات ٢/٢ ق ٧٠. وفي البدء والتأريخ قريب منه. وكنز العمال ٤/٥٤ و ٦٠، وهذه عبارته: (ولى دفنه وإجناته أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه.

قال: إنه كان من خبرنا حين توفي الله نبيّه، أن الانصار اجتمعوا في سقيفة بنى ساعدة، وخالف عنا علىّ والزبير ومن معهما، فقلت لابي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا الانصار. فانطلقنا حتى أتيناهم، فإذا رجل مزمل، فقالوا: هذا سعد بن عباد يوعك، فلمّا جلسنا قليلا تشهّد خطيبهم فأثنى على الله، ثمّ قال: أمّا بعد، فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام، وأنّ تمّ معشر المهاجرين رهط ... فأردت أن أتكلّم، فقال أبو بكر: على رسلك. فتكلّم هو، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلّا قال في بديهته مثلها أو أفضل؛ قال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الامر إلّا لهذا الحيّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم. فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة، فلم أكره ممّا قال غيرها، فقال قائل من الانصار: أنا جديها المحكّك وعديّتها المرجب، منّا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثرت اللغظ وارتفعت الاصوات، حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده وبايعته وبايعه المهاجرون، ثمّ بايعته الانصار ونزونا على سعد بن عباد - إلى قوله - فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي يبايعه، تغرة أن يقتلا.<sup>١٩١</sup>

روى الطبري<sup>١٩٢</sup> في ذكر خبر السقيفة وبيعة أبي بكر وقال:

ص: ١٤٤

اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة، وتركوا جنازة الرسول يغسله أهله، وقالوا: نولّي هذا الامر بعد محمد سعد بن عباد. وأخرجوا سعدا إليهم وهو مريض ...

فحمد الله وأثنى عليه، وذكر سابقة الانصار في الدين وفضيلتهم في الاسلام، وإعزازهم للنبي وأصحابه وجهادهم لاعدائه، حتى استقامت العرب، وتوفّي الرسول وهو عنهم راض، وقال: استبدّوا بهذا الامر دون الناس. فأجابوه بأجمعهم أن قد وقّفت في الرأي، وأصبت في القول، ولن نعدو ما رأيت، نولّيك هذا الامر. ثمّ إنهم تراّدوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الاوّلون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلام تنازعونا هذا الامر بعده؟ فقالت طائفة منهم: فإنّا نقول إذا: منّا أمير ومنكم أمير. فقال سعد بن عباد: هذا أول الوهن.<sup>١٩٣</sup>

سمع أبو بكر وعمر بذلك، فأسرعا إلى السقيفة مع أبي عبيدة بن الجراح وانحاز م عهم اسيد بن حُضير<sup>١٩٤</sup> وُعويم بن ساعدة<sup>١٩٥</sup> وعاصم بن

<sup>١٩١</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا ١٢٠ / ٤.

<sup>١٩٢</sup> (٢). نقلنا هذا الخبر ملخّصا من تاريخ الطبري في ذكره حوادث بعد وفاة الرسول، وما كان من غير الطبري أشرنا إليه في الهامش. وقد أوردنا تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ، الجزء ١.

<sup>١٩٣</sup> (١). الطبري في ذكره لحوادث سنة ١١ هـ، ٢ / ٤٥٦، و ط. اوربا ١ / ١٨٣٨، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة الانصارى. وابن الاثير ٢ / ١٢٥. وتاريخ الخلفاء لابن قتيبة ١ / ٥، قريب منه.

وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة في الجزء الثاني من شرح ابن أبي الحديد في خطبة (ومن كلام له في معنى الانصار).

<sup>١٩٤</sup> (٢). جاء اسمه في سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٥، واسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى الاشهلى، شهد العقبة الثانية وكان ممّن ثبت في احد، وشهد جميع مشاهد النبي، وكان أبو بكر لا يقدّم أحدا من الانصار

ص: ١٤٥

عَدِي<sup>١٩٦</sup> من بنى العجلان.<sup>١٩٧</sup>

تكلّم أبو بكر - بعد أن منع عمر عن الكلام - فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ ذكر سابقة المهاجرين في التصديق بالرسول دون جميع العرب، وقال: (فهم أوّل مَنْ عبد الله في الارض وآمن بالرسول ، وهم أولياؤه وعشيرته وأحقّ الناس بهذا الامر من بعده، ولا ينازعهم ذلك إلّا ظالم ). ثمّ ذكر فضيلة الانصار، وقال : (فليس بعد المهاجرين الاولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الامراء، وأنتم الوزراء).

فقام الحباب بن المنذر<sup>١٩٨</sup> وقال: يا معشر الانصار املكوا عليكم أمركم فإنّ ا لناس في فيئكم وفي ظلّكم، ولن يجترى ء مجترى ء على خلافكم، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، ويتنقض عليكم أمركم . فإنّ أبى هؤلاء إلّا ما سمعتم، فمنّا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات! لا يجتمع اثنان في قرن ... والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيّها من غيركم، ولكنّ العرب لا تمتنع أن تولّى أمرها من كانت النبوة فيهم، وولى امورهم منهم. ولنا بذلك على من أبى الحجّة الظاهرة

ص: ١٤٦

والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته<sup>١٩٩</sup> إلّا مدلّ بباطل أو متجانف لاثم أو متورّط في هلكة.

فقام الحباب بن المنذر وقال: يا معشر الانصار، املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر، فإنّ أبوا عليكم ما سألتموهم، فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولّوا عليهم هذه الامور، فأنتم والله أحقّ بهذا الامر

---

عليه. توفّي سنة ٢٠ أو ٢١ هـ فحمل عمر نعشه بنفسه. روى عنه أصحاب الصحاح ١٨ حديثا. ترجمته في الاستيعاب ١ / ٣١ - ٣٣. والاصابة ١ / ٦٤. وجوامع السيرة ص ٢٨٣.

<sup>١٩٥</sup> (٣). عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس بن التعمان بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن -

<sup>١٩٦</sup> (٤). عاصم بن عدى بن الجدّ بن العجلان بن حارثة بن ضُبَيْعَة بن حرام البلوى العجلاني، حليف الانصار، وكان سيد بنى عجلان . شهد احدا وما بعدها.

توفّي سنة ٤٥ هجرية. الاستيعاب ٣ / ١٣٣.

والاصابة ٢ / ٢٣٧. واسد الغابة ٣ / ٧٥.

<sup>١٩٧</sup> (٥). سيرة ابن هشام ٤ / ٣٣٩.

<sup>١٩٨</sup> (٦). الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الانصاري، شهد بدرًا وما بعدها، وتوفّي في خلافة عمر . الاستيعاب

بهماش الاصابة ١ / ٣٥٣. والاصابة ١ / ٣٠٢. واسد الغابة ١ / ٣٦٤. ونسبه في جمهرة ابن حزم ص ٣٥٩.

<sup>١٩٩</sup> (١). لَمَّا سمع علىّ بن أبى طالب هذا الاحتجاج من المهاجرين قال: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة. النهج وشرحه لابن أبى الحديد، ط. الاولى ٢ / ٢.

منهم، فإنه بأسيا فكم دان لهذا الدين من لم يكن يدين به . أنا جُذِيْلُهَا الْمُحَكِّكَ<sup>٢٠٠</sup> وَغُذِيْقُهَا الْمُرْجَبُ<sup>٢٠١</sup>. أما واللّه لو شئتم لتُعيدنها جَذَعَةً.<sup>٢٠٢</sup>

قال عمر: إذا يقتلك الله.

قال: بل إِيَّاكَ يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الانصار، إنكم كنتم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

فقام بشير بن سعد الخزرجي أبو النعمان بن بشير فقال: يا معشر الانصار، إنا والله لئن كنّا أولى فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلّا رضا ربنا وطاعة نبيّنا والكدح لانفسنا؛ فما ينبغي لنا أن

ص: ١٤٧

نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغي به من الدنيا عرضا، فإنّ الله وليّ النعمة علينا بذلك، ألا إن محمدا (ص) من قريش، وقومه أحقّ به وأولى، وأيم الله لا يراني الله انازعهم هذا الامر أبدا، فاتّقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.

فقال أبو بكر: هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأَيُّهما شئتم فبايعوا، فقالا: والله لا نؤلّي هذا الامر عليك ... الخ.<sup>٢٠٣</sup>

(وقام عبد الرحمن بن عوف، وتكلّم فقال: يا معشر الانصار إنكم وإن كنتم على فضل، فليس فيكم مثل أبي بكر وعمر وعلى. وقام المنذر بن الارقم فقال: ما ندفع فضل من ذكرت، وإنّ فيهم لرجلا لو طلب هذا الامر لم ينازعه فيه أحد - يعني على بن أبي طالب-).<sup>٢٠٤</sup>

(فقال الانصار أو بعض الانصار: لا نبايع إلّا عليا).<sup>٢٠٥</sup>

قال عمر: فكثرت اللغظ وارتفعت الاصوات حتّى تخوّفت الاختلاف فقلت: ابسط يدك لأبايعك.<sup>٢٠٦</sup> فلما ذهب ليبايعه، سبقهما إليه بشير بن سعد فبايعه، فناداه الحُباب بن المنذر: يا بشير بن سعد عَقَقْتَ عَقَاقُ! <sup>٢٠٧</sup> أنفست على ابن عمك الامارة؟ فقال: لا والله، ولكنني كرهت أن انازع قوما حقّا جعله الله لهم.

<sup>٢٠٠</sup> (٢). جُذِيْلُهَا، تصغير الجذل: أصل الشجرة. والمحك: عود ينصب في مبارك الابل لتتم رس به الابل الجري، أي قد جربتني الامور ولي رأى وعلم يُستفنى بهما كما تستفنى هذه الابل الجري بالجدل، وصغره على جهة المدح.

<sup>٢٠١</sup> (٣). عذيق: تصغير العذق، وهي: النخلة. المرجب: ما جعل له رجة، وهي: دعامة تبني من الحجارة حول النخلة الكريمة إذا طالت وتخوّفوا عليها أن تنقع في الرياح العواصف.

<sup>٢٠٢</sup> (٤). أعدت الامر جذعا، أي جديدا كما بدأ، وإذا اطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم: إن شئتم أعدناها جذعة، أي: أول ما يبتدأ فيها.

<sup>٢٠٣</sup> (١). لم نسجل هنا بقيّة الحوار وتعليقنا عليه طلبا للاختصار.

<sup>٢٠٤</sup> (٢). رواه اليعقوبي بعد ذكر ما تقدّم في تاريخه ١٠٣ / ٢. والموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٧٩.

<sup>٢٠٥</sup> (٣). في رواية الطبري ٢٠٨ / ٣، (و ط. اوربا ١ / ١٨١٨) عن إبراهيم. وابن الاثير ١٢٣ / ٢: «أنّ الانصار قالت ذلك بعد أن بايع عمر أبا بكر».

<sup>٢٠٦</sup> (٤). عن سيرة ابن هشام ٣٣٦ / ٤. وجميع من روى حديث الفلثة. راجع بعده حديث الفلثة في ذكر رأى عمر في بيعة أبي بكر.

ولمّا رأَت الاوس ما صنع بشير بن سعد وما تدعو إليه قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة، قال بعضهم لبعض - وفيهم اسيد بن حضير

ص: ١٤٨

وكان أحد النقباء -: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة، لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.<sup>٢٠٨</sup>

فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم ... فأقبل الناس من كلّ جانب يبايعون أبا بكر، وكادوا يطأون سعد بن عبادة .

فقال اناس من أصحاب سعد: اتقوا سعدا لا تطأوه.

فقال عمر: اقتلوه، قتله الله.

ثمّ قام على رأسه فقال: لقد هممتُ أن أطأك حتّى تنذرَ عضوك . فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلا يا عمر! الرفق ها هنا أبلغ.

فأعرض عنه عمر.<sup>٢٠٩</sup>

وقال سعد: أما والله لو أنّ بي قوّة ما أقوى على النهوض لسمعت منّي فى أقطارها وسككها زئيراً يُجحرُك وأصحابك . أما والله إذا لالحقنك يقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع. احملونى من هذا المكان. فحملوه فأدخلوه فى داره.<sup>٢١٠</sup>

وروى أبو بكر الجوهري: أنّ عمر كان يومئذ - يعنى يوم بويح أبو بكر -

ص: ١٤٩

محتنجزا يهرول بين يدي بكر ويقول: ألا إنّ الناس قد بايعوا أبا بكر - الخ.<sup>٢١١</sup>

<sup>٢٠٧</sup> (٥). الطبرى، ط. اوربا ١/ ١٨٤٢. وفى رواية ابن أبى الحديد: عَقَكَ عَقاق.

<sup>٢٠٨</sup> (١). وفى رواية أبى بكر فى سقيفته: لمّا رأَت الاوس أنّ رؤيسا من رؤساء الخزرج قد بايع، قام اسيد بن حضير - وهو رئيس الاوس - فبايع حسدا لسعد ومنافسِق له أن يلى الامر. راجع شرح النهج ٢/ ٢ فى شرحه (ومن كلام له فى معنى الانصار).

<sup>٢٠٩</sup> (٢). إنّ هذا الموقف يوضح بجلاء جماع سياسة الخليفتين من شدّة ولين.

<sup>٢١٠</sup> (٣). الطبرى ٣/ ٤٥٥ - ٤٥٩، و ط. اوربا ١/ ١٨٤٣. (و) تنذر عضوك) كذا جاء ويعنى تسقط أعضاءك.

<sup>٢١١</sup> (١). فى كتابه السريفة، راجع ابن أبى الحديد ١/ ١٣٣. وفى ص ٧٤ منه بلفظ آخر.

بايع الناس أبا بكر وأتوا به المسجد يبايعونه فسمع العباس وعليّ التكبير في المسجد ولم يفرغوا من غسل رسول الله (ص).

فقال علي: ما هذا؟

قال العباس: ما رئي مثل هذا قط!! أما قلت لك؟!<sup>٢١٢</sup>

**الندير:**

وجاء البراء بن عازب فضرب الباب على بنى هاشم وقال:

يا معشر بنى هاشم! بوبع أبو بكر.

فقال بعضهم لبعض: ما كان المسلمون يحدثون حدثا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد.

فقال العباس: فعلوها وربّ الكعبة!

وكان عامّة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكّون أنّ عليّا هو صاحب الامر بعد رسول الله (ص).<sup>٢١٣</sup>

وكان المهاجرون والانصار لا يشكّون في علي.

روى الطبري: أنّ (أسلم) أقبلت بجماعتها حتّى تضايق بهم السكك فبايعوا أبا بكر فكان عمر يقول:

**ص: ١٥٠**

(ما ه و إلّا أنّ رأيت أسلم فأيقنت بالنصر).<sup>٢١٤</sup>

فلما بوبع أبو بكر أقبلت الجماعة التي بايعته تزفّه زفّا إلى مسجد رسول الله (ص) فصعد على المنبر - منبر رسول الله (ص) - فبايعه الناس حتّى أمسى، وشغلوا عن دفن رسول الله حتّى كانت ليلة الثلاثاء.<sup>٢١٥</sup>

**البيعة العامة:**

<sup>٢١٢</sup> (٢). ابن عبد ربّه في العقد الفريد ٢٥٨ / ٤. وأبو بكر الجوهري في كتابه السقيفة برواية ابن أبي الحديد عنه في ١ / ١٣٢، ويروى تفصيله في ص ٧٤ منه. والزبير بن بكار في الموفقيات ص ٥٧٧ - ٥٨٠، ٥٨٣ و ٥٩٢. كما يروى عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢ / ٢ - ١٦، في شرحه: (ومن كلام له في معنى الانصار).

<sup>٢١٣</sup> (٣). الموفقيات للزبير بن بكار ص ٥٨٠.

<sup>٢١٤</sup> (١). الطبري ٢ / ٤٥٨، و ط. اوربا ١ / ١٨٤٣. وفي رواية ابن الاثير ٢ / ٢٢٤: (وجاءت أسلم فبايعت). وقال الزبير بن بكار في الموفقيات برواية النهج ٦ / ٢٨٧: «فقوى بهم أبو بكر»، ولم يعينّا متى جاءت أسلم، ويقوى الظنّ أنّ يكون ذلك يوم الثلاثاء. وقال المفيد في كتابه «الجمّل»: إنّ القبيلة كانت قد جاءت لتمتار من المدينة، (الجمّل ص ٤٣).

<sup>٢١٥</sup> (٢). الموفقيات ص ٥٧٨. والرياض النضرة ١ / ١٦٤. وتاريخ الخميس ١ / ١٨٨.

ولمّا بويع أبو بكر فى السقيفة وكان فى الغد، جلس أبو بكر على المنبر، فقام عمر فتكلّم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه ...، وذكر أنّ قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ولا عهدا من رسوله ولكنّه كان يرى أنّ الرسول سيديّبر أمرهم ويكون آخرهم. ثمّ قال:

وإنّ الله قد أبقي فىكم كتابه الذى به هدى رسوله . فإنّ اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له . وإنّ الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله (ص ثانى اثنين إذ هما فى الغار، فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر ببيعته العامّة بعد بيعة السقيفة.

وفى البخارى: (وكان طائفة منهم قد با يعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة أبى بكر العامّة على المنبر .) قال أنس بن مالك: (سمعت عمر يقول لابي بكر يومئذ: إصعد المنبر. فلم يزل به حتّى صعد المنبر فبايعه الناس عامّة).

ثمّ تكلم أبو بكر، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

ص: ١٥١

(أمّا بعد، أيّها الناس، فإنّى قد وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينونى، وإن أسأت فقومونى - إلى قوله:- أطيعونى ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله).<sup>٢١٦</sup>

بعد بيعة أبى بكر العامّة:

(توفّى رسول الله يوم الاثنين حين زاغت الشمس فشغل الناس عن دفنه).<sup>٢١٧</sup>

شُغل الناس عن رسول الله بقيّة يوم الاثنين حتّى عصر الثلاثاء:

أولاً: بخطب السقيفة.

ثمّ: بيعة أبى بكر الاولى ثمّ ببيعته العامّة وخطبته وخطبة عمر حتّى صلّى بهم.

قالوا: (فلمّا بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله يوم

الثلاثاء).<sup>٢١٨</sup> (ثمّ دخل الناس يصلّون عليه).<sup>٢١٩</sup> (وصلّى على رسول الله بغير

<sup>٢١٦</sup> (١). ابن هشام ٣٤٠ / ٤. والطبرى ٢٠٣ / ٣ (و ط. اوربا ١ / ١٨٢٩). وعيون الاخبار لابن قتيبة ٢ / ٢٣٤. والرياض النضرة ١ / ١٦٧. وابن كثير ٥ / ٢٤٨.

والسيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٤٧. وكنز العمال ٣ / ١٢٩، ح ٢٢٥٣. والحليية ٣ / ٣٩٧. وذكر البخارى فى صحيحه ص ١٦٥ من ج ٤ كتاب البيعة عن أنس،

خطبة عمر باختلاف يسير. وممّن ذكر خطبة أبى بكر فقط، أبو بكر الجوهري فى كتابه: السقيفة، حسب رواية ابن أبى الحديد عنه

١ / ١٣٤. وصفوة الصفوة ١ / ٩٨.

<sup>٢١٧</sup> (٢). طبقات ابن سعد ٢ / ٢ ق ٧٨ / ٢، ط. ليدن.

إمام. يدخل عليه المسلمون زُمراً زُمراً يصلّون عليه).<sup>٢٢٠</sup>

دفن رسول الله (ص) ومن حضر دفنه:

(وَلِيَّ وَضِعَ رَسُولَ اللَّهِ فِي قَبْرِهِ هَوْلَاءَ الرَّهْطِ الَّذِينَ غَسَلُوهُ : الْعَبَّاسُ، وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَصَالِحٌ مَوْلَاهُ. وَخَلَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَهْلِهِ، فَوَلُّوا إِجْنَانَهُ).<sup>٢٢١</sup>

(ودخل القبر عليّ، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولاة - ويقال: اسامة بن زيد - وهم تولّوا غسله وتكفينه وأمره كلّه).<sup>٢٢٢</sup> (وإنّ أبا بكر وعمر لم يشهدا دفن النبي).<sup>٢٢٣</sup>

وقالت عائشة: (ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل، ليلة الاربعاء).<sup>٢٢٤</sup>

(ولم يَلِهْ إِلَّا أَقَارِبَهُ وَلَقَدْ سَمِعَتْ بَنُو غَنَمٍ صَرِيْفَ الْمَسَاحِي حِينَ حَضَرَ وَإِنَّهُمْ لَفِي بِيوتِهِمْ).<sup>٢٢٥</sup>

وقال شيوخ الانصار من بنى غنم: (سمعنا صوت المساحي آخر الليل).<sup>٢٢٦</sup>

بعد دفن الرسول (ص):

<sup>٢١٨</sup> (٣). سيرة ابن هشام ٣٤٣/٤. والطبري ٤٥٠/٢ (و. ط. اوربا ١/١٨٣٠). وابن الاثير ١٢٦/٢. وابن كثير ٢٤٨/٥. والحلبية ٣/٣٩٢ و ٣٩٤. وهذا الاخير لم يعين اليوم الذي انتهوا فيه من بيعة أبي بكر وأقبلوا على جهاز رسول الله.

<sup>٢١٩</sup> (٤). ابن هشام ٣٤٣/٤.

<sup>٢٢٠</sup> (١). طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٠/٢. والكامل لابن الاثير، ج ٢، في ذكر حوادث سنة ١١ هـ.

<sup>٢٢١</sup> (٢). النصّ لابن سعد في الطبقات ٢/٢ ق ٧٠/٢. وفي البدء والتأريخ قريب منه. وكنز العمال ٤/٥٤ و ٤٠ و هذه عبارته: (ولي دفنه وإجنانه أربعة من الناس) ثم ذكر ما أوردناه.

<sup>٢٢٢</sup> (٣). العقد الفريد ٣/٦١. وقريب منه نصّ الذهبي في تأريخه ١/٣٢١، ٣٢٤ و ٣٢٦.

<sup>٢٢٣</sup> (٤). كنز العمال ٣/١٤٠.

<sup>٢٢٤</sup> (٥). ابن هشام ٣٤٤/٤. والطبري ٤٥٢/٢ و ٤٥٥ (و. ط. اوربا ١/١٨٣٣ و ١٨٣٧). وابن كثير ٢٧٠/٥. وابن الاثير في اسد الغابة ١/٣٤، في ترجمة الرسول. وقد جاء في روايات اخرى أنّ سماعهم صريف المساحي كان ليلة الثلاثاء كما في طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨/٢. وتأريخ الخميس ١/١٩١. والذهبي في تأريخه ١/٣٢٧، والاصحّ أنّ ذلك كان ليلة الاربعاء. وفي مسند أحمد ٦/٦٢:

في آخر ليلة الاربعاء، وفي ص ٢٤٢ منه و ص ٢٧٤: (ما علمنا أين يدفن حتّى سمعنا ...).

<sup>٢٢٥</sup> (٦). طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨/٢.

<sup>٢٢٦</sup> (١). طبقات ابن سعد ٢/٢ ق ٧٨/٢.



اندحر سعد ومرشحوه، وبقي على وجماعته - بعد أن أصبحوا أقلية - يتناحرون وحزب أبي بكر الظافر وكلّ يجتهد في جلب الانصار لحوزته . قال الزبير ابن بكار في الموفقيات : لما بويج أبو بكر واستقرّ أمره، ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ولام بعضهم بعضا، وذكروا على بن أبي طالب وهتفوا باسمه.<sup>٢٢٧</sup>

قال اليعقوبي:<sup>٢٢٨</sup>

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع عليّ ابن أبي طالب، منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس، والزبير ابن العوام، وخالد بن سعيد، والمقداد بن عمرو،<sup>٢٢٩</sup> وسلمان الفارسي، وأبو ذرّ الغفاري،

ص: ١٥٤

وعمّار بن ياسر، والبراء بن عازب،<sup>٢٣٠</sup> وابي بن كعب،<sup>٢٣١</sup> فأرسل أبو بكر إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح، والمغيرة بن شعبة.

فقال: ما الرأي؟

قالوا:<sup>٢٣٢</sup> الرأي أن تلقى العباس بن عبد المطلب فتجعل له في هذا الامر نصيبا يكون له ولعقبه من بعده فتقطعون به ناحية عليّ بن أبي طالب (وتكون لكم حجة)<sup>٢٣٣</sup> عليّ عليّ إذا مال معكم.

<sup>٢٢٧</sup> (٢) . الموفقيات ص ٥٨٣.

<sup>٢٢٨</sup> (٣) . في تأريخه ١٢٤ / ٢ - ١٢٥ . والسقيفة لابي بكر الجوهري حسب رواية ابن أبي الحديد ١٣ / ٢ ، والتفصيل في ٧٤ / ١ منه . وبلفظ قريب منه في الامامة والسياسة ١٤ / ١ .

<sup>٢٢٩</sup> (٤) . المقداد بن الاسود الكندي : هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني . أصاب دما في قومه، فلحق بحضرموت، فحالف كندة، وتزوج امرأة، فولدت له المقداد . فلما كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي شجار، فضرب رجله بالسيف، وهرب إلى مكة فحالف الاسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه الاسود، فصار يقال له: المقداد بن الاسود الكندي . فلما نزلت:  $\text{أ} \text{ادْعُوهُمْ لَابَائِهِمْ}$  الاحزاب / ٥ . قيل له: المقداد بن عمرو .

و

أ قال الرسول: «إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة من أصحابي وأخبرني أنه يحبهم» فقيل: من هم؟  $\text{E}$

أ فقال: «عليّ والمقداد وسلمان وأبو ذرّ» .  $\text{E}$

توفّي سنة ٣٣ هـ . الاستيعاب بهامش الاصابة ٣ / ٤٥١ . والاصابة ٣ / ٤٣٣ - ٤٣٤ .

<sup>٢٣٠</sup> (١) . أبو عمرو البراء بن عازب بن الحارث بن عدى بن جشم بن مجدعة بن الحارث بن عمرو ابن مالك بن الاوس الانصاري الاوسي، كان ممن استنصره الرسول يوم بدر وردّه . وغزا مع الرسول ١٤ غزوة وشهد مع عليّ الجمل وصفين والنهروان . سكن الكوفة وابتنى بها دارا وتوفّي بها في إمارة مصعب بن الزبير . الاستيعاب بهامش الاصابة ١ / ١٤٣ - ١٤٤ . والاصابة ١ / ١٤٦ .

<sup>٢٣١</sup> (٢) . ابي بن كعب بن قيس بن عبّيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجّار:

وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الاكبر . شهد العقبة الثانية وبيع النبيّ فيها وشهد بدر وما بعدها، وكان من كتّاب النبيّ . مات في آخر خلافة عمر أو صدر خلافة عثمان . الاستيعاب ١ / ٢٧ - ٣٠ . والاصابة ١ / ٣١ - ٣٢ .

<sup>٢٣٢</sup> (٣) . في نصّ الجوهري أن قاتل هذا الرأي هو المغيرة بن شعبة، وهذا هو الاقرب إلى الصواب .

<sup>٢٣٣</sup> (٤) . هذه الزيادة في نسخة الامامة والسياسة ١ / ١٤ .

فانطلق أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، والمغيرة، حتى دخلوا على العباس ليلاً،<sup>٢٣٤</sup> فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا نَبِيًّا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِيًّا. فَمَنْ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ حَتَّى اخْتَارَ لَهُ مَا عِنْدَهُ، فَخَلَّى عَلَى النَّاسِ أُمُورَهُمْ<sup>٢٣٥</sup> لِيَخْتَارُوا لِنَفْسِهِمْ فِي

ص: ١٥٥

مصلحتهم مشفقين<sup>٢٣٦</sup> فاختروني عليهم واليا ولأمورهم راعيا. فوليت ذلك وما أخاف بعون الله وتسديده وهنا، ولا حيرة، ولا جُبنا، وما توفيقى إلّا بالله عليه توكلت وإليه انيب . وما أنفكّ يبلغنى عن طاعن بقول الخلفاء على ع امة المسلمين يتخذكم لجا، فتكونوا حصنه المنيع، وخطبه البديع، فإمّا دخلتم مع الناس فى ما اجتمعوا عليه، وإمّا صرفتموهم عمّا مالوا إليه. ولقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك فى هذا الامر نصيبا يكون لك ويكون لمن بعدك من عقبك، إذ كنت عمّ رسول الله، وإن كان الناس قد رأوا مكانك ومكان صاحبك (فعدّلوا الامر عنكم)<sup>٢٣٧</sup> على رسلكم بنى هاشم فإن رسول الله منّا ومنكم.

فقال عمر بن الخطاب: واخرى إنّا لم نأتكم لحاجة إليكم، ولكن كُرّها أن يكون الطعن فى ما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم، فانظروا لانفسكم!

فحمد العباس الله وأثنى عليه وقال: إن الله بعث محمداً كما وصفت نبياً، وللمؤمنين ولياً، فمن على أمته به، حتى قبضه الله إليه واختار له ما عنده، فخلّى على المسلمين امورهم ليختاروا لانفسهم مصيبين الحق لا مائلين بزيغ الهوى . فإن كنت برسول الله طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين أخذت فنحن منهم. فما تقدّمنا فى أمرك فرطاً، ولا حللنا وسطاً، ولا برحنا سخطاً، وإن كان هذا الامر وجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنّا كارهين . ما أبعد قولك من أنّهم طعنوا عليك من قولك أنّهم اختاروك ومالوا إليك؛ وما أبعد تسميتك خليفة رسول الله م ن قولك خلّى على الناس امورهم ليختاروا فاختراروك. فأما ما قلت: إنك تجعله له، فإن كان حقاً للمؤمنين فليس لك أن

ص: ١٥٦

تحكم<sup>٢٣٨</sup> فيه، وإن كان لنا فلم نرض ببعضه دون بعض، وعلى رسلك فإن رسول الله من شجرة نحن أغصانها وأنتم جيرانها. فخرجوا من عنده.

التحصن بدار فلطمة (ع):

<sup>٢٣٤</sup> (٥). فى رواية ابن أبى الحديد أنّ ذلك كان فى الليلة الثانية بعد وفاة النبى .

<sup>٢٣٥</sup> (٦). إن ضمير (هم) موجود فى رواية ابن أبى الحديد.

<sup>٢٣٦</sup> (١). فى نسخة الامامة والسياسة وابن أبى الحديد ١ / ٧٤: (متفقين) وهو الاشبه بالصواب.

<sup>٢٣٧</sup> (٢). الزيادة فى نسخة ابن أبى الحديد والامامة والسياسة.

<sup>٢٣٨</sup> (١). فى نسخة الجوهرى والامامة والسياسة: فإن يكن حقاً لك فلا حاجة لنا فيه.

قال عمر بن الخطاب: (وإنه كان من خبرنا حين توفيَّ الله نبيَّه أن عليًّا والزبير ومَن معهما تخلَّفوا عَنَّا في بيت فاطمة).<sup>٢٣٩</sup>

وذكر المؤرخون في عداد من تخلَّف عن بيعة أبي بكر وتحصَّن بدار فاطمة مع عليٍّ والزبير كلًّا من:

١- العباس بن عبد المطلب.-----٦- المقداد بن الاسود.

٢- عتبة بن أبي لهب.-----٧- البراء بن عازب.

٣- سلمان الفارسي.-----٨- ابيّ بن كعب.

٤- أبي ذرّ الغفاري.-----٩- سعد بن أبي وقاص.<sup>٢٤٠</sup>

٥- عمّار بن ياسر.-----١٠- طلحة بن عبيد الله.

وجماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والانصار.<sup>٢٤١</sup>

ص: ١٥٧

وقد تواتر حديث تخلَّف عليٍّ ومن معه عن بيعة أبي بكر وتحصَّنهم بدار فاطمة في كتب السير، والتواريخ، والصحاح والمسانيد، والادب، والكلام، والتراجم، وغير أنّهم لمّا كرهوا ما جرى بين المتحصّنين والحزب الظافر لم يفصحوا ببيان حوادثها إلّا ما ورد ذكره عفواً. ومن ذلك ما رواه البلاذري وقال: بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى عليٍّ -رضي الله عنهم- حين قعد عن بيعته وقال: ائتنى به بأعنف العنف. فلمّا أتاه جرى بينهما كلام، فقال: احلب حلبا لك شطره؛ والله ما حرصك على إمارته اليوم إلّا ليؤثرك غدا- الحديث.<sup>٢٤٢</sup>

قال أبو بكر في مرض موته: (أما إنّي لا آسى على شيء من الدنيا إلّا على ثلاث فعلتھنّ، وددت أنّي تركتھنّ - إلى قوله -: فأما الثلاث التي فعلتها فوددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء، وإن كانوا قد أغلقوه على الحرب).<sup>٢٤٣</sup>

<sup>٢٣٩</sup> (٢). مسند أحمد ١/ ٥٥. والطبري ٢/ ٤٤٦ ط. اوريا ١/ ١٨٢٢). وابن الاثير ١/ ١٢٤. وابن كثير ٥/ ٢٤٦. وصفوة الصفوة ١/ ٩٧. وابن أبي الحديد ١/

١٢٣. وتأريخ السيوطي في مبايعة أبي بكر ص ٤٥. وابن هشام ٤/ ٣٣٨. وتيسير الوصول ٢/ ٤١.

<sup>٢٤٠</sup> (٣). أبو إسحاق سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن اهيّب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب القرشي، وكان سابع سبعة سبقوا إلى الاسلام. شهد بدرًا وما بعدها، وهو أوّل من رمى بسهم في الاسلام، وكان رأس من فتح العراق وكوّف الكوفة، ووليها لعمر وعيّن في السّنة أصحاب الشو رى، واعتزل الناس بعد مقتل عثمان. ومات بمسكنه في العقيق في خلافة معاوية، وحُمل إلى المدينة ودفن بالبقيع. الاستيعاب ٢/ ١٨- ٢٥. والاصابة ٢/ ٣٠- ٣٢.

<sup>٢٤١</sup> (٤). صرّحت المصادر الاثنية بالاضافة إلى المصادر المذكورة أنّها أنّ هؤلاء كانوا قد تخلَّفوا عن-

<sup>٢٤٢</sup> (١). أنساب الاشراف ١/ ٥٨٧.

<sup>٢٤٣</sup> (٢). الطبري ٢/ ٦١٩ ط. اوريا ١/ ٢١٤٠) عند ذكره وفاة أبي بكر. ومروج الذهب ١/ ٤١٤. وابن عبد ربّه ٣/ ٦٩ عند ذكره استخلاف أبي بكر لعمر.

والكنز ٣/ ١٣٥. ومنتخب الكنز ٢/ ١٧١. والامامة والسياسة ١/ ١٨. والكامل للمبرّد حسب رواية ابن أبي الحديد ١/ ١٣٠- ١٣١. وقد ذكر أبو

وفى اليعقوبى: (وليتنى لم افتش بيت فاطمة بنت رسول الله وادخله الرجال

ص: ١٥٨

ولو كان اغلق على حرب).<sup>٢٤٤</sup>

وقد عدّ المؤرّخون فى الرجال الذين ادخلوا بيت فاطمة بنت رسول الله كلّاً من:

١- عمر بن الخطاب.

٢- خالد بن الوليد.<sup>٢٤٥</sup>

٣- عبد الرحمن بن عوف.

٤- ثابت بن قيس بن شماس.<sup>٢٤٦</sup>

٥- زياد بن لبيد.<sup>٢٤٧</sup>

٦- محمد بن مسلمة.<sup>٢٤٨</sup>

٧- زيد بن ثابت.<sup>٢٤٩</sup>

---

عبيد فى الاموال ص ١٣١ قول أبى بكر هكذا: (أما الثلاث التى فعلتها فوددت أنى لم أكن فعلت كذا و كذا- لخلّة ذكرها- قال أبو عبيد: لا اريد ذكرها). انتهى.  
وأبو بكر الجوهري برواية النهج ٩/ ١٣٠. ولسان الميزان ٤/ ١٨٩. وراجع ترجمة أبى بكر فى ابن عساکر ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى . وتأريخ الذهبى ١/ ٣٨٨.

<sup>٢٤٤</sup> (١). تأريخ اليعقوبى ٢/ ١١٥.

<sup>٢٤٥</sup> (٢). أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشى، وأمّه : لبابة بنت الحارث بن الحزن الهلالية اخت ميمونة زوجة النبى، وكانت إليه أعنة الخيل فى الجاهلية. هاجر بعد الحديبية وشهد فتح مكّة، وأمّره أبو بكر على الجيوش، وكان يقال له : سيف الله، وتوفى بحمص أو بالمدينة سنة ٢١ أو ٢٢ هـ. الاستيعاب ١/ ٤٠٥-٤٠٨.

<sup>٢٤٦</sup> (٣). ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج الانصارى : شهد احدا وما بعدها، وقتل مع خالد فى اليمامة. الاستيعاب ١/ ١٩٣. والاصابة ١/ ١٩٧.

<sup>٢٤٧</sup> (٤). زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى بن امية بن بياضة الانصارى من بنى بياضة ابن عامر بن زريق، مهاجرى أنصارى : خرج إلى رسول الله بمكّة وأقام معه حتّى هاجر معه إلى المدينة . شهد العقبة وبردرا وما ب عدها . مات أوّل خلافة معاوية . الاستيعاب ١/ ٥٤٥. والاصابة ١/ ٥٤٠. فى نسبه بجمهرة ابن حزم ص ٣٥٦ سقط (بياضة).

<sup>٢٤٨</sup> (٥). محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الاوس : شهد بردرا وما بعدها، وكان ممّن لم يبايع علىّ بن أبى طالب ولم يشهد معه حروبه، وتوفى سنة ٤٣ أو ٤٦ أو ٤٧ هـ. الاستيعاب ٣/ ٣١٥. والاصابة ٣/ ٣٦٣-٣٦٤. ونسبه فى جمهرة ابن حزم ص ٣٤١.

<sup>٢٤٩</sup> (٦). راجع أنساب الاشراف ١/ ٥٨٥.

٨- سلمة بن سلامة بن وقش.<sup>٢٥٠</sup>

ص: ١٥٩

٩- سلمة بن أسلم.<sup>٢٥١</sup>

١٠- اسيد بن حضير.<sup>٢٥٢</sup>

وقد ذكروا فى كيفية كشف بيت فاطمة وما جرى للمتحصنين وهؤلاء الرجال وقالوا:

إنه (غضب رجال من المهاجرين فى بيعة أبى بكر منهم على بن أبى طالب والزبير، فدخلوا بيت فاطمة ومعهما السلاح)،<sup>٢٥٣</sup>  
(فبلغ أبى بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والانصار قد اجتمعوا مع على بن أبى طالب فى منزل فاطمة بنت رسول  
الله)<sup>٢٥٤</sup> (وأنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً).<sup>٢٥٥</sup>

فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس من نار على أن يضرم عليه م النار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجتت لتحرق دارنا؟! قال: نعم، أو  
تدخلوا فى ما دخلت فيه

ص: ١٦٠

الامة!.)<sup>٢٥٦</sup>

وفى أنساب الاشراف:

فتلقته فاطمة على الباب، فقالت فاطمة: يا ابن الخطاب أتراك محرقا على بابى؟! قال: نعم ....<sup>٢٥٧</sup>

<sup>٢٥٠</sup> (٧). أبو عوف سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الانصارى، وأمه : سلمى بنت سلمة بن خالد بن عدى الانصارى . شهد العقبة  
الاولى والاخرة، ثم شهد -

<sup>٢٥١</sup> (١). أبو سعيد سلمة بن أسلم بن حريش بن عدى بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن عدى بن مالك بن الاوس الانصارى . شهد  
بدرًا وما بعدها، وقتل يوم جسر أبى عبيد سنة ١٤ هـ. الاستيعاب، الترجمة رقم ٢٤٥٥، ٨٣ / ٢. والاصابة ٢ / ٦١.

<sup>٢٥٢</sup> (٢). الطبرى ٢ / ٤٤٣ و ٤٤٤. وأبو بكر الجوهري حسب رواية ابن أبى الحديد ١ / ١٣٠ - ١٣٤ و ٢ / ٨١٩. واسيد بن حضير، مرّت ترجمته فى الهامش  
رقم ٣ فى ص ١٤٨.

<sup>٢٥٣</sup> (٣). الرياض النضرة ١ / ٢١٨، ط. مصر الثانية سنة ١٣٧٢. وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبى الحديد ١ / ١٣٢ و ٦ / ٢٩٣. وتاريخ الخميس ٢ / ١٦٩، ط.  
مؤسسة شعبان - بيروت (ب. ت).

<sup>٢٥٤</sup> (٤). اليعقوبى ٢ / ١٢٦.

<sup>٢٥٥</sup> (٥). ابن أبى الحديد ١ / ١٣٤. وابن شحنة بهامش الكامل ١١ / ١١٣ بلفظ: «ومالوا مع على بن أبى طالب».

<sup>٢٥٦</sup> (١). ابن عبد ربّه ٣ / ٦٤. وأبو الفداء ١ / ١٥٦.

وإلى هذا أشار عروة بن الزبير حين كان يعتذر عن أخيه عبد الله بن الزبير في ما جرى له مع (بنى هاشم وحصره إيّاهم في الشعب وجمعه الحطب لاحتراقهم ... ليدخلوا في طاعته كما ارهب بنو هاشم وجُمع لهم الحطب لتحريقهم إذ هم أبوا البيعة في ما سلف)<sup>٢٥٨</sup> يعني ما سلف لبني هاشم من قضية الحطب والنار عند امتناعهم عن بيعة أبي بكر.

وفي هذا يقول شاعر النيل حافظ ابراهيم:

وقولة لعلّى قالها عمر  
أكرم بسامعها أعظم بملقيها  
حرقت دارك لا ابقى عليك بها  
إن لم تبايع وبنيت المصطفى فيها  
ما كان غير أبي حفص يفوه بها  
أمام فارس عدنان وحميها<sup>٢٥٩</sup>

وقال اليعقوبي:

فأتوا في جماعة حتّى هجموا على الدار - إلى قوله - : وكسر سيفه - أي:

ص: ١٦١

سيف عليّ - ودخلوا الدار.<sup>٢٦٠</sup>

وقال الطبري:

أتى عمر بن الخطاب منزل عليّ وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فخرج عليه الزبير مصلنا بالسيف، فعثر فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.<sup>٢٦١</sup>

وقال أبو بكر الجوهري:

وعليّ يقول: «أنا عبد الله وأخو رسول الله» حتّى انتهوا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايع، فقال: أنا أحقّ بهذا الامر منكم، لا ابايعكم، وأنتم أولى بالبيعة لي . أخذتم هذا الامر من الانصار، واحتججتهم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الامارة، وأنا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتهم به على الانصار، فأنصفونا إن كنتم تخافون الله من أنفسكم،

<sup>٢٥٧</sup> (٢). أنساب الاشراف /١ /٥٨٦. وراجع كنز العمال ٣ / ١٤٠. والرياض النضرة /١ /١٦٧. وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٢، و ج ٦ في

الصفحة الثانية منه. والخميس /١ /١٧٨. وأبو بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد /١ /١٣٤. وتاريخ ابن شحنة ص ١١٣ بهامش الكامل /١١ /١١٣.

<sup>٢٥٨</sup> (٣). مروج الذهب /١ /١٠٠. وأورده ابن أبي الحديد /٢٠ /٤٨١، ط. إيران، عند شرحه قول عليّ (ع):

أ «الزبير منّا حتّى نشأ ابنه» E\

<sup>٢٥٩</sup> (٤). ديوان حافظ ابراهيم، ط. المصرية.

<sup>٢٦٠</sup> (١). اليعقوبي /٢ /١٢٦.

<sup>٢٦١</sup> (٢). الطبري /٢ /٤٤٣، ٤٤٤ و (٤) و ط. اوربا /١ /١٨١٨، ١٨٢٠ و (١٨٢٢). وقد أورده العقّاد في عبقرية عمر ص ١٧٣. وذكر كسر سيف الزبير المحبّ

الطبري في الرياض النضرة /١ /١٦٧. والخميس /١ /١٨٨. وابن أبي الحديد /١ /١٢٢، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٨ و ٢ / ٢ - ٥. وكنز العمال /٣ /١٢٨.

واعرفوا لنا من الامر مثل ما عرفت الانصار لكم، وإلّا فيؤوؤوا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع. فقال له علي: إحلب يا عمر حلبا لك شطره؛ اشدد له اليوم أمره ليردّ عليك غدا. لا والله، لا أقبل قولك ولا اتابعه، فقال له أبو بكر: فإن لم تبايعني لم اكرهك.

فقال له أبو عبيدة: يا أبا الحسن إنك حدث السنّ وهؤلاء مشيخة قريش قومك، ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور، ولا أرى أبا بكر إلّا أقوى على هذا الامر منك وأشدّ احتمالا له واضطلاعا به، فسلم له هذا الامر وارضَ

ص: ١٦٢

به، فإنك إن تعش وبطل بك العمر فأنت لهذا الامر لخليق وعليه حقيق في فضلك وقرابتك وسابقتك وجهادك.

فقال علي: يا معشر المهاجرين، الله الله، لا تُخرجوا سلطان محمد عن داره وبيته إلى بيوتكم ودوركم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقّه. فوالله يا معشر المهاجرين، لنحن أهل البيت أحقّ بهذا الامر منكم، أما كان منّا القارئ لكتاب الله، الفقيه لدين الله، العالم بالسنة، المضطلع بأمر الرعية؟ والله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتزدادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار يا عليّ قبل بيعتهم لابي بكر ما اختلف عليك اثنان، ولكنهم قد بايعوا. وانصرف عليّ إلى منزله ولم يبايع. رواه أبو بكر الجوهري كما في شرح النهج ٢ / ٢ - ٥. وروى أبو بكر الجوهري أيضا وقال:

ورأت فاطمة ما صنع بهما - أي بعليّ والزبير - فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله، والله لا اكلم عمر حتى ألقى الله. <sup>٢٦٢</sup>

وفي رواية اخرى:

وخرجت فاطمة تبكي وتصيح فَنَهَتْ من الناس. <sup>٢٦٣</sup>

وقال اليعقوبي:

فخرجت فاطمة، فقالت: والله لتخرجنّ أو لاكشفنّ شعري ولاعجنّ إلى الله. فخرجوا وخرج من كان في الدار. <sup>٢٦٤</sup>

وقال المسعودي:

ص: ١٦٣

<sup>٢٦٢</sup> (١). برواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٤ و ٢ / ٥ - ٥.

<sup>٢٦٣</sup> (٢). السقيفة لابي بكر الجوهري برواية ابن أبي الحديد ١ / ١٣٤.

<sup>٢٦٤</sup> (٣). تأريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٤.

لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ فِي السَّقِيفَةِ وَجَدَّتْ لَهُ الْبَيْعَةَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ، خَرَجَ عَلَيَّ فَقَالَ : أَفْسَدْتَ عَلَيْنَا أُمُورَنَا وَلَمْ تَسْتَشِرْ وَلَمْ تَرَعَ لَنَا حَقًّا!

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَلَكِنِّي خَشِيتُ الْفِتْنَةَ.<sup>٢٦٥</sup>

وَقَالَ الْيَعْقُوبِيُّ:

وَاجْتَمَعَ جَمَاعَةٌ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ يَدْعُوْنَهُ إِلَى الْبَيْعَةِ، فَقَالَ لَهُمْ: اذْعُوا عَلَيَّ مَحْلَقِينَ الرَّؤُوسِ. فَلَمْ يَغْدُ إِلَّا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ.<sup>٢٦٦</sup>

ثُمَّ إِنَّ عَلِيًّا حَمَلَ فَاطِمَةَ عَلَى حِمَارٍ، وَسَارَ بِهَا لَيْلًا إِلَى بِيوتِ الْانْصَارِ يَسْأَلُهُمُ النِّصْرَةَ، وَتَسْأَلُهُمُ فَاطِمَةُ الْانْتِصَارَ لَهُ؛ فَكَانُوا يَقُولُونَ:

يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، قَدْ مَضَتْ بِيَعْتَنَا لِهَذَا الرَّجُلِ، وَلَوْ كَانَ ابْنُ عَمِّكَ سَبَقَ إِلَيْنَا أَبَا بَكْرٍ مَا عَدَلْنَا بِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَفَكُنْتُ أَتْرَكُ رَسُولَ اللَّهِ (ص) مَيْتًا فِي بَيْتِهِ لَمْ أَجْهِّزْهُ وَأَخْرَجَ إِلَى النَّاسِ أَنْزَعَهُمْ فِي سُلْطَانِهِ؟! فَقَالَتْ فَاطِمَةُ:

مَا صَنَعَ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُ، وَلَقَدْ صَنَعُوا مَا اللَّهُ حَسِيبُهُمْ عَلَيْهِ.<sup>٢٦٧</sup>

وَلَقَدْ أَشَارَ مَعَاوِيَةَ إِلَى هَذَا وَإِلَى مَا نَقَلْنَاهُ عَنِ الْيَعْقُوبِيِّ قَبْلَهُ فِي كِتَابِهِ إِلَى عَلِيٍّ:

وَأَعْهَدَكَ أُمْسٌ تَحْمَلُ قَعِيدَةَ بَيْتِكَ لَيْلًا عَلَى حِمَارٍ وَبِدَاكَ فِي يَدِي ابْنِيكَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ يَوْمَ بُوَيْعِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَلَمْ تَدْعُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَدْرِ وَالسَّوَابِقِ إِلَّا دَعَوْتَهُمْ إِلَى نَفْسِكَ، وَمَشَيْتِ إِلَيْهِمْ بِأَمْرَاتِكَ، وَأَدَلَّتِ إِلَيْهِمْ

ص: ١٦٤

بِابْنِيكَ، وَاسْتَنْصَرْتَهُمْ عَلَى صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ، فَلَمْ يَجِبْكَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَوْ خَمْسَةٌ، وَلَعَمْرِي لَوْ كُنْتُ مَحَقًّا لِأَجَابُوكَ، وَلَكِنَّكَ أَدْعَيْتَ بَاطِلًا، وَقُلْتَ مَا لَا يَعْرِفُ، وَرُمْتِ مَا لَا يَدْرِكُ . وَمَهْمَا نَسِيتِ فَلَا أَنْسِي قَوْلَكَ لِأَبِي سَفِيَانَ لَمَّا حَرَّكَكَ وَهَيَّجَكَ: لَوْ وَجَدْتَ أَرْبَعِينَ ذَوِي عِزْمٍ مِنْهُمْ لَنَاهَضْتَ الْقَوْمَ.<sup>٢٦٨</sup>

وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ امِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ فِي حَدِيثِهَا عَمَّا جَرَى بَيْنَ فَاطِمَةَ وَأَبِي بَكْرٍ حَوْلَ مِيرَاثِ النَّبِيِّ (ص) قَالَتْ:

فَهَجَّرْتَهُ فَاطِمَةُ، فَلَمْ تَكَلِّمْهُ حَتَّى تُوَفِّيَتْ، وَعَاشَتْ بَعْدَ النَّبِيِّ (ص) سِتَّةَ أَشْهُرٍ. فَلَمَّا تُوَفِّيَتْ دَفَنَهَا زَوْجَهَا، وَلَمْ يُوَظَّنْ بِهَا أَلْبَبُكَرَ وَصَلَّى عَلَيْهَا. وَكَانَ لَعَلِّيٍّ مِنَ النَّاسِ وَجْهَ حَيَاةِ فَاطِمَةَ، فَلَمَّا تُوَفِّيَتْ فَاطِمَةُ انْصَرَفَتْ وَجُوهَ النَّاسِ عَنِ عَلِيٍّ . وَمَكَّتَتْ فَاطِمَةُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ (ص) ثُمَّ تُوَفِّيَتْ. قَالَ مَعْمَرٌ:

<sup>٢٦٥</sup> (١) . مروج الذهب ١ / ٤١٤ . والامامة والسياسة ١ / ١٢ - ١٤ مع اختلاف.

<sup>٢٦٦</sup> (٢) . تاريخ يعقوبى ٢ / ١٢٦ . وفى شرح النهج ٢ / ٤ .

<sup>٢٦٧</sup> (٣) . أبو بكر الجوهري فى كتابه السقيفة برواية ابن أبى الحديد ٦ / ٥ - ٢٨ ، ط. المصرية . وابن قتيبة ١ / ١٢ .

<sup>٢٦٨</sup> (١) . ابن أبى الحديد ٢ / ٦٧ . وصفين لنصر بن مزاحم ص ١٨٢ .



فقال رجل للزهرى: أفلم يبايعه على ستة أشهر؟

قال: لا،<sup>٢٦٩</sup> ولا أحد من بنى هاشم حتى يبايعه على، فلمّا رأى على انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر - الحديث.<sup>٢٧٠</sup>

ص: ١٦٥

وقال البلاذرى:

لمّا ارتدّت العرب، مشى عثمان إلى علىّ فقال: يا ابن عمّ، إنّه لا يخرج أحد إلى قتال هذا العدوّ وأنت لم تبايع . فلم يزل به حتّى مشى إلى أبي بكر فبايعه. فسُرّ المسلمون، وجَدّ الناس فى القتال وقطعت البعوث.<sup>٢٧١</sup>

ضرع علىّ إلى مصالحة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وانصراف وجوه الناس عنه، غير أنّه بقى يشكو ممّا جرى عليه بعد وفاة النبىّ حتّى فى أيام خلافته. وذكر شكواه فى خطبته المشهورة بالشقشقية التى سنورها فى آخر هذا الباب.

مَن تخلف عن بيعته الخليفة أبو بكر:

أ- فروة بن عمرو:

قال الزبير بن بكار فى الموفقيات: (كان فروة بن عمرو ممّن تخلف عن بيعته أبي بكر، وكان ممّن جاهد مع رسول الله (ص) وقاد فرسين فى سبيل الله. وكان يتصدّق من نخله بألف وسق فى كلّ عام، وكان سيّدا . وهو من أصحاب علىّ، وممّن شهد معه يوم الجمل).

وذكر الزبير بن بكار بعد ذلك عتاب فروة لبعض الانصار الذين ساعدوا أبا بكر فى بيعته.<sup>٢٧٢</sup>

ص: ١٦٦

<sup>٢٦٩</sup> (٢). فى تيسير الوصول ٢/ ٤٦: قال: لا والله ولا أحد من بنى هاشم).

<sup>٢٧٠</sup> (٣). قد أوردت هذا الحديث مختصرا من كلّ من الطبرى ٢/ ٤٤٨ ( و ط. اوربا ١/ ١٨٢٥).

وصحيح البخارى، كتاب المغازى، باب غزوة خيبر ٣/ ٣٨. وصحيح مسلم ١/ ٧٢ و ١٥٣/ ٥، باب

قول رسول الله:

أ» نحن لا نورث؛ ما تركناه صدقة».

واين كثير ٥/ ٢٨٥ - ٢٨٦. وابن عبد ربّه ٣/ ٦٤.

وقد أورده ابن الاثير ٢/ ١٢٦ مختصرا. والكنجى فى كفاية الطالب ص ٢٢٥ - ٢٢٦. وابن أبى الحديد ١/ ١٢٢. والمسعودى ٢/ ٤١٤ من مروج الذهب. وفى

التنبيه والاشراف له ص ٢٥٠: (ولم يبايع علىّ حتّى توفيت فاطمة). والصواعق ١/ ١٢. وتاريخ الخميس ١/ ١٩٣. وفى الامامة والسياسة ١/ ١٤: إن بيعته

علىّ كانت بعد وفاة فاطمة وأنها قد بقيت بعد أبيها ٧٥ يوما. وفى الاستيعاب بهامش الاصابة ٢/ ٢٤٤:

أنّ عليّا لم يبايعه إلّا بعد موت فاطمة. وأبو الفداء ١/ ١٥٦. والبدء والتاريخ ٥/ ٦٦. وأنساب الاشراف -

<sup>٢٧١</sup> (١). أنساب الاشراف ١/ ٥٨٧.

<sup>٢٧٢</sup> (٢). الموفقيات ص ٥٩٠. وفروة بن عمرو الانصارى البياضى: شهد العقبة وبدرا وما بعدهما مع رسول الله (ص). اسد الغابة ٤/ ١٧٨.

## ب- خالد بن سعيد الاموي:

كان عاملا لرسول الله على صنعاء اليمن (فلما مات رسول الله رجع هو وأخوه أبان وعمر عن عمالتهم، فقال أبو بكر : ما لكم رجعتن عن عمالتكم؟ ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله (ص)، ارجعوا إلى أعمالكم. فقالوا: نحن بنو احيحة، لا نعمل لاحد بعد رسول الله).<sup>٢٧٣</sup>

وتأخر خالد وأخوه أبان عن بيعة أبي بكر، فقال لبني هاشم: إنكم لطوال الشجر طيبو الثمر نحن تبع لكم.<sup>٢٧٤</sup>

و (تربص ببيعته شهرين يقول: قد أمرني رسول الله (ص) ثم لم يعزلى حتى قبضه الله، وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان، فقال: يا بني عبد مناف، لقد طبتنم نفسا عن أمركم يليه غيركم، فأما أبو بكر فلم يحفلها عليه، وأما عمر فاضطغنها عليه).<sup>٢٧٥</sup>

(وأتى عليا فقال: هلم ابايعك، فوالله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك )،<sup>٢٧٦</sup> (فلما بايع بنو هاشم أبا بكر بايعه خالد).<sup>٢٧٧</sup>

## ص: ١٦٧

(ثم بعث أبو بكر الجنود إلى الشام وكان أول من استعمل على ربيع منها خالد بن سعيد، فأخذ عمر يقول: أتؤمره وقد صنع ما صنع وقال ما قال؟! فلم يزل بأبي بكر حتى عزله، وأمر يزيد بن أبي سفيان).<sup>٢٧٨</sup>

## ج- سعد بن عبادة:<sup>٢٧٩</sup>

<sup>٢٧٣</sup> (١) خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس: أسلم قديما فكان ثالثا أو رابعا وقيل كان خامسا، وقال ابن قتيبة في المعارف ص ١٢٨: (أسلم قبل إسلام أبي بكر). وابن أبي الحديد ١٣ / ٢. وكان ممن هاجر إلى الحبشة واستعمله رسول الله مع أخويه على صدقات مدحج واستعمله على صنعاء اليمن . ثم رجعوا بعد وفاة النبي ثم مضوا جميعا إلى الشام فقتلوا هناك، واستشهد خالد بأجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ١٣ هـ الاستيعاب ١ / ٣٩٨ - ٤٠٠. والاصابة ١ / ٤٠٦. واسب الغاية ٢ / ٨٢. وراجع ابن أبي الحديد ١٣ / ٦ و ١٦.

<sup>٢٧٤</sup> (٢) اسد الغاية ٢ / ٨٢. وابن أبي الحديد ١٣ / ٢، ط. المصرية الاولى.

<sup>٢٧٥</sup> (٣) الطبرى ٢ / ٥٨٦ ط. اوربا ١ / ٢٠٧٩. وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٥ / ٥١. وفي أنساب الاشراف ١ / ٥٨٨ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

<sup>٢٧٦</sup> (٤) اليعقوبى ٢ / ١٢٤.

<sup>٢٧٧</sup> (٥) اسد الغاية ٢ / ٨٢. وراجع تفصيل ذلك في ابن أبي الحديد ١ / ١٣٥ نقلا عن سقيفة-

<sup>٢٧٨</sup> (١) الطبرى ٢ / ٥٨٦ و ط. اوربا ١ / ٢٠٧٩. وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٥ / ٥١.

وفي أنساب الاشراف ١ / ٥٨٨ ذكر أن خالد بن سعيد تأخر عن البيعة.

<sup>٢٧٩</sup> (٢) ١٥٠ سعد بن عبادة بن دلیم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن ا لخزرج الانصارى: شهد العقبة ومغازى رسول الله عدا بدر، فإنه اختلف فى أنه هل شهدها أم لم يشهدا . كان جوادا سخيا، وكانت راية الانصار بيده يوم الفتح، ولما نادى: (اليوم يوم الملحمة اليوم تسمى الحرمة) نزع رسول الله اللواء منه وأعطاه لابنه قيس . ولم يبايع أبا بكر حتى قتل بسهمين فى الشام سنة ١٥ هـ ودفن بحوارين، نسبه فى جمهرة ابن حزم ص ٦٥. وخبره فى الاستيعاب ٢ / ٢٣ - ٣٧. والاصابة ٢ / ٢٧ - ٢٨.

(ذكروا إنَّ سعداً تركُ أيَّما ثمَّ بُعثَ إليه أنْ أقبلَ فبايعَ، فقد بايعَ الناسَ وبايعَ قومك، فقال : أما واللَّهِ حتَّى أرميكم بما في كنانتي من نبلٍ واخضَّبَ سنانَ رمحي، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي، واقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي فلا أفعل. وأيم الله لو أنَّ الجنَّ اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتَّى اعرض عليَّ ربِّي وأعلم ما حسابي).<sup>٢٨٠</sup>

فلما أتى أبو بكر بذلك، قال عمر: لا تدعه حتَّى يبايع.

فقال له بشير بن سعد: إنَّه قد لجَّ وأبى، وليس بمبايعكم حتَّى يقتل، وليس بمقتول حتَّى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فاتركوه فليس

ص: ١٦٨

تركه بضاركم، إنَّما هو رجل واحد.

فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد، واستنصحوه لما بدا لهم منه، فكان سعد لا يصلِّي بصلاتهم ولا يجتمع معهم ولا يحجُّ ولا يفيض معهم بإفاضتهم - الخ. (فلم يزل كذلك حتَّى توفِّي أبو بكر وولي عمر).<sup>٢٨١</sup>

ولما ولي عمر الخلافة لقيه في بعض طرق المدينة.

فقال له: إيه يا سعداً؟

فقال له: إيه يا عمر!

فقال له عمر: أنت صاحب المقالة؟

قال سعد: نعم، أنا ذلك، وقد أفضى إليك هذا الأمر، كان واللَّهِ صاحبك أحبَّ إلينا منك وقد أصبحت واللَّهِ كارهاً لجوارك.

فقال عمر: من كره جوار جارٍ تحوَّل عنه.

فقال سعد: ما أنا غير مستسرٍّ بذلك، وأنا متحوَّل إلى جوار من هو خير منك.

فلم يلبث إلَّا قليلاً حتَّى خرج إلى الشام في أوَّل خلافة عمر - الخ).<sup>٢٨٢</sup>

<sup>٢٨٠</sup> (٣) الطبري ٣ / ٤٥٩. وابن الاثير ٢ / ١٢٦، وأورد الرواية إلى : فاتركوه. وكنز العمال ٣ / ١٣٤، ح ٢٢٩٦. والامامة والسياسة ١ / ١٠. والسيرة الحلبية ٤ /

٣٩٧، بعده: (لا يسلم على من لقي منهم). والطبري ط. اوريا ١ / ١٨٤٤.

<sup>٢٨١</sup> (١). الرياض النضرة ١ / ١٦٨، مضافاً إلى سائر المصادر.

<sup>٢٨٢</sup> (٢). طبقات ابن سعد ٣ / ١٤٥. وابن عساکر ٦ / ٩٠ بترجمة سعد من تهذيبه. وكنز العمال ٣ / ١٣٤، برقم ٢٢٩٦. والحلبية ٣ / ٣٩٧.

وفى رواية البلاذرى: أن سعد بن عبادَةَ لم يبايع أبَا بكرٍ وخرج إلى الشام فبعث عمر رجلاً وقال: ادعُهُ إلى البيعة واحتل له، فإن أبى فاستعن الله عليه. فقدم الرجل الشام فوجد سعداً فى حائط بحوارين<sup>٢٨٣</sup> فدعاه إلى البيعة.

فقال: لا ابايع قُريشاً أبداً.

قال: فإنى اقاتلك.

ص: ١٦٩

قال: وإن قاتلتنى.

قال: أفخارج أنت ممّا دخلت فيه الامّة؟

قال: أمّا من البيعة فإنى خارج. فرماه بسهم فقتله.<sup>٢٨٤</sup>

وفى تبصرة العوام: أنّهم أرسلوا محمد بن مسلمة الانصارى فرماه بسهم.

وقيل: إن خالداً كان فى الشام يومذاك، فأعانه على ذلك.<sup>٢٨٥</sup>

قال المسعودى: (وخرج سعد بن عبادَةَ ولم يبايع، فصار إلى الشام فقتل هناك سنة ١٥ هـ)<sup>٢٨٦</sup>.

وفى رواية ابن عبد ربّه: (رمى سعد بن عبادَةَ بسهم فوجد دفيناً فى جسده فمات، فبكته الجنّ فقالت:

وقتلنا سيّد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نُخطئ فؤاده<sup>٢٨٧</sup>

وروى ابن سعد: (أنّه جلس يبول فى نفق فاقْتَبَل فمات من ساعته ووجدوه قد اخضرّ جلده).<sup>٢٨٨</sup>

وفى اسد الغابّة:<sup>٢٨٩</sup> (لم يبايع سعد أبَا بكرٍ ولا عمر، وسار إلى الشام فأقام بحوران إلى أن مات سنة ١٥ هـ ولم يختلفوا أنّه وجد ميتاً على مغتسله وقد اخضرّ جسده ولم يشعروا بموته حتّى سمعوا قائلاً يقول من بئر ولا يرون أحداً ... الخ).

ص: ١٧٠

<sup>٢٨٣</sup> (٣). من قرى حلب معروفة. معجم البلدان.

<sup>٢٨٤</sup> (١). أنساب الاشراف ١/ ٥٨٩. والعقد الفريد ٣/ ٦٤-٦٥ باختلاف يسير.

<sup>٢٨٥</sup> (٢). تبصرة العوام، ط. المجلس بطهران ص ٣٢.

<sup>٢٨٦</sup> (٣). مروج الذهب ٢/ ٣٠١ و ٣٠٤.

<sup>٢٨٧</sup> (٤). العقد الفريد ٤/ ٢٥٩-٢٦٠.

<sup>٢٨٨</sup> (٥). الطبقات ٣/ ق ١٤٥. وأبو حنيفة الدينورى فى المعارف ص ١١٣.

<sup>٢٨٩</sup> (٦). فى ترجمة سعد. والاستيعاب ٢/ ٣٧.

هكذا انتهت حياة سعد بن عباد . ولما كان قتل سعد بن عباد من الحوادث التي كره المؤرخون وقوعها، أغفل جمع منهم ذكرها<sup>٢٩٠</sup> وأهمل قسم منهم بيان كيفية ونسبها إلى الجن،<sup>٢٩١</sup> غير أنهم لم يكشفوا عن منشأ العداء بين الجن وسعد بن عباد، ولماذا فوّقت سهمها إلى فؤاد سعد دون سائر الصحابة، فلو أنّهم أكملوا الاسطورة وقالوا : إن صلحاء الجن كرهت امتناع سعد عن البيعة فرمته بسهمين فما أخطأ فؤاده لكانت اسطورتهم تامّة .

مَن روى أن سعدا لم يبايع:

(١) ابن سعد فى الطبقات . (٢) ابن جرير فى تاريخه . (٣) البلاذرى فى ج ١ من أنسابه . (٤) ابن عبد البرّ فى الاستيعاب . (٥) ابن عبد ربّه فى العقد الفريد . (٦) ابن قتيبة فى الامامة والسياسة ١ / ٩ . (٧) المسعودى فى مروج الذهب . (٨) ابن حجر العسقلانى فى الاصابة ٢ / ٢٨ . (٩) محبّ الدين الطبرى فى الرياض النضرة ١ / ١٦٨ . (١٠) ابن الاثير فى اسد الغابة ٣ / ٢٢٢ . (١١) تاريخ الخميس . (١٢) علىّ بن برهان الدين فى السيرة الحلبية ٣ / ٣٩٦ و ٣٩٧ . (١٣) أبو بكر الجوهري، برواية ابن أبى الحديد عنه .

كان ما ذكرناه خلاصة من خبر استخلاف أبى بكر وبيعته، أوردناه ملخصاً من كتاب عبد الله بن سبأ، الجزء الاول .

وفى ما يلى خبر استخلاف عمر وبيعته:

ص: ١٧١

استخلاف عمر وبيعته:

دعا أبو بكر عثمان خاليا<sup>٢٩٢</sup> فقال:

اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة إلى المسلمين، أمّا بعد .

قال: ثمّ اغمى عليه فذهب عنه، فكتب عثمان:

أمّا بعد فإنّى استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً . ثمّ أفاق أبو بكر فقال: إقرأ علىّ . فقرأ عليه، فكبر أبو بكر وقال: أراك خفت أن يختلف الناس إن افتلنت نفسى فى غشيتى؟ قال : نعم . قال: جزاك الله خيراً عن الاسلام وأهله . وأقرّها أبو بكر (رض) من هذا الموضع .

وذكر قبل ذلك عن عمر أنّه كان جالسا والناس معه وبيده جريدة ومعه شديد مولى لابي بكر معه الصحيفة التى فيها استخلاف عمر، وعمر يقول: (أيّها الناس اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله إنّه يقول إنّى لم آلكم نصحا).<sup>٢٩٣</sup>

<sup>٢٩٠</sup> (١) . كابين جرير وابن كثير وابن الاثير فى تواريخهم .

<sup>٢٩١</sup> (٢) . كمحبّ الدين الطبرى فى الرياض النضرة . وابن عبد البرّ فى الاستيعاب .

<sup>٢٩٢</sup> (١) . دعاه خاليا: انفرد به فى خلوة .

<sup>٢٩٣</sup> (٢) . تأريخ الطبرى، ط . اوربا ١ / ٢١٣٨ .

كم من الفرق بين موقف أبي حفص هذا وموقفه من كتابة وصية الرسول (ص)؟!؟

### الشورى وبيعة عثمان:

قال ابن عبد ربّه فى العقد الفريد:

لَمَّا طَعَنَ الخليفة عمر قَيْلَ له: لو استخلفت. فقال:

لو كان أبو عبيدة بن الجراح حيًّا لاستخلفته، فإن سألتني ربّي قلت: نبيك يقول: إنّه أمين هذه الامّة. ولو كان سالم مولى أبى حذيفة حيًّا لاستخلفته،

ص: ١٧٢

فإن سألتني ربّي قلت: سمعت نبيك يقول: إنّ سالما ليحبّ الله حبًّا لو لم يخف الله ما عصاه.<sup>٢٩٤</sup>

وإنّهم قالوا له: يا أمير المؤمنين، لو عهدت. فقال: لقد كنت أجمعت بعد مقاتلى لكم أن أوّلى رجلا أمركم أرجو أن يحملكم على الحقّ - وأشار إلى عليّ - ثمّ رأيت أن لا أتحمّلها حيًّا وميتًا ... الخ.

وروى البلاذرى فى أنساب الاشراف:<sup>٢٩٥</sup> قال عمر: ادعوا لى عليًّا وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص. فلم يكلم أحدًا منهم غير عليّ وعثمان، فقال : يا عليّ، لعلّ هؤلاء سيعرفون لك قرابتك من النبىّ (ص) وصهرك وما أنالك الله من الفقه والعلم، فإن وليت هذا الامر فأتق الله فيه . ثمّ دعا عثمان وقال: يا عثمان، لعلّ هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك، فإن وليت هذا الامر فأتق الله ولا تحمل آل أبى معيط على رقاب الناس . ثمّ قال: ادعوا لى صهيبا فدعى، فقال : صلّ بالناس ثلاثا، وليخلّ هؤلاء النفر فى بيت، فإذا اجتمعوا على رجل منهم، فمن خالفهم فاضربوا رأسه. فلمّا خرجوا من عند عمر قال: إنّ ولّوها الاجلح سلك بهم الطريق.<sup>٢٩٦</sup>

وفى الرياض النضرة، ط. ٢ بمصر ١٣٧٣ هـ، ٢ / ٩٥:

(لله درهم إن ولّوها الاصيلح كيف يحملهم على الحق وإن كان السيف على عنقه . قال محمد بن كعب: فقلت: أتعلم ذلك منه ولا تولّيه؟ فقال: إن تركتهم فقد تركهم من هو خير منى).

ص: ١٧٣

روى البلاذرى فى أنساب الاشراف ١٧ / ٥ عن الواقدى بسنده، قال:

<sup>٢٩٤</sup> (١). العقد الفريد ٢٧٤ / ٤، وأوردناه ملخصًا.

<sup>٢٩٥</sup> (٢). أنساب الاشراف ١٦ / ٥.

<sup>٢٩٦</sup> (٣). وقرّب منه ما فى طبقات ابن سعد ٣ / ١ ق / ٢٤٧. وراجع ترجمة عمر من الاستيعاب، ومنتخب الكنز ٤ / ٢٢٩.

(ذكر عمر من يستخلف فقيل: أين أنت عن عثمان؟ قال: لو فعلت لحمل بنى أبي معيط على رقاب الناس. قيل: الزبير؟ قال: مؤمن الرضى، كافر الغضب. قيل: طلحة؟ قال: أنفه فى السماء واسته فى الماء. قيل: سعد؟ قال: صاحب مقنب،<sup>٢٩٧</sup> قربة له كثير. قيل: عبد الرحمن؟ قال: بحسبه أن يجرى على أهل بيته).

وروى البلاذرى فى ١٨ / ٥ من أنساب الاشراف: أن عمر بن الخطاب أمر صهيبا مولى عبد الله بن جُدعان حين طعن أن يجمع إليه وجوه المهاجرين والانصار. فلما دخلوا عليه قال: إنى جعلت أمركم شورى إلى ستة نفر من المهاجرين الا ولين الذين قبض رسول الله (ص) وهو عنهم راض ليختاروا أحدهم لامامتكم - وسماهم - ثم قال لابي طلحة زيد بن سهل الخزرجى: اختر خمسين رجلا من الانصار يكونون معك، فإذا توقيت فاستحث هؤلاء النفر حتى يختاروا لانفسهم وللأمة أحدهم ولا يتأخروا عن أمرهم فوق ثلاث. وأمر صهيبا أن يصلى بالناس إلى أن يتفقوا على إمام. وكان طلحة بن عبيد الله غائبا فى ماله بالسراة،<sup>٢٩٨</sup> فقال عمر: إن قدم طلحة فى الثلاثة الايام، وإلا فلا تنتظروه بعدها وأبرموا الامر واصرموه، وبايعوا من تتفقون عليه، فمن خالف عليكم فاضربوا عنقه. قال فبعثوا إلى طلحة رسولا يستحثونه ويستعجلونه بالقدوم: فلم يرد المدينة إلا بعد وفاة عمر والبيعة لعثمان. فجلس فى بيته وقال: أعلى مثلى يفتات! فأتاه عثمان، فقال له طلحة: إن رددت أترده؟ قال: نعم. قال: فأنى أمضيته. فبايعه. وقريب منه ما فى العقد الفريد ٧٣ / ٣.

ص: ١٧٤

وروى فى ص ٢٠ منه، قال:

فقال عبد الله بن سعد بن أبى سرح: ما زلت خائفا لان ينتقض هذا الامر حتى كان من طلحة ما كان، فوصلته رجم، ولم يزل عثمان مكرما لطلحة حتى حُصر فكان أشد الناس عليه.

وروى البلاذرى فى ١٨ / ٥ من كتابه أنساب الاشراف بسند ابن سعد قال:

(قال عمر: ليتبع الاقل الاكثر، فمن خالفكم فاضربوا عنقه).

وروى فى ص ١٩ منه، عن أبى مخنف أنه قال:

(أمر عمر أصحاب الشورى أن يتشاوروا فى أمرهم ثلاثا، فإن اجتمع اثنان على رجل واثنان على رجل، رجعوا فى الشورى، فإن اجتمع أربعة على واحد وأباه واحد، كانوا مع الاربعة، وإن كانوا ثلاثة وثلاثة كانوا مع الثلاثة الذين فيهم ابن عوف إذ كان الثقة فى دينه ورأيه، المأمون للاختيار على المسلمين). وقريب منه ما فى العقد الفريد ٧٤ / ٣.

وروى أيضا عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن عمر قال: (إن اجتمع رأى ثلاثة وثلاثة فأتبعوا صنف عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا) وأخرجه ابن سعد فى الطبقات ٣ / ١ ق ٤٣.

وفى تاريخ يعقوبى ١٦٠ / ٢: وروى البلاذرى فى أنساب الاشراف ١٥ / ٥ أن عمر قال:

<sup>٢٩٧</sup> (١). المقنب: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

<sup>٢٩٨</sup> (٢). السراة: الجبل الذى فيه طرف الطائف ويقال لاماكن اخرى. معجم البلدان.

(إن رجلا يقولون إن بيعة أبي بكر فلتة وقي الله شرها، وإن بيعة عمر كانت من غير مشورة والامر بعدى شورى ، فإذا اجتمع رأى أربعة فليتبّع الاثنان الاربعة، وإذا اجتمع رأى ثلاثة وثلاثة فاتّبِعوا رأى عبد الرحمن بن عوف فاسمعوه وأطيعوا، وإن صَفَّقَ عبد الرحمن بإحدى يديه على الاخرى فاتّبِعوه).

ص: ١٧٥

وروى المتقى فى كنز العمال ٣ / ١٦٠، عن محمد بن جُبَيْر عن أبيه، أن عمر قال :

(إن ضرب عبد الرحمن بن عوف إحدى يديه على الاخرى فبايعوه). وعن أسلم أن عمر بن الخطاب قال:

(بايعوا لمن بايع له عبد الرحمن بن عوف، فمن أبى فاضربوا عنقه).

ومن كلّ هذا يظهر أنّ الخليفة كان قد جعل أمر الترشيح بيد عبد الرحمن ابن عوف، وبيّت معه أن يشترط فى البِيعَة العمل بسيرة الشيخين، وهم يعلمون أنّ الامام عليّا يابى أن يجعل العمل بسيرة الشيخين فى عداد العمل بكتاب الله وسنة رسوله (ص) وأنّ عثمان يوافق على ذلك، فيبايع عثمان بالخلافة، ويخالفهم الامام على فيعرض على السيف.

والدليل على ما قلنا بالاضافة إلى ما سبق، م ا رواه ابن سعد فى طبقاته عن سعيد بن العاص ما خلاصته : أن سعيد بن العاص أتى الخليفة عمر يستزيده فى الارض ليوسع داره، فوعده الخليفة بعد صلاة الغداة وذهب معه حينئذ إلى داره . قال سعيد:

(فزادنى وخطّ لى برجليه، فقلت : يا أمير المؤمنين زدنى فإنه نبتت لى نابتة من ولد وأهل . فقال: حسبك واختبئ عندك . إنه سيلى الامر من بعدى من يصل رحمك ويقضى حاجتك . قال: فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان وأخذها عن شورى ورضى فوصلنى وأحسن وقضى حاجتى وأشركنى فى أمانته).<sup>٢٩٩</sup>

إذا فالخليفة عمر قد أنبا سعيد بن العاص أنه سيلى بعده ذو رحم سعيد وهو عثمان وطلب منه أن يخبئ الامر عنده؛ ويتضح من هذه المحاورة أنّ أمر تولية عثمان الخلافة كان قد بُتّ فيه فى حياة الخليفة عمر، وتعيين الستة فى

ص: ١٧٦

الشورى كان من أجل تمرير هذا الامر بصورة مرضية لدى الجميع.

أما تعريض الامام على للقتل فمما يدلّ عليه بالاضافة إلى ما مرّ ما رواه ابن سعد أيضا بترجمة سعيد بن العاص : أن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص : (ما لى أراك معرضا كأنك ترى أنّى قتلت أباك؟ ما أنا قتلته ولكنّه قتله على بن أبى طالب)<sup>٣٠٠</sup> وكان قد قتله بيد.

<sup>٢٩٩</sup> (١) . بترجمة سعيد بن العاص من الطبقات، ط. اوربا ٥ / ٢٠ - ٢٢.

<sup>٣٠٠</sup> (١) . سعيد بن العاص بن سعيد بن احيحة بن امية : توفى رسول الله (ص) وهو ابن تسع سنين أو نحوه، طبقات ابن سعد ٥ / ٢٠ - ٢٢. وسيرة ابن هشام ٢ /



أليس في هذا القول تحريش على الامام عليّ وإثارة للضغائن عليه.

الامام علي (ع) يعلم بأن الخلافة زويت عنه:

كان الامام عليّ يعلم بأن الخلافة زويت عنه وإنّما اشترك معهم في الشورى كي لا يقال : هو الذي زهد في الخلافة. ويدلّ على أنّه كان يعلم ما بيّنت له، الحديث الاتي:

روى البلاذري في ١٩ / ٥ من كتابه أنساب الاشراف:

إنّ عليا شكّا إلى عمّه العباس ما سمع من قول عمر : كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وقال : والله لقد ذهب الامر منّا. فقال العباس: وكيف قلت ذلك يا ابن أخي؟ فقال : إنّ سعدا لا يخالف ابن عمّه عبد الرحمن وعبد الرحمن نظير عثمان وصهره فأحدهما لا يخالف صاحبه لا محالة، وإن كان الزبير وطلحة معي فلن أنتفع بذلك إذ كان ابن عوف في الثلاثة الاخرين. وقال ابن الكلبي : عبد الرحمن بن عوف زوج امّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وامّها أروى بنت كُرَيْز وأروى امّ عثمان فلذلك قال صهره. وقريب منه ما في العقد الفريد ٧٤ / ٣.

ص: ١٧٧

وروى في ص ٢١ منه عن أبي مخنف قال:

(لما دفن عمر أمسك أصحاب الشورى وأبو طلحة يؤمّهم فلم يحدثوا شيئا، فلما أصبحوا جعل أبو طلحة يحوشهم للمناظرة في دار المال، وكان دفن عمر يوم الاحد وهو الرابع من يوم طُعين، وصلى عليه صهيب بن سنان . قال: فلما رأى عبد الرحمن تناجي القوم وتناظرهم وأنّ كلّ واحد منهم يدفع صاحبه عنها، قال لهم : يا هؤلاء أنا اخرج نفسي وسعدا على أن أختار يا معشر الاربعة أحدكم، فقد طال التناجي وتطلّع الناس إلى معرفة خليفتهم وإمامهم، واحتاج من أقام الانتظار ذلك من أهل البلدان الرجوع إلى أوطانهم، فأجابوا إلى ما عرض عليهم إلّا عليّا فإنه قال: أنظر.

وأتاهم أبو طلحة فأخبره عبد الرحمن بما عرض وبإجابة القوم إيّاه إلّا عليّا فأقبل أبو طلحة على عليّ، فقال : يا أبا الحسن إنّ أبا محمد ثقة لك وللمسلمين، فما بالك تخالف وقد عدل الامر عن نفسه، فلن يتحمّل المأثم ل غيره؟ فأحلف عليّ عبد الرحمن بن عوف أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثّر الحقّ وأن يجتهد للأمة، وأن لا يُحابي ذا قرابة، فحلف له، فقال : اختر مسدّدا. وكان ذلك في دار المال ويقال في دار المسور بن مخرمة.

ثمّ إنّ عبد الرحمن أحلف رجلا رجلا منهم بالايمان المغلّظة، وأخ ذ عليهم المواثيق والعهود أنّهم لا يخالفونه إن بايع منهم رجلا وأن يكونوا معه على من يناويه، فحلفوا على ذلك، ثمّ أخذ بيد عليّ فقال له : عليك عهد الله وميثاقه إن بايعتكم أن لا تحمل بنى عبد المطلب على رقاب الناس، ولتسيرنّ بسيرة رسول الله (ص) لا تحول عنها ولا تقصر في شيء منها، فقال عليّ: لا أحمل عهد الله وميثاقه على ما لا ادركه ولا يدركه أحد . من ذا يطيق سيرة رسول الله (ص) ولكنّي أسير من سيرته بما يبلغه الاجتهاد منّي، وبما يمكنني وبقدر علمي . فأرسل عبد الرحمن يده . ثمّ أحلف عثمان وأخذ عليه العهود والمواثيق أن لا يحمل

بنى امية على رقاب الناس وعلى أن يسير بسيرة رسول الله (ص) وأبى بكر وعمر ولا يخالف شيئاً من ذلك، فحلف له . فقال على: قد أعطاك أبو عبد الله الرضا فشأنك فبايعه . ثم إن عبد الرحمن عاد إلى على فأخذ بيده وعرض عليه أن يحلف بمثل تلك اليمين أن لا يخالف سيرة رسول الله وأبى بكر وعمر، فقال على: على الاجتهاد، وعثمان يقول: نعم، على عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على أنبيائه أن لا يخالف سيرة رسول الله (ص) وأبى بكر وعمر في شيء ولا أقصر عنها. فبايعه عبد الرحمن وصافحه وبايعه أصحاب الشورى، وكان على قائماً، ففقد، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلا ضربت عنقك. ولم يكن مع أحد يومئذ سيف، فيقال: إن علياً خرج مغضباً فلحقه أصحاب الشورى، فقالوا: بايع وإلا جاهدناك، فأقبل معهم يمشى حتى بايع عثمان) هـ.

في هذا الخبر حذف من أول قول عبد الرحمن (وسيرة الشيخين) ونقل أول كلام الامام على بتصرف وحذف آخره؛ وتمام الخبر في الرواية الآتية:

في تاريخ يعقوبى ١ / ١٦٢: أن عبد الرحمن خلا بعلى بن أبى طالب، فقال: لنا الله عليك، إن وليت هذا الامر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبى بكر وعمر. فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه ما استطعت. فخلا بعثمان فقال له: لنا الله عليك، إن وليت هذا الامر، أن تسير فينا بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبى بكر وعمر. فقال: لكم أن أسير فيكم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة أبى بكر وعمر. ثم خلا بعلى فقال له مثل مقالته الاولى، فأجابه مثل الجواب الاول؛ ثم خلا بعثمان فقال له مثل المقالة الاولى، فأجابه مثل ما كان أجابه، ثم خلا بعلى فقال له مثل المقالة الاولى، فقال: إن كتاب الله وسنة نبيه لا يحتاج معهما إلى إجبرى<sup>٣٠١</sup> أحد، أنت مجتهد أن تزوى هذا الامر عنى.

فخلا بعثمان فأعاد عليه القول، فأجابه بذلك الجواب، وصفق على يده.

وفي ذكر حوادث سنة ٢٣ من تاريخ الطبرى ٣ / ٢٩٧، وكذلك ابن الاثير ٣

/ ٣٧، قال الامام على لعبد الرحمن لما بايع عثمان في اليوم الثالث:

«حبوته حبوة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. والله ما وليت عثمان إلا ليرد الامر إليك، والله كل يوم في شأن». وكذلك ورد في العقد الفريد ٣ / ٧٦، في العسجد الثانية في الخلفاء وتواريخهم برقم: ٥.

بيعة الامام على (ع):

<sup>٣٠١</sup> (١). الاجبرى (بالكسر والتشديد): العادة والطريقة.

قتل عثمان وعاد إلى المسلمين أمرهم وانحلوا من كل بيعة سابقة توثقهم، فتهافتو ا على ابن أبي طالب يطلبون يده للبيعة، قال الطبري: ٣٠٢

فأتاه أصحاب رسول الله (ص) فقالوا:

إن هذا الرجل قد قتل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الامر منك، لا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله (ص).

فقال: لا تفعلوا فإنني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا، والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون خفياً، ولا تكون إلا عن رضى المسلمين ...

وروى بسند آخر وقال:

اجتمع المهاجرون والانصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا: يا أبا

ص: ١٨٠

الحسن، هلمّ نبايعك.

فقال: لا حاجة لي في أمركم. أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به. فاختراروا.

فقالوا: والله ما نختار غيرك.

قال: فاختلفوا إليه بعد ما قتل عثمان (رض) مرارا ثم أتوه في آخر ذلك، فقالوا له:

إنه لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الامر.

فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم وإيّ قائل لكم قولاً إن قبلتم قبلت أمركم وإلا فلا حاجة لي فيه.

قالوا: ما قلت قبلناه إن شاء الله. فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس إليه.

فقال: إنى قد كنت كارها لامركم فأبيتم إلا أن أكون عليكم. ألا وإنه ليس لي أمر دونكم، ألا إن مفاتيح مالكم معي. ألا وإنه ليس لي أن آخذ منه درهما دونكم. رضيتهم؟

٣٠٢ (١). الطبري ٥/ ١٥٢-١٥٣، و ط. اوريا ١/ ٣٠٦٦. وراجع الكنز ٣/ ١٦١، ح ٢٤٧١ فإنه يروى تفصيل بيعة على ومجىء طلحة والزبير إليه وامتناعه عن البيعة ... وكذلك حكاه ابن أعمم بالتفصيل في ص ١٦٠-١٦١ من تاريخه.

قالوا: نعم.

قال: اللهم اشهد عليهم. ثم بايعهم على ذلك.

وروى البلاذري<sup>٣٠٣</sup> وقال:

وخرج عليّ فأتى منزله، وجاء الناس كلهم يهرعون إلى عليّ، أصحاب النبيّ وغيرهم، وهم يقولون: (إنّ أمير المؤمنين عليّ) حتّى دخل وا داره، فقالوا له: نبايعك، فمدّ يدك فإنّه لا بدّ من أمير. فقال عليّ: ليس ذلك إليكم إنّما ذلك إلى أهل بدر، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة. فلم يبقَ أحد من أهل بدر إلّا أتى عليّ، فقالوا: ما نرى أحداً أحقّ بهذا الامر منك ... فلمّا رأى

ص: ١٨١

عليّ ذلك صعد المنبر، وكان أول من صعد إليه فبايعه طلحة بيده، وكانت إصبع طلحة شلاء فتطير منها عليّ وقال : ما أخلقه أن ينكث.

روى الطبرى<sup>٣٠٤</sup> (أنّ حبيب بن ذؤيب نظر إلى طلحة حين بايع فقال : أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتمّ هذا الامر ... انتهى).

\*\*\*

بعد دراسة الواقع التاريخي في إقامة الحكم في صدر الاسلام، ندرس في ما يأتي رأى المدرستين في الخلافة والامامة ونبدأ بذكر آراء مدرسة الخلافة.

ص: ١٨٣

الفصل الثاني: بحوث مدرسة الخلفاء في الامامة

ص: ١٨٤

رأى مدرسة الخلافة وما استدّلوا به.

آراء أتباع مدرسة الخلفاء.

وجوب طاعة الامام وإن خالف الرسول (ص).

<sup>٣٠٣</sup> (١). الانساب / ٥ / ٧٠. وقد روى الحاكم في المستدرک ٣ / ١١٤ تشاؤم علي من بيعة طلحة.

<sup>٣٠٤</sup> (١). الطبرى ٥ / ١٥٣، و ط. اوربا ١ / ٣٠٦٨.

إستدلال أتباع مدرسة الخلافة فى القرون الاخيرة.

مصطلحات بحث الامامة والخلافة.

دراسة آراء مدرسة الخلفاء فى أمر الخلافة.

الاول: مناقشة الاستدلال بالشورى.

الاستدلال بالشورى بكتاب الله وسنة رسوله (ص).

الثانى: مناقشة الاستدلال بالبيعة.

الثالث: مناقشة الاستدلال بعمل الصحاب.

مناقشة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل الاصحاب.

الرابع: مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تُقام بالقهر والغلبة.

إطاعة الامام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص).

خلاصة البحث.

ص: ١٨٥

رأى مدرسة الخلافة وما استدّلوا به

أولاً- قال الخليفة أبو بكر:

٣٠٥

لن يعرف هذا الامر إلّا لهذا الحىّ من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : (عمر وأبى عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم.<sup>٣٠٦</sup>

ثانيا- قال الخليفة عمر بن الخطاب:

<sup>٣٠٥</sup> (١). أبو بكر، عبد الله بن أبى قحافة، عثمان بن عامر القرشى التيمى، وأمه : أمّ الخير سلمى أو ليلى بنت صخر التيمى . ولد بعد الفيل بستين أو ثلاث . صاحب الرسول (ص) فى هجرته إلى المدينة وسكن (السُّنْح) خارج المدينة وكان يحلب للحىّ أغنامهم حتّى ولى الخلافة . انتقل إلى المدينة بعد ستّة أشهر من ذلك، وتوفّى سنة ثلاث عشرة. وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٢ حديثا. راجع ترجمته باسد الغاية.

وفى تاريخ ابن الاثير ١٦٣ / ٢ فى ذكر بعض أخباره. وجوامع السيرة ص ٢٧٨.

<sup>٣٠٦</sup> (٢). البخارى، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى ١٢٠ / ٤.

فلا يعترنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقي شرّها، وليس منكم من تقطع الاعناق إليه مثل أبي بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي

ص: ١٨٦

بايعه تغرة أن يقتلا.<sup>٣٠٨</sup>

ثالثا- آراء أتباع مدرسة الخلفاء:

قال أفضى القضاة الماوردي (ت: ٤٥٠ هـ) في الاحكام السلطانية<sup>٣٠٩</sup> والامام علامة الزمان القاضي أبو يعلى (ت: ٤٥٨ هـ) في الاحكام السلطانية،<sup>٣١٠</sup> كلاهما، قالا في كتابيهما:

الامامة تتعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل الحلّ والعقد، والثاني بعهد الامام من قبل.

فأمّا انعقادها باختيار أهل الحلّ والعقد، فقد اختلف العلماء في عدد من تتعقد به الامامة منهم على مذاهب شتى، فقالت طائفة:

لا تتعقد إلّا بجمهور أهل العقد والحلّ من كلّ بلد ليكون الرضا به عامّا والتسليم لامامته إجماعا، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر (رض) على الخلافة باختيار من حضرها ولم ينتظر ببيعته قدوم غائب عنها.

ص: ١٨٧

وقالت طائفة اخرى:

<sup>٣٠٧</sup> (٣). أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، وامّه: حنتمة بنت هاشم أو هشام بن المغيرة المخزومي. أسلم بعد نيف وخمسين سنة بمكة وشهد بدرا وما بعدها. استخلفه أبو بكر في مرض موته، وتوفّي من طعنة أبي لؤلؤة إياه، ودفن هلال محرم سنة ٢٤ هـ إلى جنب أبي بكر، روى عنه أصحاب الصحاح ٥٣٧ حديثا. ترجمته في الاستيعاب واسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٦.

<sup>٣٠٨</sup> (١). البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى ٤ / ١٢٠. و(التغرة): مصدر غررت: إذا ألقيته في الغرر وهي من التغير، كالتعلّة من التعليل، والمقصود أن الذي يبايع آخر دون مشورة من المسلمين، فإنهما غررا بالمسلمين وجزاء المبايع والمبايع له أن يقتلا. (راجع معاجم اللغة).

<sup>٣٠٩</sup> (٢). الاحكام السلطانية لابي الحسن على بن محمد البصرى البغدادي، ط. الثانية سنة ١٣٥٦ هـ، ص ٧-١١. والماوردي نسبة إلى (بيع ماء الورد) كان من وجوه فقهاء الشافعية، له مصنّفات كثيرة.

<sup>٣١٠</sup> (٣). الاحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى محمد بن الحسن الفراء الحنبلى، ط. الاولى بمصر سنة ١٣٥٦ هـ، ص ٧-١١. وإنّما اعقدنا عليهما أكثر من غيرهما من كتب مدرسة الخلفاء، لأنّ هذا النوع من الكتب مثل كتاب الخراج لابي يوسف، إنّما ألف لتدوين الاحكام التي تخصّ شؤون الحكم على رأى مدرسة الخلفاء ومن أجل العمل به، خلافا للكتب التي دوّنت في مقام المناظرة وليس للعمل بها. وكلّ ما نورد في ما يلي من كلا الكتابين وما انفرد به أحدهما ذكرنا ذلك في الهامش.

أقلّ من تنعقد به منهم الامامة خمسة يجتمعون على عقدها أو يعقدها أحدهم برضا الاربعة استدلالا بأمرين : أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر (رض) انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها ثمّ تابعهم الناس فيها، وهم عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح،<sup>٣١١</sup> واسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة (رض). والثاني: أنّ عمر (رض) جعل الشورى فى ستّة ليعقد لاحدهم برضا الخمسة. وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من أهل الكوفة:

تنعقد بثلاثة يتولّوها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حاكما وشاهدين كما يصحّ عقد النكاح بوليّ وشاهدين.

وقالت طائفة اخرى:

(تنعقد بواحد، لأنّ العباس<sup>٣١٢</sup> قال لعلّى رضوان الله عليهما: امدد يدك

ص: ١٨٨

ابايك، فيقول الناس عمّ رسول الله (ص) بايع ابن عمّه، فلا يختلف عليك اثنان، ولأنّه حكم وحكم واحد نافذ).<sup>٣١٣</sup>

(وأما انعقاد الامامة بعهد من قبله، فهو ممّا انعقد الاجتماع على جوازه ووقع الاتفاق على صحّته لامرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما، أحدهما: أنّ أبا بكر (رض) عهد بها إلى عمر (رض) فأثبت المسلمون إمامته بعهد.

والثاني: أنّ عمر (رض) عهد بها إلى أهل الشورى ... إلى قوله: لأنّ بيعة عمر (رض) لم تتوقّف على رضا الصحابة، ولأنّ الامام أحقّ بها).<sup>٣١٤</sup>

ونقل اختلاف العلماء فى لزوم معرفة الامام وأنّ بعضهم قال:

<sup>٣١١</sup> (١). أبو عبيدة، عامر بن عبد الله بن الجراح: كان حفاراً للقبور بمكة، شهد بدرًا وما بعدها ومات بطاعون عمّاس - كورة قرب بيت المقدس - سنة ١٨ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ١٤ حديثًا. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٤، وطبقات ابن سعد، ط. اوربا ٢ / ٢ / ٧٤. واسيد بن حضير: مرّت ترجمته فى ص ١٤٨، الهامش رقم (٣). وبشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجى: يقال أوّل من بايع أبا بكر، وكان حاسدا لسعد ابن عباد، وقتل يوم عين التمر مع خالد. أخرج حديثه النسائى فى سننه. راجع عبد الله بن سبأ ١ / ٩٦. والتقريب ١ / ١٠٣. واسد الغابة.

وأبو عبد الله، سالم مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة الاموى: كان من اصطخر فارس أعتقته ثبينة الانصارية زوج أبي حذيفة فتنبّاه أبو حذيفة ولذلك عدّ من المهاجرين. هاجر إلى المدينة قبل رسول الله وكان يؤمّ المهاجرين فيها وفيهم عمر بن الخطاب لأنّه كان أقرأهم للقرآن، آخى الرسول بينه وبين معاذ من الانصار. قتل يوم اليمامة. ترجمته باسد الغابة والاصابة.

<sup>٣١٢</sup> (٢). أبو الفضل، العباس بن عبد المطلب، وامه: ننبلة بنت خباب النمري. شهد مع رسول الله بيعة العقبة واسر فى بدر ففدى نفسه وابنى أخويه عقيلًا ونوفلا، هاجر قبل فتح مكة وشهده. استسقى به عمر بن الخطاب فى عام الرمادة - عام الجذب والقحط - . توفّى سنة ٣٢ هـ. روى عنه أصحاب الصحاح ٣٥ حديثًا. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨١.

<sup>٣١٣</sup> (١). الاحكام السلطانية للماوردى / ٦ - ٧.

<sup>٣١٤</sup> (٢). المصدر السابق ص ١٠. ويظهر من أقوالهم بأنهم يدينون بما وقع وأنّ الامر الذى وقع هو الدين ولا يختلفون فى ذلك وإنّما الاختلاف فى كيفية ما وقع.

(واجب على الناس كلهم معرفة الامام بعينه واسمه، كما عليهم معرفة الله ومعرفة رسوله).

ثم قال:

(والذى عليه جمهور الناس، أن معرفة الامام تلزم الكافة بالجملة دون التفصيل).<sup>٣١٥</sup>

وأضاف قاضى القضاة أبو يعلى الفراء الحنبلى فى الاحكام السلطانية<sup>٣١٦</sup>

على تلکم الاقوال قول بعضهم:

(إنها تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد).

ص: ١٨٩

(ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين، فلا يحلّ لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين).

وقال فى الامام يخرج عليه من يطلب الملك فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم: (تكون الجمعة مع من غلب) واحتج بأن ابن عمر صلى بأهل المدينة فى زمن الحرّة وقال: (نحن مع من غلب).<sup>٣١٧</sup>

وقال إمام الحرمين الجوينى (ت: ٤٧٨ هـ) فى باب الاختيار وصفته وذكر ما ينعقد به الامامة من كتاب الارشاد:

(إعلموا أنّ لا يشترط فى عقد الامامة الاجماع، بل تنعقد الامامة وإن لم تجمع الامّة على عقدها . والدليل عليه أن الامامة لمّا عقدت لابي بكر ابتدر لامضاء أحكام المسلمين، ولم يتأنّ لانتشار الاخبار إلّ من نأى من الصحابة فى الاقطار، ولم ينكر عليه منكر، ولم يحمله على التريث حامل . فإذا لم يشترط الاجماع فى عقد الامامة، لم يثبت عدد معدود، ولا حدّ محدود، فالوجه الحكم بأنّ الامامة تنعقد بعقد واحد من أهل الحلّ والعقد).<sup>٣١٨</sup>

ص: ١٩٠

وقال الامام ابن العربى (ت: ٥٤٣ هـ):

<sup>٣١٥</sup> (٣). المصدر السابق ص ١٥.

<sup>٣١٦</sup> (٤). الاحكام السلطانية ص ٧-١١.

<sup>٣١٧</sup> (١). المصدر السابق ص ٧-٨ فى طبعة، وفى اخرى ص ٢٠-٢٣.

وابن عمر، هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أمه زينب بنت مظعون الجمحية . استصغره الرسول فى احد وشهد ما بعدها . روى عنه فى الثناء على نفسه وأبيه روايات متعدّدة. أفتى ستين سنة بعد رسول الله فى الموسم . قالوا: كان جيّد الحديث، ولم يكن جيّد الفقه . لم يشهد شيئاً من الحروب مع على، ثم ندم على ذلك لمّا حضرته الوفاة، قال: ( ما أجد فى نفسى من الدنيا إلّا أنّى لم أقاتل الفئة الباغية مع على بن أبى طالب ). وكان سبب وفاته أنّ الحجاج أمر رجلاً فوضع زجّ رمح مسموم على قدمه فى الزحام فمات سنة ٧٣ هـ، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٦٣٠ حديثاً. ترجمته باسد الغاية وسير النبلاء وجوامع السيرة ص ٢٧٥.

<sup>٣١٨</sup> (٢). الارشاد فى الكلام لامام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجوينى، ط. القاهرة ١٣٦٩ هـ، ص ٤٢٤.



(لا يلزم في عقد البيعة للامام أن تكون من جميع الانام، بل يكفي لعقد ذلك اثنان أو واحد).<sup>٣١٩</sup>

وقال الشيخ الفقيه الامام العلامة المحدث القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) في المسألة الثامنة في تفسير **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** البقرة / ٣٠، من تفسير سورة البقرة:

(فإن عقدها واحد من أهل الحلّ والعقد فذلك ثابت، ويلزم الغير فعله، خلافا لبعض الناس حيث قال : لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحلّ والعقد . ودليلنا أن عمر (رض) عقد البيعة لابي بكر ولم ينكر أحد من الصحابة ذلك، فوجب ألا يفتقر إلى عدد يعقدونه كسائر العقود).

وقال الامام أبو المعالي: (من انعقدت له الامامة بعقد واحد فقد لزم، ولا يجوز خلعها من غير حدث وتغيير أمر، قال : وهذا مجمع عليه).

وقال في المسألة الخامسة عشرة من تفسير الاية:

(إذا انعقدت الامامة باتفاق أهل الحلّ والعقد أو بواحد على ما تقدّم، وجب على الناس كافة مبايعته).<sup>٣٢٠</sup>

وقال أفضى القضاة عضد الدين الايجي (ت: ٧٥٦ هـ) في المواقف:

المقصد الثالث في ما تثبت به الامامة، ما ملخصه : أنها تثبت بالنصّ من الرسول، ومن الامام السابق بالاجماع، وتثبت ببيعة أهل الحلّ والعقد خلافا للشيعية. دليلنا ثبوت إمامة أبي بكر (رض) بالبيعة.

ص: ١٩١

وقال:

إذا ثبت حصول الامامة بالاختيار والبيعة، فاعلم أن ذلك لا يفتقر إلى الاجماع، إذ لم يقدّم عليه دليل من العقل أو السمع، بل الواحد والاثنان من أهل الحلّ والعقد كاف، لعلنا أن الصحابة مع صلابتهم في الدين اكتفوا بذلك كعقد عمر لابي بكر، وعقد عبد الرحمن بن عوف لعثمان، ولم يشترطوا اجتماع من في المدينة فضلا عن إجماع الأمة . هذا ولم ينكر عليهم أحد، وعليه انطوت الاعصار إلى وقتنا هذا.<sup>٣٢١</sup>

ووافق القاضي الايجي شراح كتابه كتاب المواقف مثل السيد الشريف الجرجاني (ت: ٨١٦ هـ).<sup>٣٢٢</sup>

**وجوب طاعة الامام وإن خالف الرسول (ص):**

<sup>٣١٩</sup> (١) الامام أبو بكر محمد بن عبد الله الانبيللي المشهور بابن العربي في شرحه سنن الترمذى ٢٢٩ / ١٣ .  
<sup>٣٢٠</sup> (٢) القرطبي، هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصارى الخزرجى الاندلسى فى كتاب جامع أحكام القرآن، ط . مصر سنة ١٣٨٧ هـ، ٢٦٩ / ١ و ٢٧٢ .

<sup>٣٢١</sup> (١) المواقف فى علم الكلام، ط. مصر ١٣٢٥ هـ، ٨ / ٣٥١ - ٣٥٣، تأليف القاضي عبد الرحمن بن أحمد الايجي، نوقى بالسجن عام ٧٥٦ هـ .

<sup>٣٢٢</sup> (٢) السيد الشريف الجرجاني فى شرحه على المواقف والذى طبع مع الكتاب بمصر .

روى مسلم في صحيحه عن حذيفة قال: قال رسول الله:

«يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهدأى ولا يستنون بسنتى، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»

قال:

قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال:

«تسمع وتطيع للامير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع»

. وروى عن ابن عباس أن رسول الله قال:

«من رأى من إمامه شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شراً فمات، مات ميتة جاهلية».

وفي أخرى:

ص: ١٩٢

«ليس أحد خرج من السلطان شراً فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية».

وروى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه حين كان من أمر الحرّة م كان زمن يزيد بن معاوية قال : سمعت رسول الله (ص) يقول:

«من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية».<sup>٣٢٣</sup>

وقال النووي في شرحه بباب لزوم طاعة الامراء فى غير معصية : ( وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين ن والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويله للاحاديث الواردة فى ذلك). وقال قبله:

(وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الاحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق).<sup>٣٢٤</sup>

<sup>٣٢٣</sup> (١). صحيح مسلم ٢٠/٦ - ٢٢، كتاب الامارة، باب الامر بلزوم الجماعة.

وروى الحديث عن حذيفة، وهو ابن اليمان العيسى، كان أبوه قد أصاب دماً فى الجاهلية، فهرب إلى المدينة، وتزوج بها وحالف بنى عبد الاشهل، وسمى اليمان لمخالفته اليمانية واسمه حسيل. شهد حذيفة الخندق وما بعدها، وولى لعمر المدائن، ومات بها سنة ست وثلاثين، أربعين ليلة بعد بيعة الامام على .

روى عنه أصحاب الصحاح ٢٢٥ حديثاً. ترجمته فى الاستيعاب واسد الغابة والاصابة وجموع السيرة ص ٢٧٧.

<sup>٣٢٤</sup> (٢). ٢٢٩/١٢ فى شرحه على صحيح مسلم، وراجع سنن البيهقى ١٥٨/٨ - ١٥٩.

قال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: ٤٠٣ هـ) في كتاب التمهيد<sup>٣٢٥</sup> في باب ذكر ما يوجب خلع الامام وسقوط فرض طاعته ما ملخصه:

(قال الجمهور من أهل الاثبات وأصحاب الحديث: لا ينخلع الامام

ص: ١٩٣

بفسقه وظلمه بغصب الاموال، وضرب الابشار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويله وترك طاعته في شىء مما يدعو إليه من معاصى الله . واحتجوا في ذلك بأخبار كثيرة متظافرة عن النبي (ص) وعن الصحابة في وجوب طاعة الائمة وإن جاروا واستأثروا بالاموال، وأنه قال (ع): اسمعوا وأطيعوا ولو لعبد أجدع، ولو لعبد حبشى، وصلوا وراء كل بر وفاجر . وروى أنه قال : أطعمهم وإن أكلوا مالك، وضربوا ظهره).

### استدلال أتباع مدرسة الخلافة في القرون الاخيرة:

في القرون الاخيرة غالبا ما يستدل أتباع مدرسة الخلافة على صحة قيام حكم الخلافة في الماضى على أنه كان قائما على أساس الشورى بين المسلمين للخليفة، وبعضهم يستنتج من ذلك أن الحكم الاسلامى أيضا يقيم اليوم على أساس البيعة فمن بايعه المسلمون أصبح حاكما إسلاميا يجب على جميع المسلمين بذل الطاعة له.

\*\*\*

كان ذلكم رأى مدرسة الخلفاء فى كيفية إقامة الحكم الاسلامى وأدلتهم على ما يرتأون، وقبل البدء بدراسة ما ارتأوا عليه، ينبغى أن ندرس المصطلحات التى يدور عليها البحث فى ما يأتى.

ص: ١٩٤

### مصطلحات بحث الامامة والخلافة

يدور بحث الامامة والخلافة على المصطلحات السريعة التالية:

أ- الشورى.

ب- البيعة.

ج- الخليفة وخليفة الله فى الارض.

د- أمير المؤمنين.

<sup>٣٢٥</sup> (٣). ط. القاهرة ١٣٦٦ هـ.

ه- الامام.

و- الامر واولو الامر.

ز- الوصى والوصية.

وفي ما يلي تعريف المصطلحات المذكورة آنفا:

### أولاً- الشورى:

التشاور، والمشاورة، والمشورة فى لغة العرب: استخراج الرأى بمراجعة البعض البعض الاخر.

وشاوره: استخراج ما عنده من رأى.

وأشار عليه بالرأى، يشير: إذا ما وجه الرأى.

وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ الشورى / ٣٨ من صار هذا الشيء شورى بين القوم إذا تشاوروا فيه.<sup>٣٢٤</sup>

ص: ١٩٥

لم يتغيّر معنى مشتقات هذه المادّة فى استعمال القرآن الكرى م، والحديث الشريف، ولدى المسلمين عمّا كانت عليه لغة العرب، وإنّما الكلام فى مورد الشورى والمشاورة فى الشرع الاسلامى وحكمها. كما سيأتى بيانه بعيد هذا إن شاء الله.

### ثانياً- البيعة:

#### أ- البيعة فى لغة العرب:

البيعة فى لغة العرب : الصفقة على إيجاب البيع،<sup>٣٢٧</sup> وصدق يده بالبيعة والبيع، وعلى يده صفقا : ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تبايعوا.<sup>٣٢٨</sup> كان هذا معنى البيعة لدى العرب.

أمّا العهد والحلف: فقد كانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل ما فعل بنو عبد مناف حين أرادوا أن يقاتلوا بنى عبد الدار على من يقوم بحجابه البيت وسقاية الحاجّ وغيرهما من أعمال السيادة بمكة.

فروى ابن إسحاق أنّ بنى عبد مناف أخرجوا جفنة مملوءة طيبا فوضعوها فى المسجد عند الكعبة، ثمّ غمّسوا أيديهم فيها، وتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاءهم، ثمّ مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم وسمّوا (المطيّين).<sup>٣٢٩</sup>

<sup>٣٢٤</sup> (١). راجع مادة: (شور) من: مفردات الراغب. ولسان العرب. ومعجم ألفاظ القرآن الكريم.

<sup>٣٢٧</sup> (١). لسان العرب، مادة: (بيع).

<sup>٣٢٨</sup> (٢). لسان العرب، مادة: (صفق).

وروى - أيضا - فى أمر تجديد الكعبة: أن النبىء عندما بلغ موضع الركن اختصموا فيه، كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى، حتى

ص: ١٩٦

تحاوروا وتحالفوا، وأعدوا للقتال، فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما، ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت، وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة، فسموا (لعقة الدم).<sup>٣٣٠</sup>

#### ب- البيعة فى الاسلام:

كانت البيعة، أى: صفق اليد على اليد، فى لغة العرب علامة على وجوب البيع، وأصبحت فى الاسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة فى ما تقرّر بينهما، ويقال: بايعه عليه مبايعة: عاهده عليه.

وورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا الفتح / ١٠.

ونذكر من سنة الرسول (ص) ثلاث مرّات أخذ الرسول (ص) فيها البيعة من المسلمين.

#### ١- البيعة الاولى:

إنّ أوّل بيعة جرت فى الاسلام بيعة العقبة الاولى، أخبر عنها عبادة ابن الصامت وقال:

(وافى موسم الحجّ من الانصار اثنا عشر رجلا ممّن أسلم منهم فى المدينة، وقال عبادة:

بايعنا رسول الله (ص) بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض علينا الحرب، على أن لا نشرك بالله شيئا، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى بهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه فى معروف، فإن وفيتم فلکم

ص: ١٩٧

الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئا فاخذتم بحدّه فى الدنيا فهو كفارة له، وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمرکم إلى الله عزّ وجلّ، إن شاء عذب، وإن شاء غفر.<sup>٣٣١</sup> وسمّيت هذه البيعة ببيعة العقبة الاولى).

#### ٢- البيعة الثانية الكبرى بالعقبة:

<sup>٣٢٩</sup> (٣). سيرة ابن هشام ١ / ١٤١ - ١٤٣.

<sup>٣٣٠</sup> (١). سيرة ابن هشام ١ / ٢١٣.

<sup>٣٣١</sup> (١). سيرة ابن هشام ٢ / ٤٠ - ٤٢.

روى كعب بن مالك وقال:

خرجنا من المدينة للحجّ وتواعدنا مع رسول الله (ص) العقبة أواسط أيام التشريق، وخرجنا بعد مضيّ ثلث الليل متسلّلين مستخفين حتّى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان، فجاء رسول الله (ص) ومعه عمّه العباس، فتكلّم رسول الله (ص) فتلا القرآن ودعا إلى اللاّ ورغب في الاسلام ثمّ قال:

«بايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون نساءكم وأبناءكم» فأخذ البراء ابن معرور بيده ثمّ قال : نعم والذي بعثك بالحقّ لمنعنك ممّا نمنع به أزرنا،<sup>٣٣٢</sup> فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب ...

فقال أبو الهيثم بن التيهان: يا رسول الله إنّ بيننا وبين الرجال حبالا، وإنّا قاطعوها (يعنى اليهود) فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله (ص) ثمّ قال: «بل الدم الدم والهدم الهدم ...» أى: ذمّتى ذمّتكم وحرمتى حرمتكم.

وقال رسول الله (ص): «أخرجوا إلىّ منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم». فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس، فقال رسول الله (ص): «أنتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة

ص: ١٩٨

الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومي» يعنى: المسلمين. قالوا: نعم.

واختلفوا فى من كان أوّل من ضرب على يده، أسعد بن زرارة أم أبو الهيثم ابن التيهان.<sup>٣٣٣</sup>

٣- بيعة الرضوان، أو بيعة الشجرة:

فى سنة سبع من الهجرة، استنفر رسول الله (ص) أصحابه للعمرة فخرج معه ألف وثلاثمائة، أو ألف وستمائة، ومعه سبعون بدنة، وقال: لست أحمل السلاح، إنّما خرجت معتمرا. وأحرموا من ذى الحليفة، وساروا حتّى دنوا من الحديبية على تسعة أميال من مكّة، فبلغ الخبر أهل مكّة فراعهم، واستنفرّوا من أطاعهم من القبائل حولهم وقدموا مائتى فارس عليهم خالد بن الوليد أو عكرمة بن أبى جهل، فاستعدّ لهم رسول الله (ص) وقال: إنّ اللاّ أمرنى بالبيعة . فأقبل الناس يبايعونه على ألاّ يفروا، وقيل: بايعهم على الموت، وأرسلت قريش وفدا للمفاوضة، فلمّا رأوا ذلك تهيّبوا وصالحوا رسول الله (ص) ....<sup>٣٣٤</sup>

هذه ثلاثة أنواع من البيعة على عهد الرسول (ص) وهى:

أ- البيعة على الاسلام.

ب- البيعة على إقامة الدولة الاسلامية.

<sup>٣٣٢</sup> (٢). أزرنا: نساءنا، والمرأة يكتى عنها بالازار.

<sup>٣٣٣</sup> (١). سيرة ابن هشام ٢/٢٧-٤٧-٥٦.

<sup>٣٣٤</sup> (٢). إمتاع الاسماع للمقرئى ص ٢٧٤-٢٩١.

ج- البيعة على القتال.

والبيعة الثالثة تجديد للبيعة الثانية، وذلك لأن الرسول (ص) كان قد استنفرهم للعمرة. وبعد تبدل الحالة من العمرة إلى القتال، كانت الحالة

ص: ١٩٩

الحادثة مخالفة للعمل الذى استنفرهم له وخرجوا من أجله، فكأنه كان مخالفا لما عا هدهم عليه، فلذلك احتاج إلى أخذ البيعة للقيام بالعمل الجديد، وفعل ذلك وأعطى ثمرة فى إرعاب أهل مكة، وحصول النتيجة المطلوبة.

ونختم البحث بست روايات وردت فى البيعة وطاعة الامام:

١- روى ابن عمر قال: كُنَّا نبايع رسول الله (ص) على السمع والطاعة ثم يقول لنا:

«فى ما استطعت».<sup>٣٣٥</sup>

٢

- وفى رواية، وقال علىّ

: «ما استطعتم».<sup>٣٣٦</sup>

٣- وفى رواية، وقال جرير: قال:

«قل: فى ما استطعت».<sup>٣٣٧</sup>

٤- وروى الهرماس بن زياد قال: مددت يدي إلى النبي (ص) وأنا غلام لبياعينى، فلم يبايعنى.<sup>٣٣٨</sup>

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله (ص):

«على المؤمن المسلم السمع والطاعة فى ما أحبّ وكره، إلّا أن يؤمر بمعصية، فإذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة».<sup>٣٣٩</sup>

<sup>٣٣٥</sup> (١) . صحیح البخارى، كتاب الاحكام، باب البيعة، ح ٥. وصحيح مسلم، كتاب الامارة، باب البيعة على السمع والطاعة فى ما استطاع، ح ٩٠. وسنن

النسائى، كتاب البيعة، باب البيعة فى ما يستطيع الانسان.

<sup>٣٣٦</sup> (٢) . سنن النسائى، كتاب البيعة، باب البيعة فى ما يستطيع الانسان.

<sup>٣٣٧</sup> (٣) . صحیح البخارى، كتاب الاحكام، باب البيعة، ح ٥.

<sup>٣٣٨</sup> (٤) . البخارى، كتاب الاحكام، باب بيعة الصغير . وسنن النسائى، كتاب البيعة، باب بيعة الغلام . والهرماس بن زياد، أبو حيدر البصرى الباهلى : من قيس

عيلان. مات باليمامة بعد المائة. راجع ترجمته باسد الغابة، وتقريب التهذيب.

ص: ٢٠٠

٥- وعن ابن مسعود قال:

قال (ص): «سيلي اموركم بعدى رجال يطفنون السنّة ويعملون بالبدعة، ويؤخّرون الصلاة عن مواقيتها». فقلت: يا رسول الله! إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال: «تسألني يا ابن امّ عبد كيف تفعل؟ لا طاعة لمن عصى الله». ٣٤٠

٦- وعن عبادة بن الصامت فى حديث طويل آخره:

«فلا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى فلا تعتلوا برّبكم». ٣٤١

وفى رواية:

«لا تضلوا برّبكم». ٣٤٢

يتّضح لنا من دراسة البيعة فى سنّة الرسول (ص) أن للبيعة ثلاثة أركان:

أ- المبايع.

ب- المبايع له.

ج- المعاهدة على الطاعة للقيام بعمل ما.

وتقوم البيعة أولاً على تفهّم ما يطلب الطاعة على القيام به، ثمّ تتعقد

المعاهدة بضرب يد المبايع على يد المبايع له بالكيفية الواردة فى السنّة، والبيعة على هذا مصطلح شرعى، غير أن شروط تحقّق البيعة المشروعة فى الاسلام غير

ص: ٢٠١

واضحة لكثير من المسلمين اليوم، فنقول:

---

<sup>٣٣٩</sup> (٥). صحيح البخارى، كتاب الاحكام، باب السمع والطاعة للامام ما لم تكن معصية، ح ٣. وصحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب طاعة الامراء فى غير

معصية، ح ١٨٣٩. وسنن ابن

ماجة، كتاب الجهاد، باب لا طاعة فى معصية الله، ح ٢٨٦٣. وسنن النسائي، كتاب البيعة، باب جزاء من أمر بمعصية. ومسنّد أحمد ١٧ / ٢ و ١٤٢.

<sup>٣٤٠</sup> (١). سنن ابن ماجة ٢ / ٩٥٦، ح ٢٨٦٥. ومسنّد أحمد ١ / ٤٠٠ وفى لفظ: ليس طاعة لمن عصى الله.

<sup>٣٤١</sup> (٢). مسنّد أحمد ٥ / ٣٢٥ عن عبادة بن الصامت وأنه روى الحديث فى دار عثمان عندما شكاه معاوية إلى عثمان فجلبه عثمان إلى المدينة، ومخت صر

الحديث برواية عبادة فى ص ٣٢٩ منه.

<sup>٣٤٢</sup> (٣). تهذيب تاريخ ابن عساکر ٧ / ٢١٥.



تتعقد البيعة في الاسلام إذا توفرت فيها الشروط الثلاثة التالية:

أ- أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة، وببايع مختاراً.

ب- أن يكون المبايع له ممّن تصحّ مبايعته.

ج- أن تكون البيعة لامر يصحّ القيام به.

وعلى ما بيّنا لا تصحّ البيعة من صبي أو مجنون، لأنهما غير مكلفين بالاحكام في الاسلام، ولا تتعقد بيعة المكره، لأن البيعة مثل البيع، فكما لا يتعقد البيع بأخذ المال من صاحبه قهراً ودفع الثمن له، كذلك البيعة لا تتعقد بأخذها بالجبر وفي ظلّ السيف.

وكذلك لا تصحّ البيعة للمتجاهر بالمعصية، ولا تصحّ البيعة للقيام بمعصية الله . إذا فالبيعة مصطلح إسلامي، ولها أحكامها في الشرع الاسلامي.

#### الخلاصة:

البيعة في لغة العرب : الصفة على إيجاب البيع . وفي الاسلام أمانة على معاهدة المبايع المبايع له على أن يبذل له الطاعة في ما تقرر بينهما، ولا تتعقد إذا لم تتوفر شروطها : فإنها لا تصحّ من صبي أو مجنون، ولا تتعقد البيعة من مكره ولا تصحّ للمتجاهر بالمعصية ولا تصحّ للقيام بمعصية الله.

وقد بايع رسول الله (ص) على الاسلام أولاً، وعلى إقامة الدولة الاسلامية ثانياً، كما بايع المسلمين على القتال، وأشار الله سبحانه وتعالى إلى الاخير في قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ الْفَتْحُ / ١٠.

ص: ٢٠٢

ثالثاً- الخليفة وخليفة الله في الارض:

أولاً- الخليفة والخلافة:

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير.<sup>٣٤٣</sup>

والخلافة: من يخلف غيره، ويقوم مقامه، ويسدّ مسدّه.<sup>٣٤٤</sup>

<sup>٣٤٣</sup> (١). مفردات الراغب، مادة: (خلف).

<sup>٣٤٤</sup> (٢). نهاية اللغة لابن الاثير. ولسان العرب، مادة: (خلف).

وبهذا المعنى ورد في القرآن الكريم، في قوله تعالى:

أ- في سورة الاعراف:

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ... (٦٩).

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ... (٧٤).

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ... (١٦٩).

ب- في سورة مريم:

فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ... (٥٩).

ج- في سورة الانعام:

إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ ... (١٣٣).

وكذلك ورد في غيرها ونظائرها من آيات كريمة.

وورد في المعنى اللغوي- أيضا- في حديث الرسول (ص) في قوله:

«اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، قيل له: يا رسول الله (ص) من خلفاؤك؟

قال: الذين يأتون من بعدى يروون حديثي وسنتي»<sup>٣٤٥</sup>.

واستعمل- أيضا- في المعنى اللغوي في عصر الصحابة كالاتي:

ص: ٢٠٣

أ- على عهد الخليفة الاول:

قال ابن الاثير في نهاية اللغة:

وفي حديث أبي بكر، جاءه أعرابي فقال له: أنت خليفة رسول الله؟

فقال: لا.

فقال: ما أنت؟

<sup>٣٤٥</sup> (٣). وسيأتي تفصيل مصادر هذا الحديث في الجزء الثاني.

قال: أنا الخالفة من بعده.

قال ابن الاثير: الخالفة: الذي لا غناء ولا خير فيه، وإنما قال ذلك

تواضعا ....<sup>٢٤٤</sup>

## ب- على عهد الخليفة الثاني:

روى السيوطى (ت: ٩١١ هـ) فى تأريخه وقال: (فصل فى نُبْد من أخباره وقضاياه) أخرج العسكرى فى (الاولئ) والطبرانى فى (الكبير) والحاكم فى (المستدرک): أنَّ عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبى حثمة: لايّ شيء كان يكتب: «من خليفة رسول الله (ص)» فى عهد أبى بكر؟ ثمَّ كان عمر يكتب أوّلا: «من خليفة أبى بكر»، فمن أوّل من كتب: «من أمير المؤمنين»؟ فقال: حدّثتنى الشفاء- وكانت من المهاجرات- أنَّ أبا بكر كان يكتب: من خليفة رسول الله، وكان عمر يكتب: من خليفة خليفة رسول الله، حتّى كتب عمر إلى عامل العراق أن يبعث إليه رجلين جليدين يسألهما عن العراق وأهله، فبعث إليه لبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم، فقدا المدينة، ودخلا المسجد، فوجدا عمرو بن العاص، فقالا: إستانذن لنا على أمير المؤمنين، فقال عمرو: أنتما والله أصبتما اسمه. فدخل عليه عمرو، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال: ما بدا لك فى هذا الاسم؟ لتخرجن ممّا

ص: ٢٠٤

قلت. فأخبره وقال: أنت الامير ونحن المؤمنون، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ».

وروى عن النووى فى تهذيبه، وقال:

قال عمر للناس: أنتم المؤمنون وأنا أمركم، فسمّى أمير المؤمنين، وكان قبل ذلك يقال له: خليفة خليفة رسول الله، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها.<sup>٢٤٧</sup>

ص: ٢٠٥

## ثانيا- خليفة الله فى الارض:

### ١- فى المصطلح الاسلامى:

ورد «خليفة الله فى الارض» فى المصطلح الاسلامى بمعنى من اصطفاه الله من البشر وجعله إماما للرباس وحاكما.

وقد ورد بهذا المعنى فى قوله تعالى فى سورة البقرة:

<sup>٢٤٤</sup> (١). وعن ابن الاثير نقل ذلك فى لسان العرب.

<sup>٢٤٧</sup> (١). تأريخ السيوطى، ط. مطبعة السعادة بمصر ١٣٧١ هـ، ص ١٣٧-١٣٨. والحاكم فى المستدرک

١/ ٨١-٨٢. والاولئ للعسكرى ص ١٠٣-١٠٤.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً... (٣٠).

وفسر بعضهم الآية بأن الله تعالى جعل آدم (ع) خليفته في الارض؛ وفسرها آخرون بأن الله تعالى جعل نوع الانسان خليفته في الارض، ويؤيد التفسير الاول قوله تعالى في سورة (ص):

يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ (٢٦).

فإنه لو كان معنى الآية الاولى : إن الله جعل نوع الانسان خليفته في الارض فلا معنى عندئذ لتخصيص داود (ع) بجعله خليفة الله في الارض من بين نوعه الانساني الذي كان الله قد جعله خليفته في الارض قبل داود (ع) ومع داود (ع) وبعده.

وقد استعمل خليفة الله بهذا المعنى في روايات أئمة أهل البيت (ع).<sup>٣٤٨</sup>

جعل الله خلفاءه أئمة للناس:

وقد جعل الله تعالى خلفاءه في الارض أئمة للناس وآتاهم الكتاب والنبوة، كما أخبر الله تعالى عن إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب في سورة الانبياء وقال:

... وَكَلَّمْنَا صَالِحِينَ \* وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ

ص: ٢٠٦

فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٢ - ٧٣).

وقال جل ذكره في سورة الانعام:

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ... \* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ... \* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ \* ... وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ \* ... اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة (٨٣-٨٩).

إذا فإن من جعله الله خليفة في الارض يحكم بين الناس، جعله - أيضا- إماما لهم يهديهم بكتاب الله ويبلغهم شريعته . وبناءً على ذلك يكون أهم وظائف خلفاء الله التبليغ. كما ورد التصريح بذلك في قوله تعالى:

أ- في سورة النحل:

فَهَلْ عَلَى الْوَسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥).

<sup>٣٤٨</sup> (١) . راجع البحار ٢٦ / ٢٦٣، الحديث ٤٧ نقلا عن كنز الفوائد للكراچكي. والكافي ١ / ٢٠٠.

ومن لا يحضره الفقيه ٢ / ٣٦٩ و ٣٧١.

ب- فى سورة النور (٥٤) وسورة العنكبوت (١٨):

وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.

ج- وأمثالهما فى سور:

آل عمران (٢٠)، والمائدة (٩٢، ٩٩)، والرعد (٤٠)، وإبراهيم (٥٢)، والنحل (٣٥)، والشورى (٤٨)، والاحقاف (٣٥)، والتغابن (١٢).

ثم إنه لا يبلغ عن الله عز وجل إلا رسول يوحى إليه، أو وصى عينه الله لذلك . كما نجد مثالا له فى خبر تبليغ الايات العشر الاولى من سورة براءة كالاتى تفصيله:

أ- فى مسند أحمد وغيره واللفظ لمسند أحمد قال:

«عن على قال:

لما نزلت عشر آيات من براءة على النبي «دعا النبيّ

ص: ٢٠٧

»أبا بكر فبعثه بها ليقراها على أهل مكة، ثم دعانى النبيّ «فقال لى:

أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبيّ (ص) فقال: يا رسول الله! نزل فى شىء؟ قال: لا. ولكن جبرئيل جاءنى فقال: لن يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك».<sup>٣٤٩</sup>

ب- فى تفسير السيوطى عن أبى رافع قال:

بعث رسول الله (ص) أبا بكر (رض) براءة إلى الموسم، فأتى جبرئيل (ع) فقال: إنه لن يؤدّيها عنك إلا أنت أو رجل منك، فبعث عليّا (رض) على أثره حتى لحقه بين مكة والمدينة فأخذها فقرأها على الناس فى الموسم.<sup>٣٥٠</sup>

ج- وفى رواية اخرى عن سعد بن أبى وقاص قال:

<sup>٣٤٩</sup> (١). مسند أحمد ١/ ١٥١. وتحقيق أحمد محمد شاكر ٢/ ٣٢٢، الحديث ١٢٩٦. وفى الدر المنثور

للسيوطى ٣/ ٢٠٩، وفيه عن أنس بن مالك وسعد بن أبى وقاص، وجاء فى لفظ سعد: «... فكأن أبا بكر (رض) وجد فى نفسه فقال النبيّ (ص): يا أبا بكر! إنه لا يؤدى عنى إلا أنا أو رجل منى».

<sup>٣٥٠</sup> (٢). تفسير الدر المنثور للسيوطى ٣/ ٢١٠.

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) بعث أبا بكر (رض) ببراءة إلى أهل مكة، ثم بعث عليًا (رض) على أثره فأخذها منه. فكان أبا بكر (رض) وجد في نفسه فقال النبي (ص): يا أبا بكر! إنه لا يؤدّي عنّي إلّا أنا أو رجل منّي». <sup>٣٥١</sup>

في هذا الخير أرسل الرسول (ص) صحابيّهُ أبا بكر لتبليغ عشر آيات من صدر براءة إلى المشركين في حجّ العام التاسع للهجرة، فأتاه جبرئيل - أمين

ص: ٢٠٨

وحى الله - وقال له: إنه لن يؤدّيها عنك إلّا أنت أو رجل منك. أي إن تبليغ عشر آيات من سورة براءة للمخاطبين بها مباشرة وظيفية تبليغية خاصة بالرسول، ولن يؤدّي هذه الوظيفة عن الرسول إلّا هو أو رجل منه وهو عليّ بن أبي طالب وصيّهُ على شريعته. كما ستأتى الروايات في تعيين الوصي للرسول (ص) في بحث الوصية إن شاء الله تعالى، ومن ثمّ ندرك أنّ التبليغ عن الله مباشرة وظيفية وولاية للرسول ووصيّهِ.

يؤتى الله خلفاءه ما يعجز عنه البشر:

أحياناً تقتضى حكمة الله أن يأتي خليفته - الذى جعله إماماً للناس ومبلغاً لكتابه وشريعته - بآية تدلّ على صدقه فى ما يبلى عن الله، وتسمى تلك الآية فى العرف الإسلامى بالمعجزة؛ لعجز البشر عن الاتيان بمثلها.

كما أخبر الله تعالى عن بعض ما أتى به رسوله موسى وعيسى (ع) وقال فى خبر ما أتى به كليمه موسى (ع):

أ- فى سورة الاعراف:

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (١٠٧).

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨).

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧).

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ (١٦٠).

ب- فى سورة الشعراء:

فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ (٣٢).

فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥).

<sup>٣٥١</sup> (٣). تفسير الدر المنثور للسيوطى ٣ / ٢٠٩.

فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَلَكَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ

ص: ٢٠٩

كَالطُّودِ الْعَظِيمِ (٦٣).

وأخبر جلّ ذكره عما أتى رسوله عيسى بن مريم (ع) في سورة المائدة، فقال تعالى:

... إِذْ أَيْدِيكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَيْدِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَيْدِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِأَيْدِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِأَيْدِي ... (١١٠).

وفي سورة آل عمران حكى عن عيسى (ع) أنه قال:

... وَاحْيَى الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَابْتِئْتُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ... (٤٩).

وأخبر تعالى عما أتى داود وسليمان الوصيين على شريعته في سورة الانبياء وقال عز اسمه:

وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ (٧٩).

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ ... \* وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ (٨١ - ٨٢).

وليس من الضروري أن يؤتى الله جميع الائمة جميع المعجزات كما لم يذكر سبحانه عن هود ولوط وشعيب أنه آتاهم معجزات موسى وعيسى وداود وسليمان صلوات الله عليهم أجمعين، وكذلك لم يمكن الناس بعض الرسل من أن يحكموا بينهم بالعدل، وكذلك لم يتسن للرسول موسى (ع) ولخاتم الرسل محمد (ص) أن يحكما بين الناس في أول أمرهما، بينما هم أئمة خلفاء منذ بدء تكليفهم بالتبليغ. إذا فإن الخلافة والامامة ملازمتان لتعيين الله صفيًا من أصفياه لتبليغ كتابه ودينه، وليستا ملازمتين للحكم بين الناس وإتيان المعجزات. وبناءً على ذلك فإن خليفة الله هو المبلّغ عن الله.

ص: ٢١٠

كان ذلكم معنى خليفة الله في كتاب الله.

وورد معنى خليفة الرسول (ص) في حديث الرسول (ص) كالاتي:

«اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي».

قيل له: يا رسول الله! من خلفاؤك؟

قال:

«الذين يأتون من بعدى يروون حديثى وسنتى»<sup>٣٥٢</sup>.

إذا فإنّ خليفة الله هو الذى عينه الله لتبليغ شريعته، وخليفة الرسول هو الذى يقوم بتبليغ حديث الرسول وسنته من تلقاء نفسه.

كذلك استعمل مصطلحا خليفة الله وخليفة الرسول فى الكتاب والسنة واستعملا فى مصطلح المسلمين كالاتى بيانه:

## ٢- الخليفة وخليفة الله فى مصطلح المسلمين:

مرّ بنا فى بحث معنى الخليفة اللغوى أنّ أبا بكر كان يسمّى بخليفة رسول الله (ص) وعمر بخليفة خليفة رسول الله (ص)، وأنّه سمّى بعد ذلك بأمر المؤمنين، وبقي ذلك متداولاً إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وإلى جانب ذلك سُمى الحاكم الاسلامى الاعلى بما يأتى:

### أ- فى العصر الاموى والعباسى:

تعارف أتباع مدرسة الخلفاء منذ العصر الاموى وإلى العصر العباسى على تسمية الحاكم الاعلى بخليفة الله.

فقد قال الحجاج فى خطبة صلاة الجمعة:

فاسمعوا وأطيعوا لخليفة الله وصفيّه عبد الملك بن مروان.<sup>٣٥٣</sup>

ص: ٢١١

ولمّا قيل فى مجلس المهدي العباسى: إنّ الخليفة الاموى الوليد كان زنديقا، قال المهدي:

خلافة الله عنده أجلّ من أن يجعلها فى زنديق.<sup>٣٥٤</sup>

واشتهر ذلك على لسانهم فى العصر الاموى والعصر العباسى، وورد ذكره فى شعر الشعراء، كما قال جرير فى قصيدة أنشدها فى الخليفة عمر بن عبد العزيز وقال:

لسنا إليكم ولا فى دار منتظر<sup>٣٥٥</sup>

خليفة الله ماذا تأمرون بنا

<sup>٣٥٢</sup> (١). راجع مصادره فى المجلد الثانى من هذا الكتاب (ط. ٣، ص ٥٨ - ٥٩).

<sup>٣٥٣</sup> (٢). سنن أبى داود ٢ / ٢١٠، ح ٤٦٤٥، باب فى الخلفاء.

<sup>٣٥٤</sup> (١). تأريخ ابن الاثير ١٠ / ٧ - ٨.

<sup>٣٥٥</sup> (٢). شرح شواهد المغنى للسيوطى، ط. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١ / ١٩٧.



وإنَّ عمر بن عبد العزيز مع اشتهاره بالتدين لم ينكر ذلك من قول جرير.

وقال- أياضل- مروان بن أبي حفصة (ت: ١٨٢) في الخليفة أبي جعفر المنصور في قصيدته التي مدح بها معن بن زائدة الشيباني (ت: ١٥١ هـ) حيث قال:

بالسيف دون خليفة الرحمن

ما زلت يوم الهاشمية معلنا

من وقع كل مهتد وسان<sup>٣٥٦</sup>

فمنعت حوزته وكنت وقاه

ب- في العصر العثماني:

في عصر العثمانيين استعمل لفظ الخليفة اسما لسلطان المسلمين الاعظم.<sup>٣٥٧</sup> بدون إضافة إلى (الله) أو (الرسول).

ص: ٢١٢

ج- في عصرنا:

اشتهر في عصرنا أن المقصود في قوله تعالى للملائكة : **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ نَوْعَ الْإِنْسَانِ خَلِيفَتَهُ فِي الْأَرْضِ.<sup>٣٥٨</sup>

وبناءً عليه يكون معنى (خليفة الله في الأرض) نوع الإنسان، ومعنى (استخلف) و (يستخلف) وغيرهما مما ورد من مادة (خلف) استخلاف نوع الإنسان، واشتهر- أيضا- أن المقصود في تسمية الحاكم الاعلى للمسلمين بالخليفة إلى آخر عصر الخلافة العثمانية أنه خليفة رسول الله (ص) في الحكم على المسلمين . وعليه يكون معنى (الخليفة) خليفة رسول الله (ص)، ويصفون الخلفاء الاربعة بعد رسول الله (ص) بالراشدين دون من جاء بعدهم إلى آخر العثمانيين، واشتهرت هذه التسمية بين المسلمين حتى اليوم.

انتقال مصطلح الخليفة من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع):

<sup>٣٥٦</sup> (٣). الكنى واللقاب للقمي ١/ ٢٥٢.

<sup>٣٥٧</sup> (٤). راجع المعجم الوسيط، مادة: (خلف).

<sup>٣٥٨</sup> (١). قال سيد قطب في تفسير قوله تعالى: **إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**:

( وإذا فهي المشيئة العليا تريد أن تسلّم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده ... وإذا فهذه منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان في نظام هذا الوجود على هذه الأرض الفسيحة). تفسير في ظلال القرآن ١/ ٦٥-٦٦.

ويرى مؤلف كتاب (خليفة وسلطان) و. و. يارتولد، ترجمة ايزدي، ط. طهران ١٣٥٨، ص ١٦. أن هذا المعنى قد تسرّب إلى المجتمعات الاسلامية من أفكار أهل الكتاب.

راجع الملحق رقم (١) في آخر الكتاب.

جرى بعد الرسول (ص) كل ذلك التبديل لمعنى (الخلافة) و (خليفة الله فى الارض) فى مدرسة الخلفاء.

ص: ٢١٣

وفى مدرسة أهل البيت (ع) ورد لفظ (خليفة الله فى الارض) فى روايات أئمة أهل البيت (ع) بمعنى المصطلح الاسلامى كما أشرنا إليه.

وانتقل مصطلح (الخلافة) بمعنى: خليفة رسول الله (ص) من مدرسة الخلفاء إلى أتباع مدرسة أهل البيت (ع) منذ القرن الخامس الهجرى وحتى اليوم. واستندت مدرسة الخلفاء إلى عدم ورود (الخلافة) بالمعنى الذى استحدثوه بعد الرسول (ص) فى حديث الرسول (ص)، وقالوا: إن الرسول (ص) ترك أمته هملا ولم يعين المرجع من بعده.

وفى مقام الرد عليهم استند أتباع مدرسة أهل البيت (ع) إلى ما ورد عن الرسول (ص) فى تعيين الامام على وصيا من بعده وقالوا: إن الرسول (ص) عينه خليفة من بعده بالمعنى الذى استحدث للخليفة بعد الرسول (ص) ولم يترك أمته هملا.<sup>٣٥٩</sup>

جرى كل ذلك من أتباع المدرستين غفلة منهم عن أن المصطلح الذى أحدثته مدرسة الخلفاء بعد الرسول (ص) لم يكن ليأتى فى حديث الرسول (ص).

الخلاصة:

أ- خليفة الشخص فى اللغة : من يقوم بعمله فى غيابه، وقد ورد بالمعنى اللغوى فى القرآن وحديث الرسول (ص) ومحاورات الصحابة.

ب- خليفة الله فى الارض فى المصطلح الاسلامى : من يعينه الله تعالى لتبليغ شريعته آخذا من الوحي أو من الرسول (ص)، وللحكم بين الناس، ويؤتى بعضهم ما يعجز البشر عن الاتيان بمثله، وقد ورد بهذا المعنى فى القرآن

ص: ٢١٤

وروايات أئمة أهل البيت (ع).

ج- خليفة الرسول فى حديث الرسول (ص): من يقوم بتبليغ حديثه وسنته.

د- فى مصطلح المسلمين: سمى أبو بكر بخليفة رسول الله (ص)، وسمى عمر بخليفة خليفة رسول الله، ثم سُمى عمر بأمير المؤمنين وبقيت هذه التسمية للحاكم الاسلامى الاعلى إلى آخر الخلفاء العثمانيين، وفى العهدين الاموى والعباسى اضيف إلى ذلك تسميته بخليفة الله، وإلى جانب هذين الاسمين اشتهرت تسمية الحاكم الاعلى فى العهد العثمانى ب- (الخلافة) أى خليفة الرسول، وانتشرت هذه التسمية لدى المسلمين بعد العهد العثمانى حتى اليوم، وقيل لجميع من ولى الحكم بعد

<sup>٣٥٩</sup> (١). نجد بعض تلك الأدلة فى كتاب (الالفين) للعلامة الحلى.

الرسول (ص) إلى العثمانيين ب- (الخليفة) أى خليفة الرسول (ص)، وسمّى الخلفاء الاربعة بعد الرسول (ص) ب- (الخلفاء الراشدين)، وانتقل مصطلح (الخليفة) إلى أتباع مدرسة أهل البيت.

وسمّوا من ولى الحكم بعد الرسول (ص) إلى العثمانيين ب- (الخليفة)، وقد أدّت الغفلة عن هذا الامر إلى التشويش على المسلمين فاشتهر لدى مدرسة الخلفاء أنّ الرسول (ص) ترك أمته هملا ولم يعين المرجع من بعده لأنّ المصطلح الذى استحدثوه بعد الرسول (ص) لم يرد فى حديث الرسول (ص)، واستند أتباع مدرسة أهل البيت إلى ما ورد عن الرسول (ص) فى تعيين الامام على وصيّا بعده، وقالوا : إنّ الرسول (ص) عينه خليفة للمسلمين بالمعنى الذى استحدثه المسلمون للخليفة بعد الرسول (ص)، واشتدّ الخلاف بين المسلمين فى هذا الامر.

وسياتى البحث فى ما فعله الرسول (ص)، وما قاله فى هذا الصدد بما يكشف عن حقيقة الامر، بُعيد هذا إن شاء الله تعالى.

ص: ٢١٥

رابعاً- أمير المؤمنين:

ممّا أوردنا سابقا عرفنا أنّ لفظ أمير المؤمنين استعمل منذ عصر الخليفة عمر بن الخطاب وارىد به الحاكم الاسلامى الاعلى، وبقي متداولاً كذلك إلى عصر العثمانيين.

خامساً- الامام:

الامام فى اللغة: الانسان الذى يؤتمّ به ويقتدى بقوله أو فعله محققاً كان أو مبطلاً،<sup>٣٦٠</sup> كما ورد فى قوله تعالى:

يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ اِنْسَانٍ بِاِمَامِهِمْ فَمَنْ اَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَاُولٰٓئِكَ يَفْرَؤْنَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً\* وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ اَعْمٰى فَهُوَ فِي الْاٰخِرَةِ اَعْمٰى وَاَضَلُّ سَبِيْلًا الْاَسْرَاءُ / ٧١- ٧٢.

ومن الثانى ما ورد ذكره فى قوله تعالى:

فَقَاتِلُوا اُمَّةَ الْكُفْرِ اِنَّهُمْ لَا اِيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ التوبة / ١٢.

والامام فى الاسلام هو الهادى إلى سبيل الله بأمرٍ من الله إنساناً كان كما ورد ذكره فى قوله تعالى:

وَإِذْ ابْتَلَى اِبْرَاهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَمَنَّ قَالَ اِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ اِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِيْنَ البقرة / ١٢٤.

وقوله تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ اُمَّةً يَهْدُوْنَ بِاَمْرِنَا ... الانبياء / ٧٣.

أو كان كتاباً كما ورد ذكره فى قوله تعالى:

<sup>٣٦٠</sup> (١). راجع مادة (أم) فى معاجم اللغة.

وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً هود / ١٧.

وندرک من فحوى الايتين المذكورتين أعلاه أن شرط الامام في الاسلام إن كان كتابا أن يكون منزلا من قبل الله على رُسُله لهداية الناس كما كان شأن

ص: ٢١٦

كتاب محمد (ص): القرآن الكريم، ومن قبله كتاب موسى: التوراة، وكذلك شأن كتب سائر الانبياء.<sup>٣٦١</sup>

وإن كان إنسانا أن يكون معينا من قبل الله لقوله تعالى:

إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا وَعَهْدِي.

وأن يكون غير ظالم لنفسه ولا لغيره أى غير عاصٍ لله لقوله تعالى: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

وفى ضوء ما سبق يصحّ القول بأن الامام فى الاصطلاح الاسلامى هو:

أ- الكتاب المنزل من قبل الله على رسله لهداية الناس.

ب- الانسان المعين من قبل الله لهداية الناس وشرطه أن يكون معصوما من الذنوب.

سادسا- الامر واولو الامر:

لمعرفة معنى (الامر) و (اولى الامر) وهل هما مصطلحان شرعيان أم لا؟ نستعرض فى ما يلى موارد استعمالهما فى لغة العرب وعرف المسلمين والنصوص الاسلامية كتابا وسنة، فنقول:

أ- فى لغة العرب:

ورد فى سيرة ابن هشام، والطبرى، وغيرهما، أن رسول الله كان يعرض نفسه فى المواسم على قبائل العرب، يدعوهم إلى الاسلام، ويخبرهم أنه نبي مرسل من قبل الله، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به.

قال: وإنه أتى بنى عامر بن صعصعة ذات مرة فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ،

ص: ٢١٧

وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم يقال بيحرة بن فراس :<sup>٣٦٢</sup> والله لو أتى أخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب. ثم قال له: رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيقون لنا الامر من بعدك؟ قال :

<sup>٣٦١</sup> (١). راجع مادة: (الكتاب) فى المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم.

<sup>٣٦٢</sup> (١). قال ابن هشام: فراس، ابن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة. سيرة ابن هشام ٣٣/٢.

«الامر إلى الله يضعه حيث يشاء»، قال: فقال له: أفنهدف نحورنا<sup>٣٦٣</sup> للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا؟! لا حاجة لنا بأمرك.<sup>٣٦٤</sup>

\*\*\*

إن هذا العربي كان يفهم (أمر رسول الله (ص) على أنه سيادة وحكم على العرب، فأراد أن يعقد مع الرسول (ص) حلفاً يكون لقبيلته الحكم والسيادة على العرب من بعد الرسول (ص)، لكن الرسول (ص) امتنع من إجابته رغم حاجته الشديدة يومذاك إلى المؤازرين، لأن الامر ليس إليه وإنما الامر إلى الله يضعه حيث يشاء.

وكذلك كان شأن هوزة بن علي الحنفي في طلبه من الرسول (ص) حين دعاه الرسول (ص) إلى الاسلام كما في طبقات ابن سعد، ما ملخصه:

كتب رسول الله (ص) إلى هوزة بن علي الحنفي يدعوه إلى الاسلام، فكتب في جواب النبي (ص): ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الامر أتبعك، فقال النبي (ص): «لو سألتني سيابة من الارض ما فعلت».<sup>٣٦٥</sup>

ص: ٢١٨

نرى أن الرسول (ص) قصد من (سيابة): الارض المهملة. إذا فقد طلب هوزة من الرسول (ص) أن يجعل له بعض الامر: إمارة ما على أرض أو قبيلة وما شابههما، فأجابه الرسول (ص) أنه لا يؤمره ولا على سيابة من الارض، وهذا القول من الرسول (ص) نظير قول أهل الكوفة أو البصرة عندما وظف واليهام على كل واحد منهم نقل كمّية من الحصباء إلى مسجدهم الجامع ليفرشه بالحصباء، وأمر عليهم أحدهم وكان يتصعب في قبول الحصباء منهم، فقالوا: يا حبذا الامارة ولو على الحجارة! وكذلك الامر في الخبر السابق، فإن هوزة طلب من الرسول الامامة (ولو على الحجارة) فأجابه الرسول (ص): لا، ولا على الحجارة.

ب- في عرف المسلمين:

كان أكثر استعمال (الامر) في عرف المسلمين يوم السقيفة وما بعدها، قال سعد بن عبادَةَ للانصار يوم السقيفة:

(استبدّوا بهذا الامر دون الناس...).

وأجابته الانصار بقولهم: (نوليكَ هذا الامر).

<sup>٣٦٣</sup> (٢). (أفنهدف نحورنا) معناه نصيرها هدفاً، والهدف: الغرض الذي يرمى بالسهم إليه .

<sup>٣٦٤</sup> (٣). سيرة ابن هشام ٢/ ٣١-٣٤. والطبرى، ط. اوربا ١/ ١٢٠٥-١٢٠٦.

<sup>٣٦٥</sup> (٤). طبقات ابن سعد، ط. اوربا ١/ ق ١٨/ ٢.

وقالوا في السيابة: واحدة السياب: البسر الاخضر، وعلى هذا لم يكن من المناسب أن يقول ولا سيابة أي لا بسر من الارض بل كان المناسب أن يقول ولا بسر من التمر. ونرى أن السيابة مشتقة من السيب وهو كل سيب وخلي، ومنه السائبة: أي الدابة المهملة، ويكون المعنى: الارض الخالية والمتروكة.

ثمّ تبادوا الكلام وقالوا: (فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: ... نحن عشيرته وأولياؤه فعلام تنازعونا هذا الامر من بعده؟ ...).

وقال أبو بكر في احتجاجه عليهم يومذاك: (ولن يُعرف هذا الامر إلّا لهذا الحيّ من قريش ...).

ص: ٢١٩

وقال- أيضا- في قريش: (وهم أحقّ الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلّا ظالم).

وقال عمر- أيضا- يوم السقيفة: (من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أهله وعشيرته).

وقال الحُبَاب بن المنذر في جوابه: (لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر ... فأنتم والله أحقّ بهذا الامر ...).

وقال بشير بن سعد عندئذ في حقّ قريش: (لا يرانى الله انازعهم هذا الامر أبدا).<sup>٣٤٤</sup>

ج- في النصوص الاسلامية:

لقد جاء في حديث الرسول ذكر (الامر) كثيرا ممّا سندرسه في البحوث الاتية إن شاء الله تعالى . ونكتفى هنا بتسجيل كلمة الرسول (ص) في جواب العامرى:

«إنّ الامر إلى الله يضعه حيث يشاء».

وقد ورد في كتاب الله تعالى:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ... النساء / ٥٩.

\*\*\*

في كلّ هذه الموارد سواء في لغة العرب، وعرف المسلمين، والنصوص الاسلامية سنّة وكتابا، إنّما اريد من (الامر) أمر الامامة والحكم على المسلمين.

وعلى هذا فإنّ (الامر) استعمل في الشرع الاسلامى بنفس المعنى الذى

ص: ٢٢٠

استعمل فيه لدى العرب والمسلمين، ولا مانع بعد ذلك أن نسمّى (اولى الامر) مصطلحا شرعيا وتسمية إسلامية وأنّه اريد به الامام بعد النبىّ (ص)، ولا خلاف في ذلك، ولكنّ الخلاف بين المدرستين في من يصدق عليه تسمية اولى الامر، فإنّ

<sup>٣٤٤</sup> (١). كلّ هذه المحاججات جاءت في خبر السقيفة بتاريخ الطبرى، ط. اوربا ١/ ١٨٣٧-١٨٥١.

مدرسة أهل البيت (ع) ترى أنه لما كان المقصود من اولى الامر : الائمة، فلا بد أن يكون منصوبا من قبل الله، معصوما من الذنوب على التفصيل الذى سيأتى بيانه فى بابہ إن شاء الله.

وترى مدرسة الخلافة أن (اولى الامر) من بايعه المسلمون بالحكم . وبناءً على ذلك يرون وجوب طاعة كل من بايعوه، وعلى هذا الاساس أطاعوا الخليفة يزيد بن معاوية فقتلوا وسبوا آل بيت رسول الله (ص) بكرىلاء، وأباحوا مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيام، ورموا الكعبة بالمنجنيق، كما سيأتى بيانه فى محلّه إن شاء الله تعالى.

### سابعاً- الوصىّ والوصيّة:

ورد مصطلح الوصى والوصية ومشتقاتهما فى كلام العرب بالمعنى الاتية:

يقال لانسان حىّ يعهد لانسان آخر أن يقوم بأمر يهّمه بعد وفاته : الموصى، وللآخر: الوصىّ، وللامر الموصى به : الوصية؛ وتجرى الوصية بلفظ الوصية ومشتقاتها تارةً مثل أن يقول الموصى لوصيّه : اوصيك بعدى برعاية أهلى أو إدارة مدرستى، وأن تفعل كذا وكذا، واخ رى بلفظ يؤدّى معنى الوصية، مثل أن يقول الموصى لوصيّه : أطلب منك أن تقوم بعدى برعاية أهلى وإدارة مدرستى وتفعل كذا وكذا.

ويخبر الموصى الاخرين عن وصيته أحيانا بلفظ : أوصيتُ إلى فلان، ووصيى فلان، واخرى يقول : عهدت إلى فلان، أو : أوكلت إليه أن يقوم بكذا، وكلا اللفظين يؤدّيان معنى واحداً، وهكذا نظائرهما.

### ص: ٢٢١

كان هذا موجز معنى مصطلح الوصىّ والوصية ومشتقاتهما فى لغة العرب، وبنفس المعنى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، قال الله سبحانه فى سورة البقرة الايات ١٨٠ - ١٨٢:

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ - إلى قوله تعالى-: **فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ**. وفى سورة المائدة، الاية ١٠٦:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ..... وكذلك وردت فى سورة النساء، الايتان ١١ و ١٢.

ومما ورد فى السنة النبوية ما رواه كلٌّ من البخارى فى أوّل كتاب الوصايا من صحيحه، ومسلم فى كتاب الوصية من صحيحه: <sup>٢٦٧</sup>

إنّ رسول الله (ص) قال: «ما حقّ امرئ مسلم له شيء يوصى فيه أن يبيت ليلتين إلّا ووصيته مكتوبة عنده».

وللوصية أحكامها فى الفقه الاسلامى. وبناءً على ما ذكرنا فإنّ لفظى الوصى والوصية من المصطلحات الاسلامية.

والوصية من الانبياء والرسل كما سننقل أمثلة منها من التوراة والانجيل أن يعهد الرسل إلى أوصيائهم حمل شريعتهم بعدهم إلى الناس ورعاية أمّتهم من بعدهم.

وفي هذه الامّة فعل خاتم الانبياء (ص) مثل من سبقه من الرسل وعهد إلى الامام عليّ (ع) تبليغ شريعته ورعاية امّته من بعده، وبواسطته عهد ذلك إلى بنيه الائمة الاحد عشر من بعده وأخبر النبيّ المسلمين بكلّ ذلك، تارةً بلفظ الوصى والوصية ومشتقاتهم، واخرى بألفاظ اخرى تؤدّي المعنى نفسه . فلقّب

ص: ٢٢٢

الامام عليّ بلقب الوصى وأصبح علماً له، كما سيأتى بيان كلّ ذلك فى باب النصوص الواردة عن رسول الله (ص) فى تعيين ولىّ الامر من بعده مع بيان قول من أنكر ذلك ورأى أنّ رسول الله (ص) لم يهتمّ بأمر المسلمين ولم يوص إلى أحد من بعده، إن شاء الله تعالى.

ص: ٢٢٣

#### دراسة رأى مدرسة الخلفاء

بعد دراسة المصطلحات السبعة الماضية تبيّن لنا دراسة رأى المدرستين فى الخلافة والامامة وما استدّلوا به فى هذا المقام، ونبدأ بدراسة آراء مدرسة الخلافة فى ما يأتى:

رأى مدرسة الخلاق وما استدّلوا به :

أولاً- قال الخليفة أبو بكر:

٣٦٨

لن يعرف هذا الامر إلّا لهذا الحىّ من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين (عمر وأبى عبيدة) فبايعوا أيّهما شئتم.

ثانيا- قال عمر بن الخطاب:

٣٦٩

فلا يغترنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبى بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك، ولكنّ الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الاعناق إليه مثل أبى بكر، من بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرّة أن يقتلا.

٣٦٨ (١). البخارى، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.

٣٦٩ (٢). البخارى، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى.



## مناقشة الاستدلالين:

أشرنا هنا أولاً إلى استدلال الخليفة أبي بكر في السقيفة، وثانياً إلى رفع الخليفة عمر شعار الشورى لولاية الامر من بعده .  
 أمّا ما كان من احتجاج الخليفة أبي بكر في السقيفة، فإنّ الحقيقة في أمر احتجاجات جميعهم يومذاك، هي أنّها كانت  
 تجرى وفق المنطق القبلي؛ فإنّ الانصار لمّا تركوا جثمان رسول الله (ص) ملقىً بين أهله، وبادروا إلى سقيفة بنى ساعدة  
 ليؤلّوا سعدا ما قالوا إنّ سعداً أفضل من غيره وأولى بهذا الامر، بل قالوا: إنّ الناس في فيئكم ولا يجترئ مجترئ عليكم.  
 وإنّ مهاجرة قريش - أيضاً - لمّا التحقوا بهم احتجّوا بالمنطق القبلي حين قالوا: إنّ قريشا أوسط العرب دارا، وقالوا: من ذا  
 ينازعنا سلطان محمد ونحن أهله وعشيرته!؟

وكذلك كان قول الانصارى حين قال: منّا أمير ومنكم أمير، وقول المهاجري حين قال: نحن الامراء وأنتم الوزراء.

وكذلك كان دافع اسيد بن حضير وسائر من حضر من أفراد قبيلته الاوس قبلياً حين خافوا سلطة الخ زرج عليهم، وتذكروا  
 حرب البعاث بينهم، والتي لم يكن قد مضى عليها عقدان من الزمن وقالوا: واللّه لئن وليتها عليكم الخزرج مرّة، لا زالت لهم  
 عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر.

وتمتّ الغلبة أخيراً لمهاجرة قريش بمجىء قبيلة (أسلم) التي ملات سكك المدينة، وبايعت أبا بكر ونصرت مهاجرة قريش  
 على الانصار. وحقّ للخليفة عمر بعد ذلك أن يعتبر بيعة أبي بكر فلتة!

\*\*\*

كانت هذه حقيقة تلك الواقعة مهما كان نوع الاستدلال فيها.

أمّا ما ذكره الخليفة عمر من أمر الشورى، فسندرسه بحوله بحالي ضمن دراسة آراء أتباع مدرسة الخلفاء في ما يأتي:

## ثالثاً- آراء أتباع مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة:

تتلخّص آراء مدرسة الخلفاء في شأن الخلافة وإقامتها في الامرين التاليين:

## أولاً- تقام الخلافة:

أ- بالشورى.

ب- بالبيعة.

ج- باتباع ما عملته الصحابة في إقامتها.

د- بالفهر والغلبة.

ثانيا- يجب طاعة الخليفة بعد ما بويع، وإن عصى ربه.

\*\*\*

بعد دراسة المصطلحات المذكورة تيسر لنا دراستها واحدة بعد الاخرى في ما يأتي:

الاول- مناقشة الاستدلال بالشورى:

إنَّ أوَّلَ من ذكر الشورى وأمر بها لإقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب ، غير أنه لم يأت دليل على أنَّ الامامة في الاسلام تقام بالشورى، واستدل المتأخرون من أتباع مدرسة الخلفاء على صحَّة إقامة الامامة بالشورى بآيتين من كتاب الله، وبما جاء عن رسول الله (ص) أنه كان يستشير أصحابه في بعض الامور المهمة، وبكلمة عن الامام عليّ . ونحن نبدأ هنا بدراسة ما استدلوا به في هذا الصدد ثم ندرس الشورى التي أمر بها الخليفة عمر.

ص: ٢٢٦

الاستدلال للشورى بكتاب الله وسنة رسوله:

استدلوا:

أ- بقوله تعالى للمؤمنين: وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمُ الشورى / ٣٨.

ب- بقوله تعالى لرسوله (ص): وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ آل عمران / ١٥٩.

ج- إنَّ رسول الله (ص) كان يستشير أصحابه في الامور المهمة، فنقول:

أولاً- الاستدلال بآية وأمرهم شورى:

إنَّ هذه الجملة من الاية ٣٨ من سورة الشورى جاء بعدها: وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. كلتا الجملتين تدلّان على رجحان الفعل فيهما، وليس على وجوب التشاور والاتفاق.

هذا أولاً، وثانياً إنما يصحّ التشاور في أمر لم يرد فيه من الله ورسوله حكم، فقد قال الله سبحانه:

ما كان لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا الاحزاب / ٣٦.

وسياتى بعيد هذا ما جاء عن الله ورسوله (ص) فى أمر الامامة ما لا يبقى معه مورد للتشاور.

### ثانيا- الاستدلال بآية وشاورهم فى الامر:

إن هذه الآية التاسعة والخمسين بعد المائة من سورة آل عمران قد وردت ضمن سلسلة من آيات ١٣٩-١٦٦ منها، وكلها فى أمر غزوات الرسول (ص) وكيف نصرهم الله فيها، وفى بعضها يخاطب المسلمين وخاصة الغزاة منهم ويعظهم، وفى بعضها يخاطب الرسول (ص) خاصة ومن ضمنها هذه الآية:

ص: ٢٢٧

فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ.

يظهر جليا أن الامر بالمشاورة فى هذه الآية كان بقصد الملاينة معهم والرحمة بهم، ولم يكن أمرا بالعمل برأيهم، بل قال له : فإذا عزم فتوكل واعمل برأيك . ويفهم من المجموع أيضا أن مقام المشاورة الراجحة إنما هو فى الغزوات، وما ذكره من مشاورة الرسول (ص) أصحابه أيضا كانت فى الغزوات كما سنذكرها فى ما يأتى:

### ثالثا- الاستدلال بمشاورة الرسول (ص) أصحابه

: إن مشاورة الرسول (ص) أصحابه كانت فى الغزوات فقط، كما صرح بذلك الصحابى أبو هريرة، وقال:

فلم أرَ أحدا كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله «، وكانت مشاورته أصحابه فى الحرب فقط. <sup>٣٧٠</sup> وأشهرها مشاورته معهم فى غزوة بدر، وقصتها كما يأتى:

### أ- غزوة بدر:

ندب رسول الله (ص) أصحابه للتعرض لقافلة قريش التجارية الراجعة من الشام بقيادة أبى سفيان وخرج معه ٣١٣ شخصا ممن استعد للاستيلاء على القافلة التجارية وليس للقتال، وبلغ الخبر أبى سفيان فأنحرف فى سيره عن الطريق، واستصرخ قريشا بمكة فخرجت مستعدة للقتال فى جيش يقارب الالف محارب، وأفلت أبو سفيان والقافلة، فكان الرسول (ص) أمام

ص: ٢٢٨

خيارين: التراجع إلى المدينة بسلام، أو مقاتلة جيش قريش المتأهب للقتال بجيشه غير المتكافئ عددا وعدة.

### تفصيل الخبر:

روى ابن هشام فى سيرته وقال:

<sup>٣٧٠</sup> (١) . كتاب المغازى للواقدي ٢ / ٥٨٠، تحقيق الدكتور مارسدن جونس.

وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد.<sup>٣٧١</sup>

ثم ذكر ما قاله المقداد وما قالته الانصار، بينا لم يذكر ما قاله أبو بكر ثم عمر!

وفي صحيح مسلم:

فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام المقداد ....<sup>٣٧٢</sup>

إن مسلماً هكذا ذكر أيضاً، ولم يذكر ما تكلم به أبو بكر، وكلاهما لم يتما ذكر الخبر، ونحن ننقل تمام الخبر من مغازي الواقدي وإمتاع الاسماع للمقريزي واللفظ للاول قال: قال عمر:

يا رسول الله، إنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزها أبداً، ولتقاتلنك، فأتهدب لذلك اهبتة وأعد لذلك عدته. ثم قام المقداد بن عمرو فقال:

يا رسول الله، إمض لامر الله فنحن معك؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ل نبيها: **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** المائدة / ٢٤،

ص: ٢٢٩

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون؛ والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك - وبرك الغماد من وراء مكة بخمس ليال من وراء الساحل ممّا يلي البحر، وهو على ثمانى ليالٍ من مكة إلى اليمن - فقال له رسول الله (ص) خيراً، ودعا له بخير.

ثم قال رسول الله (ص): «أشيروا على أيها الناس!» وإنما يريد رسول الله (ص) الانصار، وكان يظن أن الانصار لا تنصره إلا في الدار، وذلك أنهم شرطوا له أن يمنعوهم ممّا يمنعون منه أنفسهم وأولادهم. فقال رسول الله (ص):

«أشيروا على!» فقام سعد بن معاذ فقال:

أنا اجيب عن الانصار؛ كأنك يا رسول الله تريدنا! فقال: «أجل». قال:

إنك عسى أن تكون خرجت عن أمر قد اوحى إليك في غيره، وإنا قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن كل ما جئت به حق، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة؛ فامض يا نبي الله؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخصته لخصناه معك ما بقي منّا رجل؛ وصل من شئت، واقطع من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذت من أموالنا

<sup>٣٧١</sup> (١). سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.

<sup>٣٧٢</sup> (٢). صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر ٣/ ١٤٠٣.

أحبّ إلينا ممّا تركت. والذي نفسى بيده، ما سلكت هذا الطريق قطّ، وما لى بها من علم، وما نكره أن يلقانا عدوّنا غداً؛ إنّنا لصَبْرٌ عند الحرب. صدّقْ عند اللقاء، لعلّ الله يُريك ممّا ما تَقَرُّ به عينك.

حدّثنا محمد قال: حدّثنا الواقدي قال: فحدّثني محمد بن صالح، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد قال: قال سعد:

يا رسول الله، إنّنا قد خلفنا من قومنا قوما ما نحن بأشدّ حبا لك منهم، ولا أطوع لك منهم، لهم رغبة في الجهاد وثيئة؛ ولو ظنّوا يا رسول الله أنّك ملاقٌ عدوّا ما تخلّفوا، ولكن إنّما ظنّوا أنّها العير . نبني لك عريشا فتكون فيه ونعدّ لك رواحلك، ثمّ نلقى عدوّنا، فإنّ أعزّنا الله وأظهرنا على عدوّنا كان ذلك ما

ص: ٢٣٠

أحبينا، وإن تكن الاخرى جلست على رواحلك فلحقت من وراءنا.

فقال له النبي (ص) خيرا، وقال: «أو يقضى الله خيرا من ذلك يا سعدا».

قالوا: فلمّا فرغ سعد من المشورة، قال رسول الله (ص):

«سيروا على بركة الله . فإنّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله، لكأنّى أنظر إلى مصارع القوم».

قال: وأرانا رسول الله (ص) مصارعهم يومئذ؛ هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، فما عدا كلّ رجل مصرعه . قال: فعلم القوم أنّهم يُلاقون القتال، وأنّ العير تُفلت، ورجّوا النصر لقول النبي (ص).<sup>٣٧٣</sup>

كانت استشارة رسول الله (ص) في هذا المقام: أنّه استشار أصحابه في ماذا يفعلون، بعد أن أخبره الله سبحانه وتعالى بأنّهم سيقاتلون وينتصرون، وأخبره بمصارع القوم والرسول (ص) أيضا أخبر أصحابه بمصارع القوم بعد أن وافقوه على القتال، فهو إذ يستشيرهم لا يريد الاستفادة من رأيهم، وإنّما هو نوع من الملاينة وإخبار بإفلات عير قريش وتغيير الامر من الاستيلاء على مال التجارة إلى القتال ليستعدّوا للقتال.

ب- غزوة احد:

كانت تلكم مشاورة الرسول (ص) أصحابه في غزوة بدر . وفي ما يلي قصّة مشاورة الرسول أصحابه في غزوة ا حد، وفي هذه المشاورة عمل رسول الله (ص) برأى أصحابه، كما ورد في مغازي الواقدي وإمتاع الاسماع للمقريزي،<sup>٣٧٤</sup>

ص: ٢٣١

<sup>٣٧٣</sup> (١) . مغازي الواقدي، ط . اكسفورد ١ / ٤٨ - ٤٩ . وعيون الاثر لابن سيّد الناس ١ / ٢٤٧ . ودلائل النبوة للبيهقي ٢ / ٣٧٧ . وإمتاع الاسماع للمقريزي ص

٧٤ - ٧٥ . والدر المنثور ٣ / ١٦٦ .

<sup>٣٧٤</sup> (٢) . مغازي الواقدي ص ٢٠٨ - ٢١٤ . وإمتاع الاسماع للمقريزي ص ١١٣ - ١١٨ .

قالا:

إن رسول الله (ص) صعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«أيها الناس، إنى رأيت فى منامى رؤيا : رأيت كأنى فى درع حصينة، ورأيت كأن سيفى ذا الفقار انقصم<sup>٣٧٥</sup> من عند ظبته،<sup>٣٧٦</sup> ورأيت بقرا تذبح؛ ورأيت كأنى مُردف كيشا».

فقال الناس: يا رسول الله (ص)، فما أولتها؟ قال:

«أما الدرع الحصينة فالمدينة، فامكتوا فيها . وأما انقصام سيفى من عند ظبته فمصيبة فى نفسى . وأما البقر المذبح فقتلى فى أصحابى . وأما أنى مردف كيشا فكيش الكتيبة نقتله إن شاء الله».

وفى رواية:

«وأما انقصام سيفى فقتل رجل من أهل بيتى».

وقال: «أشيروا علىّ» ورأى رسول الله (ص) ألا يخرج من المدينة فوافقه عبد الله بن أبى والاكابر من الصحابة مهاجروهم وأنصارهم، وقال (ع):

«امكتوا فى المدينة واجعلوا النساء والذرارى فى الاطام، فإن دُخِل علينا قاتلناهم فى الازقة - فنحن أعلم بها منهم - ورُموا من فوق الصياصى والاطام».<sup>٣٧٧</sup>

وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهى كالحصن، فقال فتیان أحداث لم يشهدوا بدرا وطلبوا الشهادة وأحبوا لقاء العدو: اخرج بنا إلى عدوتنا . وقال حمزة، وسعد ابن عباد، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، فى طائفة من الانصار : إننا نخشى يا رسول

ص: ٢٣٢

الله أن يظنّ عدوتنا أننا كرهنا الخروج إليهم جُبنا عن لقائهم، فيكون هذا جرأة منهم علينا؛ وقد كنت يوم بدر فى ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، ونحن اليوم بشر كثير؛ قد كُنّا نتمنى هذا اليوم وندعو الله به، فساقه الله إلينا فى ساحتنا . ورسول الله (ص) لما يرى من إلحاحهم كاره؛ وقد لبسوا السلاح . وقال حمزة: والذى أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما حتى اجالدهم<sup>٣٧٨</sup> بسيفى خارجا من المدينة، وكان يوم الجمعة صائما ويوم السبت صائما . وتكلم مالك بن سنان والد أبى سعيد

<sup>٣٧٥</sup> (١) . انقصم: تكسّر وتلّم.

<sup>٣٧٦</sup> (٢) . الظبة: حدّ السيف من قبل ذبابه وطرفه.

<sup>٣٧٧</sup> (٣) . الصياصى جمع صيصية: وهى الحصون، والاطام جمع أطم: وهى بيوت من حجارة كانت لاهل المدينة.

<sup>٣٧٨</sup> (١) . جالد بالسيف: ضرب به كأ أنه يجلد بسوط لسرعة ضربه وتتابعه.

الخُدري، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، إياس بن أوس بن عتيك، في معنى الخروج للقتال . فلما أبوا إلّا ذلك صلّى<sup>٣٧٩</sup> رسول الله (ص) الجمعة بالناس وقد وعظهم وأمرهم بالجدّ والجهاد؛ وأخبرهم أنّ لهم النصر ما صبروا . ففرح الناس بالشخوص<sup>٣٨٠</sup> إلى عدوّهم، وكره ذلك المخرج كثير . ثمّ صلّى رسول الله (ص) العصر بالناس وقد حشدوا، وحضر<sup>٣٨١</sup> أهل العوالي<sup>٣٨٢</sup> ورفعوا النساء في الاطام، ودخل (ص) بيته ومعهُ أبو بكر وعمر (رض) فعمّاه ولبّسناه . وقد صفّ الناس له ما بين حجرته إلى منبره، فجاء سعد بن معاذ واسيد بن حُضير فقالا للناس : قلتم لرسول الله (ص) ما قلتم واستكرهتموه على الخروج، والامر ينزل عليه من السماء، فردّوا الامر إليه فما أمركم فافعلوه، وما رأيتم فيه له هوى أو رأى فأطيعوه . فبينما هم على ذلك إذ خرج رسول الله (ص) قد لبس لامته،<sup>٣٨٣</sup> ولبس الدرع فأظهرها وحزم

ص: ٢٣٣

وسطها بمنطقة<sup>٣٨٤</sup> [من آدم]<sup>٣٨٥</sup> من حمائل سيف، واعتمّ، وتقلّد السيف . فقال الذين يلحّون : يا رسول الله، ما كان لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك، فقال:

«قد دعوتكم إلى هذا الحديث فأبيتم، ولا ينبغي لنبىّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يحكم الله بينه وبين أعدائه، انظروا إلى ما أمرتكم به فاتّبعوه، امضوا على اسم الله فلکم النصر ما صبرتم».

\*\*\*

لعلّ الحكمة في استجابة رسول الله (ص) لالاح أصحابه في الخروج أنّه لو لم يستجب لهم الرسول لآثر في أنفسهم تأثيراً سيئاً، وأولد فيهم الضعف والاس تكانة بدل الاقدام والشجاعة، أمّا عدم استجابته لهم بعد أن طابقوا رأيه فقد ذكر هو (ص) حكمته.

مثال آخر من عمل الرسول برأى أصحابه في ما أشاروا عليه: قصّة جرت في غزوة الخندق نوردها في ما يأتي:

ج- غزوة الخندق:

روى الواقدي والمقرئزي عن بدء غزوة الخندق وقالوا:

«وشاورهم رسول الله (ص). وكان رسول الله يكثر مشاورتهم في الحرب ... فأشار عليهم سلمان بحفر الخندق».

<sup>٣٧٩</sup> (٢). في الاصل: (صلّى الله).

<sup>٣٨٠</sup> (٣). الشخوص: الخروج.

<sup>٣٨١</sup> (٤). في الاصل: (حضر).

<sup>٣٨٢</sup> (٥) العوالي: ضيعة بينها وبين المدينة ثلاثة أميال.

<sup>٣٨٣</sup> (٦). اللامة: أداة الحرب ولباسها، كالرمح والبيضة والسيف والتبيل.

<sup>٣٨٤</sup> (١). المنطقة والنطاق، كل ما يشدّ به الوسط كالحزام.

<sup>٣٨٥</sup> (٢). الذي بين المعقوفتين كان في الاصل بعد قوله: (حمائل سيف)، وهذا حقّ موضعه.

وأخبرنا كذلك عن مشاورة اخرى في آخر أيام القتال وقالوا:

وأقام (ص) وأصحابه محصورين بضع عشرة ليلة حتى اشتدَّ الكرب، وقال (ص):

«اللهم إنني انشدك عهدك ووعدك؛ اللهم إنك إن تشأ لا تُعبد.»

ص: ٢٣٤

وأرسل إلى عُيَيْنَةَ بن حصن، والحارث بن عوف - وهما رئيسا غطفان - أن يجعل لهما ثلث ثمر المدينة ويرجعا بمن معهما، فطلبوا نصف الثمر فأبى عليهم إلا الثلث، فرضيا . وجاءا في عشرة من قومهما حتى تقارب الامر، واحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان بن عفان (رض) الصلح - وعبد بن بشر قائم على رأس رسول الله (ص) مقنع في الحديد-، فأقبل اسيد بن حضير، وعُيَيْنَةَ مادَّ رجله فقال له : يا عين الهجرس، اقبض رجلك . أتمدَّ رجلك بين يدي رسول الله (ص)؟! والله لولا رسول الله لانفذت حضنيك بالرمح ! ثم قال: يا رسول الله صلى الله عليك، إن كان أمرا من السماء فامض له، وإن كان غير ذلك فوالله لا نعطيهم إلا السيف . متى طمعتم بهذا منّا؟ فدعا رسول الله (ص) سعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما خفية، فقالا: إن كان هذا أمرا من السماء فامض له، وإن كان أمرا لم تؤمر فيه . ولك فيه هوى فسمع وطاعة، وإن كان إنما هو الرأي فما لهم عندنا إلا السيف . فقال رسول الله (ص): «إنني رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة فقلت ارضيهم ولا اقاتلهم»، فقالا: يا رسول الله، والله إن كانوا ليأكلون العلهز في الجاهلية من الجهد، ما طعموا بهذا منّا ق ط: أن يأخذوا ثمرة إلا بشراء أو قرى! فحين أتانا الله بك وأكرمنا بك؛ وهدانا بك، نعطي الدنية؟! لا نعطيهم أبدا إلا السيف . فقال (ص): «شق الكتاب» فشقه سعد، فقام عُيَيْنَةَ والحارث . فقال (ص): «ارجعوا بيننا السيف» رافعا صوته .

كانت هذه قصة استشارة الرسول (ص) أصحابه في هذه الغزوة، ويظهر من محاوررة الرسول (ص) فيها أنه - صلوات الله عليه - أراد أن يوقع الخلاف بين القبائل المحاربة، وخاصة أن في آخره يرفع صوته ويقول : «ارجعوا بيننا السيف» فإن هذا الخبر ينتشر ويبلغ قريشا ويقع بينهم الخلاف، وقد روي بعد هذا : أن رسول الله (ص) أمر نعيم بن مسعود لذلك ونجح، فألقى الشكّ

ص: ٢٣٥

والترديد والخلاف بين بنى قريظة وقريش وكان ذلك من أسباب انكسارهم.<sup>٣٨٤</sup>

في ضوء ما بيناه من مشاورات الرسول (ص) يتضح لنا جلياً أنه لم تكن الغاية من تلك المشاورات أن يتعلم الرسول (ص) من أصحابه الرأي الصائب ليعمل به، بل كانت الغاية أحيانا أن يعلمهم الرسول (ص) بأسلوب المشورة الرأي الصائب الذي كان يعلمه الرسول (ص) مسبقا ليعملوا به.

<sup>٣٨٤</sup> (١). معازي الواقدي ٢/ ٤٧٧ - ٤٨٠. وإمتاع الاسماع للمقريزي ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

والعلهز: كان أهل الجاهلية في سنن القحط والمجاعة يخلطون الوبر بالدم ويشوونه ويأكلونه ويسمونه العلهز .

الهجرس: ولد الثعلب، وقيل هو القرد أو دويبة اخرى.



كما كان شأن مشورته إياهم في غزوة بدر، فإنَّ الله كان قد أعلم رسوله (ص) النتيجة مسبقا من أنهم سيفقتلون قريشا ويتصرفون عليهم، وبعد المشاورة أعلمهم الرسول (ص) نتيجة الامر، وأراهم مصارع قريش . إذا كانت الغاية من المشاورة توجيه المسلمين بأسلوب المشاورة إلى ما ينبغي أن يعملوه خلافاً لأسلوب الملوك الجبارين الذين يُملون آراءهم على الناس بقولهم مثلا: نحن ملك ... أصدرنا أمرنا الملكي بكذا ...

وإنَّ صدر الآية يدلُّ بوضوح على ما ذكرنا، فإنَّه تعالى قال : **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ... آل عمران / ١٥٩** . فالمشاورة هنا من مصاديق الليونة وكونها رحمة من الله، اللتين وردتا في صدر الآية.

إذا فتارةً تكون الغاية من المشاورة الملاينة كالمثال السابق، وتارةً تكون الغاية تربية نفوس المسلمين، كما كان شأن المشاورة في غزوة احد، فإنَّ رسول الله (ص) بعد أن أخذ برأيهم ولبس لامة حربه بقصد السير إلى احد، ندموا على إلحاحهم على الرسول (ص) بالخروج، وقالوا: يا رسول الله (ص) ما كان

ص: ٢٣٦

لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك . فقال: «قد دعوتكم إلى هذا فأبيتم، ولا ينبغي لنبىّ إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه».

يظهر من المحاورات التي دارت بين الرسول (ص) وأصحابه في هذه الواقعة، أن عدم استجابة الرسول (ص) لرغبتهم العارمة في الخروج كان يؤثّر على نفوسهم تأثيرا سيئا، ويولد فيهم ضعف النفس والتردد وعدم الاقدام في الحروب، ومن أجل ذلك أخذ برأيهم مع علمه بأن رأيهم غير صائب . أمّا في غزوة الخندق، فقد كانت المشاورة كيدا كاد به المشركين، وقد نجحت خطته صلوات الله عليه وآله.

## الثاني - مناقشة الاستدلال بالبيعة

: عرفنا في ما سبق:

أن البيعة كالبيع تتعقد بالرضا والاختيار وليس بحدّ السيف والجبر.

وأنه لا بيعة في المعصية.

ولا في خلاف ما أمر الله به.

وأنه لا بيعة لمن يعصى الله.

وعرفنا أن أول بيعة اخذت بعد رسول الله هي البيعة للخليفة أبي بكر، وعلى صحّتها تتوقّف صحّة بيعة الخليفة عمر، لأنها اخذت بأمر من الخليفة أبي بكر . وعلى صحّة بيعة الخليفة عمر تتوقّف صحّة بيعة الخليفة عثمان، لأنها اخذت بأمر من الخليفة عمر حين أمر أن يبايعوا من الستة القرشيين من بايعه عبد الرحمن بن عوف، وأن يقتلوا من خالف.

وعرفنا كيف اخذت البيعة للخليفة أبي بكر غلابا في سقيفة بنى ساعدة، ثم بمساعدة قبيلة بنى أسلم في سلك المدينة، وكيف حُمِلت النار إلى بيت فاطمة (ع) ابنة رسول الله (ص) لأنه قد تحصّن فيه من أبي أن يبايع، وأن بنى

ص: ٢٣٧

هاشم لم يبايعوا مدّة حياة ابنة رسول الله (ص)، وأنّ الجنّ قتلت سعد بن عبادة بسهمين لأنه لم يبايع!

\*\*\*

كان هذا شأن أخذ البيعة في المدينة. أمّا خارج المدينة، فكان شأن من امتنع عن بيعة الخليفة أبي بكر وأبى أن يدفع الزكاة لجةباة الخليفة، قتل الرجال، وسبى النساء، وسلب الاموال.

كما كان شأن مالك بن نويرة عامل رسول الله (ص)<sup>٣٨٧</sup> واسرته من قبيلة تميم حين دهمهم جيش خالد بن الوليد ليلا، وأخذوا السلاح، فقال جيش خالد: إنّنا المسلمون. فقال أصحاب مالك: ونحن المسلمون. فقال لهم جيش خالد: فإن كنتم كما تقولون، فضعوا السلاح. فوضعوه ثمّ صلّوا مع جيش خالد،<sup>٣٨٨</sup> ثمّ أخذوهم إلى خالد بن الوليد، فأمر بضرب عنق مالك. فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد: هذه التي قتلتني - وكانت في غاية الجمال - فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام. فقال مالك: إنّنا على الاسلام. وبعد قتله أمر خالد برأسه فنصب أنفية للقدر وتزوج بامرأته في تلك الليلة ولمّا يدفن مالك.<sup>٣٨٩</sup>

وكما كان شأن قبائل كندة، فإنّ زياد بن لبيد البياضى عامل أبي بكر أخذ ناقه لفتى من كندة، فسأله الكندى أخذ غيرها فأبى ذلك، لأنه وسماها بميسم

ص: ٢٣٨

الصدقة.<sup>٣٩٠</sup> فذهب الفتى إلى رجل من سادات كندة يقال له: حارثة بن سراقه، وقال له: يا ابن عمّ إنّ زياد بن لبيد قد أخذ لى ناقه فوسمها وجعلها مع إبل الصدقة، وأنا مشغوف بها، فإن رأيت أن تكلمه فيها فلعلّه أن يطلقها ويأخذ غيرها من إبلى. فأقبل حارثة إلى زياد وقال له: إن رأيت أن تردّ ناقه هذا الفتى عليه وتأخذ غيرها فعلت منكما. فقال زياد: قد وضع عليها ميسم الصدقة. فترادّا الكلام، فأقبل حارثة إلى إبل الصدقة فأخرج الناقه بعينها، وقال للفتى: خذ ناقتك فإنّ كلمك أحد ساحطم أنفه بالسيف وقال:

نحن إنّما أطعنا رسول الله (ص) إذ كان حيّا، ولو قام رجل من أهل بيته لاطعناه؛ وأمّا ابن أبي قحافة فلا والله ما له في رقابنا طاعة ولا بيعة. وأنشأ أبياتا من جملتها:

<sup>٣٨٧</sup> (١). راجع ترجمته في الاصابة ٣/ ٣٣٦، رقم الترجمة: ٧٦٩٨.

<sup>٣٨٨</sup> (٢). تاريخ الطبرى، ط. اوربا ١/ ١٩٢٧-١٩٢٨. وراجع تاريخ اليعقوبى، ط. بيروت ٢/ ١٣١.

<sup>٣٨٩</sup> (٣). راجع تاريخ أبي الفداء ص ١٥٨. ووفيات الاعيان، ترجمة وثيمة. وكذلك فوات الوفيات. وبقية المصادر مع تفصيل الخبر في كتاب عبد الله بن سبأ، ط. بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، ١/ ١٨٥-١٩١.

<sup>٣٩٠</sup> (١). فتوح البلدان، ردّة بنى وليعة والاشعث بن قيس.

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا

فيا عجبا ممن يطيع أبا بكر

فقال له الحارث بن معاوية من سادة كندة: إنك لتدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فيه عهد.

فقال له زياد: صدقت ولكننا اخترناه لهذا الامر.

فقال له الحارث: أخبرني لم نحيتم عنها أهل بيته؟ وهم أحق الناس بها لأن الله عز وجل يقول: **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْأَحْزَابِ / ٦.**

فقال له زياد: إن المهاجرين والانصار أنظر لانفسهم منك!

فقال له الحارث: لا والله ما أزلتموها عن أهلها إلا حسدا منكم، وما يستقر في قلبي أن رسول الله (ص) خرج من الدنيا ولم ينصب للناس علما يتبعونه، فارحل عنا أيها الرجل فإنك تدعو إلى غير رضا. ثم أنشأ الحارث يقول:

ص: ٢٣٩

كان الرسول هو المطاع فقد مضى

صلى عليه الله لم يستخلف

فأرسل زياد إبل الصدقة أمامه إلى المدينة، ثم سار إلى المدينة وأخبر أبا بكر، فجهزه في أربعة آلاف مقاتل . فسار زياد يريد حضرموت وفي طريقه كان يباغت قبائل كندة ويقتل منه م ويستأسر، مثل بنى هند الذين هاجمهم وقتل منهم جماعة واحتوى على نسائهم وذرايرهم.

ووافى حى بنى العاقل من كندة غافلين، فلما أشرفت الخيل عليهم تصايحت النساء واقتتل الرجال ساعة ووقعت الهزيمة عليهم، واحتوى زياد نساءهم وأموالهم.

وكبس بخيله في جوف الليل حى بنى حجر من كندة، فقتل منهم مائتي رجل، وأسر خمسين، وفرّ الباقيون، واحتوى على النساء والاولاد.

ثم قاتله الأشعث بن قيس وحاصره في مدينة (تيم) واسترجع منه الاموال والذراير وردّها إلى أهلها، فأرسل الخليفة إلى الأشعث كتابا يسترضيه فقال الأشعث للرسول:

إن صاحبك أبا بكر يلزمنا الكفر بمخالفتنا له، ولا يلزم صاحبه الكفر بقتله قومي وبني عمي.

فقال له الرسول: نعم يا أشعث! يلزمك الكفر لأن الله تبارك وتعالى قد أوجب عليك الكفر بمخالفتك لجماعة المسلمين.

فضربه غلام من بنى عمّ الاشعث بسيفه فقتله، واستحسن فعله الاشعث فغضب من ذلك عامة أصحاب الاشعث حتى بقي فى قريب من ألفى رجل . فكتب زياد إلى أبى بكر يخبره بقتل الرسول وأنهم محاصرون . فاستشار الخليفة المسلمين فى ما يصنع فأشار عليه أبو أيوب الانصارى وقال:

إنّ القوم كثير عددهم وإذا همّوا بالجمع جمعوا خلقا كثيرا، فلو صرفت

ص: ٢٤٠

عنهم الخيل فى عامك هذا رجوت أن يحملوا الزكاة إليك بعد هذا العام طائعين .

فقال أبو بكر: واللّه لو منعونى عقالا واحدا ممّا كان النبى وظفه عليهم لقاتلتهم عليه أبدا أو ينيبوا إلى الحقّ . ثمّ كتب إلى عكرمة بن أبى جهل أن يسير بمن أجابه من أهل مكّة إلى زياد ويستنهض من مرّ عليه من أحياء العرب . فخرج فى ألفى فارس من قريش ومواليهم وأحلافهم، ثمّ سار إلى مأرب . وبلغ ذلك أهل دبا فغضبوا وقالوا نشغله عن محاربة بنى عمّنا من كندة، وأخرجوا عامل أبى بكر . فكتب أبو بكر إليه أن يسير إليهم، وأن لا يقصر فيهم، وإذا فرغ منهم أن يبعث بهم اسراء . فسار إليهم عكرمة وقاتلهم وحاصرهم، فسألوا الصلح وأن يؤدّوا الزكاة، فأبى إلّا أن ينزلوا على حكمه، فأجابوه . فدخل عكرمة حصنهم، وقتل أشرفهم صبيرا، وسبى نساءهم وأولادهم، وأخذ أموالهم ووجّه بالباقيين إلى أبى بكر، فهمّ أن يقتل الرجال ويقسم النساء والذرية، فقال له عمر:

يا خليفة رسول الله، إنّ القوم على دين الاسلام يحلفون بالله مجتهدين ما كنّا رجعنا عن دين الاسلام . فحبسهم أبو بكر إلى أن توفّى وأطلق عمر سراهم على عهده.

فسار عكرمة إلى زياد فبلغ خبره الاشعث فانحاز إلى حصن النجير وجمع فيه نساءه ونساء قومه . فبلغ ذلك قبائل كندة ممّن كان تفرّق عن الاشعث لمّا قتل رسول أبى بكر فتلاوموا أن يتركوا بنى عمّهم محاصرين، فسارت لقتال زياد، فجزع لذلك فقال له عكرمة: أرى أن تقيم محاصرا لمن فى الحصن وأمضى أنا فألقى هؤلاء القوم، فقال له زياد: نعم ما رأيت، ولكن إن ظفر الله بهم فلا ترفع السيف حتى تبيدهم عن آخرهم.

فقال عكرمة: لست آلو جهدا فى ما أقدر عليه.

ص: ٢٤١

فسار عكرمة حتى وافى القوم فتقاتلوا وكانت الحرب بينهم سجالا والاشعث لا يعلم عن ذلك شيئا، وطال عليهم الحصار واشتدّ بهم الجوع والعطش، فطلب من زياد الامان له ولاهل بيته وعشرة من وجوه أصحابه وكتب بينهم، فبعث زياد الكتاب إلى عكرمة، فأخبر عكرمة قبائل كندة بذلك وأراهم الكتاب، فتركوا القتال وانصرفوا، ودخل زياد الحصن وأخذ يضرب

أعناق المقاتلة صبرا، ووافاه كتاب أبي بكر أن يحمل من نزل على حكمه إلى المدينة، فصفد من بقى منهم بالحديد وأرسلهم إلى المدينة.<sup>٣٩١</sup>

هكذا تمّت بيعة الخليفة أبي بكر والتي يصفها الخليفة عمر بأنها كانت فلتنة، وعليها بنيت خلافة الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان وبها يستدلون.

### النالت - مناقشة الاستدلال بعمل الصحابة:

إنّ الاستدلال بعمل الصحابة يتمّ لو كانت سيرتهم مصدرا للتشريع الاسلامى فى عداد الكتاب والسنة ونزل فيهم ما نزل فى رسول الله (ص) مثل قوله تعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّالَّذِينَ هُمْ / ٢١.

وقوله:

مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا الْحَشْرُ / ٧.

وبدون ذلك لا حجّة علينا فى عمل الصحابة. ثمّ لسنا ندرى بمن نقتدى، وعمل بعضهم وأقوالهم يخالف البعض الآخر، ومن ثمّ اختلفت آراء العلماء فى كيفية إقامة الخلافة، أتقام ببيعة رجل لأنّ العباس عمّ النبي (ص)

ص: ٢٤٢

قال لعلّى (ع): (امد يدك بايعك يبايعك الناس)؟ أم بقول الخليفة عمر حين قال: (بيعة أبي بكر فلتنة)؟ أم نقتدى بمعاوية حين شهر السيف فى وجه الخليفة الشرعى الامام على (ع)؟ ولا نرى حاجة إلى المناقشة أكثر ممّا بيّنا . أمّا ما استدللّ بعضهم بقول الامام على فى نهج البلاغة، فسندرسه فى ما يأتى:

### مناقشة الاستدلال بما جاء فى نهج البلاغة على صحة الاستدلال بالشورى والبيعة وعمل الاصحاب:

استدلّ بعضهم على ما ارتأى فى الشورى والبيعة والافتداء بعمل الصحابة بما رواه الشريف الرضى عن الامام على (ع) بباب الكتب من نهج البلاغة وهذا نصّه:

ومن كتاب له، إلى معاوية:

إنّه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وإنّما الشورى للمهاجرين والانصار . فإن اجتمعوا على رجلٍ وسمّوه إماما كان ذلك [لله] رضى؛ فإن خرج عن أمرهم خارج بطعنٍ أو بدعةٍ ردّوه إلى ما خرج منه؛ فإن أبى قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى ....<sup>٣٩٢</sup>

<sup>٣٩١</sup> (١) . لقد لخصنا الخبر ممّا رواه البلاذرى فى فتوح البلدان فى ذكر ردة بنى وليعة، والاشعث بن قيس الكندى ص ١٢٢ - ١٢٣ . والحموى فى مادة:

حزرموت من معجم البلدان. وفتوح ابن أعثم ١/ ٥٧ - ٨٥. وتام الخبر فى عبد الله بن سبأ ٢/ ٣٩٣ - ٤١٠.

فإنَّ الامام قد احتجَّ فى هذا الكتاب على معاوية بالبيعة والشورى وإجماع المهاجرين والانصار، وبناءً على هذا فإنَّ الامام يرى صحَّة إقامة الامامة بما ذكره.

والجواب أنَّ الشريف الرضى كان أحياناً يتخيَّر نثفاً من كتب الامام وخطبه ممَّا يـ جده فى أعلى درجات البلاغة ويترك سائره، وكذلك فعل مع هذا الكتاب.

ص: ٢٤٣

وقد أورد الكتاب بتمامه نصر بن مزاحم فى كتاب صفين، وهذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمَّا بعد، فإنَّ بيعتى بالمدينة لزمته وأنت بالشام؛ لأنَّه بايعنى القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثم ان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ . وإنَّما الشورى للمهاجرين والانصار، فإذا اجتمعوا على رجل فسّموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولّى ويصليه جهنم وساءت مصيرا . وإنَّ طلحة والزبير بايعانى ثمّ نقضا بيعتى، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما على ذلك حتّى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون . فادخل فى ما دخل فيه المسلمون؛ فإنَّ أحبّ الامور إلىّ فيك العافية، إلّا أن تتعرضّ للبلاء . فإنّ تعرضت له قاتلتك واستعنت الله عليك . وقد أكثرت فى قتلة عثمان، فادخل فى ما دخل فيه المسلمون، ثمّ حاكم القوم إلىّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله . فأما تلك التى تريدّها فخدعة الصبىّ عن اللبن . ولعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ قريش من دم عثمان . واعلم أنّك من الطلقاء<sup>٣٩٣</sup> الذين لا تحلّ لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى . وقد أرسلت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله، وهو من أهل الايمان والهجرة: فبايع . ولا قوّة إلّا بالله.<sup>٣٩٤</sup>

أتّضح لنا من هذا الكتاب أنّ الامام عليّاً يحتجّ على معاوية بما التزم به هو ونظّ راؤه ويقول له: إنَّ بيعتى بالمدينة لزمته يا معاوية وأنت بالشام كما التزمت ببيعة عثمان بالمدينة وأنت بالشام، وكذلك لزمته بيعتى نظراءك خارج المدينة

ص: ٢٤٤

كما لزمته بيعة عمر فى المدينة وهم فى أماكن اخرى.

هكذا يلزمه الامام علىّ بكلّ ما التزمه هو ونظراؤه من مدرسة الخلافة يومذاك، وهذا وارد لدى العقلاء، فإنّهم يحتجّون على الخصم بما التزمه هو. هذا أوّلاً.

وثانياً قوله: «فإذا اجتمعوا على رجل فسّموه إماماً، كان ذلك لله رضى»

<sup>٣٩٢</sup> (١) . نهج البلاغة وشرحه لابن أبى الحديد، الكتاب السادس من باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين .

<sup>٣٩٣</sup> (١) . الطلقاء: جمع طليق، وهو الاسير الذى اطلق عنه إيساره وخلقى سبيله . ويراد بهم الذين خلّى عنهم رسول الله (ص) يوم فتح مكّة وأطلقهم ولم

<sup>٣٩٤</sup> يسترقّهم). صفين لنصر بن مزاحم، ط. القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ، ص ٢٩.

فإنه قد ورد في بعض النسخ: «كان ذلك رضى»،<sup>٣٩٥</sup> أى كان لهم رضى، على أن يكون ذلك باختيار منهم ولم تؤخذ البيعة بالجبر وحدّ السيف. وعلى فرض أنه كان قد قال: «كان لله رضى» نقول: نعم، ما أجمع عليه المهاجرون والانصار بما فيهم الامام على وسبطا الرسول الحسن والحسين، كان ذلك لله رضى.

وأخيرا لست أدري كيف استشهدوا بهذا القول من نهج البلاغة ونسوا أو تناسوا سا ثر أقوال الامام التي نقلها الشريف الرضى - أيضا - فى نهج البلاغة مثل قوله فى باب الحكّم:

لما انتهت إلى أمير المؤمنين (ع) أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) قال (ع):

ما قالت الانصار؟ قالوا:

قالت: منّا أمير ومنكم أمير. قال (ع):

فهلّا احتججتهم عليهم بأنّ رسول الله (ص) وصّى بأنّ يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟!

قالوا: وما فى هذا من الحجّة عليهم؟

ص: ٢٤٥

فقال (ع):

لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم!!

ثمّ قال (ع):

فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجّت بأنّها شجرة الرسول (ص)، فقال (ع):

احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة.<sup>٣٩٦</sup>

وقوله - أيضا - فى باب الحكّم:

وا عجباً! أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة.<sup>٣٩٧</sup>

قال الرضى: وله شعر بهذا المعنى:

<sup>٣٩٥</sup> (١). راجع نهج البلاغة، ط. الاستقامة بالقاهرة، تجد لفظ الجلالة « لله » بين علامتين إشارة إلى أنه لم يرد لفظ الجلالة بين النسخ.

<sup>٣٩٦</sup> (١). يريد من الثمرة آل بيت الرسول (ص).

<sup>٣٩٧</sup> (٢). نهج البلاغة، الحكمة: رقم ١٨٥، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب

وان كنت بالقربى حجبت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

وأجمع أقواله في هذا الباب ما وردت في الخطبة الشقشقية (خ: ٣) التي قال فيها (ع):

«أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أنّ محليّ منها محلّ القطب من الرحي، ينحدر عنّي السيل ولا يرقى إليّ الطير، فسدلت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحا. وطفقت أرتئي بين أن أصول بيّ جذاء،<sup>٣٩٨</sup> أو أصبر على طخية

ص: ٢٤٦

عمياء<sup>٣٩٩</sup> يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلتقى ربه،<sup>٤٠٠</sup> فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى،<sup>٤٠١</sup> فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا،<sup>٤٠٢</sup> أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأوّل لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده<sup>٤٠٣</sup> - ثمّ تمثّل بقول الاعشى:-

ويوم حيّان أخى جابر<sup>٤٠٤</sup>

شتان ما يومى على كورها

فيا عجباً!! بينا هو يستقبلها في حياته<sup>٤٠٥</sup> إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشدّ

ص: ٢٤٧

ما تشطّراً ضرعيها<sup>٤٠٦</sup> فصيرها في حوزة خشناء يغلظُ كلامها،<sup>٤٠٧</sup> ويخشنُ مسّها، ويكثرُ العنارُ فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة<sup>٤٠٨</sup> إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم، فمئى الناس - لعمرُ الله - بخبطٍ وشيماسٍ<sup>٤٠٩</sup> وتلونٍ واعتراضٍ؛ فصبرت على طول المدّة، وشدّة المحنة، حتى

<sup>٣٩٨</sup> (٣). وطفقت ... الخ: بيان لعلّة الاغضاء. والجذاء: بمعنى المقطوعة، ويقولون: رحم جذاء، أى: لم توصل. وسن جذاء أى متهمّة. والمراد هنا ليس ما يؤيدها. كأنه قال: فكفرت في الامر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا.

<sup>٣٩٩</sup> (١). طخية: أى ظلمة، ونسبة العمى إليها مجاز عقلى، وإنّما يعمى القائمون فيها إذ لا يهتدون إلى الحق، وهو تأكيد لظلام الحال واسوداها.

<sup>٤٠٠</sup> (٢). يكدح: يسعى سعى المجهود.

<sup>٤٠١</sup> (٣). أحجى: ألزم، من حجى به كرضى: أولع به ولزمه. ومنه: هو حجى بكذا أى: جدير، وما أحجاه وأحجى به أى: أخلق به، وأصله من الحجى بمعنى العقل، فهى أحجى أى أقرب إلى العقل، وهاتا بمعنى هذه، أى: رأى الصبر على هذه الحالة التى وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

<sup>٤٠٢</sup> (٤). الشجا: ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه. والتراث: الميراث.

<sup>٤٠٣</sup> (٥). أدلى بها: ألقى بها إليه.

<sup>٤٠٤</sup> (٦). الكور بالضم: الرجل أو هو مع أداته، والضمير راجع إلى الناقه المذكورة فى الابيات قبل . وحيان كان سيدا فى بنى حنيفه مطاعا فيهم، وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة، وكان الاعشى ينادمه، والاعشى هذا: هو الاعشى الكبير أعشى قيس، وهو أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل. وجابر: أخو حيّان أصغر منه.

ومعنى البيت أنّ فرقا بعيدا بين يومه فى سفره وهو على كور ناقته وبين حيّان فى رفاهيته، فإنّ الأوّل كثير العناء شديد الشقاء، والثانى وافر التعميم وافى الراحة . ووجه تمثّل الامام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل.

<sup>٤٠٥</sup> (٧). رروا أنّ أبا بكر قال بعد البيعة: (أقبلونى فلست بخيركم).



إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى<sup>٤١٠</sup> متى اعترض الريب في مع الأوّل منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر!!<sup>٤١١</sup> لكني

<sup>٤٠٦</sup> (١). لشد ما تشطرا ضرعيها: جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين، والشطرا أيضا أن تحلب شطرا وتترك شطرا، فتشطرا: أي أخذ كل منهما شطرا. وسمى شطري الضرع ضرعين مجازا: وهو ها هنا من أبلغ أنواعه حيث أن من ولي الخلافة لا ينال الامر إلا تاما، ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهما، فأطلق على من تناول الامر واحدا بعد واحد اسم التشطّر والاقترسام، كأن أحدهما ترك منه شيئا للاخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال كل منهما.<sup>٤٠٧</sup> (٢). الكلام- بالضم-: الارض الغليظة. وفي نسخة كلمها. وإنما هو بمعنى الجرح كأنه يقول:

خشوتنها تجرح جرحا غليظا.

<sup>٤٠٨</sup> (٣). الصعبة من الابل: ما ليست بذلول. وأشنق البعير، وشنقه: كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه: (العظم الناتئ خلف الاذن) بقادمة الرجل، أو رفع رأسه وهو راكبه. واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس: أرخى. وتقمّم: رمى بنفسه في القحمة، أي: أهلكتها.

قال الرضى: «راكب الصعبة إن أشنق لها خرم وإن أسلس لها تق حم» يريد أنه إذا شدّد عليها في جذب الزمام وهي تنازعه رأسها خرم أنفها، وإن أرخى لها شيئا مع صعوبتها تقمّم به فلم يملكها. يقال: أشنق الناقة، إذا جذب رأسها بالزمام فرفعه، وشنقها أيضا، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق. وإنما قال: «أشنق لها» ولم يقل: «أشرفها» لأنه جعله في مقابلة قوله: «أسلس لها» فكأنه قال: إن رفع لها رأسها بمعنى أمسكه عليها. انتهى.

الصعبة: إما أن يشنقها فيخرم أنفها، وإما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيها هلكتها.

<sup>٤٠٩</sup> (٤). منى الناس: ابتلوا واصيبوا، والشماس- بالكسر-: إباء ظهر الفرس عن الركوب. والنفار والخبط: السير على غير جادة. والتلون: التبدل. والاعتراض: السير على غير خطّ مستقيم، كأنه يسير عرضا في حال سيره طولا، يقال: بعير عرضي، يعترض في سيره لأنه لم يتمّ رياضته، وفي فلان عرضية، أي: عجرفة وصعوبة.

<sup>٤١٠</sup> (١). لقد أوردنا تفصيل القصّة من أوثق المصادر في ما سبق، وقال الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه الكلمة:

كان سعد من بنى عمّ عبد الرحمن كلاهما من بنى زهرة، وكان في نفسه شيء من على كرم الله وجهه من قبل أخواله لأن أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، ولعلّي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور. وعبد الرحمن كان صهرا لعثمان؛ لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت اختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما، على ما ذكره بعض رواة الاثر. وقد يكفى في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي؛ لأنه تيمى وقد كان بين بنى هاشم وبنى تميم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر وبعد موت عمر بن الخطاب (رض) اجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، وانضمّ طلحة في الرأي إلى عثمان، والزبير إلى علي، وسعد إلى عبد الرحمن. وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير وقال: إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن. فأقبل عبد الرحمن على علي وقال: عليك عهد الله وميثاقه لعلن بكتاب الله وسنة رسوله (ص) وسيرة الخلفيتين من بعده. فقال علي: أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمي وطاقتي؛ ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك، فأجابه بن عم. فرفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال: اللهم اسمع واشهد.

اللهم إني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبته عثمان، وصفق يده في يد عثمان. وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبإيعه. قالوا: وخرج الامام علي واجدا، فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت عليا وإنه من الذين يقضون بالحقّ وبه يعدلون. فقال: يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش، إنهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحقّ ولا أعلم به منه. فقال عبد الرحمن: يا مقداد، إني أخشيت عليك الفتنة فاتق الله. ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الاحداث من أقاربه على ولاية الامصار ووجد عليه كبار الصحابة روى أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظنّ هذا به! ولكن لله عليّ أن لا أكلمه أبدا، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل: إن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه! والله أعلم، والحكم لله يفعل ما يشاء.

<sup>٤١١</sup> (٢). المشابه بعضهم بعضا دونه.

أَسْفَتُ إِذْ أَسْفُوا<sup>٤١٢</sup> وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا؛ فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لَصِغْنَهُ<sup>٤١٣</sup> وَمَالَ الْآخِرُ لَصِهْرَهُ<sup>٤١٤</sup> مَعَ هَنْ وَهَنْ. <sup>٤١٥</sup> إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ الْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنِيهِ<sup>٤١٦</sup> بَيْنَ تَنْبِيلِهِ وَمُعْتَلِفِهِ، وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضَمُونَ مَالَ اللَّهِ خُضْمَةَ الْإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ، <sup>٤١٧</sup> إِلَى أَنْ انْتَكثَ قَتْلَهُ، وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلَهُ<sup>٤١٨</sup> وَكَبَّتْ بِهِ بَطْنَتُهُ. <sup>٤١٩</sup> فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسَ كَعُرْفِ الضُّبُعِ إِلَى يَنْثَالُونَ<sup>٤٢٠</sup> عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ حَتَّى لَقِدْتُ وَطِيَّ الْحَسَنَانَ، وَشَقَّ عِطْفَايَ، <sup>٤٢١</sup> مَجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ. <sup>٤٢٢</sup>

ص: ٢٥٠

فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَّتْ طَائِفَةً، وَمَرَقَتْ أُخْرَى، وَقَسَطَ آخَرُونَ <sup>٤٢٣</sup> كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ اللَّهِ حَيْثُ يَقُولُ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ بَلَى! وَاللَّهُ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا، وَلَكِنَّهُمْ حَلَيْتِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ <sup>٤٢٤</sup> وَرَأَقَهُمْ زَبْرُجَهَا، أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسْمَةَ <sup>٤٢٥</sup> لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ <sup>٤٢٦</sup> وَقِيَامُ الْحِجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يَقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَعَبِ مَظْلُومٍ <sup>٤٢٧</sup> لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا، <sup>٤٢٨</sup> وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلَهَا، وَلَا لَقَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدُ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنزٍ. <sup>٤٢٩</sup>

<sup>٤١٢</sup> (١). أسف الطائر: دنا من الارض؛ يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

<sup>٤١٣</sup> (٢). صغى صغيا وصغا صغوا: مال. والضغن: الضغينة. يشير إلى سعد.

<sup>٤١٤</sup> (٣). يشير إلى عبد الرحمن.

<sup>٤١٥</sup> (٤). يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها، وقد أشرنا إلى بعضها في باب مناقشة الشورى.

<sup>٤١٦</sup> (٥). يشير إلى عثمان، وكان ثالث الخلفاء. ونافجا حضيئه: رافعا لهما. والحضن: ما بين الابط والكشح؛ يقال للمتكبر: جاء نافجا حضيئه. ويقال مثله لمن امتلا بطنه طعاما. والتبيل: الروث.

والمعتلف: من مادة (علف) موضع العلف وهو معروف، أي: لا هم له إلا ما ذكر.

<sup>٤١٧</sup> (٦). الخضم، على ما في القاموس: الاكل مطلقا، أو بأقصى الاضراس، أو ملء الفم بالمأكول، أو خاص بالشئ الرطب. والقضم: الاكل بأطراف الاسنان أخف من الخضم. والتبته - بكسر النون -: كالنبات في معناه.

<sup>٤١٨</sup> (٧). انتكث قتلته: انتفض. وأجهز عليه عمله: تمم قتلته، تقول: أجهزت على الجريح، وذففت عليه.

<sup>٤١٩</sup> (٨). البطنة - بالكسر -: البطر والاشر، والكظة (أي: التخمة) والاسراف في الشبع. وكبت به: من كبل الجواد إذا سقط لوجهه.

<sup>٤٢٠</sup> (٩). عُرْف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر، وهو ثخين، يضرب به المثل في الكثرة والازدحام. وينثالون: يتتابعون مزدحمين.

<sup>٤٢١</sup> (١٠). الحسنان: ولدها الحسن والحسين. وشق عطفاه: خدش جانبا من الاصطكاك. وفي رواية: (شق عطافي)، والعطاف: الرداء. وكان هذا الازدحام لاجل البيعة على الخلافة.

<sup>٤٢٢</sup> (١١). ربيضة الغنم: الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجنومهم بين يديه.

<sup>٤٢٣</sup> (١). الناكثة: أصحاب الجمل. والمارقة: أصحاب النهروان. والقاسطون - أي الجاثرون -: أصحاب صفين.

<sup>٤٢٤</sup> (٢). حليت الدنيا: من حليت المرأة إذا تزينت بحليتها. والزبرج: الزينة من وشى أو جوهر.

<sup>٤٢٥</sup> (٣). النسمة - محرّكة -: الروح، وبرأها: خلقها.

<sup>٤٢٦</sup> (٤). من حضر لبيعته، ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره.

<sup>٤٢٧</sup> (٥). والناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة. والكظة: ما يعترى الاكل من امتلاء البطن بالطعام، والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.

<sup>٤٢٨</sup> (٦). الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الامر.

<sup>٤٢٩</sup> (٧). عفطة العنز: ما تنثره من أنفها، تقول: عفطت تعفط من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة. والاشهر في العنز النفضة بالنون، يقال: ما له عافط ولا نافط، أي نعجة ولا عنز. كما يقال: ما له ناغية ولا راغية. والعفطة: الحبة أيضا، لكن الائق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدّم.

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد<sup>٤٣٠</sup> عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا

ص: ٢٥١

أمير المؤمنين، لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت.

فقال: هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة<sup>٤٣١</sup> هدرت ثم قرأت.

قال ابن عباس: فوالله ما أسفت على كلام قط كأسفى على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين (ع) بلغ منه حيث أراد.

نسوا أو تناسوا كل هذه الأقوال من الامام على (ع) وتمسكوا بقول احتج به الامام على على معاوية لالتزام معاوية ونظرائه به.

#### الرابع - مناقشة الاستدلال بأن الخلافة تقام بالقهر والغلبة

: من سبر التاريخ الاسلامي، وجد أن حكم الخلافة إلى عهد الخلفاء العثمانيين الاتراك كان يقوم على أساس القسر، وشذ قيامه خلاف ذلك مثل حكم الامام على (ع) وهذا هو الصحيح في الامر ولا مناقشة لنا في ذلك.

أما ما قالوا: (من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً).

لست أدري عم يتكلم هؤلاء الاعلام: عن شريعة الله في إقامة الحكم في المجتمع الاسلامي، أم عن شريعة الغاب لمجتمع الاسود والفهود!؟

ولكى لا يؤاخذنا البعض على إيراد أقوال السابقين باعتقاد أن أهل

هذا العصر لا يوافقونهم في آرائهم ومعتقداتهم ويقول الآخرون: (فلنكن اليوم في حاضر الاسلام)،<sup>٤٣٢</sup> تثبت هنا صورة غلاف كتاب طبع لمدارس بلد فيه

ص: ٢٥٢

<sup>٤٣٠</sup> (٨). السواد: العراق، وسمى سوادا لخضرته بالزرع والاشجار، والعرب تسمى الاخضر أسود.

قال الله تعالى: (مُدْهَمَّتَانِ) يريد الخضرة، كما هو ظاهر.

<sup>٤٣١</sup> (١). الشقشقة - بكسر فسكون فكسر -: شئ كالرثة يخرج البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الالة؛

قال في القاموس: والخطبة الشقشقية العلوية، وهي هذه.

<sup>٤٣٢</sup> (٢). مجلة الازهر، المجلد ٣٢، باب الكتب من الجلد ١٠، سنة ١٣٨٠، ص ١١٥٠ - ١١٥١ في نقده لكتاب عبد الله بن سبأ.

الكعبة البيت الحرام ومسجد الرسول وحرمة، والكتاب ينثى على يزيد ويروى الحديث فى مدحه، يزيد الذى رمى الكعبة بالمنجنيق وأباح مسجد الرسول وحرمة لجيشه ثلاثة أيام يقتلون الناس ويقعون على النساء، كما سيأتى تفصيله فى باب (جيش الخلافة يستبيح حرم الرسول) وباب (مسير جيش الخلافة إلى مكّة). وينشر فى الحرمين الشريفين للدفاع عن يزيد والثناء عليه هذا الكتاب:

ص: ٢٥٣

المملكة العربية السعودية

وزارة المعارف

المكتبات المدرسية

حقائق عن أمير المؤمنين

يزيد بن معاوية

ص: ٢٥٤

إطاعة الامام الجائر المخالف لسنة الرسول (ص):

رأينا فى بحث وجوب طاعة الامام بمدرسة الخلفاء كيف رووا عن رسول الله (ص) النهى عن الخروج على السلطان الجائر المخالف لسنة الرسول (ص) ووجوب طاعته؛ أما مدرسة أهل البيت (ع) فقد رووا عن رسول الله (ص) روايات تناقض تلك الروايات مثل رواية الامام الحسين (ع) سبط رسول الله (ص) عن جدّه قال:

«من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا عهده مخالفا لسنة رسول الله (ص) يعمل فى عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله».<sup>٤٣٣</sup>

وبمقارنة نظير هذه الروايات بروايات مدرسة الخلفاء، أدركنا أن تلكم الروايات بمدرسة الخلفاء إنما رويت عن رسول الله (ص) احتسابا للخير وتأيدا للسلطات الحاكمة على المسلمين، وكان ذلك فى أوائل العصر الاموى، ثم دوّنها فى عصر تدوين الحديث أوائل القرن الثانى الهجرى بكتب الحديث صحاحها ومسانيدها<sup>٤٣٤</sup> وتسالموا جميعا على صحتها والعمل بها، وشرحها وعلّق عليها وأكّدها علماء بلاط السلطات الحاكمة من محدّثين وقضاة وخطباء وأئمة الجمعة والجماعة وأشباههم مدى العصور فى شتى البلاد منذ عصر الخلافة الاموية بالشام والاندلس ثم العباسية فى بغداد والعثمانيين فى تركيا وحكّام المماليك فى مصر والسلاجقة والغزنويين فى إيران والاكرد فى الشام، وأغدقت تلك السلطات عليهم الجاه والمال والحظوة فى بلاطها، وتابعهم على ذلك الملا من أتباعهم.

<sup>٤٣٣</sup> (١). فى خطبة الامام الحسين (ع) لجيش حرّبين يزيد الرياحى، بتاريخ الطبرى وابن الاثير ومقتل الخوارزمى.

<sup>٤٣٤</sup> (٢). تأتى الاشارة إليه فى أوائل الجزء الثانى إن شاء الله تعالى.

وهكذا انقسم المسلمون إلى مدرستين؛ مدرسة الخلفاء التي أعقدت حكامها : المال والجاه والمناصب والخطوة على مروّجى أفكار مدرستها، ومدرسة أهل البيت (ع) التي قاومت تلك الأفكار والروايات المروية تأييدا للسلطات واجتهاداتها، فبذلت لها السلطات الحاكمة القتل والسجن والتشريد وحملات الابادة وإحراق الكتب والمكتبات مدى العصور<sup>٤٣٥</sup> لابعاد أفكارها المحافظة على سنّة الرسول (ص) من المجتمع وإخفائها عن أنظار المسلمين.<sup>٤٣٦</sup>

وبعد كلّ ما ذكرنا، ماذا يصل إلينا من الحقائق في هذا العصر!؟

### خلاصة البحث:

كان المنطق السائد يوم السقيفة في الافعال والاقوال، هو المنطق القَبَلِيّ سواء أكان لدى المهاجرين أم الانصار، وكانت بيعة أبي بكر يومذاك فلتة حسب تقويم الخليفة عمر لها .

ولم يستند الخليفة عمر إلى أى دليل من الكتاب والسنة في ما طرحه من إقامة الخلافة بالشورى وإنما اعتمد اجتهاده الخاص.

اجتهد فجعل تعيين وليّ الامر من بعده بين سنّة أشخاص لا أكثر من ذلك.

واجتهد فجعلهم من المهاجرين دون الانصار.

واجتهد فجعل الترشيح بيد عبد الرحمن بن عوف دون الاخرين وقال:

إذا أتفق اثنان على واحد واثنان على واحد، كونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن .

واجتهد وقال: إذا صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الاخرى فاتبعوه،

فمن أتخذ من اجتهاد الخليفة عمر في عداد كتاب الله وسنة رسوله (ص) مصدرا للتشريع الاسلامي، قال بأن الامامة تقام بالشورى بين سنّة، يبايع خمسة منهم الواحد منهم.

وأما ما استشهد به أتباع مدرسة الخلفاء بآية: **وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** فَإِنَّ الْآيَةَ لَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَكْثَرِ مِنْ رَجْحَانِ الشُّورَىٰ فِي أَمْرٍ لَمْ يَأْتِ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فِيهِ أَمْرٌ، لَأَنَّ اللَّهَ سَبِّحَانَهُ كَلَّمَا أَرَادَ الْفُرْضَ فِي أَمْرٍ قَالَ : كتب الله عليكم كذا، أو فرض كذا، أو جعل أو وصّى، أو غيرها من الالفاظ الدالّة على الوجوب.

<sup>٤٣٥</sup> (١) . يأتي شرحها في بحث حملة المغول على البلاد الاسلامية من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

<sup>٤٣٦</sup> (٢) . ندرس تفصيل كلّ ما ذكرناه في البحوث الاتية إن شاء الله تعالى .

وأما آية: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فِي الْخَطَابِ لِلرَّسُولِ (ص)** فَإِنَّ الْقصدَ الْمشاورَةَ فِي الْغزواتِ، وَمِنْ أَجْلِ نَبِيَّةِ نَفوسِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ إِيجادِ الشُّكِّ وَالخِلافِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، وَكُلِّها كانت مِنْ أَجْلِ تَعْيِينِ إِجْراءِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، وَليْسَ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ، ثُمَّ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْينُوا كَيْفَ تَكُونُ الشُّورى مِنْ أَجْلِ تَعْيِينِ الْإِمَامِ، وَقَدْ رأينا كَيْفَ تَمَّتِ الشُّورى لِإِقامَةِ خِلافةِ عِثْمانَ . هَذَا عَنِ الشُّورى.

وَأما الْبَيْعةُ فَإِنَّها لا تَنْعقدُ بِالْإِجْبارِ وَحدَّ السِّيفِ، وَلا تَنْعقدُ لِلْقِيامِ بِمَعْصِيَةِ، وَلا لِمَنْ يَعْصِي اللَّهَ .

وَأما سِيرةَ الْإِصْحابِ، فَإِنَّ اتَّخَذَتْ فِي عِدَادِ الْكِتابِ وَالسُّنَّةِ مَصْدَراً لِلتَّشْرِيعِ الْإِسْلامِيِّ، صَحَّحَ الْاسْتِدْلالَ بِها، وَإِلا فلا.

وما اسْتَشْهَدَ بِهِ فِي هَذَا الْمَقامِ، مِنْ كِلامِ الْإِمَامِ عَلِيِّ (ع)، فَإِنَّ كانَ لِمُحاجَجةِ الْخِصْمِ بِما تَنْزَمُ بِهِ، وَهَذَا مَتعارِفٌ لَدَى الْعُقلاءِ، ثُمَّ إِنَّ إِجماعَ الصَّحابةِ بِما فِيهِمُ الْإِمَامَ عَلِيَّ وَالْإِمَامَ الْحَسَنَ وَالْإِمَامَ الْحُسَيْنَ يَدُلُّ عَلى رِضا اللَّهِ كَما عَبرَ عَنْهُ الْإِمَامُ .

أما قولهم: مِنْ غَلَبِ بِالسِّيفِ فَهُوَ أَميرُ الْمُؤْمِنِينَ تَجِبُ طاعَتُهُ بِرَأْ كانَ أَوْ فَاجِرا، فَهُوَ الْواقِعُ الَّذِي دأبُوا عَلَيْهِ، كَما يَظْهَرُ ذَلِكَ لِمَنْ يَدْرُسُ تَاريخَ الْخِلفاءِ

ص: ٢٥٧

فِي الْإِسْلامِ.

كانت هذه دراسة آراء مدرسة الخلفاء وأدلتهم عليها؛ أما مدرسة أهل البيت، فسندرس آراءهم وأدلتهم في البحث الآتي بحوله تعالى.

ص: ٢٥٩

### الفصل الثالث: بحوث مدرسة أهل البيت (ع) في الإمامة

ص: ٢٦١

فِي الْبَحْثِ السَّابِقِ ذَكَرنا آراءَ مَدْرسةِ الْخِلفاءِ فِي الْإِمامَةِ وَأَدْلَتَهُمْ

عَلَيْها.

أما أَتباعَ مَدْرسةِ أَهلِ الْبَيْتِ (ع) فَإِنَّهُمْ يَشْترِطونَ فِي الْإِمامِ بَعْدَ النَّبِيِّ أَنْ يَكُونَ مَعْصوماً مِنَ الذَّنوبِ، مَنْصوباً مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَنْصوباً عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ نَبِيِّهِ (ص)، لِقَوْلِهِ تَعَالَى لِخَليلِهِ إِبراهيمَ (ع):

إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمامًا، قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ الْبَقرةَ / ١٢٤.

إذا فالإمامة عهد من الله يخبر نبيه عمّن عهد الله إليه، كما يخبر عن سائر أوامر الله وأحكامه، وأنه لا ينال عهد الإمامة من الله من كان ظالماً، وأن كل من لم يتصف بالظلم إلى نفسه ولا إلى غيره فهو معصوم.

وعلى هذا فالامامة عهد وتعيين من الله، والرسول مبلغ إياها، ويلزمها العصمة . وقد تحقّق هذان الشرطان في أئمة أهل البيت (ع) كما يأتي بيانهما.

ص: ٢٤٢

### عصمة أهل البيت (ع)

أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأنّ أهل البيت - وهم محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم - معصومون من الذنوب في قوله تعالى:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

الاحزاب / ٣٣.

شأن نزول الآية وما صنع الرسول (ص) بهذه المناسبة:

روى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب<sup>٤٣٧</sup> قال:

لَمَّا نَظَرَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) إِلَى الرَّحْمَةِ هَابِطَةً، وَقَالَ:

«ادعوا لي، ادعوا لي».

فَقَالَتْ صَفِيَّةُ:<sup>٤٣٨</sup> مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

«أهل بيتي عليًا وفاطمة والحسن

ص: ٢٤٣

والحسين».<sup>٤٣٩</sup>

<sup>٤٣٧</sup> (١) . بمسند ترك الصحيحين ٣/ ١٤٧.

وعبد اللّ بن جعفر ذو الجناحين: ابن عمّ النبيّ أبي طالب وأمه أسماء بنت عميس الخنعمية. ولد بأرض الحبشة في هجرة أبويه إليها، وهاجر أبوه به إلى المدينة. وكان حليما كريما يقال له: بحر الجود، توفّي بالمدينة سنة ثمانين عام الجحاف - عام جاء فيه سيل عظيم بطن مكة جحف الحاجّ وذهب بالابل عليها أحمالها - ، وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٥ حديثا.

ترجمته بإسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٢.

<sup>٤٣٨</sup> (٢) . صفة بنت حبيّ بن أخطب: من سبط هارون بن عمران من بني إسرائيل، وأمها برة بنت السموأل من بني قريظة . كانت زوجة كنانة بن الربيع من يهود بني النضير فقتل عنها يوم خيبر فاصطفاها النبيّ وقال لها:

أ« إن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسى وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلتحقى بقومك» E

، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك، وما لى فى اليهودية إرب وما لى فيها والد ولا أخ، وخيرتني -

فجىء بهم. فألقى عليهم النبيّ (ص) كساءه، ثمّ رفع يديه،

ص: ٢٦٤

ثمّ قال:

«اللهم هؤلاء آلى فصل على محمد وآل محمد».

وأنزل الله عزّ وجلّ:

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا.

وفى رواية أمّ المؤمنين عائشة: أنّ الكساء كان مرطاً مرحلاً من شعر أسود.<sup>٤٣٠</sup>

<sup>٤٣٩</sup> (١) فاطمة بنت رسول الله (ص) وأمها أمّ المؤمنين خديجة (ع).

فى ترجمتها باسد الغابة والاصابة: أنّ كنيته أمّ أبيها وأنّه انقطع نسل رسول الله إلّا منها، وقال رسول الله (ص) لفاطمة:

أُ «إنّ الله يفضّل لضبك ويرضى لرضاك».

أخرجه - أيضاً - الحاكم فى مستدركه ١٥٣ / ٣. وبميزان الاعتدال ٧٧ / ٢. وتهذيب التهذيب ١٢ / ١٢٠٤. وفى باب مناقب فاطمة بصحيح البخارى ٤ / ٢٠٠، ٢٠١ و ٢٠٥ قال رسول الله (ص):

أُ «فاطمة بضعة منى، من أغضبها أغضبني».

وفى رواية اخرى فيه باب ذبّ الرجل عن ابنته من كتاب النكاح ١٧٧ / ٣، وباب فضائل فاطمة من صحيح مسلم. والترمذى. وبمسند أحمد ٤ / ٤١ و ٣٢٨. ومستدرک الصحيحين ٣ / ١٥٣:

أُ «يؤذيني ما آذاهما، أو يؤذيها».

وكان آخر الناس عهداً برسول الله إذا سافر فاطمة، وإذا قدم من سفر كان أولّ الناس عهداً به فاطمة، كما فى مستدرک الصحيحين ١ / ٤٨٩ و ٣ / ١٥٥ و ١٥٦. ومسند أحمد ٥ / ٢٧٥. وسنن البيهقى ١ / ٢٤.

وفى باب فرض الخمس من صحيح البخارى ٢ / ١٢٤، عن عائشة أنّ فاطمة سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (ص) أن يقسم لها ميراثها ما ترك رسول الله ممّا أفاء الله عليه، فقال أبو بكر: إنّ رسول الله قال:

أُ «لا نورث ما تركنا صدقة».

فغضبت فاطمة بنت رسول الله فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتّى توفيت، وعاشت بعد رسول الله (ص) ستّة أشهر.

وفى باب غزوة خيبر منه ٣ / ٣٨: فلمّا توفيت دفنها زوجها على ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها، وكان لعلّى وجه حياة فاطمة، فلمّا توفيت استنكر علىّ وجوه الناس فالتمس مصالحة أبى بكر ....

ورواه مسلم كذلك فى صحيحه بكتاب الجهاد ٥ / ١٥٤. ومسند أحمد ١ / ٩. وسنن البيهقى ٦ / ٣٠٠.

وبترجمتها فى اسد الغابة: وأوصت إلى أسماء أن تغسلها ولا تدخل عليها أحدا، فلمّا توفيت جاءت عائشة فمنعتها أسماء -

<sup>٤٤٠</sup> (١). المرط: كساء من صوف أو خزّ. والمرحل من الثياب: ما أشبهت نقوشه رحال الابل.

وعائشة بنت أبى بكر وأمها أمّ رومان. ولدت فى السنة الرابعة بعد البعثة، بنى بها الرسول (ص) بعد ثمانية عشر شهرا من هجرته إلى المدينة. وتوفيت سنة ٥٧ أو ٥٨. وصلى عليها أبوهريرة. وروى عنها أصحاب الصحاح ٧ / ٢٢١٠ أحاديث، راجع كتابنا أحاديث عائشة.

وروايتها فى شأن نزول آية التطهير فى صحيح مسلم ٧ / ١٣٠، باب فضائل أهل بيت النبىّ. ومستدرک الصحيحين ٣ / ١٤٧. وبتفسير الالية فى تفسير ابن جرير والدرّ المنتور للسيوطى، -



وفى رواية الصحابي واثلة بن الاسقع : إن رسول الله أدنى عليًا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه - الحديث. ٤٤١

وفى رواية أم المؤمنين أم سلمة قالت : نزلت هذه الآية فى بيتي : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ...** وفى البيت سبعة: جبرئيل وميكائيل (ع) وعلى وفاطمة والحسن والحسين (رض) وأنا على باب البيت، قلت : يا رسول الله ألت من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير. إنك من أزواج النبي». ٤٤٢

وقد روى شأن نزول آية التطهير غير من ذكرنا كل من:

أ- عبد الله بن عباس. ٤٤٣

ب- عمر بن أبى سلمة ٤٤٤ ربيب النبي (ص).

ج- أبى سعيد الخدرى. ٤٤٥

د- سعد بن أبى وقاص. ٤٤٦

ه- أنس بن مالك، ٤٤٧ وغيرهم. ٤٤٨

٤٤١ (١) واثلة بن الاسقع اللبثي: أسلم والنبي يتجهز إلى تبوك. وقيل إنه خدم النبي ثلاث سنوات ومات سنة خمس وثمانين أو ثلاث وثمانين بدمشق أو ببيعة المقدس. روى عنه أصحاب الصحاح ٥٦ حديثا. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٧٩. وروايته فى شأن آية التطهير بسنن البيهقي ١٥٢ / ٢، ورواية اخرى منه بمسند أحمد ١٠٧ / ٤. ومستدرک الصحيحين ٢ / ٤١٦ و ٣ / ١٤٧. ومجمع الزوائد ٩ / ١٦٧. وابن جرير والسيوطى فى تفسير الآية من تفسيريهما. واسب الغابة ٢ / ٢٠.

٤٤٢ (٢) رواية أم سلمة فى تفسير الآية بتفسير السيوطى ٥ / ١٩٨ و ١٩٩. ورواية اخرى فى سنن الترمذى ١٣ / ٢٤٨. ومسند أحمد ٦ / ٣٠٦. واسب الغابة ٤ / ٢٩ و ٢ / ٢٩٧. وتهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٧. واخرى بمسند الصحيحين ٢ / ٤١٦ و ٣ / ١٤٧. وسنن البيهقي ٢ / ١٥٠. واسب الغابة ٥ / ٥٢١ و ٥٨٩. وفى تأريخ بغداد ٩ / ١٢٦. واخرى: بمسند أحمد ٦ / ٢٩٢.

٤٤٣ (٣) رواية ابن عباس بمسند أحمد ١ / ٣٣٠. وخصائص النبائى ص ١١. والرياض النضرة ٢ / ٢٦٩. ومجمع الزوائد ٩ / ١١٩ و ٢٠٧. وتفسير الآية بالدر المنثور.

٤٤٤ (٤) عمر بن أبى سلمة بن عبد الاسد أبو حفص المخزومي: ربيب رسول الله، أمه أم-

٤٤٥ (١) رواية أبى سعيد فى تفسير الآية بتفسير ابن جرير والسيوطى وتأريخ بغداد ١٠ / ٢٧٨. ومجمع الزوائد ٩ / ١٦٧ و ١٦٩. وستأنى ترجمته فى الهامش رقم (٢) ص ٢٧٧.

٤٤٦ (٢) سعد بن أبى وقاص. - مرت ترجمته فى الهامش رقم (٣) ص ١٦٠ من بحث: الواقع التاريخى - وأبى أن يبايع عليًا، وأبى على معاوية أن يسب عليًا. ودس إليه معاوية السم لَمَّا أراد أن يبايع ليزيد، فمات. وروى عنه أصحاب الصحاح ٢٧١ حديثا. ترجمته باسد الغابة وصحيح مسلم ٧ / ١٢٠. وأحاديث أم المؤمنين عائشة ١ / ٣٥٦، ط. بيروت ١٤٠٥ هـ. وروايته بشأن آية التطهير فى خصائص النساءى ص ٤-٥. وسنن الترمذى ١٣ / ١٧١ - ١٧٢.

واستشهد بها الحسن السبط (ع) على المنبر،<sup>٤٤٩</sup> وعلى بن الحسين (ع) فى الشام.<sup>٤٥٠</sup>

ص: ٢٦٧

كان رسول الله بعد نزول هذه الآية عدّة أشهر يأتي إلى باب دار عليّ وفاطمة يسلم عليهم ويقرأ الآية. قال ابن عباس: شهدت رسول الله (ص) تسعة أشهر يأتي كل يوم باب عليّ بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت، إنّما يريد الله ... الصلاة رحمكم الله»

كل يوم خمس مرات.<sup>٤٥١</sup>

وعن أبي الحمراء، قال: حفظت رسول الله ثمانية أشهر بالمدينة ليس من مرة يخرج إلى صلاة الغداة إلّا أتى باب عليّ فوضع يده على جنبتي الباب ثم قال:

«الصلاة، إنّما يريد الله...»<sup>٤٥٢</sup>

وقال أبو برزة: إنّهُ صلّى مع رسول الله سبعة أشهر، فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة....<sup>٤٥٣</sup>

وعن أنس بن مالك سنة أشهر.<sup>٤٥٤</sup> وروى - أيضا - غيرهم فى ذلك.

فى هذه الآية، أخبر الله عن المعصومين فى عصر رسول الله خاصّة، وعيّنهم الرسول بما فعل من نشر الكساء عليهم وقراءة الآية فى ملا من أصحابه عدّة شهور على باب بيتهم.

ص: ٢٦٨

<sup>٤٤٧</sup> (٣). رواية أنس بن مالك فى سنن الترمذى ٢٤٨ / ١٣. ومجمع الزوائد ٢٠٦ / ٩.

<sup>٤٤٨</sup> (٤). مثل قتادة فى تفسير الآية عند ابن جرير والسيوطى وعطية بترجمته باسد الغابة ٤١٣ / ٣، ومغلل بن يسار، راجع سنن الترمذى ٢٤٨ / ١٣.

<sup>٤٤٩</sup> (٥). روى استشهد السبط بمستدرک الصحيحين ١٧٢ / ٣. ومجمع الزوائد ١٤٦ / ٩ و ١٧٢.

<sup>٤٥٠</sup> (٦). على بن الحسين: أمه بنت يزيد كما فى الباب العاشر من ربيع الابرار للزمخشري راجع ج ٢ ورقة ٤٤، مصوّرة مكتبة أمير المؤمنين فى النجف تتسلسل ٢٠٥٩، أدب. وماتت فى نفاها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه، وزوجها على بن الحسين بعد أبيه (عيون أخبار الرضا ١٢٨ / ٢) ويبدو أنّها كانت تسمى غزالة. توفى على بن الحسين بالمدينة سنة خمس وتسعين -

<sup>٤٥١</sup> (١). رواية ابن عباس فى تفسير الآية وآية\أ وأمر أهلک\ E. من الدر المنثور.

<sup>٤٥٢</sup> (٢). أبو الحمراء: مولى رسول الله، اسمه هلال بن الحارث أو ابن ظفر، والحديث بترجمته فى الاستيعاب ٥٩٨ / ٢. واسد الغابة ١٧٤ / ٥. ومجمع الزوائد ١٦٨ / ٩.

<sup>٤٥٣</sup> (٣). أبو برزة الاسلمى: اختلفوا فى اسمه. توفى فى البصرة سنة ستين أو أربع وستين. روى عنه أصحاب الصحاح ٢٠ أو ٤٦ حديثا. ترجمته باسد الغابة وجوامع السيرة ص ٢٨٠ و ٢٨٣. وحديثه المذكور فى مجمع الزوائد ١٦٩ / ٩، لفظه: سبعة عشر شهرا ونراه من غلط النسخ.

<sup>٤٥٤</sup> (٤). رواية أنس بمسند أحمد ٢٥٢ / ٣. والطيلسى ٢٧٤ / ٧، ح ٢٥٠٩. واسد الغابة ٥٢١ / ٥. وتفسير الآية عند ابن جرير والسيوطى.

إن هذه الآية، وما ورد عن رسول الله (ص) من قول وفعل في تفسيرها، تكفي دليلاً لاثبات عصمة أهل البيت (ع).

ومن الناحية العملية، لم يسجل التاريخ عن أئمة أهل البيت (ع) ما ينافي عصمتهم، على أن التاريخ الإسلامي دون من قبل علماء مدرسة الخلفاء، وغالبا ما دونوا في كتب التاريخ الإسلامي ما يجلبون به رضا الخلفاء مدى ال عصور، وكان الخلفاء مدى العصور جادّين لاطفاء نور أئمة أهل البيت (ع) خشية ميل المسلمين إليهم (ع) ومبايعتهم بالخلافة، ولهذا السبب قتلوا منهم من قتلوا، وسجنوا منهم من سجنوا، وشرّدوا منهم من شرّدوا، وخاصة بنو أمية الذين أمروا بلعن الامام عليّ (ع) في خطب صلاة الجمعة على منابر المسلمين، ولم ينبج من عذابهم ومطاردتهم محبو أئمة أهل البيت وشيعتهم ومن اعتقد بإمامتهم؛ مع كل ذلك لا نجد في التاريخ المدون أية صغيرة أو هفوة نسبت إلى أئمة أهل البيت (ع). وكفى بهذا دليلاً على أن الله عصمهم من الرجس وطهرهم تطهيراً.

كان ه ذا أهم أدلة مدرسة أهل البيت على عصمة أهل البيت (ع)، وفي ما يأتي بيان بعض النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في إمامتهم، وقد قال الله تعالى في حقّ رسوله:

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ النجم / ٣-٤.

ص: ٢٦٩

اهتمام الرسول (ص) بأمر تعيين اولي الامر من بعده

قبل أن ندرس النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين اولي الامر من بعده، ندرس شيئاً من اهتمام الرسول (ص) بهذا الامر في ما يأتي:

إنّ أمر الامامة بعد الرسول (ص) كان من الامور المهمة التي لم تغب عن بال الرسول (ص) ومن كان حوله، بل كانوا يفكّرون فيه منذ البدء؛ فقد رأينا ببحرة من بنى عامر بن صعصعة يشترط على رسول الله (ص) لاسلامهم أن يكون لهم أمر من بعد الرسول (ص)، ورأينا هودّة الحنفى يطلب من الرسول (ص) منحه شيئاً من الامر.

وكذلك كان الرسول (ص) - أيضاً - يفكّر في الامر من بعده ويدبّر له منذ أوّل يوم دعا إلى الاسلام، وأوّل يوم أخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي.

أمّا تدبيره في أوّل يوم أخذ فيه البيعة لاقامة المجتمع الاسلامي، فقد كان ما رواه البخارى ومسلم في صحيحيهما، والنسائي وابن ماجه في سننهما، ومالك في الموطأ، وأحمد في المسند، وغيرهم في غيرها - واللفظ للاوّل - قال:

قال عبادة بن الصامت : بايعنا رسول الله (ص) على السمع والطاعة في (العسر واليسر) والمنشط والمكره. وأن لا ننازع الامر أهله ....<sup>٤٥٥</sup>

<sup>٤٥٥</sup> (١). صحيح البخارى، كتاب الاحكام، باب كيف يبايع الامام الناس، ح ١، ٤ / ١٦٣.

ص: ٢٧٠

وعبادة هذا كان أحد النقباء الاثني عشر على الانصار يوم بيعة العقبة الكبرى<sup>٤٥٦</sup> حين قال النبي (ص) للنيف والسبعين من الانصار الذين بايعوه: أخرجوا إليّ اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا من بينهم اثني عشر نقيباً، فقال رسول الله (ص) للنقباء: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم (ع)....<sup>٤٥٧</sup>

إنّ عبادة بن الصامت أحد اولئك النقباء الاثني عشر روى من بنود البيعة التي بايعوا الرسول عليها : «أن لا ينازعوا الامر أهله».

\*\*\*

وإنما أراد رسول الله (ص) من (الامر) الوارد في هذا الحديث الصحيح، والذي يذكر فيه أخذ البيعة من اثنين وسبعين رجلاً وامرأتين من الانصار أن لا ينازعوا الامر أهله، هو الامر الذي تنازعوا عليه في سقيفة بني ساعدة،<sup>٤٥٨</sup> وأهل الامر هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله: **أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ**.<sup>٤٥٩</sup>

وإن رسول الله (ص) وإن لم يشخص هنا وليّ الامر من بعده، لأنّه لم يكن من الحكمة أن يعرف وليّ الامر من بعده وهو من غير قبيلة الانصار، ولعلّ

ص: ٢٧١

نفوس بعض المبايعين لم تكن تتحمّل ذلك يومئذ، غير أنّه أخذ البيعة منهم أن لا ينازعوه حين يعينه لهم بعد ذلك.

وقد عيّن الرسول (ص) وليّ الامر من بعده وشخص وصيّيه وخليفته في مجتمع أصغر من هذا المجتمع، وذلك في أوّل يوم دعا الاقربين إليه للاسلام، كما رواه جمع من أهل الحديث والسير مثل : الطبري، وابن عساکر، وابن الاثير، وابن كثير، والمتقى، وغيرهم - واللفظ للاوّل<sup>٤٦٠</sup> - قال: عن عليّ بن أبي طالب (ع) قال:

لما نزلت هذه الآية على رسول الله (ص): **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** الشعراء / ٢١٤. دعاني رسول الله (ص) فقال لي:

---

ولفظ العسر واليسر في صحيح مسلم، كتاب الامارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، ح ٤١ و ٤٢. وسنن النسائي، كتاب البيعة على أن لا تنازع الامر أهله. وسنن ابن ماجه، كتاب الجهاد، باب البيعة، ح ٢٨٦٦. وموطأ مالك، كتاب -<sup>٤٥٦</sup> (١). بترجمة عبادة في الاستيعاب ٢ / ٤١٢. واسبغ الغاية ٣ / ١٠٦ - ١٠٧.

<sup>٤٥٧</sup> (٢). الطبري، ط. اوربا ١ / ١٢٢١.

<sup>٤٥٨</sup> (٣). راجع نزاع الانصار القبلي مع المهاجرين في فصل السقيفة وبيعة أبي بكر، بأوّل الكتاب.

<sup>٤٥٩</sup> (٤). النساء / ٥٩. ويأتي تفسيرها والاحاديث الواردة عن رسول الله (ص) حوله في بحوث الكتاب إن شاء الله تعالى.

<sup>٤٦٠</sup> (١). تأريخ الطبري، ط. اوربا ٣ / ١١٧١ - ١١٧٢. وابن عساکر، تحقيق المحمودي، ج ١ من ترجمة الامام. وتأريخ ابن الاثير ٢ / ٢٢٢. وشرح ابن أبي الحديد ٣ / ٢٦٣. وفي تأريخ ابن كثير ٣ / ٣٩، وقد حذف الالفاظ وقال: كذا وكذا. وكنز العمال للمتقى ١٥ / ١٠٠، ١١٥ و ١١٦ منه، وفي ص ١٣٠: يكون أخى وصاحبي ووليكم بعدى. والسيرة الحلبية، نشر المكتبة الاسلامية ببيروت ١ / ٢٨٥.

يا عليّ، إنّ الله أمرني أن انذر عشيرتي الاقربين، فضقت بذلك ذرعا، وعرفت أنّي متى اباديهم بهذا الامر أرى ما أكره، فصمتّ عليه، حتّى جاءني جبرئيل فقال: يا محمد إنّ لا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك . فاصنع لنا صاعا من طعام، واجعل عليه رجل شاة، واملا لنا عسّا من لبن، ثمّ اجمع لى بنى عبد المطلب حتّى اكلمهم وابلّغهم ما امرت به.

ففعلت ما أمرني به، ثمّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصونه، فيهم أعمامه : أبو طالب، وحمزة، والعباس، وأبو لهب. فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به. فلمّا وضعته تناول رسول الله (ص) حذية (أى: قطعة) من اللحم فشقّها بأسنانه، ثمّ ألقاها في

ص: ٢٧٢

نواحي الصفحة، ثمّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى ما لهم بشىء من حاجة، وما أرى إلّا موضع أيديهم . وأيم الله الذى نفس علىّ بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم . ثمّ قال: إسق القوم. فجئتهم بذلك العسّ، فشرّبوا منه حتّى رووا منه جميعا، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله.

فلمّا أراد رسول الله (ص) أن يكلمهم، بدره أبو لهب إلى الكلام فقال: لشرّ ما سحركم صاحبكم . فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله (ص) فقال الغد: يا عليّ إنّ هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول، فتفرّق القوم قبل أن اكلمهم، فعدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت، ثمّ اجمعهم إلىّ.

قال: ففعلت، ثمّ جمعتهم، ثمّ دعاني بالطعام، فقرّبته له م ففعل كما فعل بالامس، فأكلوا حتّى ما لهم بشىء من حاجة، ثمّ قال: إسقهم. فجئتهم بذاك العسّ، فشرّبوا حتّى رووا منه جميعا. ثمّ تكلم رسول الله (ص) فقال: يا بنى عبد المطلب، إنّى والله ما أعلم شابا فى العرب جاء قومه بأفضل ممّا قد جئتكم به . إنّى قد جئتكم بخيرا لادنيا والاخرة، وقد أمرنى الله تعالى أن أدعوكم إليه. فأيّكم يؤازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم؟

قال: فأحجم القوم عنه جميعا وقلت - وإنّى لاحدثهم سنّا، وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا- : أنا يا نبىّ الله أكون وزيرك عليه . فأخذ بيقيبتي، ثمّ قال: إنّ هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا . قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابى طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

\*\*\*

كانت هذه الدعوة فى السنة الثالثة من البعثة، وهى أوّل مرّة أظهر فيها الرسول (ص) الدعوة إلى الاسلام، وشخص فيها الامام من بعده وعرفه

ص: ٢٧٣

للاقربين إليه. وإنّما فعل ذلك هنا، ولم يفعله بعدها بعشر سنوات ويوم أخذ البيعة من الانصار لاقامة المجتمع الاسلامى، لأنّ الامام كان من غير قبائل الانصار وكان بناء المجتمع عندهم على أساس قبلى، ولم يكن من الحكمة أن يأخذ البيعة منهم لمن يلى الامر بعده وهو ليس من قبائل الانصار، فاكتفى فى ذلك المقام بأخذ البيعة منهم أن لا ينازعه فى الامر.

وفى هذه المرّة شخصه للاقربين إليه فى محاورة شبيهة بمشاورة أصحابه فى غزوة بدر، فإنّه مع علمه فى غزوة بدر بعاقبة الامر، كما أخبر بها أصحابه بعد الانتهاء من المشاورة وأراهم مصارع المشركين، مع ذلك استشارهم أوّل الامر فى ما يفعل، وكذلك فعل هنا، فإنّه مع علمه بالعاقبة وأنّ الذى يقبل مؤازرته هو الامام علىّ، مع ذلك علّق تعيين الوزير والوصيّ والخليفة من بعده على قبول المؤازرة فى التبليغ وليتقدّم بالقبول أيّهم شاء، ولما أبى كلّهم ذلك، وبادر بالقبول ابن عمّه علىّ، أخذ برقبته وقال فيه ما مرّ وأمرهم بطاعته.

\*\*\*

رأينا فى ما مرّ بنا إلى هنا اهتمام الرسول (ص) بأمر الامامة من بعده: يشخصه فى مكان، ويأخذ البيعة أن لا ينازعه فى مكان آخر، ويقابل طمع الطامعين بالرفض فى غيرهما.

ومن أجل أن ندرک مدى اهتمام الرسول (ص) بأمر من يستخلفه من بعده، ندرس فى ما يأتى ما كان يعمل (ص) عندما يغيب عن المدينة أيّاما معدودات فى الغزوات، وكيف كان يعين خليفة عليهم من بعده.

#### باب ذكر من استخلف الرسول (ص) على المدينة فى غزواته

فى السنة الثامنة من الهجرة:

اذن لرسول الله (ص) بالقتال فى صفر من السنة الثانية، فغزا بالمهاجرين

ص: ٢٧٤

يعترض عيرا لقريش فبلغ ودان والابواء.<sup>٤٦١</sup>

أولا- استخلف سعد بن عبادة سيّد الخزرج من الانصار خمس عشرة ليلة، مدّة غيبته عن المدينة.

ثانيا- استخلف فى غزوة بواط<sup>٤٦٢</sup> سعد بن معاذ من سادة الاوس من الانصار فى ربيع الاول.

ثالثا- استخلف مولاة زيد بن حارثة فى غزوته لطلب كرز بن جابر الفهري - وكان أغار على سرح المدينة - فبلغ (ص) سفوان وفاته كرز والسرح.<sup>٤٦٣</sup>

<sup>٤٦١</sup> (١). الابواء: قرية من أعمال فراض على بعد ٢٣ ميلا من المدينة، فيها قبر آمنة امّ النبي (ص). وودان: قرية على مرحلة من الجحفة بينها وبين الابواء سنة أميال. معجم البلدان.

<sup>٤٦٢</sup> (٢). بواط: من جبال جهينة من طريق الشام، وبين بواط والمدينة ثمانية برد، وبرد : جمع البريد، ويبلغ البريد : اثني عشر ميلا. فى معجم البلدان، بمادة: «بواط».

يبدو جليا مراعاة رسول الله (ص) فى الغزوتين الاوليين مشاعر الانصار القبلية حين استخلف فى الاولى سيد الخزرج وفى الثانية سيّدا من الاوس.

<sup>٤٦٣</sup> (٣). كانت هذه الغزوة أيضا فى ربيع الاول وبعد بواط. وسفوان: وإد بناحية بدر.

رابعاً- استخلف أبا سلمة المخزومي في غزوة ذي العشيرة، حين ذهب في جمادى الاولى أو الثانى يعترض عيرا لقريش ذاهبة إلى الشام، ففاته، وكان القتال ببدر في رجوعها من الشام.<sup>٤٤٤</sup>

ص: ٢٧٥

خامساً- استخلف ابن أم مكتوم الضير في غزوة بدر الكبرى، وغاب عن المدينة تسعة عشر يوماً.<sup>٤٤٥</sup>

سادساً- استخلف أبا لبابة الانصارى الاوسى في غزوة بنى قينقاع.<sup>٤٤٦</sup>

سابعاً- استخلف أيضاً أبا لبابة في غزوة السويق، وكان خروجه (ص) في طلب أبى سفيان حين أقبل في مائتى راكب ليبرّ بنذره أن لا يمسه الطيب والنساء حتى يثأر لاهل بدر، وانتهاوا إلى العريض فبلغهم خروج النبى (ص) فجعلوا يلقون جرب السويق تخففاً، فسميت غزوة السويق.<sup>٤٤٧</sup>

في السنة الثانية:

ثامناً- استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قرقرة الكدر، وسار (ص) للنصف من المحرم يريد سليم وغطفان - بين قبيلتين من قيس عيلان - فانجفلوا، وغنم من أموالهم، ورجع ولم يلق كيدا.<sup>٤٤٨</sup>

تاسعاً- استخلف ابن أم مكتوم في غزوة قرآن، وغاب عن المدينة عشرة

ص: ٢٧٦

أيام من جمادى الآخرة، فتنفروا ولم يلق كيدا.<sup>٤٤٩</sup>

---

كرز بن جابر بن حسل الفهري : قتل يوم الفتح مع رسول الله (ص). راجع جمهرة أنساب العرب لابن حزم في ذكر نسب بنى محارب بن فهر، وترجمته من الاصابة.

<sup>٤٤٤</sup> (٤). ذو العشيرة كما في التنبيه، بناحية ينبع ببعد عن المدينة تسعة برد.

وأبو سلمة: عبد الله بن عبد الاسد، أمه برة عمه الرسول (ص) وابنة عبد المطلب. هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة. حضر بدرًا وخرج في احد ومات منه في جمادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة. راجع ترجمته في اسد الغابة.

<sup>٤٤٥</sup> (١). خرج الرسول(ص) من المدينة لثلاث خلون من شهر رمضان ووقع القتال يوم الجمعة السابع عشر منه.

<sup>٤٤٦</sup> (٢). ٣٠ قال أهل السيرة : لما قدم اليهود المدينة نزلوا السافلة منها، فاستوخموها فأثوا العالية فنزل بنو النضير بطحان ونزلت بنو قريظة مهزورا - وهم واديان يهبطان من حرة هناك - فاتخذ بنو النضير الحدائق والاطام وأقاموا فيها، وأقاموا بها إلى أن غزاهم النبى (ص) وأخرجهم منها. راجع مادة: (بطحان) و(مهزورا) من معجم البلدان

. وأبو لبابة: بشير أو رفاعة بن عبد المنذر، اشتهر بكنيته، أحد النقباء في بيعة العقبة، راجع ترجمة بشير ورفاعة وأبى لبابة في اسد الغابة.

<sup>٤٤٧</sup> (٣). العريض: وادى المدينة. معجم البلدان، مادة: (عريض).

<sup>٤٤٨</sup> (٤). قرقرة الكدر: ناحية معدن بنى سليم مما يلي حارة العراق إلى مكة وهى على بعد ثمانية أيام من المدينة. معجم البلدان، مادة: (قرقرة). سار إليها النبى في النصف من المحرم.

<sup>٤٤٩</sup> (١). قرآن: معدن بنى سليم بناحية الفرع من المجاز. معجم البلدان ولسان العرب، مادة: (قرآن).

عاشرا- استخلف عثمان بن عفّان في غزوة ذى أمر بنجد، سار (ص) يريد غطفان، فانجفلوا من بين يديه ولم يلق كيذا، وغاب فيها عن المدينة عشرة أيام.

حادى عشر- استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة احد، وقاتل المشركين في سفح جبل احد- على بعد ميل من المدينة- ، غاب فيها عن المدينة يوما واحدا.

ثانى عشر- استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة حمراء الاسد- على بعد عشرة أميال من المدينة- سار في طلب أبى سفيان حين بلغه أنّه يريد الكرّ على المدينة، ففاته أبو سفيان ومن معه، فأقام فيها ثلاثة أيام، ثمّ عاد إلى المدينة.

#### في السنة الرابعة:

ثالث عشر- استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة بنى النضير بناحية الغرس، حصرهم خمسة عشر يوما، ثمّ أجلاهم عنها.<sup>٤٧٠</sup>

رابع عشر- استخلف عبد الله بن رواحة الانصارى في غزوة بدر الثالثة ستة عشر يوما، وأقام فيها ثمانية أيام لموعد أبى سفيان إيّاهم في احد أنّه سيقاتلهم العام القادم في بدر، وخرج أبو سفيان من مكّة إلى عسفان، ثمّ عاد منها إلى مكّة.<sup>٤٧١</sup>

ص: ٢٧٧

#### في السنة الخامسة:

خامس عشر- استخلف في غزوة ذات الرقاع عثمان بن عفّان خمس عشرة ليلة وخرج لعشر خلون من المحرم، فأجفلت العرب من بين يديه ولحقوا برؤوس الجبال وبطون الاودية.<sup>٤٧٢</sup>

سادس عشر- استخلف ابن أمّ مكتوم في غزوة دومة الجندل حين سار إلى أكيدر بن عبد الملك النصرانى - وكان يعترض سفر المدينة وتجارتهم- فهرب وتفرّق أهلها، فلم يجد بها أحدا، فأقام أياما وعاد إلى المدينة وهي أوّل غزواته إلى الروم.<sup>٤٧٣</sup>

سابع عشر- استخلف مولاة زيد بن حارثة في غزوة بنى المصطلق على ماء المُرَيْسِيْع ثمانية عشر يوما، خرج فيها للبلتين خلتا من شعبان.<sup>٤٧٤</sup>

<sup>٤٧٠</sup> (٢). كانت منازل بنى النضير من اليهود ببئر غرس بقبا وما والاها، وقبا: قرية على ميلين من المدينة، وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية به. معجم البلدان، مادة: (غرس) و(قبا).

<sup>٤٧١</sup> (٣). عبد الله بن رواحة الانصارى الخزرجى: كان نقيب بنى الحارث في بيعة العقبة. شهد المشاهد مع رسول الله (ص) وكان أحد الامراء الثلاثة الذين استشهدوا في مؤتة. ترجمته في الاستيعاب واسب الغاية.

<sup>٤٧٢</sup> (١). ذات الرقاع: جبل قرئب من النخيل ممّا يلي السعد والشقرة مختلفة ألوانه فيه بقع حمر وسود وبيض. راجع ترجمة الغزوة من التنبيه والاشراف للمسعودى.

<sup>٤٧٣</sup> (٢). دومة الجندل: كانت حصنا مبنيا بالجندل في متّسع من الارض خمسة فراسخ، وهي على سبع مراحل من دمشق، بينها وبين مدينة الرسول (ص) خمس عشرة ليلة. راجع مادة:

(دومة) بمعجم البلدان و ترجمة الغزوة في التنبيه والاشراف للمسعودى، ذكر السنة الخامسة.



ثامن عشر - استخلف في غزوة الخندق ابن أم مكتوم، وهو يقاتل الاحزاب دون الخندق من داخل المدينة في شهر شوال أو ذى القعدة.

تاسع عشر - استخلف أبا رهم الغفارى في غزوة بنى قريظة، وهم على بعض يوم من المدينة، حصرهم خمسة عشر يوماً أو أكثر، بدأهم بسبعٍ بقين من ذى القعدة.<sup>٤٧٥</sup>

ص: ٢٧٨

في السنة السادسة:

عشرين - استخلف في غزوة بنى لحيان من هذيل، بالقرب من عسفان، ابن أم مكتوم، أربع عشرة ليلة ورجع ولم يلقَ كيدا.<sup>٤٧٦</sup>

حادى وعشرين - استخلف ابن أم مكتوم، خمس ليالٍ في غزوة ذى قرد، على ليلتين من المدينة.<sup>٤٧٧</sup>

ثانى وعشرين - استخلف ابن أم مكتوم في غزوة الحديبية.<sup>٤٧٨</sup>

في السنة السابعة:

ثالث وعشرين - استخلف سباع بن عُرفطة في غزوة خيبر، وهى على بعد ثمانية برد من المدينة، وبعد فتح قلاعها عنوة وصلحاً سرار إلى وادى القرى فحصرهم أياماً حتى افتتحها عنوة، ثم صالح أهل تيماء وهى على ثمانية مراحل من الشام، ووادى القرى بينها وبين المدينة.<sup>٤٧٩</sup>

رابع وعشرين - واستخلف أيضاً سباع بن عرفطة في عمرة القضاء.<sup>٤٨٠</sup>

ص: ٢٧٩

<sup>٤٧٤</sup> (٣). ماء المريسيع: على طريق الفرع، والفرع ثمانية برد من المدينة.

<sup>٤٧٥</sup> (٤). أبو رهم؛ كلثوم بن الحصين: أسلم بعد قدوم النبى (ص) المدينة، شهد احدا فرمى بسهم فى نحره فبصق عليه النبى (ص) فبرئ. انظر ترجمته فى اسد الغابة.

<sup>٤٧٦</sup> (١). بنو لحيان، نسبهم فى جمهرة أنساب ابن حزم، ط. مصر سنة ١٣٨٢، ص ١٩٦ - ١٩٨.

وعسفان بين مكة والمدينة، اختلفوا فى تعيين موضعه. معجم البلدان، مادة: (عسفان).

<sup>٤٧٧</sup> (٢). ذى قرد: من طريق خيبر، وكان عيينة بن حصن الفزارى أغار على لقاحه وهو بالغابة وهى على برید من المدينة أو أكثر. فخرج (ص) يوم الاربعاء لثلاث أو لاربع خلون من شهر ربيع الاول فاستنقذ بعضها وعاد إلى المدينة. التنبيه والاشراف. ذكر السنة السادسة.

<sup>٤٧٨</sup> (٣). خرج الرسول (ص) يوم الاثنين هلال ذى القعدة للعمرة فصدّه المشركون عن دخول مكة، فأقام بالحديبية على تسعة أميال من مكة، ثم وقع الصلح بين الرسول وقريش على أن يعتمر فى السنة القادمة.

<sup>٤٧٩</sup> (٤). سباع بن عرفطة الغفارى: استعمله النبى على المدينة لما سار إلى خيبر وتيماء. ترجمته باسد الغابة.

<sup>٤٨٠</sup> (٥). سار النبى (ص) لست ليالٍ خلون من ذى القعدة.

## في السنة الثامنة:

خامس وعشرين - استخلف على المدينة أبا رهم الغفاري في غزوة مكة.

سادس وعشرين - سار بعد غزوة مكة إلى هوازن لغزو حنين، وحينين وادٍ إلى جانب ذي المجاز يبعد ثلاث ليالٍ عن مكة، وبقي - أيضا - أبو رهم واليا على المدينة في هذه الغزوة.

سابع وعشرين - واستخلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك - على بعد تسعين فرسخا من المدينة -.

وهي آخر غزواته، وكانت غزواته ثمانيا وعشرين غزوة إن اعتبرنا خيبر ووادى القرى غزوتين، وإلا فهي سبع وعشرون غزوة.

\*\*\*

رجعنا في ذكر أسماء من استخلفهم رسول الله (ص) على المدينة في غيابه عنها إلى التنبيه والاشراف للمسعودي في ذكره التأريخ من السنة الثانية إلى السنة الثامنة من الهجرة، وقد يختلف في ذكر أسماء من ولّاه رسول الله (ص) على المدينة مع غيره أحيانا. أمّا ما ذكره في استخلاف الامام عليّ على المدينة في غزوة تبوك فقد قال ذلك - أيضا - إمام الحنابلة في مسنده في ما رواه عن سعد بن أبي وقاص؛ قال:

إنّ رسول الله (ص) حين خرج في غزوة تبوك استخلف عليها عليّا (رض) على المدينة، فقال عليّ: يا رسول الله ما كنت احبّ أن تخرج وجهي إلا وأنا معك. فقال: أوّما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدى.<sup>٤٨١</sup>

ويؤيد ذلك أيضا ما رواه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الخلق باب

ص: ٢٨٠

غزوة تبوك حيث روى عن سعد بن أبي وقاص أيضا أنّه قال:

إنّ رسول الله (ص) خرج إلى تبوك واستخلف عليّا فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدى.<sup>٤٨٢</sup>

وما رواه مسلم - أيضا - في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص أنّه قال:

سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازبه فقال له عليّ: يا رسول الله خلّفنتي مع الصبيان والنساء؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبوة بعدى.<sup>٤٨٣</sup>

<sup>٤٨١</sup> (١). مسند أحمد ١/ ١٧٧.

<sup>٤٨٢</sup> (١). صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب غزوة تبوك ٣/ ٥٨.

\*\*\*

هكذا لم يغيب الرسول (ص) في غزواته عن المدينة أياما معدودات دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه مدة غيابه عن المدينة، بل إنه لم يغيب يوما عن المدينة أو بعض يوم دون أن يستخلف عليهم من يرجعون إليه، كما كان الشأن في غزوة احد، وكان جبل احد على بعد ميل من المدينة، فإنه (ص) قد عين خليفته عليهم مدة غيابه عنهم، بل وفي غزوة الخندق أيضا حيث كان يقاتل في المدينة واستقرّ دون الخندق، عين لاهل المدينة المرجع لانشغاله عنهم في الحرب.

إذا كان هذا دأب الرسول (ص) في غيابه عن المدينة بعض يوم، كذلك في حال انشغاله عنهم بالحرب داخل المدينة، فماذا فعل لأمته من بعده وهو

ص: ٢٨١

يتركهم أبد الدهر؟ هل تركهم هملا، ولم يعين لهم المرجع من بعده؟ هذا ما سندرسه في ما يأتي من فصول هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

ص: ٢٨٣

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في تعيين وليّ الامر من بعده

نبدأ هذا الباب بذكر ما فعله الانبياء في تعيين الوصي ووليّ الامر لأممهم من بعدهم.

الوصية في الامم السابقة

قد سلسل المسعودي<sup>٤٨٤</sup> اتصال الحجج وأوصياء الانبياء من لدن آدم حتى خاتم النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - وأوصيائه، فقد ذكر - مثلا -:

أن وصي آدم كان هبة الله وهو شيث بالعبرانية.

وأن وصي إبراهيم كان إسماعيل (ع).

وأن وصي يعقوب كان يوسف (ع).

<sup>٤٨٣</sup> (٢). صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب، ح ٣٢، وراجع أيضا مسند أبي داود الطيالسي ١ / ٢٩. وحلية الاولياء لابي نعيم

٧ / ١٩٥ و ١٩٦. ومسند أحمد ١ / ١٧٣، ١٨٢ و ٣٣٠ و ١٥٣ / ٤. وتأريخ بغداد للخطيب ١١ / ٤٣٢.

وخصائص النسائي ص ٨ و ١٦. وطبقات ابن سعد ٣ / ١٥ / ١.

<sup>٤٨٤</sup> (١). إثبات الوصية للمسعودي، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ص ٥ - ٧٠.

والمسعودي هو: أبو الحسن، علي بن الحسين المسعودي، ينتهي نسبه إلى الصحابي عبد الله بن مسعود. توفي سنة ٣٤٦ هـ. وفي ترجمته بطبقات الشافعية ٢ /

٣٠٧: قيل كان معتزلي العقيدة. وأشار إلى هذا الكتاب المكتبي في فوات الوفيات ٢ / ٤٥، وياقوت الحموي في معجم الادباء ١٣ / ٩٤ وقال: له كتاب البيان في

أسماء الائمة، وفي الميزان، لابن حجر ٤ / ٢٢٤: له كتاب تعيين الخليفة. وسمّاه في الذريعة وغيرها: (إثبات الوصية).

وَأَنَّ وَصَىٰ مُوسَىٰ كَانَ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ بِنِ افْرَائِيمَ بْنِ يَوْسَفَ (ع) وَخَرَجَتْ عَلَيْهِ صَفُورًا زَوْجَةَ مُوسَى (ع).

ص: ٢٨٤

وَأَنَّ وَصَىٰ عِيسَىٰ كَانَ شَمْعُونَ (ع).

وَأَنَّ وَصَىٰ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ (ص) كَانَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ الْأَحَدُ عَشَرَ مِنْ وَلَدِهِ (ع).

وَنَحْنُ نَقْتَصِرُ هُنَا عَلَى ذِكْرِ خَبَرِ ثَلَاثَةِ مِنَ الْأَوْصِيَاءِ الْمَذْكُورِينَ أَنْفَاءً:

أ- خَبَرُ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشَيْثَ:

قَالَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشَيْثَ:

لَمَّا حَضَرَ آدَمَ الْوَفَاةَ ... جَعَلَ وَصِيَّتَهُ إِلَى شَيْثَ.

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ:

هَبَّةُ اللَّهِ؛ وَبِالْعِبْرَانِيَّةِ: شَيْثَ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى آدَمَ ... وَكُتِبَ وَصِيَّتَهُ، وَكَانَ شَيْثَ فِي مَا ذَكَرَ وَصَى أَبِيهِ آدَمَ (ع).

وَقَالَ الْمَسْعُودِيُّ فِي خَبَرِ وَصِيَّةِ آدَمَ لِشَيْثَ ثُمَّ وَفَاتِهِ:

ثُمَّ إِنَّ آدَمَ حِينَ أَدَّى الْوَصِيَّةَ إِلَى شَيْثَ، احْتَقَبَهَا وَاحْتَفِظَ بِمَكْنُونِهَا، وَأَتَتْ وَفَاةَ آدَمَ ....

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ:

وَتَفْسِيرُ شَيْثَ: هَبَّةُ اللَّهِ، وَهُوَ وَصَى آدَمَ، وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى شَيْثَ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ:

ذَكَرَ وَفَاةَ آدَمَ وَوَصِيَّتَهُ إِلَى ابْنِهِ شَيْثَ (ع):

وَمَعْنَى شَيْثَ: هَبَّةُ اللَّهِ ... وَلَمَّا حَضَرَتْ آدَمَ الْوَفَاةَ عَهْدَ إِلَى ابْنِهِ شَيْثَ ...

ص: ٢٨٥

ب- خَبَرُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَصَىٰ مُوسَى:

أَوْلَا- يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ فِي التَّوْرَةِ:

ورد في مادة يوشع من قاموس الكتاب المقدس نقلا عن التوراة: أن يوشع ابن نون كان مع موسى في جبل سيناء ولم يتلوّث بعبادة العجل على عهد هارون.

وفي آخر الاصحاح السابع والعشرين من سفر العدد<sup>٤٨٥</sup> ورد خبر تعيينه من قبل الله وصيا لموسى كالنصّ الاتي:

### نمايش تصوير

وورد خبر قيامه بأمر بني إسرائيل وحروبه في ثلاثة وعشرين إصحاحا من سفر يوشع بن نون.

ثانيا- في القرآن الكريم:

في القرآن الكريم؛ عُرِّبَ يوشع ب- (اليسع) في سورة الانعام، الاية: ٨٦، وسورة ص، الاية: ٤٨.

ص: ٢٨٦

ثالثا- في مصادر الدراسات الاسلامية:

في تأريخ اليعقوبي ١ / ٤٦:

وكان موسى لما حضرته وفاته أمره الله عزّ وجلّ أن يدخل يوشع بن نون إلى قبّة الرّمّان فيقدّس عليه، ويضع يده على جسده لتتحوّل فيه بركته، ويوصيه أن يقوم بعده في بني إسرائيل.

وجه الشبه بين وصيّ خاتم الانبياء ووصيّ موسى (ع):

إنّ يوشع بن نون كان مع موسى في جبل سيناء ولم يعبد العجل . وأمر الله نبيّه موسى أن يعيّنهُ وصيّا من بعده لئلا تكون جماعة الربّ كالغنم بلا راعٍ.

وكان الامام عليّ مع النبيّ في غار حراء ولم يعبد صنما قطّ وأمر الله نبيّه في رجوعه من حجّة الوداع أن يعيّنهُ أمام الحجيج قائدا للامّة من بعده، ولا يترك امّته هملا؛ وقد صدع بذلك رسول الله (ص) في غدير خمّ وعيّنهُ وليّا للعهد من بعده كما سنذكره في ما يأتي، وصدق رسول الله (ص) حيث قال:

«ليأتينّ على امتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ...»، وقد أوردنا مصادره في أوّل الجزء الثاني من (خمسون ومائة صحابي مختلق).

ج- خبر شمعون وصيّ عيسى:

أولا- شمعون في الانجيل:

<sup>٤٨٥</sup> (١). التوراة من الكتاب المقدس، بيروت، المطبعة الامريكية سنة ١٩٠٧ م.

ورد في قاموس الكتاب المقدس ذكر عشرة أشخاص بهذا الاسم، منهم : شمعون بطرس وشمعون اسمه في التوراة سمعون، وقد ورد خبره في إنجيل متى، الاصحاح العاشر كالاتي:

«ثم دعا- يعنى عيسى - تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها، ويشفوا كل مرض وكل ضعف. وهذه أسماء الاثنى عشر رسولا: الاول سمعان الذي يقال له بطرس...».

ص: ٢٨٧

وفي إنجيل يوحنا، الاصحاح ٢١، العدد: ١٥- ١٨ أن عيسى أوصى إليه وقال له : «ارع غمى» كناية عن رعاية من آمن به.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أيضا:

«عينه المسيح لهداية الكنيسة».

ثانيا- شمعون في مصادر الدراسات الاسلامية:

ذكر خبره اليعقوبى وسماه: سمعان الصفا.

وقال المسعودى في ١ / ٣٤٣:

قتل برومية بطرس واسمه باليونانية: شمعون والعرب تسميه: سمعان.

وفي مادة: دير سمعان من معجم البلدان:

«دير سمعان: بنواحي دمشق، وسمعان هذا الذى ينسب إليه الدير أحد أكابر النصارى، ويقولون إنه شمعون الصفا».

\*\*\*

أوردنا نتفا من أخبار هؤلاء الاوصياء الثلاثة كمثال لاخبار بقيّة أوصياء الانبياء فى الامم السابقة.

ولم يكن خاتم الانبياء بدعا من الرسل ليترك أمته دون تعيين ولى الامر من بعده، وهو الذى لم يغيب عن المدينة - المجتمع الاسلامى الصغير - فى غزواته ولا ساعة من نهار دون أن يستخلف عليها أحدا . كلاً لم يترك خاتم الانبياء والمرسلين المجتمعات الاسلامية للابد دون أن يعين اولى الامر من بعده، بل عيّنهم بألفاظ مختلفة وفى أماكن متعددة؛ منها ما خصّ بالذكر الامام من بعده ومنها ما ذكر فيها جميع الائمة.

ومما خصّ بالذكر الامام على بن أبى طالب وحده؛ الاحاديث الاتية:

ص: ٢٨٨

وصىّ الرسول (ص) ووزيره ووليّ عهده وخليفته من بعده

الوصىّ في أحاديث الرسول (ص):

أوردنا في أوّل الباب قصّة إنذار بنى هاشم وأنّ رسول الله (ص) قال لعلّى بن أبى طالب (ع) بمحضر من رجال بنى هاشم فى ذلك اليوم:

«إنّ هذا أخى ووصيّى وخليفتى فيكم فاسمعوا له وأطيعوا».

وبهذا القول عينّ الرسول (ص) وصيّه وخليفته فيهم وأمرهم بإطاعته، وقد قال سبحانه وتعالى : وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ الحشر / ٧.

وروى الطبرانى عن سلمان، قال : قلت: يا رسول الله، إنّ لكلّ نبيّ وصيّا فمن وصيّىك؟ فسكت عنيّ، فلمّا كان بعد رأيّ فقال: يا سلمان. فأسرعت إليه، قلت: لبيك. قال: تعلم من وصيّى موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون. قال: لم؟ قلت: لأنّه كان أعلمهم يومئذ. قال:

«فإنّ وصيّى وموضع سرّي وخير من أترك بعدى وينجز عدتيّ ويقضى ديني عليّ بن أبى طالب».<sup>٤٨٦</sup>

ص: ٢٨٩

وعن أبى أيوب أنّ رسول الله (ص) قال لابنته فاطمة:

«أما علمت أنّ الله عزّ وجلّ أطع على أهل الارض فاختر منهم أباك فبعثه نبيّا، ثمّ أطع الثانية فاختر بعلك فأوحى إليّ فأنكحته واتّخذته وصيّا».<sup>٤٨٧</sup>

وعن أبى سعيد أنّ رسول الله (ص) قال:

<sup>٤٨٦</sup> (١) رواه الهيثمي عن الطبرانى فى المعجم الكبير ٢٢١ / ٦. ومجمع الزوائد ١١٣ / ٩، ورواه سبط ابن الجوزى فى كتاب تذكرة خواصّ الامّة ص ٤٣، باب حديث التجوى عن كتاب الفضائل لاحمد بن حنبل وهذا لفظه:  
قال أنس:

قلنا لسلمان: سل رسول الله (ص) من وصيّىك؟ فسأل سلمان رسول الله (ص)، فقال: من كان وصيّى موسى بن عمران؟ فقال: يوشع بن نون. قال: إنّ وصيّى ووارثي ومنجز وعدى، على بن أبى طالب. وراجع الرياض النضرة للمحبّ الطبرى ٢ / ٢٣٤.

<sup>٤٨٧</sup> (١) مجمع الزوائد للهيثمي ٨ / ٢٥٣، وفى ٩ / ١٦٥ منه عن عليّ بن عليّ الهلالى: ووصيّى خير الاوصياء وأحبتهم إلى الله وهو بعلك - الحديث. ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ٥ / ٣١. وكنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثانى، فضائل على ابن أبى طالب، ح ١١٦٣، ١٢ / ٢٠٤.

وفى موسوعة أطراف الحديث من المعجم الكبير للطبرانى ٤ / ٢٠٥. وجمع الجوامع للسيوطى، رقم الحديث: ٤٢٤١.  
وأبو أيوب الانصارى: اسمه خالد بن زيد الخزرجى. شهد بيعة العقبة وجميع مشاهد رسول الله (ص) وشهد مع الامام على الجمل وصفين ونهران. وتوفّى عند مدينة القسطنطينية سنة خمسين أو إحدى وخمسين. اسد الغابة ٥ / ١٤٣.

«إِنَّ وَصِيَّيَ وَمَوْضِعَ سُرِّيَّ وَخَيْرٍ مِنْ أَتْرَكَ بَعْدِي وَيَنْجِزُ عِدَّتِي وَيَقْضِي دِينِي عَلَيَّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ».<sup>٤٨٨</sup>

وعن أنس بن مالك أن الرسول توضعاً وصلى ركعتين وقال له:

«أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصيين ...» فجاء عليّ (ع) فقال (ص): من جاء

ص: ٢٩٠

يا أنس؟ فقلت: علي. فقام إليه مستبشراً فاعتنقه - الحديث.<sup>٤٨٩</sup>

وعن الصحابي بريدة قال: قال النبي:

«لكلّ نبيّ وصيّ ووارث، وإنّ عليّاً وصيّ ووارثي».<sup>٤٩٠</sup>

وفي المحاسن والمساوي للبيهقي، ما موجهه: إنّ جبرائيل جاء بهدية من الله ليهدئها الرسول (ص) إلى ابن عمّه ووصيّه علي بن أبي طالب - الحديث.<sup>٤٩١</sup>

كان هذا ما وجدناه في الوصية في أحاديث الرسول (ص).

الوصية في كتب الامم السابقة:

روى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين والخطيب في تاريخ بغداد واللفظ للاول:

<sup>٤٨٨</sup> (٢). كنز العمال، كتاب الفضائل، الفصل الثاني، فضائل علي بن أبي طالب، ح ١١٩٢، الثانية ٢/ ٢٠٩.

وفي أطراف الحديث عن كنز العمال، الحديث ٣٢٩٥٢. والطبراني ٦/ ٢٧١.

وأبو سعيد الخدري: سعد بن مالك الخزرجي، كان من الحفاظ لحديث رسول الله (ص) (ت: ٥٤ هـ). اسد الغابة ٥/ ٢١١.

<sup>٤٨٩</sup> (١). حلية الاولياء ١/ ٦٣. وتاريخ ابن عساکر ٢/ ٤٨٦. وشرح نهج البلاغة، ط. الاولى ١/ ٤٥٠. وفي موسوعة أطراف الحديث عن إتحاف السادة المتقين للزبيدي ٧/ ٤٦١.

وأنس بن مالك: أبو ثمامة الخزرجي، روى عنه البخاري ومسلم ٢٢٨٦ حديثاً. اختلف في سنة وفاته من ٩٠-٩٣ هـ. الاستيعاب. واسد الغابة. والاصابة. مرّت ترجمته في ص ١٣٢.

<sup>٤٩٠</sup> (٢). مخطوطة تاريخ دمشق لابن عساکر، مصورة المجمع العلمي الاسلامي، ج ١٢/ ق ١/ ١٦٣ ب، ترجمة الامام علي، وطبعها على حدة دار التعارف ببيروت سنة ١٣٩٥ في ثلاث

مجلدات ورواية بريدة في ٣/ ٥ منها. والرياض النضرة ٢/ ٢٣٤ عن بريدة وهو:

أبو عبد الله بريدة بن الحبيب بن عبد الله الاسلمي؛ قدم المدينة بعد احد فشهد مع رسول الله (ص) مشاهدته وتحول بعده إلى البصرة وابتنى بها داراً. ثم خرج غازياً إلى خراسان فأقام

بمرو وتوفّي بها سنة ٦٣ هـ. اسد الغابة ١/ ١٧٥، وتهذيب التهذيب ١/ ٤٣٢-٤٣٣.

<sup>٤٩١</sup> (٣). المحاسن والمساوي لمحمد بن إبراهيم البيهقي (كان حياً قبل: ٣٢٠ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ، ١/ ٦٤-٦٥.



إنَّ الامام عليًّا في مسيره إلى صفين عطش جيشه في صحراء، فانطلق بهم حتى أتى بهم على صخرة، فأعانهم حتى اقتلعوها وشرب الجيش حتى ارتووا،

ص: ٢٩١

وكان بالقرب منهم دير، فلما أطلع صاحب الدير على هذا الامر قال : ما بُنى هذا الدير إلا بذلك الماء وما استخرجه إلا نبيُّ أو وصي نبيِّ.<sup>٤٩٢</sup>

خبر آخر يؤيد الخبر السابق:

في صفين لنصر بن مزاحم وتأريخ ابن كثير واللفظ للاول:

قال: لما نزل على الرقة بمكان يقال له بليخ على جانب الفرات، فنزل راهب هناك من صومعته فقال لعلي : إن عندنا كتابا توارثناه عن آباءنا، كتبه أصحاب عيسى بن مريم، أعرضه عليك؟ قال علي: نعم، فما هو؟ قال الراهب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي قضى في ما قضى، وسطر في ما سطر، أنه باعث في الاميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة، يدلهم على سبيل الله، لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب في الاسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، امته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شئ، وفي كل صعود وهبوط، تذل السننهم بالتهليل والتكبير

والتسبيح، وينصره الله على كل من ناواه، فإذا توفاه الله اختلفت امته ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت، فيمّر رجل من امته بشاطئ هذا الفرات، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضى بالحق، ولا يرتشى في الحكم . الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت به الريح، والموت أهون عليه من شرب الماء على الظماء . يخاف الله في السرّ،

ص: ٢٩٢

وينصح له في العلانية، ولا يخاف في الله لومة لائم . من أدرك ذلك النبيّ (ص) من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضوانى والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره؛ فإنّ القتل معه شهادة.

ثم قال له: فأنا مصاحبك غير مفارقتك حتى يصيبني ما أصابك . قال: فبكي علىّ ثمّ قال: الحمد لله الذى لم يجعلنى عنده منسيا. الحمد لله الذى ذكرنى فى كتب الابرار . ومضى الراهب معه، وكان- فى ما ذكروا- يتعدى مع علىّ ويتعشى حتى

<sup>٤٩٢</sup> (١). وقعة صفين، ط. المدنى بمصر سنة ١٣٨٢ هـ، ص ١٤٥. وتأريخ الخطيب ١٢ / ٣٠٥. وقد أوردنا الخبر بإيجاز من الاول.

وقد بنى فى مكان الدير منذ قرون مسجد برانا، وتغيّر مجرى نهري دجلة والفرات اللذين كانا يجريان فى أرض العراق وأصبح مجرى نهر دجلة قريبا من المسجد المذكور.

اصيب يوم صفين . فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم قال عليّ : اطلبوه . فلما وجدوه، صلّى عليه ودفنه، وقال : هذا منّا أهل البيت . واستغفر له مرارا.<sup>٤٩٣</sup>

### الوصيّة في أحاديث الصحابة والتابعين:

#### الوصيّة في خطبة أبي ذر:

وقف أبو ذرّ على عهد عثمان بباب مسجد رسول الله وخطب وقال في خطبته:

(ومحمد وارث علم آدم وما فضلّ به النبيّون، وعلى بن أبي طالب وصيّ محمد ووارث علمه (...).

سيأتى تمام الخطبة في ذكر النوع العاشر من أنواع الكتمان في مدرسة الخلفاء إن شاء الله تعالى.

#### الوصيّة في حديث الاثر:

قال مالك بن الحارث الاثر لما بويع أمير المؤمنين (ع):

ص: ٢٩٣

أيها الناس هذا وصيّ الاوصياء، ووارث علم الانبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالايمان، ورسوله بجنّة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشكّ في سابقته وعلمه وفضله الا واخر ولا الاوائل.<sup>٤٩٤</sup>

#### الوصيّة في حديث عمرو بن الحمق الخزاعي:

عندما جمع أمير المؤمنين الناس بالكوفة وخاطبهم في شأن المسير إلى صفين لحرب معاوية، قام عمرو بن الحمق الخزاعي وخاطب الامام وقال:

يا أمير المؤمنين إنّني ما أحببتك ولا بايعتك على قرابة بيني وبينك، ولا إرادة مال تؤتيني، ولا التماس سلطان ترفع ذكرى به، ولكنني أحببتك بخصال خمس:

إنك ابن عمّ رسول الله (ص)، ووصيّه، وأبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله (ص)، وأسبق الناس إلى الاسلام، وأعظم المهاجرين سهما في الجهاد.<sup>٤٩٥</sup>

<sup>٤٩٣</sup> (١). صفين ص ١٤٧-١٤٨. وابن كثير ٢٥٤/٧.

والبليخ: اسم نهر بالرقّة، يجتمع فيه الماء من عيون. معجم البلدان.

<sup>٤٩٤</sup> (١). تاريخ يعقوبى ١٧٨/٢.

<sup>٤٩٥</sup> (٢). شرح النهج لابن أبي الحديد ١/٢ (ع) ١. وفي طبعة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٣/١٨١.

الوصية في كتاب محمد بن أبي بكر:

كتب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر . سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لاهل ولاية الله . أما بعد فإن الله ... انتخب محمدا (ص) فاخصه برسالته، واختاره لوحيه، وأتمنه على أمره، وبعثه رسولا مصدقا لما بين يديه من الكتب، ودليلا على الشرائع، فدعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأتاب، وصدق ووافق، وأسلم وسلم؛ أخوه وابن عمه على ابن أبي طالب (ع)، فصدق بالغيب المكتوم، وآثره على كل حميم، فوفاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربيه، وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه في ساعات الازل، ومقامات الروع، حتى برز سابقا لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله. وقد رأيتك تساميه وأنت أنت، وهو هو المبرز السابق في كل خير، أول الناس إسلاما، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وأفضل الناس زوجة، وخير الناس ابن عم ... ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل. على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلج أ إليك من بقية الاحزاب رؤوس النفاق والشقاق لرسول الله (ص).

والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فأنتى الله عليهم، من المهاجرين والانصار، فهم معه عصائب وكتائب حوله، يجالدون بأسيا فهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في أتباعه، والشقاء في

خلافه، فكيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله (ص)، ووصيه وأبو ولده وأول الناس له أتباعا، وآخرهم به عهدا، يخبره بسرّه ويشركه في أمره.

وكتب معاوية في جوابه:

وعمر بن الحمق الخزاعي: هاجر إلى النبي (ص) بعد الحديبية، سقى النبي (ص) فدعا له وقال: اللهم متعه بشبابه، فمرت عليه ثمانون سنة لا ترى في لحيته شعرة بيضاء. شهد مع علي مشاهده كلها وكان من أصحاب حجر بن عدى . وخاف زياد بن أبيه وهرب من الكوفة إلى الموصل واختفى في غار بالقرب منه، فأرسل معاوية إلى العامل بالموصل - وكان العامل عمرو بن الحكم ابن اخت معاوية - ليحمل إليه عمرا فوجده ميتا، كان قد نهشته حية فقطع رأسه وبعث به إلى خاله معاوية. وكان رأسه أول رأس حمل في الاسلام . وكان معاوية قد حبس زوجة عمرو بن الحمق، آمنة بنت الشريد، فوجه إليها رأس عمرو فالتقى في حجرها فارتاعت

لذلك ثم وضعته في حجرها ووضعت كفها على جبينه ثم لثمت فاه وقالت: غيبتموه عنى طويلا ثم أهديتموه إلى قتيلا فأهلا بها من هدية غير قالية ولا مقلية . وكان قتله في سنة خمسين للهجرة -

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزارى على أبيه مح مد بن أبى بكر . سلام على أهل طاعة الله . أمّا بعد فقد أتاني كتابك، تذكر فيه ما لله أهله فى قدرته وسلطانه وما أصفى به نبيّه، مع كلام ألفته ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولايبك فيه تعنيف . ذكرت حقّ ابن أبى طالب، وقديم سوابقه وقرابته من نبيّ الله (ص)، ونصرته له ومواساته إياه فى كلّ خوف وهول، واحتجاجك علىّ بفضل غيرك لا بفضلك . فأحمد إليها صرف الفضل عنك وجعله لغيرك . وقد كنّا وأبوك معنا فى حياة من نبيّنا (ص)، نرى حقّ ابن أبى طالب لازما لنا، وفضله مبرّزا علينا فلمّا اختار الله لنبيّه (ص) ما عنده، أتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه . على ذلك اتّفقا واتّسقا، ثمّ دعّواه إلى أنفسهم فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايع وسلّم لهما، لا يشركانه فى أمرهما، ولا يطلعانه على سرّهما، حتّى قبضا وانقضى أمرهما. ثمّ قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان، يهتدى بهديهما - إلى آخر الكتاب.

أوردنا جواب معاوية لما فيه من الاعتراف بما ذكره محمد بن أبى بكر.

وأورد تمام الكتابين نصر بن مزاحم فى كتابه وقعة صفّين والمسعودى فى مروج الذهب . وأشار إليهما الطبرى وابن الاثير فى ذكرهما حوادث سنة ستّ وثلاثين هجرية.

روى الطبرى بسنده عن يزيد بن ظبيان:

ص: ٢٩٦

أنّ محمد بن أبى بكر كتب إلى معاوية بن أبى سفيان لما ولى . فذكر مكاتبات جرت بينهما كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامة ....

إذا فإنّ الطبرى لم يورد فى موسوعته التّاريخية الكبرى ما دار بين محمد ابن أبى بكر ومعاوية من مكاتبات لأنّه لم يرَ من الحكمة أن يطلّع عليها عامة الناس وليس من باب عدم اعتماده على صحّة الخبر . وتبعه العلّامة ابن الاثير ولم يورد تلك المكاتبات فى موسوعته التّاريخية (الكامل) وذكر نفس العلّة وقال: كرهت ذكرها لما فيه ممّا لا يحتمل سماعه العامة.<sup>٤٩٦</sup>

الوصيّة فى كتاب عمرو بن العاص:

روى الخوارزمى كتابا لعمرو بن العاص إلى معاوية قال فيه:

فأمّا ما دعوتنى إليه ... وإعانتى إياك على الباطل، واختراط السيف فى وجه علىّ وهو أخو رسول الله (ص) ووصيّه ووارثه، وقاضى دينه ومنجز وعده وزوج ابنته ....<sup>٤٩٧</sup>

الوصيّة فى كلام الامام علىّ (ع) واحتجاجه:

<sup>٤٩٦</sup> (١) . الكتاب وجوابه فى صفّين لنصر بن مزاحم، ط . القاهرة سنة ١٣٨٢ هـ، ص ١١٨ - ١١٩ . وتاريخ الطبرى، ط . اوربا ١ / ٢٢٤٨ . وتاريخ ابن الاثير، ط . اوربا ٣ / ١٠٨ . ومروج الذهب للمسعودى، ط . بيروت سنة ١٣٨٥ هـ، ١١ / ٣، وقال: إنّ محمد بن أبى بكر كتب الكتاب إلى معاوية من مصر لما ولّاه الامام علىّ . وابن أبى الحديد ١ / ٢٨٤ .

<sup>٤٩٧</sup> (٢) . مناقب الخوارزمى ص ١٢٥ .

روى الخوارزمي من كلام الامام على (ع):

أنا أخو رسول الله (ص) ووصيه (...).<sup>٤٩٨</sup>

ص: ٢٩٧

وروى ابن أبي الحديد، من كتاب للامام على (ع) إلى أهل مصر:

(واعلموا أنه لا سوى: إمام الهدى وإمام الردى، ووصي النبي وعدو النبي).<sup>٤٩٩</sup>

وذكر اليعقوبي احتجاج الخوارج على الامام على (ع) وجاء فيه أنه ضيع الوصية، فكان من جوابه (ع):

(أما قولكم إنني كنت وصيًا فضيبت الوصية، فإن الله عز وجل يقول: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلَا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ آل عمران / ٩٧. أفرأيتم هذا البيت لو لم يحج إليه أحد كان البيت يكفر؟ إن هذا البيت لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر، وأنتم كفرتم بترككم إيتاي لا أنا بتركى لكم - الخ).<sup>٥٠٠</sup>

الوصية في خطب الامام على (ع):

في الخطبة ١٨٢ من نهج البلاغة، قال الامام:

(أيها الناس إنني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء بها امهم، وأدبت إليكم ما أدت الاوصياء إلى من بعدهم ...).

وفي الخطبة ٨٨ منه، قال:

(ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرقة على اختلاف حجمها في دينها، لا يقتصرون أثر نبي ولا يقتنون بعمل وصي).

وفي الخطبة الثانية منه قال:

(لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الامة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا ... هم أساس الدين ... ولهم خصائص حق الولاية وفيهم

ص: ٢٩٨

الوصية والوراثة ...).

وقال ابن أبي الحديد:

<sup>٤٩٨</sup> (٣). مناقب الخوارزمي ص ١٤٣.

<sup>٤٩٩</sup> (١). شرح النهج لابن أبي الحديد ٢/ ٢٨.

<sup>٥٠٠</sup> (٢). تاريخ اليعقوبي ٢/ ١٩٢ - ١٩٣.

خطب عليّ (ع) فقال في أثناء خطبته : (أنا عبد الله، وأخو رسوله، لا يقولها أحد قبلي ولا بعدى إلّا كذب؛ ورثتُ نبيّ الرحمة، ونكحت سيدة نساء هذه الامة، وأنا خاتم الوصيين).<sup>٥٠١</sup>

### الوصية في خطبة الامام الحسن (ع):

خطب الامام الحسن (ع) بعد مقتل أبيه وقال في خطبته:

(أنا الحسن بن عليّ وأنا ابن النبيّ وأنا ابن الوصيّ)،<sup>٥٠٢</sup> الحديث.

### الوصية في تعزية الشيعة للامام الحسين

#### بوفاة أخيه الامام الحسن:

لما توفّي الحسن وبلغ الشيعة ذلك، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن صرد وكتبوا إلى الحسين بن عليّ يعزّونه عليّ مصابه بالحسن:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن عليّ من شيعته وشيعة أبيه أمير المؤمنين . سلام عليك، فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فقد بلغنا وفاة الحسن بن عليّ [فسلام عليه]<sup>٥٠٣</sup> يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ... ما أعظم ما أصيب به هذه الامة عامة وأنت وهذه الشيعة خاصة بهلاك ابن الوصيّ وابن بنت النبيّ و....<sup>٥٠٤</sup>

ص: ٢٩٩

وفي مروج الذهب للمسعودي : قال ابن عباس لمعاوية لما بلغه وفاة الامام الحسن وهو بالشام : ولئن اصبنا به فقد اصبنا قبله بسيد المرسلين وإمام المتّقين ورسول ربّ العالمين ثمّ بعده بسيد الاوصياء، فجزر الله تلك المصيبة ...<sup>٥٠٥</sup>

### الوصية في خطبة الامام الحسين (ع):

خطب الامام الحسين (ع) يوم العاشر من المحرمّ على جيش الخليفة يزيد وقال في خطبته في مقام الاحتجاج عليهم:

<sup>٥٠١</sup> (١) . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الاولى /١ /٢٠٨.

<sup>٥٠٢</sup> (٢) . نقلنا الخبر من مستدرک الحاكم /٣ /١٧٢. وراجع ذخائر العقبى ص ١٣٨. وفي مجمع الزوائد للهيتمي ٩ /١٤٦ عن الطبراني وغيره.

<sup>٥٠٣</sup> (٣) . لم يرد هذا في النصّ ولكنّ السياق يقتضيه.

<sup>٥٠٤</sup> (٤) . تأريخ يعقوبى /٢ /٢٢٨.

<sup>٥٠٥</sup> (١) . مروج الذهب للمسعودي /٢ /٤٣٠.

(أما بعد فانسبونى فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلى وانتهاك حرمتى . ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) وابن وصييه وابن عمه وأول القوم إسلاما وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبى؟! أوليس جعفر الشهيد الطيار ذو الجناحين عمّى؟).<sup>٥٠٦</sup>

إذا كان ما وصف به الامام الحسين أباه الامام عليا من أنه وصى رسول الله (ص) مشهورا عندهم كشهرة نبوة جدّه، وأن عمّ أبيه حمزة سيد الشهداء، وأن جعفر الطيار ذا الجناحين عمّه. ولذلك ذكره فى نسبه ولم يردّ عليه أحد منهم.

عبد الله بن عليّ عمّ الخليفة العباسى السفّاح يحتجّ بالوصيّة:

دعا العباسيون فى بادئ أمرهم الناس إلى القيام ضدّ الامويين باسم آل

ص: ٣٠٠

محمد (ص) وكان يدعى أبو مسلم أمير آل محمد،<sup>٥٠٧</sup> وكانوا يحتجّون على خصومهم بالنصوص التى وردت عن رسول الله (ص) فى حقّ آله بالحكم، ولمّا تمّ لهم الاستيلاء على الحكم أداروا ظهورهم لآل محمد (ص).

وممنّ احتجّ بالوصيّة عمّ السفّاح أولّ الخلفاء العباسيين؛ فقد روى الذهبى عن أبى عمرو الاوزاعى<sup>٥٠٨</sup> ما موجزه:

لمّا قدم عبد الله بن عليّ عمّ السفّاح الشام وقتل بنى امية بعث إلىّ وقال فى كلامه:

ويحك أوليس الامر لنا ديانة؟

قلت: كيف ذاك؟

قال: أليس كان رسول الله (ص) أوصى لعلّى؟

قلت: لو أوصى إليه لما حكم الحكمين . فسكت وقد اجتمع غضبا، فجعلت.

أتوقع رأسى يسقط بين يدي، فقال بيده هكذا، أو ما أن أخرجه؛ فخرجت -

الحديث.

إنّ الاوزاعى احتجّ فى ردّ الوصيّة بما احتجّ به الخوارج على الامام عليّ وجوابه جواب الامام للخوارج، والذى مرّ ذكره تحت عنوان: الوصيّة فى كلام الامام على (ع) واحتجاجه.

<sup>٥٠٦</sup> (٢). فى الخطبة التى رواها الطبرى فى ط. اوربا ٢ / ٣٢٩. وابن الاثير، ط. اوربا ٤ / ٥٢.

وذكر الخطبة ابن كثير فى ١٧٩ / ٨ وحذف منها ما ذكره الامام الحسين فى وصف أبيه وكتب بدلها (وعلىّ أبى) وأورد الباقي.

<sup>٥٠٧</sup> (١). تاريخ يعقوبى ٢ / ٣٥٢. والتنبيه والاشراف للمسعودى ص ٢٩٣. وتاريخ ابن الاثير ٥ / ١٣٩، ١٤٢ و ١٩٤ فى ذكر حوادث سنة ١٢٩ و ١٣٠.

<sup>٥٠٨</sup> (٢). بترجمته فى تذكرة الحفاظ ١ / ١٨١.

محمد بن عبد الله بن الحسن يحتج على الخليفة المنصور بالوصية:

روى الطبرى وابن الاثير فى ذكرهما حوادث سنة ١٤٥ بتأريخيهما: إن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب عندما خرج على الخليفة العباسى

ص: ٣٠١

أبى جعفر المنصور وبليعه الناس بالمدينة، كتب فى جواب أبى جعفر كتابا مفصلا يدلى بحججه فى أنه أحق بالخلافة من المنصور وجاء فيه:

... وإن أبانا عليا كان الوصى وكان الامام، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء؟ ...

فكتب إليه المنصور كتابا يرد فيه على ما احتج به وسكت عن جواب هذه الحجة، وسكوت المنصور إقرار منه بصحتها لديهم.<sup>٥٠٩</sup>

الخليفة المهدي يرفض وصية لذكر (الوصي) فيها:

فى تأريخ الطبرى:

قال أبو الخطاب: لما حضرت القاسم بن مجاشع التميمي من أهل مرو بقرية يقال لها باران الوفاة أوصى إلى المهدي فكتب شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام إلى آخر الآية ثم كتب والقاسم بن مجاشع يشهد بذلك ويشهد أن محمدا عبده ورسوله (ص) وأن على بن أبى طالب وصي رسول الله (ص) ووارث الامامة بعده، قال: فغرضت الوصية على المهدي فلما بلغ هذا الموضع رمى بها ولم ينظر فيها.<sup>٥١٠</sup>

الخليفة هارون الرشيد يخبر بما بلغه من الاوصياء:

فى الاخبار الطوال عن الاصمعي<sup>٥١١</sup> ما موجزه:

ص: ٣٠٢

قال: دخلت على الرشيد فأرسل إلى ولديه محمد وعبد الله، فأتياه وأجسهما عن يمينه وشماله وأمرنى بمطارتهم، فكنت لا ألقى عليهما شيئا من فنون الادب إلا أجابا به وأصابا، فقال: كيف ترى أدبهما؟

قلت: يا أمير المؤمنين ما رأيت مثلهما فى ذكائهما وجودة ذهنهما ... قال: فضمهما إلى صدره، وسبقته عبرته حتى تحدرت دموعه، ثم أذن لهما، حتى نهضا وخرجا، قال:

<sup>٥٠٩</sup> (١). الطبرى، ط. اوربا ٣/٢٠٩. وتأريخ ابن الاثير، ط. مصر الاولى ٥/١٩٩. وابن كثير ١٠/٨٥.

<sup>٥١٠</sup> (٢). تأريخ الطبرى ٣/٥٣٢.

<sup>٥١١</sup> (٣). الاصمعي: عبد الملك بن قريظ (ت: ٢١٦ هـ) البصرى اللغوى النحوى. قيل: كان يحفظ اثنى عشر ألف ارجوزة. ترجمته فى الكنى والالقب للقمي.



كيف بكم إذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما حتى تسفك الدماء ويودّ كثير من الاحياء أنّهم كانوا موتى؟

فقلت: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قضى به المنجّمون عن مولدهم، أو شيء أثرته العلماء في أمرهما؟

قال: بل شيء أثرته العلماء عن الاوصياء عن الانبياء في أمرهما.

قالوا: فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بين من موسى بن جعفر بن محمد،<sup>٥١٢</sup> فلذلك قال ما قال.

\*\*\*

قال المؤلف:

قصد الرشيد من الاوصياء الائمة من أهل البيت: موسى وأباه جعفر الصادق وجدّه محمداً الباقر و جدّ أبيه علي بن الحسين ثمّ الحسن والحسين وأباهما علي ابن أبي طالب (ع). وقصد من الانبياء خاتم الانبياء (ص).

ومن أجل ذلك فعل الخليفة هارون الرشيد ما لم يفعله خليفة من قبله ولا بعده وذلك كما رواه المؤرّخون وقالوا:

(ولمّا صار إلى مكّة صعد المنبر، فخطب، ثمّ نزل، فدخل البيت، ودعا

ص: ٣٠٣

بمحمّد والمأمون، فأملى على محمد كتاب الشرط على نفسه، وكتب محمد الكتاب، وأحلفه على ما فيه، وأخذ عليه العهود والمواثيق، وفعل بالمأمون مثله، وأخذ عليه مثل ذلك، وكان نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بخطّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه محمد بن هارون في صحّة من بدنه وعقله وجواز من أمره. إنّ أمير المؤمنين هارون ولّاني العهد من بعده، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعاً، وولّى أخى عبد الله ابن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع امور المسلمين بعدى برضى منى وتسليم، طائعا غير مكره، وولّاه خراسان بتغورها وكورها، وأجنادها وخراجها وطرازها، وبريدها، وبيوت أموالها وصدقاتها وعُشرها وعُشورها، وجميع أعمالها في حياته وبعد موته، وشرطت لعبد الله أخى علىّ الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد وال ولاية والخلافة وامور المسلمين بعدى ... إلى آخر الكتابين.

وروى الطبرى بعد ذلك وقال:

<sup>٥١٢</sup> (١). الاخبار الطوال، ط. القاهرة الاولى سنة ١٩٦٠، ص ٣٨٩ لابي حنيفة الدينورى (ت: ٢٨٢ هـ). ومروج الذهب للمسعودى ٣ / ٣٥١.

(وكتبها لامير المؤمنين فى بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر ممّن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة وأمر بتعليقهما فى داخل الكعبة، فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله فى داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاجّ والعُمّار ووفود الامصار ما شهدوا عليه من شرط هما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويَعُوّه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدّوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم . ففعلوا ذلك وقُرئ عليهم الشرطان جميعا فى المسجد

ص: ٣٠٤

الحرام، فانصرفوا. وقد اشتهر ذلك عندهم وأثبتوا الشهادة عليه (...).<sup>٥١٣</sup>

شهرة لقب وصيّ النبيّ (ص) للامام عليّ (ع)

وانتشار ذكره فى أشعار الصحابة والتابعين وكتب اللغة

فى صدر الاسلام:

كان لقب الامام عليّ (ع) بالوصيّ مشهورا فى الصدر الاسلامي الاول وانتشر ذلك فى كتب اللغة؛ فقد ورد فى مادة (الوصي) من لسان العرب:

وقيل لعليّ (ع): وصيّ.

وفى تاج العروس: والوصيّ كغنى لقب على (رض).

وسياتى قول المبرد فى الكامل فى اللغة بُعيد هذا.

وورد ذكره فى شعر الشعراء منذ عصر الصحابة مثل قول حسّان بن ثابت شاعر النبيّ (ص) فى قصيدته بعد وفاة النبيّ (ص):

جزى الله عنّا والجزاء بكفّه  
حفظت رسول اللّٰع فينا وعهده  
أبا حسن عنّا ومن كأبى حسن  
إليك ومن أولى به منك من ومن  
أعلم منهم بالكتاب والسنن<sup>٥١٤</sup>  
ألست أخاه فى الهدى ووصيّه

<sup>٥١٣</sup> (١) تاريخ اليعقوبى ٢ / ٤١٦ - ٤٢١. وأورد الطبرى تفصيل ذلك فى ذكر حوادث سنة ستّ وثمانين ومائة، ط . اوربا ٣ / ٤٥٤ - ٤٦٥. وأشار إلى ذلك بإيجاز كلّ من المسعودى فى مروج الذهب ٣ / ٣٥٣. وابن الاثير فى تاريخه (الكامل)، ط. اوربا ٦ / ١١٧ - ١١٨. وابن كثير فى البداية والنهاية ١٠ / ١ (ع) ٧. <sup>٥١٤</sup> (٢). الموفقيات للزبير بن بكار، ط. بغداد سنة ١٩٧٢ م، ص ٥٧٤ - ٥٧٥. وجاء شعر حسان فى تاريخ اليعقوبى ٢ / ١٢٨ مع اختلاف فى اللفظ. وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ط. الاولى ٢ / ١٥.

وروى الزبير بن بكار في الموفقيات عن بعض شعراء قريش في مدح عبد الله ابن عباس قوله:

والله ما كلم الاقوام من بشر  
بعد الوصي على كابين علبس<sup>٥١٥</sup>

وقال الوليد بن عقبة بن ابي معيط في مقتل عثمان:

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة  
قتيل التجيبي الذي جاء من مصر

فأجابه الفضل بن عباس بأبيات جاء فيها:

ألا إن خير الناس بعد محمد  
وصى النبي المصطفى عند ذى الذكر

وأول من صلى وصنو نبيّه  
وأول من أردى الغواة لدى بدر<sup>٥١٦</sup>

وقال النعمان بن عجلان شاعر الانصار في قصيدته - أيضا - بعد وفاة النبي (ص):

وكان هوانا في على وإنه  
لاهل لها ياعمر ومن حيث لا تدرى

<sup>٥١٥</sup> (١). الموفقيات ص ٥٧٥. وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الاولى / ١ / ٢٠١١، وطبعة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٢ / ٢٦٢.

<sup>٥١٦</sup> (٢). تاريخ الطبري، ط. اوربا / ١ / ٣٠٦٤ و ٣٠٦٥. وتاريخ ابن الاثير، ط. اوربا / ٣ / ١٥٢ في ذكرهما ما رثى به عثمان.

والوليد بن عقبة بن ابي معيط بن ذكوان وكان ذكوان عبداً لأمية فتبناه وألحقه بنسبه . وأم الوليد أروى أم الخليفة عثمان . أرسله رسول الله (ص) مصدقا إلى بنى المصطلق، فخرجوا يتلقونه، فهابهم فعاد إلى رسول الله (ص) وأخبر أنهم ارتدوا ومنعوا الصدقة، فنزلت فيه : «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ \E الحجرات / ٦. فأرسل إليهم رسول الله (ص) غيره فأخبروه أنهم متمسكون بالاسلام. ولما الخليفة عثمان الكوفة فشرب الخمر وصلى بهم صلاة الصبح أربعاً وهو سكران، فعزله عثمان، وقد ذكرنا تفصيل خبره في أول ذكر أخبار عصر الصهرين من كتاب أحاديث عائشة.

أقام في الرقة بعد عثمان وتوفى بها. ترجمته في اسد الغابة والاصابة.

والفضل بن العباس بن عبد المطلب، أكبر ولد العباس . شهد مع النبي (ص) فتح مكة وحنيئا وثبت معه حين انهزم الناس، وشهد غسل رسول الله (ص) ودفنه واستشهد يوم مرج الصفراء أو أجنادين بالشام وكلاهما سنة ثمانى عشرة هجرية، وقيل: استشهد يوم اليرموك، وترجمته في الاستيعاب واسد الغابة والاصابة .

قصد (بعد ثلاثة) أى بعد الرسول (ص) وأبى بكر وعمر، والتجيبى والتجوبى: نسبة إلى قبيلة من مذحج، كانت تسكن محلة بمصر وقيل لمن يسكن تلك المحلة - أيضا - التجيبى والتجوبى. وكان منهم عبد الرحمن بن عديس البلوى الذى اشترك فى قتل الخليفة عثمان، وإياه عنى الوليد بالتجيبى فى شعره، ومنهم

عبد الرحمن بن ملجم المرادى التذولى قاتل الامام على، وكانت داره إلى جنب ابن عديس، ومعنى البيت: ألا إن خير الناس بعد الرسول (ص) وأبى

بكر وعمر - أى عثمان - أصبح مقتولا بيد التجيبى الذى جاء من مصر.

راجع مادة: (التجيبى) و(التذولى) فى أنساب السمعاني، وراجع مادة: (التجيبى) فى الاكمال لابن ماکولا / ١ / ٢١٤ و ٢١٦، ومادة: (التذولى) فى اللباب فى تهذيب الانساب لابن الاثير.

وصىّ النبيّ المصطفىّ وابن عمّه

وقاتل فرسان الضلالة والكفر

قال ذلك في جواب عمرو بن العاص حين أعاظ الانصار في حوادث السقيفة وانتصار الامام على للانصار من مهاجرة قريش. ٥١٧

وقال ابن أبي الحديد:

ومن الشعر المقول في صدر الاسلام المتضمّن كونه (ع) وصيّ رسول الله (ص) قول عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب:

وصاحب بدر يوم سالت كتائبه

ومنا علىّ ذاك صاحب خيبر

فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟

وصيّ النبيّ المصطفىّ وابن عمّه

ص: ٣٠٧

وقال عبد الرحمن بن جعيل:

على الدين معروف العفاف موفّقا

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة

وأول من صلّى أخوا الدين والتقى<sup>٥١٨</sup>

عليّا وصيّ المصطفىّ وابن عمّه

الوصيّة في الاشعار التي قيلت في حرب الجمل:

٥١٩

وقال ابن أبي الحديد أيضا:

وقال أبو الهيثم بن التيهان وكان بدريا:

نحن الذين شعارنا الانصار

قل للزبير وقل لطلحة إنّنا

<sup>٥١٧</sup> (١). النعمان بن عجلان الزرقى الانصارى، لسان الانصار وشاعرهم. استعمله علىّ بن الحسين.

ترجمته في الاستيعاب، ط. حيدر آباد ١/ ٢٩٨، رقم: ١٣٢٣. واسد الغاية ٥/ ٢٦. والاصابة ٣/ ٥٣٢، ونسبه في الجهمرة ص ٣٢٧ - ٣٣٨. والاشتقاق ص

٤٦١. والايات عن كتاب الموقفيات للزبير بن بكار ص ٥٩٢ - ٥٩٤. ورواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٦/ ٣١.

<sup>٥١٨</sup> (١). شرح نهج البلاغة ١/ ٤٧. وراجع فتوح ابن أعثم، ط. حيدر آباد عام ١٢٨٨، ٢/ ٢٧٧.

<sup>٥١٩</sup> (٢). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٤٧ - ٤٩. وراجع فتوح ابن أعثم ٢/ ٣٠٧.

نحن الذين رأَت قريش فعلنا  
يوم القليب اولئك الكفّار  
كنّا شعار نبينا ودثاره  
يفديه منّا الروح والابصار  
إنّ الوصىّ إمامنا وولينا  
برح الخفاء وباحت الاسرار

وقال عمر بن حارثة الانصارى فى محمد بن الحنفية من أبيات أنشأها يوم الجمل:

سمىّ النبىّ وشبه الوصىّ  
ورايته لونها العندم

وقال رجل من الازد يوم الجمل:

هذا علىّ وهو الوصىّ  
آخاه يوم الرجوة النبىّ  
وقال هذا بعدى الولىّ  
وعاه واع ونسى الشقىّ

وخرج يوم الجمل غلام من ضبّة شابّ معلم من عسكر عائشة وهو يقول:

نحن بنو ضبّة أعداء علىّ  
ذاك الذى يعرف قدما بالوصى  
وفارس الخيل علىّ عهد النبى  
ما أنا عن فضل علىّ بالعمى

ص: ٣٠٨

لكننى أنعى ابن عفّان التقى  
إنّ الولىّ طالب ثار الولى<sup>٥٢٠</sup>

وقال سعيد بن قيس الهمدانى يوم الجمل، وكان فى عسكر علىّ (ع):

قل للوصىّ أقبلت قحطانها  
فادع بها تكفيكها همدانها

وقال حجر بن عدىّ الكندى فى ذلك اليوم أيضا:

<sup>٥٢٠</sup> (١). راجع فتوح ابن أعثم ٢ / ٣٢١.

يا ربنا سلّم لنا عليّا  
سلّم لنا المبارك المرضيّا  
المؤمن الموحد التقيّا  
لا خطل الرأي ولا غويّا  
بل هاديا موقفا مهديّا  
واحفظه ربّي واحفظ النبيّا  
فيه فقد كان له وليّا  
ثم ارتضاه بعده وصيّا

وقال خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين، وكان بدريا يوم الجمل ايظا

يا وصي النبيّ قد أجلت الحر  
ب الاعادى وسارت الاظعان  
واستقامت لك الامور سوى الشام  
وفى الشام يظهر الاذعان  
حسبهم ما رأوا وحسبك منّا  
هكذا نحن حيث كنّا وكانوا

وقال خزيمه يوم الجمل أيضا في أبيات يخاطب بها أم المؤمنين عائشة:

وصي رسول الله من دون أهله  
وأنتِ على ما كان من ذاك شاهد

وخطب ابن الزبير يوم الجمل، وخطب الحسن (ع) بعده، فقال عمرو ابن احيحة في ذلك:

حسن الخير يا شبيهه أبيه  
قمت فينا مقام خير خطيب  
قمت بالخطبة التي صدع الله  
بها عن أيبك أهل العيوب  
وكشفت القناع فاتضح الامر  
وأصلحت فاسدات القلوب  
لست كابن الزبير لجلج في القو  
ل وطاقا عنان فصل مريب  
وأبى الله أن يقوم بما قام  
به ابن الوصي وابن النجيب

ص: ٣٠٩

إن شخصا بين النبيّ - لك الخير  
- وبين الوصي غير مشوب

وقال ابن أبي الحديد بعد إيراد الآيات التي أوردنا مختصرا منها:

ذكر هذه الأشعار والأراجيز بأجمعها أبو مخنف لوط بن يحيى في كتاب وقعة الجمل .

وأبو مخنف من المحدثين وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار وليس من الشيعة ولا معدودا من رجالها.

ومما روينا من أشعار صفين التي تتضمن تسميته (ع) بالوصي ما ذكره نصر بن مزاحم بن يسار المنقري في كتاب صفين وهو من رجال الحديث.

الوصية في الأشعار التي قبلت بصفين:

لما كتب الإمام عليّ إلى جرير بن عبد الله البجلي والأشعث بن قيس الكندي وكانا من ولاية عثمان في البلاد الإيرانية فأجاب جرير بشعر جاء فيه:

أتانا كتابُ عليّ فلم	نردّ الكتاب، بأرض العجم
ولم نَعْصِ ما فيه لمّ أتى	ولمّا نذمّ ولمّا نلّم
ونحن ولايةٌ على نعرها	نضيمُ العزيز ونحمى الذمم
نساقيهم الموت عند اللقاء	بكأس المنايا ونشفى القرم
طحناهم طحنةً بالقنا	وضرب سيوفٍ تُطير اللمم
مضينا يقينا على ديننا	ودين النبيّ مجلّى الظلم
أمين الاله وبرهانه	وعدل البريّة والمعتصم
رسول المليك، ومن بعده	خليفتنا القائم المدعّم
عليّا عنيت وصيّ النبي	نجالد عنه غواة الامم <sup>٥٢١</sup>

ص: ٣١٠

ومما قيل على لسان الأشعث في جواب كتاب الامام: <sup>٥٢٢</sup>

<sup>٥٢١</sup> (١). صفين ص ١٥ - ١٨. وابن أبي الحديد ١ / ٢٤٧. وراجع فتوح ابن أعثم ٢ / ٣٠٥.

<sup>٥٢٢</sup> (١). كان الامراء إذا لم يكونوا ممن ينظم الشعر يطلبون ممن معهم في موارد خاصة أن ينظموا في الجواب عنهم وكان هذا المقام من الأشعث من تلك الموارد.

أتانا الرسول رسول على  
رسول الوصى وصى النبي  
بما نصح الله والمصطفى  
يجاهد فى الله، لا ينثنى  
وزير النبى وذو صهره  
فسرّ بمقدمه المسلمونا  
له الفضل والسبق فى المؤمنينا  
رسول الاله النبى الامينا  
جميع الطغاة مع الجاحدينا  
وسيف المنية فى الظالمينا

وقيل على لسانه أيضا:

أتانا الرسول رسول الوصى  
رسول الوصى وصى النبى  
وزير النبى وذو صهره  
له الفضل والسبق بالصالحات  
محمدا أعنى رسول الاله  
أجبنا عليا بفضله  
على المهذب من هاشم  
وخير البرية من قائم  
وخير البرية فى العالم  
لهدى النبى به يأتى  
وغيث البرية والخاتم  
وطاعة نصح له دائم

ص: ٣١١

فقيه حليم له صولة  
كليث عرين بها سائم<sup>٥٢٣</sup>

وبعد أن أعطى معاوية مصر لعمرو طعمة ليعينه على قتال الامام على، قال الامام فى ذلك شعرا جاء فيه:

---

وجريز بن عبد الله الجبلى : أسلم قبل وفاة النبى ( ص ) بأربعين يوما، شهد حرب القادسية . أرسله رسول الله ( ص ) لتهديم صنم لخنعم فى ذى الخلصة فذهب إليه وأحرقه. توفى سنة إحدى أو أربع وخمسين هجرية .

ترجمته فى الاستيعاب. واسب الغاية. والاصابة.

والاشعث بن قيس الكندى : أسلم مع وفد قومه إلى رسول الله ( ص ) فى السنة العاشرة ولم يدفع الصدقة لجباة الخليفة أبى بكر، فقاتلوه وأسروه، فأطلقه الخليفة

وزوجه أخته ام فروة، وشهد بعض فتوح الشام والعراق، واستعمله عثمان على أذربيجان، وشهد صفين مع على وكان ممن أزم عليا بالتحكيم وشهد الحكمين

بدومة الجندل. وتوفى بالكوفة بعد مقتل الامام على بأربعين ليلة.

ترجمته فى الاستيعاب. واسب الغاية. والاصابة.

٥٢٣ ( ١ ) . صفين ص ٢٠ - ٢٤.



يا عجباً لقد سمعت منكراً  
يسترق السمع ويغشى البصر  
ان يقرنوا وصيّه والابترا  
كذبا على الله يشيب الشعرا  
اما كان يرضى أحمدا لو خبرا  
شاني الرسول واللعين الاخررا<sup>٥٢٤</sup>

ولمّا وقع خلاف بين جيش الامام عليّ في عزل الاشعث من قيادة قبيلته وتعيين غيره، قال النجاشي في ذلك:

رضينا بما يرضى عليّ لنا به  
وصيّ رسول الله من دون أهله  
وإن كان في ما يأت جدع المناخر  
ووارثه بعد العموم الاكابر<sup>٥٢٥</sup>

ومّمّا ورد في الاشعار التي قيلت في يوم صفين ما جاء في شعر النضر ابن عجلان الانصارى قوله:

ص: ٣١٢

قد كنت عن صفين في ما قد خلا  
قد كنت حقاً لا احاذر فتنةً  
فرايت في جمهور ذلك مُعظما  
كيف التفرّق والوصى إمامنا  
لا تعتبنّ عقولكم لا خير في  
وذروا معاوية الغوى وتابعوا  
وجنود صفين لعمري غافلا  
ولقد أكون بذاك حقاً جاهلا  
واقيت من لهوات ذاك عياطلا  
لا كيف إلّا حيرةً وتخاذلا  
من لم يكن عند البلابل عاقلا  
دين الوصى تصادفوه عاجلا<sup>٥٢٦</sup>

وقال حجر بن عدى الكندى:

يا ربنا سلّم لنا عليّا  
المؤمن المسترشد المرضيا  
سلّم لنا المهذب النقيا  
واجعله هادى امة مهديا

<sup>٥٢٤</sup> (٢). صفين ص ٤٣.

<sup>٥٢٥</sup> (٣). صفين ص ١٣٧.

والعموم جمع العم.

والنجاشي قيس بن عمرو: شاعر مخضرم. اشتهر في الجاهلية والاسلام. أصله من نجران اليمن. سكن الكوفة. توفى نحو ٤٠ هـ. الاعلام للزركلى.

<sup>٥٢٦</sup> (١). صفين ص ٣٦٥.

لا خطل الرأي ولا غيبا

واحفظه ربّي حفظك النبيّا

فإنّه كان له وليّا

ثمّ ارتضاه بعده وصيّا<sup>٥٢٧</sup>

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الاسلمى:

ألا أبلغ معاوية بن حرب

أما لك لا تنيب إلى الصواب

أكلّ الدهر مرجوسٌ لغير

تحاربُ من يقوم لدى الكتاب

فإنّ تسلم وتبقى الدهر يوما

نزرک بجحفل شبه الهضاب

يقودهم الوصىّ إليك حتّى

يردّك عن عُوائك وارتياب<sup>٥٢٨</sup>

ص: ٣١٣

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

يا شرطة الموت صبرا لا يهولكم

دين ابن حربٍ فإنّ الحقّ قد ظهرا

وقاتلوا كلّ من يبغى غوائلكم

فإنّما النصر في الضرّ لمن صبرا

سيقوا الجوارح حدّ السيف واحتسبوا

في ذلك الخير وارجوا الله والظفرا

وأيقنوا أنّ من أضحى يخالفكم

أضحى شقيّا وأضحى نفسه خسرا

فيكم وصيّ رسول الله قائدكم

وأهله وكتاب الله قد نشرا<sup>٥٢٩</sup>

وقال الفضل بن العباس أيضا:

وصيّ رسول الله من دون أهله

وفارسه إن قيل هل من منازل<sup>٥٣٠</sup>

<sup>٥٢٧</sup> (٢). صفين ص ٣٨١. وقد جاء إنشاده هذه الابيات في شرح النهج لابن أبي الحديد في حرب الجمل.

وحجر بن عدى الكندى المعروف بحجر الخير: وفد على النبيّ (ص) وشهد القادسية وشهد مشاهد الامام عليّ وكان على كندة بصفين. وارسله زياد مع جماعة إلى معاوية فقتلهم بمرج عذراء سنة إحدى وخمسين هجرية. وقال حجر: إنّي لأول المسلمين كبر في نواحيها، أي: عندما فتحها المسلمون.

<sup>٥٢٨</sup> (٣). صفين ص ٣٨٢، و(عوائك): من العواء، اشتق اسم (معاوية)، فإنّ المعاوية: الكلية تعاوى الكلاب.

<sup>٥٢٩</sup> (١). صفين ص ٣٨٥.

والمغيرة بن الحارث بن عبد المطلب وهو أخو أبي سفيان بن الحارث الشاعر، وقال بعضهم إنهما شخص واحد. ترجمتهما بإسد الغابة في الاسماء والكنى.

<sup>٥٣٠</sup> (٢). صفين ص ٤١٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. الاولى ١/ ٢٨٤.

وقال المنذر بن أبي حميصة الوداعي في شعره:

الله وليا يا ذا الولا والوصية<sup>٥٣١</sup>

ليس منا من لم يكن لك في

ص: ٣١٤

الوصية في كتاب ابن عباس:

قال ابن عباس في وقعة صفين في جواب كتاب معاوية:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فقد أتاني كتابك وفهمت ما سطرت فيه، فأما ما أنكرت من سرعتنا إلى أنصار عثمان بالمساءة وسلطان بني أمية، فلعمري لقد أدركت حاجتك في عثمان حين استنصرك، فلم تنصره حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبينك وبينه في ذلك أخو عثمان لأمه الوليد بن عقبة . وأما إغراؤك إيانا بتيم وعدى، فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان كان خيرا منك.

وأما قولك إنه لم يبق من رجال قريش إلا ستة رجال، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها، وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا إلا من خذلك .

وأما ذكرك الحرب، فقد بقي لك منا ما ينسيك ما كان قبله وتخاف ما يكون بعده.

وأما قولك إنني لو بايعني الناس لاسرعت إلى طاعتي، فقد بايع الناس عليا، وهو أخو رسول الله (ص) وابن عمه ووصيه ووزيره، وهو خير مني، وأما أنت فليس لك فيها حق، لأنك طليق وابن طليق ورأس الاحزاب وابن آكلة الاكباد، والسلام.

فلما انتهى كتاب ابن عباس إلى معاوية وقرأه، قال: هذا فعلى بنفسى. والله لاجهدن أن لا اكاثبه سنة. ثم أنشأ يقول:

وكان امرأ أهدى إليه رسائلي

دعوت ابن عباس إلى أخذ خطة

ولم يك في ما نابني بمواصلي

فأخلف ظني والحوادث جمّة

ص: ٣١٥

وسياتى تفصيل خبر البيت بعيد هذا إن شاء الله تعالى .

<sup>٥٣١</sup> (٣) . صفين ص ٤٣٤، وكان فارس همدان وشاعرهم، ووادة: بطن من همدان. الاشتقاق لابن دريد.

وفى ترجمته فى الاصابة: له إدراك، وهو أول من جعل سهم البراذين دون سهم العراب فبلغ الخبر الخليفة عمر فأعجبه ذلك وقال : امضوها على ما قال . الاصابة ٣ / ٤٧٨ .

ولم يك فى ما جاء ما يستحقّه

فقل لابن عباس أراك مخوّفا

فأبرق وأرعد ما استطعت فإنتى

وصفّين دارى ما حييت وليس ما

فأجابه الفضل بن العباس وهو يقول:

ألا يا ابن هند إنتى غير غافل

آلان لما أخبت الحرب نارها

وأصبح أهل الشام صرعى فكلّهم

وأيقتن أنا أهل حقّ وإنما

دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة

فلا سلم حتّى يشجر الخيل بالقنا

وآليت لا تهدى إليه رسالته

أردت بها قطع الجواب وإنما

قلت له لو بايعوك تبعتهم

ص: ٣١٦

وصى رسول الله من دون أهله

فدونكه إذ كنت تبغى مهاجرا

وقال مالك الاشتر:

كلّ شىء سوى الامام صغير

وما زاد أن أغلى عليه مراجلى

بجهلك حلمى إنتى غير غافل

إليك بما يشجيك سبط الانامل

تربص من ذاك الوعيد بقاتلى

وإنك ممّا تبغى غير نائل

عليك وألقت برکها بالكلاكل

كففعة قاع أو كشحمة آكل

دعوت لامر كان أبطل باطل

وليس لها حتّى يموت بقاتل

وتضرب هامات الرجال الاوائل

إلى أن يحول الحول من رأس قابل

رماك فلم يخطئ بنار المقاتل

فهذا على خير حافٍ وناعل

وفارسه إذ قیل هل من منازل

أشمّ بنصل السيف ليس بناكل<sup>٥٣٢</sup>

وهلاك الامام خطبٌ كبير

<sup>٥٣٢</sup> (١). كتاب الفتوح لابن أعمم ٣/ ٢٥٤ - ٢٥٨. وصفّين ص ٤١٦. وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد، ط. الاولى ١/ ٢٨٤.

قد اصبنا وقد اصيب لنا اليوم  
واحد منهم بألف كبير  
إنّ ذا الجمع لا يزال بخير  
من رأى غرّة الوصىّ علىّ  
إنّه والذي يُحجّ له الناس  
من رضاه إمامه دخل الجنّة  
بعد أن يقضى الذى أمر الله  
ونقل المسعودى فى مروج الذهب:  
ص: ٣١٧

رجالُ بُزِلُ حماةُ صقور  
إنّ ذا من ثوابه لكثير  
فيه نُعمى ونعمة وسرور  
إنّه فى دجى الحنادس نور  
سراج لدى الظلام منير  
عفوا وذنبه مغفور  
به ليس فى الهدى تخيير<sup>٥٣٣</sup>

أ- فى ذكر من رثى الامام عليّا بعد استشهاده:  
وفى ذلك يقول آخر من شيعة على (رض):

تأسّ فكم لك من سلوة  
بموت النبىّ وقتل الوصىّ  
تفرّج عنك غليل الحزن  
وقتل الحسين وسمّ الحسن

ب- فى ذكر قتل حجر بن عدى:

وإنّ قاتل حجر بن عدى قال له ساعة قتله:

---

<sup>٥٣٣</sup> (٢). قال ابن أعثم فى الفتوح ٢٢٦/٣، والخوارزمى فى المناقب ص ١٧٠ ما موجه: إنّ الاشتهر وسائر أصحاب الامام على (ع) افتقدوه يوما بصفين فبحنوا

عنه ووجدوه تحت رايات

ربيعة فرأى الامام الاشتهر متغيّرا عن حاله باكيا فقال له: ما خبرك يا مالك أفقدت ابنك أم أصابك غير ذلك؟ فجعل الاشتهر ينشد ويقول ... الابيات.

حماة: جمع حام وهو المدافع الذى لا يُقرب أو الاسد لحمايته.

الدجى: جمع دُجية وهى الظلمة.

الحنادس: جمع حندس، ليل حندس أى مظلم، والحنادس ثلاث ليال من الشهر لظلمتهن.

إنَّ أمير المؤمنين قد أمرني بقتلك، يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان والمتولّي لابي تراب، وقتل أصحابك، إلّا أن ترجعوا عن فكركم وتلعنوا أصحابكم وتبترأوا منه، فقال حجر وجماعة ممّن كان معه : إنَّ الصبر على حدّ السيف لايسر علينا ممّا تدعوننا إليه، ثمّ القدوم على الله وعلى نبيّه وعلى وصيّه أحبّ إلينا من دخول النار.<sup>٥٣٤</sup>

وقال عليّ بن محمد بن جعفر العلوي فيمن انتمى إلى سامة بن لؤى ابن غالب:

وسامة منّا فأما بنوه	فأمرهم عندنا مظلم
اناس أتونا بأنسابهم	خرافة مضطجع يحلم
وقلنا لهم مثل قول الوصيّ	وكلّ أقاويله محكم
إذا ما سئلت فلم تدر ما	تقول فقل: ربّنا أعلم <sup>٥٣٥</sup>

ص: ٣١٨

الوصيّة في شعر المأمون:

قد دفعت سياسة التقرب إلى العلويين الخليفة العباسي المأمون، أن ينتخب الامام عليّا الرضا وليّا للعهد ويذكر الوصيّة في شعره؛ فقد قال:

الأمّ على حُبيّ الوصيّ أبا الحسن      وذلك عندي من أعاجيب ذا الزمن<sup>٥٣٦</sup>

وقال أيضا:

ومن غاوى يغصّ على غيظا      إذا أدنيت أولاد الوصيّ<sup>٥٣٧</sup>

اشتهار لقب الوصيّ للامام عليّ (ع) مدى القرون:

وروى المبرّد في الكامل وقال: قال الكميّ:

<sup>٥٣٤</sup> (١). مروج الذهب أ: في ٢ / ٤٢٨، و ب: ٣ / ٤.

<sup>٥٣٥</sup> (٢). المسعودي في ذكر خير ولد سامة أوآخر ترجمة الامام عليّ ٢ / ٤٠٨. وولد سامة الذين تكلموا في انتسابهم إليه هم بنو ناجية.

أمّا علي بن محمد بن جعفر العلوي، فإنّ جعفرًا هذا هو الامام جعفر الصادق ابن الباقر وعليّ ابنه. نسبه في الانساب لابن حزم ص ٦١.

<sup>٥٣٦</sup> (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٢٢.

<sup>٥٣٧</sup> (٢). المحاسن والمساوي للبيهقي ١ / ١٠٥.

## والوصي الذي أمال التجو

بى به عرش أمة لانهدام

قال المبرّد: قوله: الوصيّ، فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون<sup>٥٣٨</sup>

ص: ٣١٩

إذا فالإمام عليّ كان مشهوراً بأنّه وصيّ الرسول (ص) حتّى أصبح الوصيّ لقباً له كما كلن مشهوراً بكنيته أبي تراب .  
واستشهد المبرّد على قوله بأنّ الإمام عليّاً كان مشهوراً بلقب الوصيّ بما جاء في شعر أبي الاسود الدؤليّ قوله : (الوصي) مع  
اسم حمزة والعباس، بلا تعريف لاحدهم حيث قال:

وعبّاساً وحمزة والوصيّا<sup>٥٣٩</sup>

احبّ محمّدا حبّاً شديدا

وقول الحميري:

يوم النخيلة من قتل المحلينا<sup>٥٤٠</sup>

إنّي أدين بما دان الوصيّ به

<sup>٥٣٨</sup> (٣). التجوي هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي، قاتل الامام علي (ع). وقيل له التّجبي والتّجوي نسبة إلى المحلّة التي كان يسكنها بمصر قبل هجرته إلى الكوفة. راجع الهامش رقم ٣٢ من هذا الفصل.  
الكامل للمبرّد، ط. مكتبة المعارف، بيروت ١٥١ / ٢.  
والمبرّد هو: أبو العباس، محمد بن زيد الازدي الشمالي البصري. قال الخطيب البغدادي  
بترجمته: شيخ أهل النحو وحافظ علوم العربية، من تأليفه : الكامل في اللغة. توفّي ببغداد سنة ٢٨٥ هـ، ترجمته بتأريخ بغداد ٣ / ٣٨٠، وكشف الظنون، مادة: (الكامل).  
والكميت: أبو المستهل ابن زيد الاسدي، من أهل الكوفة . كان عالماً بأدب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسائها، ثقة في علمه . ترجم شعره الهاشميات إلى  
الالمانية. (ت: ١٢٤ هـ).  
الاعلام للزركلي ٩٢ / ٦.  
<sup>٥٣٩</sup> (١). الكامل للمبرّد ١٥٢ / ٢. وأورده أبو الفرج بترجمة الحميري في الاغانى، ط . ساسى ١٠ / ٧. وتأريخ دمشق لابن عساكر مصورة المجمع العلمي  
الاسلامى ٨ / ٢ / ٣١٠ أ، ب.  
وأبو الاسود: ظالم بن عمرو الدؤلي، من الفقهاء والاعيان والشعراء، واضع علم النحو، رسم له علي بن أبي طالب شيئا من اصول النحو فكتب فيه أبو الاسود،  
وأخذ عنه جماعة، وهو أوّل من نَقَطَ المصحف، شهد مع عليّ (ع) صفّين، توفّي بالبصرة سنة ٦٩ هـ.  
الاعلام للزركلي ٣٤ / ٣. وراجع العقد الفريد، ط. مصر عام ١٣٧٢، ٣ / ٢١١.  
<sup>٥٤٠</sup> (٢). الكامل للمبرّد ١٧٥ / ٢، وأورد البيت وتفصيل سبب إنشاد السيد الحميري الشعر، في الاغانى، ط . ساسى ٧ / ٢١ يوم الخريبة. والعقد الفريد ٣ / ٢٨٥.  
وابن أبي الحديد  
١ / ٤٣، وط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ١٣٢.  
والسيد الحميري، إسماعيل بن محمد، كان واحداً من ثلاثة، أكثر الناس شعراً في الجاهلية والاسلام، كان مقدماً عند الخليفين المنصور و المهدي العباسيين، توفّي  
سنة ١٧٣ هـ. الاعلام  
للزركلي ١ / ٣٢٠.

وقوله أيضا:

وهداهم وكسا الجنوب وأطعما

والله منّ عليهم بمحمّد

ص: ٣٢٠

بالمنكرات فجرّوه العلقما<sup>٥٤١</sup>

ثم انبروا لوصيّه ووليّه

وقال إمام الشافعية، محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤ هـ):

فإنّني أرفض العباد<sup>٥٤٢</sup>

إن كان حبّ الوصيّ رفضا

وقال ابن دريد:

وابنيه وابنته البتول الطاهرة<sup>٥٤٣</sup>

أهوى النبيّ محمدا ووصيّه

وفى ديوان المتنبي:

وقيل للمتنبي: ما لك لم تمدح أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (رض)؟ فقال:

إذ كان نورا مستطيلا شاملا

وتركت مدحى للوصيّ تعمّدا

وكذا ضياء الشمس يذهب باطلا<sup>٥٤٤</sup>

وإذا استقلّ الشىء قام بذاته

والبيت الثانى جرى مجرى الامثال بهذا اللفظ:

وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا<sup>٥٤٥</sup>

وإذا استطلّ الشىء قام بنفسه

<sup>٥٤١</sup> (١). فى ترجمة السيد الحميرى، من الاغانى ٩ / ٦ يوم الخريبة.

<sup>٥٤٢</sup> (٢). ديوان الشافعى ص ٣٥، ط. بيروت ١٤٠٣ هـ.

<sup>٥٤٣</sup> (٣). بترجمة ابن دريد فى الكنى واللقاب ١ / ٢٧٤.

وابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الازدى البصرى، شاعر نحوى، لغوى ومن مؤلفاته:

الجمهرة (ت: ٣٢١ هـ).

<sup>٥٤٤</sup> (٤). ديوان أبي الطيب المتنبي (ت: ٤٦٨ هـ)، تحقيق فريدخ ص ٨٥٦، ط. برلين، سنة ١٨٦١ م.

<sup>٥٤٥</sup> (٥). جاء بهذا اللفظ فى ترجمة أبي نؤاس فى الكنى واللقاب ١ / ١٦٢.



ص: ٣٢١

وقال يمدح أبا القاسم طاهر بن الحسين بن طاهر العلوى كما فى ديوانه أيضا:

هو ابن رسول الله وابن وصيه  
وشبههما شبهت بعد التجارب<sup>٥٤٦</sup>

وقال شيخ الاسلام الحموينى الجوينى (ت: ٧٢٢ هـ):

أخو أحمد المختار صفوة هاشم  
وصى إمام المرسلين محمد  
أبو السادة الغر الميامين مؤتمن  
على أمير المؤمنين أبو الحسن

- الابيات.<sup>٥٤٧</sup> وقال أيضا:

أخى خاتم الرسل الكرام محمد  
على وصى المصطفى ووزيره  
رسول إله العالمين مطهر  
أبى السادة الغر البهاليل حيدر<sup>٥٤٨</sup>

وقال السيد محمد حبيب العبيدى (ت: ١٣٨٣ هـ) مفتى الموصل، أيام ثورة العراقيين عام ١٩٢٠ ميلادية، عند احتلال بريطانيا للعراق وفى دحض ادعاء بويطانيا أن لها حق الوصاية على العراق والعراقيين . فى صرخته الاولى، كما سماها فى ديوانه:

أيها الغرب جئت شيئا فرياً  
ما علمنا غير الوصى وصياً

ص: ٣٢٢

قسما بالقرآن والانجيل  
أو تسيل الدماء مثل السيول  
ليس نرضى وصاية لقبيل  
أفبعد الوصى زوج البتول

نحن نرضى بالانكليز وصياً؟

<sup>٥٤٦</sup> (١). ديوان المتنبي ص ٣٣٣.

<sup>٥٤٧</sup> (٢). فى مقدمة كتابه فرائد السمطين، الورقة: ٢ ب، مخطوطة مصورة المكتبة المركزية بجامعة طهران برقم ١٦٩٠ / ١١٦٤. جمع فى البيت الثانى بين ذكر

الاسم (على) وذكر الصفة (وصى).

<sup>٥٤٨</sup> (٣). فى أول السمط الاول من كتابه فرائد السمطين، الورقة: ٧ ب.

دون ملك العراق بين الطلول

قد اريقت دماء خير قتيل

نحن نرضى بالانكليز وصيّا؟

قد ظلمنا العراق يا ساكنيه

حين تبكى السبطين أو تبكيه

نحن نرضى بالانكليز وصيّا؟

يا محبّي آل النبيّ الكرام

وهو ميراث آل خير الانام

نحن نرضى بالانكليز وصيّا؟

\*\*\*

وقال في صرخته الثانية:

اشهدوا يا أهل الثرى والثريا

\*\*\*

قد نكثنا عهد النبيّ لدينا

إن قبلنا وصاية وغوينا

إن رضينا بالانكليز وصيّا؟

ما عسى أن تقول يوم الجزاء

والشهيد المقيم فى كربلاء

إن رضينا بالانكليز وصيّا؟

لابى عبد الله نجل البتول

أفبعد الحسين سبط الرسول

إنّ دمع النساء لا يجديه

أفمن بعد المجتبى وأخيه

أيكون العراق ملك اللثام

أفبعد الائمة الاعلام

قد أبت شريعة الوصىّ وصيّا

واحتملنا إثمًا وعارا وشينا

أفلا يسخط الوصىّ علينا

لنبيّ الهدى أبى الزهراء

وإمام الهدى بسامراء

وقال أيضا في قصيدة ثانية:

ص: ٣٢٣

لست منّا ولم نكن منك شيّا  
لم تكن يا ابن لندن علويّا  
لا ولا مسلما ولا عربيّا  
فلماذا تكون فينا وصيّا  
هاشميا ولم تكن قرشيّا  
من بنى قومنا ولا شرقيّا

فلماذا تكون فينا وصيّا؟

إلى قوله:

لا تقل جعفرية حنفيه  
جمعتنا الشريعة الاحمدية  
لا تقل شافعية زيدية  
وهي تأبى الوصاية الغربية

فلماذا تكون فينا وصيّا؟

قد سئنا سياسة التفريق  
يا عدوا لنا بثوب صديق  
لست إلّا مزورّا أجنبيّا  
واهتدينا إلى سواء الطريق  
أنت بين الوصيّ والصديق  
فلماذا تكون فينا وصيّا<sup>٥٤٩</sup>

\*\*\*

كلّ ما ذكرناه في شأن الوصي والوصية كان مشهورا لدى أتباع مدرسة الخلفاء منذ القرن الأوّل الهجريّ حتّى القرن الرابع عشر؛ فقد قال الضبيّ من عسكر عائشة يوم الجمل:

نحن بنو ضبّة أعداء عليّ  
ذاك الذي يعرف قدما بالوصيّ

كانوا يلقّبون الامام عليّا بالوصيّ ويلقّبونه مع الاحد عشر من بنيه بالاوصياء كما قاله الخليفة العباسي هارون الرشيد في ما أخبر عمّا يقع من القتال بين ولديه الامين والمأمون.

<sup>٥٤٩</sup> (١). ثورة العشرين في ذكراها الخمسين، معلومات ومشاهدات بقلم السيد محمد علي كمال الدين. مطبعة التضامن، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

كانوا يلقّبون الامام عليًا بالوصيّ في حال الغفلة عن معنى هذا اللقب

ص: ٣٢٤

ومغزاه. أمّا في حال التنبّه إلى معنى هذا اللقب ومغزاه فقد كانوا ينكرونه حيناً ويكتمونه حيناً آخر، ويحرّفون الكلام عن مواضعه آونة أخرى. كما سندرس كلّ ذلك في البحوث الآتية إن شاء الله تعالى.

ص: ٣٢٥

مدرسة الخلفاء تبذل جهوداً كبيرة في سبيل كتمان أخبار الوصيّة وتأويل ما انتشر منها

إنّ أوّل من وجدناه يفعل ذلك، أمّ المؤمنين عائشة في ما روى عنها من حديث، غير أنّ حديثها في إنكار الوصيّة يدلّ على اشتهاار الامام عليّ بلقب (الوصيّ) في عصرها، كما نبين ذلك في ما يأتي:

حديث عائشة يدلّ على أنّ عليًا كان وصيّ الرسول (ص):

ومما يدلّ على أنّ الامام عليًا كان مشهوراً بين الصحابة بأنّه وصيّ رسول الله (ص) مضافاً إلى ما أوردناه؛ رواية أمّ المؤمنين عائشة كما في صحيح مسلم، قال:

ذكروا عند عائشة أنّ عليًا كان وصيّاً فقالت:

متى أوصى إليه فقد كنت مسندته إلى صدرى - أو قالت: حجرى - فدعا بالطست فلقد انخنت في حجرى وما شعرت أنّه قد مات، فمتى أوصى إليه؟<sup>٥٥٠</sup>

\*\*\*

كانت أمّ المؤمنين بحاجة إلى استنفار الناس لحرب الامام عليّ والتي

ص: ٣٢٦

سمّيت في التاريخ باسم حرب الجمل، ومن ثمّ نرى أنّ هذه المذاكرة لم تجرّ عفواً، وإنّما كانت شبيهة بالاحتجاج عليها في ما اشتهر للامام بأنّه وصيّ النبيّ، وكان هذا الموقف منها متناسباً مع هذا الواقع التاريخي، وكذلك متناسباً مع مواقفها الأخرى من الامام عليّ؛ فقد روى ابن سعد عن عائشة، في خبر مرض رسول الله (ص) أنّها قالت:

<sup>٥٥٠</sup>(١). صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الوصيّة ٨٩ / ١١. وصحيح البخارى، كتاب المغازى، باب مرض النبيّ ٦٥ / ٣، وكتاب الوصيّة، باب الوصايا. وفتح

البارى ٢٩١ / ٦. ومسنّد أحمد ٣٢ / ٦.

فخرج بين رجلين تخطَّ رجلاه في الارض بين ابن عباس - تعنى الفضل - وبين رجل آخر؛ قال عبيد الله: فأخبرت ابن عباس بما قالت: قال: فهل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمَّ عائشة؟ قال: قلت: لا! قال ابن عباس: هو علي! إنَّ عائشة لا تطيب له نفسا بخير.<sup>٥٥١</sup>

وفي حديث آخر جاء في مسند أحمد ١١٣ / ٦:

جاء رجل فوق عليّ وفي عمّار عند عائشة فقالت:

أمّا عليّ، فلست قائلة لك فيه شيئاً؛ وأمّا عمّار فإنّي سمعت رسول الله (ص) يقول فيه: «لا يخبر بين أمرين إلّا اختار أَرشدهما».

هكذا كانت أمّ المؤمنين تدفع عن عمّار الواقعة وتسكت عمّن ينال من الامام علي (ع).

وفي حديث ثالث:

وفي صحيح البخارى ومسلم وغيرهما واللفظ لمسلم:

عن عائشة أنّ رسول الله (ص) بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه

ص: ٣٢٧

في صلاتهم ب- **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** فلمّا رجعوا ذكر لرسول الله (ص) فقال: سلوه لايّ شيء يصنع ذلك. فسألوه، فقال: لأنّها صفة الرحمن، فأنا أحبّ أن أقرأ بها. فقال رسول الله (ص): أخبروه أنّ الله يحبّه.<sup>٥٥٢</sup>

تري من يكون هذا الرجل الذي يحبّه الله ولم ترَ عائشة أن تذكر اسمه؟ إنه لو كان والدها الخليفة أبا بكر أو الخليفة عمر أو غيرهما من ذوى عصبته مثل ابن عمّها طلحة ونظرائهم، لذكرت اسمه، ومهما بحثنا في مصادر مدرسة الخلفاء لم نجد اسمه، فاضطررنا إلى مراجعة مصادر مدرسة أهل البيت، فوجدنا الخبر في تفسير سورة الاخلاص من تفسير مجمع البيان وتفسير البرهان، وباب معنى **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** من كتاب التوحيد للشّيخ أبي جعفر محمد بن علي الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) واللفظ للاخير:

عن الصحابي عمران بن حصين:

<sup>٥٥١</sup> (١). طبقات ابن سعد، ط. بيروت ٢ / ٢٣٢.

وقد ذكر البخارى الحديث نفسه في صحيحه باب مرض النبي ووفاته ٣ / ٦٣، وهذا لفظه: (فقال ابن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسمَّ عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب).

حذف البخارى من الحديث قول ابن عباس: (إنَّ عائشة لا تطيب له نفسا بخير).

<sup>٥٥٢</sup> (١). صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**، E ح ٢٦٣، ص ٥٥٧.

وصحيح البخارى، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي (ص) أمّته في توحيد الله تبارك وتعالى ٤ / ١٨٢.

أَنَّ النَّبِيَّ (ص) بَعَثَ سَرِيَّةً وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهَا عَلِيًّا (ع). فَلَمَّا رَجَعُوا سَأَلَهُمْ، فَقَالُوا: كُلُّ خَيْرٍ، غَيْرَ أَنَّهُ قَرَأَ بِنَا فِي كُلِّ صَلَاةٍ ب-  
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ فَقَالَ: لِحُبِّي ل- قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ (ص): مَا أَحَبَّبْتَهَا حَتَّى أَحَبَّكَ اللَّهُ عَزَّ  
وَجَلَّ. ٥٥٣

ص: ٣٢٨

ولصحة هذا الحديث شاهدان قويان :

أ- في صحيح البخارى وغيره أن أم المؤمنين عائشة عبّرت في حديثها عن الامام على بلفظ : رجل، وكذلك فعلت في هذا الحديث.

ب- ورد في صحيح البخارى وغيره أن رسول الله (ص) قال لعليّ يحبه الله كما قال في هذا الحديث: أحبك الله.

هكذا لا تذكر أم المؤمنين عائشة اسم على (ع) في حديثها وتكنى عنه بالرجل؛ ولم تقتصر على هذا المقدار من الجفوة بل زادت، كما سنذكر بعضها في ما يأتى:

أم المؤمنين تظهر السرور بقتل الامام على (ع):

وأكثر من كل ما ذكرناه ما رواه أبو الفرج في مقتل الامام على (ع) وقال:

(لَمَّا أَنْ جَاءَ عَائِشَةُ قَتَلَ الْإِمَامَ عَلِيًّا، سَجَدَتْ) ٥٥٤ أى سجدت شكرا لله ممّا بشروها به.

وروى الطبرى وأبو الفرج وابن سعد وابن الاثير وقالوا:

لَمَّا أَتَى عَائِشَ نَعَى عَلِيًّا قَالَتْ:

كما قرّ عيننا بالاياب المسافر

فألقت عصاها واستقرّ بها النوى

ثمّ قالت: من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

غلام ليس في فيه التراب

فإن يك نائيا فلقد نعاه

٥٥٣ (٢). تفسير مجمع البيان للشيخ أبى ع لى أمين الدين، الفضل بن الحسن الطبرسى ( ت: ٥٦٨ هـ)، تصحيح أحمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا، سنة

١٣٣٣-١٣٥٦ هـ، ١٠ / ٥٧٦. وتفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى، ( ت: ١١٠٧ أو ١١٠٩ هـ). ط. الثالثة، قم سنة ١٣٩٤ هـ ٤ / ٥٢١. وتوحيد الصدوق، ط.

طهران، سنة ١٣٨٧ هـ، ص ٩٤، ح ١١. وعمران بن حصين أبو نعيد الخزاعى، أسلم عام خيبر، بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، وكان من فضلاء الصحابة ومجابه

الدعوة. توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ. اسد الغاية ٤ / ١٣٧-١٣٨.

٥٥٤ (١). مقاتل الطالبين، ط. القاهرة، سنة ١٣٦٨ هـ، ص ٤٣.

فَقَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلْمَةَ: أَلْعَلِّي تَقُولِينَ هَذَا؟ فَقَالَتْ: إِذَا نَسِيتَ

ص: ٣٢٩

فَذَكَرُونِي. ٥٥٥

ثُمَّ تَمَثَّلْتُ:

بِاسْمِ الصَّدِيقِ وَكَثْرَةِ الْأَلْقَابِ

مَا زَالَ إِهْدَاءُ الْقَصَائِدِ بَيْنَنَا

فِي كُلِّ مَجْتَمَعٍ طَنِينِ ذَبَابٍ

حَتَّى تَرَكْتُ كَأَنَّ قَوْلَكَ فِيهِمْ

٥٥٦

مُقَارَنَةُ أَحَادِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِأَحَادِيثِ غَيْرِهَا:

كَانَ مَا ذَكَرْنَاهُ بَعْضَ مَوَاقِفِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ (ع). أَمَّا قَوْلُهَا: (مَتَى أَوْصَى إِلَيْهِ، وَانْخَنَثَ فَمَاتَ عَلِيٌّ صَدْرِي أَوْ بَيْنَ حَاقَتِي وَذَاقَتِي).<sup>٥٥٧</sup> فَقَدْ تَفَرَّدَتْ هِيَ بِرِوَايَتِهِ وَتَعَارَضَهُ الرِّوَايَاتُ الْآتِيَةُ:

قَالَ ابْنُ سَعْدٍ فِي طَبَقَاتِهِ: بَابٌ مِنْ قَالَ تَوَفَّى رَسُولَ اللَّهِ (ص) فِي حِجْرِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ:

«قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) فِي مَرَضِهِ: ادْعُوا لِي أَخِي؛ قَالَ: فَدَعَى لَهُ عَلِيٌّ، فَقَالَ: ادْنُ مِنِّي. فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَاسْتَنْدَ إِلَيَّ فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَنْدًا إِلَيَّ وَإِنَّهُ لِيَكَلِّمَنِي حَتَّى أَنْ بَعْضَ رِيْقِ النَّبِيِّ (ص) لِيَصِيبَنِي. ثُمَّ نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ (ص) وَثَقُلَ فِي حَجْرِي ...» الْحَدِيثُ.

وَرَوَى عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ:

ص: ٣٣٠

(قَبِضَ رَسُولَ اللَّهِ (ص) وَرَأَسَهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ).

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ:

<sup>٥٥٥</sup> (١). تَأْرِيخُ الطَّبْرِيِّ فِي ذِكْرِ سَبَبِ مَقْتَلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَوَادِثِ سَنَةِ ٤٠ هـ، ط. أَوْرِبَا ١ / ٣٤٦٦. وَكَذَلِكَ ابْنُ الْأَثِيرِ، ط. أَوْرِبَا ٣ / ٣٣١، وَط. الْأَوَّلَى ٣ /

١٥٧. وَطَبَقَاتُ ابْنِ سَعْدٍ ٣

/ ٢٧. وَمَقَاتِلُ الطَّالِبِيِّينَ ص ٤٢، وَفِي لَفْظِهِ: (بِغَاهِ غَلَامٍ)، وَفِي لَفْظِ غَيْرِهِ: (نَعَاهُ).

<sup>٥٥٦</sup> (٢). جَاءَ تَمَثُّلُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبَيْتَيْنِ فِي مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ ص ٤٢.

<sup>٥٥٧</sup> (٣). صَحِيحُ الْبِخَارِيِّ، كِتَابُ الْوَصَايَا، الْبَابُ الْأَوَّلُ ٨٤ / ٢، وَكِتَابُ الْمَغَازِي، بَابُ مَرَضِ النَّبِيِّ ٦٣ / ٣ مِنْهُ. وَصَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ ١٩. وَابْنُ

مَاجَةَ، كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ ٦٤. وَمُسْنَدُ أَحْمَدَ ٣٢ / ٦، ٦٤ وَ ٧٧. وَطَبْرِيِّ ١ / ١٨١٤. وَرَاجِعُ قَبْلَهُ ص ٢٩٨ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(توفّي رسول الله (ص) ورأسه في حجر عليّ وغسله عليّ ...) الحديث.

وروى عن أبي غطفان، قال:

(سألت ابن عباس، رأيت رسول الله (ص) توفّي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفّي وهو لمستند إلى صدر عليّ، قلت: فإنّ عروة حدّثني عن عائشة أنّها قالت: توفّي رسول الله (ص) بين سحري ونحري! فقال ابن عباس: أتعقل؟ والله لتوفّي رسول الله (ص) وإنّه لمستند إلى صدر عليّ، وهو الذي غسله ...) الحديث.

(إنّ كعب الاحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر أمير المؤمنين:

ما كان آخر ما تكلم به رسول الله (ص)؟ فقال عمر: سل عليّ، قال: أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله، فقال عليّ: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد الانبياء وبه امروا وعليه يبعثون. قال: فمن غسله يا أمير المؤمنين؟ قال: سل عليّ؛ قال: فسأله فقال: كنت أنا أغسله وكان العباس جالسا وكان اسامة وشقران يختلفان إلىّ بالماء).<sup>٥٥٨</sup>

لو كان النبيّ انخث وتوفّي بين سحر عائشة ونحرها أو حاقتها وذانتها، كما قالت هي، لقال الخ ليفة عمر لكعب الاحبار: سل امّ المؤمنين عائشة عن آخر ما تكلم به رسول الله (ص) ولم يكن يحيله على الامام عليّ (ع).

وأقوى من كلّ الروايات السابقة رواية من شهدت ذلك من امّهات

ص: ٣٣١

المؤمنين وهي امّ سلمة فإنّها قالت:

(والذي أحلف به إن كان عليّ لا قرب الناس ع هذا برسول الله (ص) عدناه غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ - مرارا - فقالت فاطمة كأنك بعثته في حاجة قالت: فجاء بعد، فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، قالت امّ سلمة: وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله (ص) وجعل يساره ويأجيه، ثمّ قبض (ص) من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهدا).<sup>٥٥٩</sup>

وفي رواية عبد الله بن عمرو:

<sup>٥٥٨</sup> (١). هذه الاحاديث الخمسة في طبقات ابن سعد، باب من قال: توفّي رسول الله (ص) في حجر عليّ بن أبي طالب، ط. اوربا ٢/٢ ق ٥١ / ٢.

<sup>٥٥٩</sup> (١). أخرجه الحاكم في مستدركه ١٣٨ / ٣ وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه . واعترف بصحّته الذهبي في تلخيص المستدرک . وأخرجه ابن عساکر في باب: أنّه كان أقرب الناس عهدا برسول الله (ص)، من ترجمة الامام عليّ ٣ / ١٤ - ١٧ بطرق متعددة. وفي مصنّف ابن أبي شيبة ٣٤٨ / ٦. ومجمع الزوائد ١١٢ / ٩. وكنز العمال، ط. الثانية، كتاب الفضائل، فضائل عليّ بن أبي طالب، ح ٣٧٤، ١٥ / ١٢٨. وأخرجه سبط ابن الجوزي، في تذكرة خواصّ الامّة، باب حديث النجوى والوصية عن كتاب الفضائل لاحمد بن حنبل.



(أن رسول الله (ص) قال في مرضه: ادعوا لى أخى - إلى قوله - فدعى له على فستره بثوبه وأكبّ عليه ...)<sup>٥٦٠</sup> الحديث.

ومما قاله الامام على (ع) عن وفاة رسول الله (ص) قوله:

(فلقد وسّدتك فى ملحودة قبرك، وفاضت بين نحرى وصدري نفسك، فإنّا لله وإنا إليه راجعون).<sup>٥٦١</sup>

وقال أيضا:

(ولقد قبض رسول الله (ص) وإنّ رأسه لعللى صدرى. ولقد سألت نفسه

ص: ٣٣٢

فى كفى، فأمرتها على وجهى. ولقد وليت غسله (ص) والملائكة أعوانى، فضجّت الدار والافنية، ملا يهبط، وملا يعرج، وما فارقت سمعى هينمة منهم يصلّون عليه حتّى واريناه فى ضريحه).<sup>٥٦٢</sup>

مناقشة أحاديث أم المؤمنين عائشة:

تفرّدت أم المؤمنين عائشة برواية أنّ النبىّ (ص) توفّى فى حجرها فى مقابل كلّ تلکم الاحاديث.

وأغلب الظنّ كما قلنا سابقا أنّها قالت ذلك فى حرب البصر رة، أى بعد زمان الخليفين عمر وعثمان، وكذلك يناسب هذا القول عصر معاوية حيث كان ينهى عن نقل فضائل الامام ويأمر بنقل ما يناقضها.

وعلى فرض صحّة قول عائشة أنّ النبىّ (ص) توفّى على صدرها، هل كان ذلك مناقضا لما تواتر من أنّ الامام عليّا كان وصى رسول الله (ص)؟ وألم يكن ثمة زمان آخر ليدلى الرسول (ص) بوصاياه للامام على؟ كما تدلّ عليه روايات كثيرة مثل ما رواه أصحاب السنن والمسائيد عن الامام على، قال:

(كان لى من رسول الله (ص) مُدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار، فكنت إذا أتيتّه وهو يصلّى تنحنح).<sup>٥٦٣</sup>

وفى رواية:

(كانت لى من رسول الله (ص) منزلة لم تكن لاحد من الخلائق؛ إنى كنت آتية كلّ سحر فاسلمّ عليه حتّى يتنحنح ...)<sup>٥٦٤</sup> الحديث.

<sup>٥٦٠</sup> (٢). كنز العمال، ط. الاولى ٣٩٢ / ٦. وتاريخ ابن كثير ٣٥٩ / ٧. وترجمة الامام على من تاريخ ابن عساکر، ط. بيروت، سنة ١٣٩٥ هـ، ٢ / ٤٨٤.

<sup>٥٦١</sup> (٣). نهج البلاغة، الخطبة: ٢٠٢.

<sup>٥٦٢</sup> (١). نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٧.

<sup>٥٦٣</sup> (٢). سنن ابن ماجه، كتاب الادب، باب الاستئذان، ح ٣٧٠٨. ومسند أحمد ٨٠ / ١.

<sup>٥٦٤</sup> (٣). مسند أحمد ٨٥ / ١ و ١٠٧، ويأتى تفصيله فى باب مصادر الشريعة الاسلامية لدى مدرسة أهل البيت.

ص: ٣٣٣

ومن تأريخ ابن عساكر عن جابر:

(لَمَّا كَانَ يَوْمَ الطَّائِفِ، نَاجَى رَسُولَ اللَّهِ (ص) عَلِيًّا، فَأَطَالَ نَجْوَاهُ، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أَطَالَ نَجْوَى ابْنِ عَمِّهِ. فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ: مَا أَنَا أَنْتَجِيتهُ؛ بَلِ اللَّهُ أَنْتَجَاهُ).

وفي لفظ آخر للرواية:

(فَنَاجَاهُ طَوِيلًا، وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ يَنْظُرَانِ وَالنَّاسُ، قَالَ: ثُمَّ أَنْصَرَفَ إِلَيْنَا فَقَالَ النَّاسُ: قَدْ طَالَتْ مَنَاجَاةُكَ الْيَوْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: مَا أَنَا أَنْتَجِيتهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَجَاهُ).<sup>٥٦٥</sup>

\*\*\*

أوردنا هذه الروايات من مصادر أخرى - أيضا - في باب ذكر حاملي علوم

الرسول (ص) من هذا الكتاب، وفي باب مصادر الشريعة الإسلامية لدى مدرسة أهل البيت (ع).

مقارنة بين حديث أم المؤمنين عائشة وحديث الامام علي (ع):

تفرّدت أم المؤمنين عائشة برواية ما أخبرت به عن خبر آخر ساعات حياة الرسول الأكرم (ص) أنه طلب طستنا ليبول فانخث ومات بين حاقنتها وذاقنتها، وأمثال هذه الالفاظ، أضف إليه حديثها وحديث غيرها في بدء نزول الوحي:

أن رسول الله (ص) عندما تلقى أوّل وحي هبط به جبرائيل من الله بآيات

ص: ٣٣٤

سورة اقرأ، شكّ في جبرائيل أنه شيطان يريد أن يتلعب به، وشكّ في الايات الكريمة أنها من قبيل سجع الكهان حتّى طمأنه الرجل النصراني ورقة بن نوفل أنه نبيّ اوحى إليه كموسى بن عمران، فاطمأنّ وأدرك أنه نبيّ، إلى أحاديث أخرى لهذه المدرسة عن سيرة رسول الله (ص).

إنّ تلكم الاحاديث كما ذكرنا في البحوث التمهيدية كونت رؤية خاصة عن رسول الله (ص) لمن يعتقد بها، تحطّ من مقام أفضل الرسل عن مستوى الانسان العادى، ولهذا حقّ للرجل (ذى المعرفة) السعودى أن يقول: محمد رجّالا مثلى مات.

<sup>٥٦٥</sup> (١). أخرج الحديثين ابن عساكر بترجمة الامام على ٢ / ٣١٠ و ٣١١. وابن كثير في تأريخه ٧ / ٣٥٦. وفي شرح نهج البلاغة، ط. مصر الاولى ٧٨ / ٢ ما ملخصه:

دخلت عائشة وهما يتناجيان، فقالت: يا علىّ ليس لى إلّا يوم من تسعة أيام، أفما تدعنى يا ابن أبى طالب!؟

أما في حديث الامام عليّ عن بدء نزول الوحي وهو الشاهد الوحيد الذي كان عندئذ مع الرسول (ص) في غار حراء : أنه سمع رنة حينئذ وأن الرسول (ص) أخبره أن الرنة من الشيطان لأنه ليس من عبادته.

وفي حديثه أيضا : إن الله قرن برسول الله (ص) منذ أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره.

وفي حديثه عن وفاة رسول الله (ص) أنه أدناه إليه وأخذ يناجيه ويسرّ إليه ويوصي حتى قبض (ص)<sup>٥٦٤</sup> وسالت نفسه في كفه فأمرها على وجهه وأنه أخذ في تغسيله وتكفينه والملائكة أعوانه في ذلك، وقد ضجّت الدار والافنية ملا يهبط وملا يعرج، وأنه ما فارقت سمعه هينمة منهم يصلون عليه حتى واره في ضريحه.

إنّ أمثال هذه الاحاديث عن سيرة الرسول بمدرسة أهل البيت - أيضا - كوّنت رؤية خاصة لمن يعتقد بها، ولن يتيسر تقارب بين المسلمين ما لم تدرس المجموعتان من الاحاديث معا دراسة مقارنة لنصل إلى الحقيقة المنشودة ثمّ

ص: ٣٣٥

يتفاهم الاخوة المسلمون في ضوء تلك الدراسات إن شاء الله تعالى .

ونؤكد مرة اخرى أنّ في مقدّمة ما ينبغي دراسته دراسة مقارنة؛ أخبار سيرة الرسول الاكرم (ص) وتاريخ عصر الرسول (ص) وعصر من تشرف بصحبته.

حديثان متعارضان من أمّ المؤمنين عائشة وموقفان مختلفان روى ابن عساكر أنّ امرأتين سألتا عائشة، فقالتا:

يا أمّ المؤمنين أخبرينا عن عليّ، قالت : أى شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله (ص) موضعا فسالت نفسه في يده فمسح بها وجهه، واختلفوا في دفنه، فقيل : إنّ أحبّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيّه . قالتا: فلم خرجت عليه؟ قالت: أمر قضي، لوددت أن أفديه بما في الارض.<sup>٥٦٧</sup>

إنّ حديثها هذا يتفق مع حديث الامام عليّ الذي قال فيه:

قبض رسول الله (ص) وإنّ رأسه على صدرى، ولقد سألت نفسه في كفى وأمررتها على وجهى.

ويتعارض مع حديثها:

(انخنت بين حاقنتى وذاقنتى).

وروى ابن عساكر - أيضا - عن عائشة أنّها قالت: قال رسول الله (ص) وهو في بيتها لمّا حضره الموت:

<sup>٥٦٤</sup> (١). وقد أيد حديثه، حديث أم سلمة وغيرها في ذلك.

<sup>٥٦٧</sup> (١). الحديث أخرجه ابن عساكر في ترجمة الامام على ١٥ / ٣.

ادعوا لى حبيبي ...

فدعوا عليًا فأتاه، فلمّا رآه أفرد الثوب الذى كان عليه ثم أدخله فيه فلم يزل يحتضنه حتّى قبض عليه.<sup>٥٦٨</sup>

حديثها هذا يتفق مع حديث عبد الله بن عمرو الذى قال فيه:

ص: ٣٣٦

(إن رسول الله قال فى مرضه : ادعوا لى ع ليًا ... ) ويعارض أحاديثها، فى أن الرسول (ص) توفى بين سحرها ونحرها، وأمثالها، ومنشأ صدور الحديثين المتعارضين من أم المؤمنين عائشة؛ وسببه، اختلاف موقفها من الامام على. وبيانه:

موقفان مختلفان تجاه الامام على (ع):

بعد وفاة الرسول (ص) بويح الخليفة أبو بكر، وبقى علىّ ومعه جميع بنى هاشم ستة أشهر بحسب رواية أم المؤمنين عائشة لم يبايعوه حتّى توفيت فاطمة،<sup>٥٦٩</sup> ثمّ بقى الامام علىّ بعيدا عن الساحة، حتّى اخريات خلافة عثمان، حيث قادت أم المؤمنين عائشة<sup>٥٧٠</sup> المعارضين من طلحة والزبير وغيرهما لمجابهة الخليفة أملا منها فى أن يلى بعده ابن عمها طلحة. ولمّا قتل عثمان وبايع المسلمون عليًا أقامت عليه حرب الجمل، وانكسرت فيها وأرجعها الامام علىّ إلى المدينة، وبقيت حانقة عليه حتى استشهد، ومرّ بنا إظهارها للسرور من مقتله، ثمّ ولى الحكم معاوية وجمع بينهما الموقف الواحد من الامام، ثمّ فترت العلاقة بينهما على أثر قتل معاوية لحجر بن عدى.

ولمّا أراد معاوية أن يأخذ البيعة ليزيد، كان شقيقها عبد الرحمن بن أبى بكر من أشدّ المعارضين لبيعة يزيد، وخطب مروان فى مسجد الرسول (ص) وكان واليا على الحجاز من قبل معاوية، فقال:

إن أمير المؤمنين قد اختار لكم، فلم يأل، وقد استخلف لابنه يزيد بعده.

فقام عبد الرحمن بن أبى بكر، فقال: كذبت والله يا مروان! وكذب

ص: ٣٣٧

معاوية، ما الخيار أردتما لأمّة محمد، ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية، كلّما مات هرقل قام هرقل.

فقال مروان: هذا الذى أنزل الله فيه **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ افْ لَكُمْ الْاِحْقَافُ / ١٧**.

فسمعت عائشة مقالته من وراء الحجاب، فقامت من وراء الحجاب، وقالت : يا مروان! يا مروان! فأنصت الناس، وأقبل مروان بوجهه، فقالت:

<sup>٥٦٨</sup> (٢). الحديث أخرجه ابن عساكر فى ترجمة الامام على ١٥ / ٣.

<sup>٥٦٩</sup> (١). مرّت مصادر الخبر فى بحث السقيفة من هذا الكتاب.

<sup>٥٧٠</sup> (٢). أوردنا تفاصيل موقف عائشة من عثمان ومعاوية فى كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) فصل: مع معاوية، وأوردنا فهرستا من تلك الوقائع.

أنت القائل لعبد الرحمن أنه نزل فيه القرآن؟ كذبت والله ما هو به، ولكنه فلان بن فلان، ولكنك فضض من لعنة الله.

وفى رواية، فقالت: كذب والله ما هو به، ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان فى صلبه، فمروان فضض من لعنة الله عز وجل.<sup>٥٧١</sup>

وأخرج البخارى الحديث فى صحيحه وقال:

(كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد ابن معاوية لكى يبايع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبى بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذى أنزل الله فيه: **وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفَّ لَكُمْ أَتَعِدَانِي**. فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن إلا أن الله أنزل عذرى).<sup>٥٧٢</sup>

هكذا حذف البخارى قول عبد الرحمن: (تريدون أن تجعلوها هرقلية...) وأبدله بقوله: (قال شيئا) وحذف رواية أم المؤمنين عائشة فى حق مروان. بينا أوردها ابن حجر فى شرحه لصحيح البخارى المسمى بفتح البارى مفصلا، وفى لفظ بعضها: ولكن رسول الله (ص) لعن أبا مروان ومروان فى

ص: ٣٣٨

صلبه.<sup>٥٧٣</sup>

وإنما فعل الشيخ البخارى ذلك لأن معاوية ويزيد هما من خلفاء المسلمين، ولا يرى البخارى أن يسمع العامة قول عبد الرحمن فى حقهما، إنهما جعلوا الخلافة هرقلية كلما مات هرقل قام هرقل مقامه.

وحذف رواية أم المؤمنين عائشة فى مروان- أيضا- لأن مروان أصبح خليفة للمسلمين ولا ينبغى ذكر ما يشينه. هكذا فعل الشيخ البخارى فى صحيحه، فإنه حذف كل شىء يشين الخلفاء والحكام فى كل حديث جاء فيه من ذلك شىء. ومن ثم اعتبرت مدرسة الخلفاء كتابه أصح الكتب بعد كتاب الله، وعُدّه و إمام أهل الحديث لديهم.

\*\*\*

لما لم يستطع مروان أن يأخذ البيعة فى الحجاز ليزيد، قدم معاوية الحجاز حاجا ودخل المدينة، وكان من خبره ما رواه ابن عبد البر، حيث قال:

<sup>٥٧١</sup> (١). تأريخ ابن الاثير ٣ / ١٩٩ فى ذكر حوادث سنة ٥٦ هـ.

والفضض: القطعة من الشىء.

<sup>٥٧٢</sup> (٢). صحيح البخارى ٣ / ١٦، باب (والذى قال لَوْلَاذِيهِ) من تفسير سورة الاحقاف.

<sup>٥٧٣</sup> (١). فتح البارى ١٠ / ١٩٧-١٩٩. وأخرج القصة بتفصيلها أبو الفرج فى الاغانى ١٦ / ٩٠-٩١. وراجع ترجمة الحكم بن أبى العاص من الاستيعاب. واسبغ الغاية. والاصابة.

ومستدرک الحاكم ٤ / ٤٨١. وتاريخ ابن كثير ٨ / ٨٩. والاجابة فى ما استدركته عائشة على الصحابة. وترجمة عبد الرحمن بن أبى بكر فى تاريخ دمشق لابن عساکر.

(قعد معاوية على المنبر يدعو إلى بيعه يزيد، فكلمه الحسين بن علي، وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر، فكان كلام ابن أبي بكر: أهرقلية؟! إذا مات كسرى كان كسرى مكانه؟ لا نفعل والله أبدا . وبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم بعد أن أبي البيعة ليزيد، فردّها عليه عبد الرحمن، وأبى أن يأخذها، وقال : أبيع ديني بدنياي؟! فخرج إلى مكّة، فمات بها قبل أن تتمّ البيعة ليزيد ابن معاوية).<sup>٥٧٤</sup>

ص: ٣٣٩

وذكر ابن عبد البرّ بعده وقال:

(إنّ عبد الرحمن مات فجأة بموضع يقال له : «الحبشي»<sup>٥٧٥</sup> على نحو عشرة أميال من مكّة فدفن بها . ويقال: إنّه توفّي في نومة نامها، ولما اتّصل خبر موته باخته عائشة أمّ المؤمنين (رض) ظنعت من المدينة حاجة حتّى وقفت على قبره، وكانت شقيقته، فبكت عليه وتمثّلت:

من الدهر حتّى قيل لن يتصدّعا

وكنا كندمانى جذيمة حقبة

لطول اجتماع لم نبت ليلة معا<sup>٥٧٦</sup>

فلما تفرّقنا كآنى ومالكا

أما والله لو حضرتك لدفتنك حيث متّ مكانك، ولو حضرتك ما بكيتك).

وفي مستدرک الحاكم:

(رقد في مقبل قاله، فذهبوا يوقظونه فوجدوه قد مات، فدخل في نفس عائشة تهمة أن يكون صنع به شرّ وعجل عليه فدفن وهو حيّ).<sup>٥٧٧</sup>

ص: ٣٤٠

لو بقى عبد الرحمن حيّا لما تمّت بيعه يزيد مع موقفه الصارم ضدّ بيعته ومعه أمّ المؤمنين عائشة، فمات في طريق مكّة، كما مات مالک الاشر في طريق مصر مسموماً بسمّ دسّه إليه معاوية.<sup>٥٧٨</sup>

<sup>٥٧٤</sup> (٢). راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب ٢/ ٣٩٣. واسد الغابة ٣/

٣٠٦.

<sup>٥٧٥</sup> (١). في معجم البلدان:

الحبشي: جبل بأسفل مكّة، بينه وبين مكّة ستة أميال، مات عنده عبد الرحمن بن أبي بكر فجأة، فحمل على رقاب الرجال إلى مكّة، فقدمت عائشة من الم دينة وأتت قبره وتمثّلت: وكنا كندمانى جذيمة ... البيتين.

<sup>٥٧٦</sup> (٢). راجع ترجمة عبد الرحمن بن أبي بكر من الاستيعاب بهامش الاصابة ٢/ ٣٩٣.

<sup>٥٧٧</sup> (٣). مستدرک الحاكم ٣/ ٤٧٦. وكذلك في تلخيص المستدرک للذهبي وقد جاء فيه: (الحبشي).

<sup>٥٧٨</sup> (١). راجع فصل: مع معاوية، من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة).

مات عبد الرحمن ليفسح الطريق لبيعة يزيد، كما توفى قبله الامام الحسن بسمّ دسّه إليه معاوية . اغتيل عبد الرحمن في هذا السبيل، كما اغتيل سعد ابن أبى وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ولم يخف ذلك على امّ المؤمنين عائشة، فأقامت على بنى امية عامّة حربا شعواء من الدعاية القويّة ضدّهم بدأتها بنشر ما سمعته من النبي (ص) فى شأن مروان وأبيه الحكم، وقابلت سياسة معاوية خاصّة والتي كانت ترمى إلى طمس فضائل بنى هاشم عامّة وبيت الامام خاصّة، لمقام الحسين عند المسلمين، وهو يريد أن يورث ا لخلافة فى عقبه وبلغ الامر به أن أمر بلعن الامام على (ع) على منابر المسلمين، عندئذ قابلت امّ المؤمنين عائشة هذه السياسة مقابلة قوية وأخذت تنشر فى هذا الدور فضائل الامام علىّ وشبيليه الحسن والحسين سبطى رسول الله (ص) وزوجته فاطمة ابنة رسول الله (ص) ومن ثم روى عنها فى فضائلهم بعض ما كانت سمعته من رسول الله (ص) وما شاهده، ومن جملته الحديثان الانفان المتعارضان مع أحاديثها الاخرى فى وفاة الرسول (ص).

\*\*\*

كان موقف امّ المؤمنين عائشة من حديث الوصية جزءا من عمل الخلافة القرشيه مع أحاديث الرسول (ص) فى شأن أهل بيته تبعا لسياسة عامة قريش:

(ألا تجتمع النبوة والخلافة فى بنى هاشم) كما يأتى ذكرها فى البحث الاتى بإذنه تعالى.

ص: ٣٤١

كتمان فضائل الامام علىّ ونشر سبّه ولعنه والسبب فيهما

نبدأ فى ما يأتى بذكر السبب فى ذينك ثم نوالى إيراد أخبار كتمان فضائل الامام علىّ ونشر سبّه ولعنه.

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة فى بنى هاشم

: روى الطبرى محاورتين جرتا بين الخليفة عمر وابن عباس وقال: قال الخليفة فى إحداهما لابن عباس:

ما منع قومكم منكم - أى ما منع قومكم قريشا من ولايتكم -؟

قال ابن عباس: لا أدرى!

قال عمر: لكننى أدرى، يكرهون ولايتكم لهم!

قال ابن عباس: لم ونحن كالخير!؟

قال: غفرا؛ يكرهون أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فيكون بَجْحًا بَجْحًا . لعلكم تقولون إنّ أبا بكر فعل ذلك، لا والله ولكنّ أبا بكر أتى أحزم ما حضره. الحديث.

وفى الثانية قال:

يا ابن عباس! أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد؟

فكرهت أن اجيبه، فقلت: إن لم أكن أدرى فأمر المؤمنين يُدريني.

فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحا بجحا؛ فاختارت قريش لانفسها فأصابته ووقفت.

ص: ٣٤٢

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت.

فقال: تكلم يا ابن عباس.

فقلت: أمّا قولك - يا أمير المؤمنين - اختارت قريش لانفسها فأصابته ووقفت؛ فلو أن قريشا اختارت لانفسها حيث اختار الله عز وجل لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأمّا قولك إنهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة؛ فإن الله عز وجل وصف قوما بالكرهية فقال: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ.**

فقال عمر: هيهات والله يا ابن عباس؛ قد كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أقرّك عليها فتزِيل منزلتك مني.

فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقًا فما ينبغي أن تزِيل منزلتي منك، وإن كانت باطلا فمتلى أَمَا الباطل عن نفسه.

فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسدا وظلما.

فقلت: أمّا قولك - يا أمير المؤمنين - ظلما فقد تبين للجاهل والحليم، وأمّا قولك حسدا؛ فإن إبليس حسد آدم فنحن ولده المحسودون.

فقال عمر: هيهات! أبت والله قلوبكم - يا بني هاشم - إلا حسدا ما يحول، وضغنا وغشا ما يزول.

فقلت: مهلا يا أمير المؤمنين! لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالحسد والغش؛ فإن قلب رسول الله (ص) من قلوب بني هاشم.

فقال عمر: إليك عني يا ابن عباس.

فقلت: أفعَل.

فلما ذهبت أقوم استحيا مني فقال:

ص: ٣٤٣



يا ابن عباس مكانك! فوالله إنى لراعٍ لحقك، محبٌ لما يسرك.

فقلت: يا أمير المؤمنين! إن لى عليك حقًا وعلى كلِّ مسلم؛ فمن حفظه فحظّه أصاب، ومن أضاعه فحظّه أخطأ . ثمّ قام فمضى.<sup>٥٧٩</sup>

### وقفه تأمل لدراسة الحديثين:

فى الحديثين صرّح الخليفة عمر بأنّ قريشا كرهوا أن يجتمع فى بنى هاشم النبوة والخلافة فيتبجّح بنو هاشم على قريش بجّحا أى يتباهوا بذلك على قريش مباهاة.

وقال فى الثانى: (فاختارت قريش لانفسها فأصابت ووفقت). إذا فقد بحثت قريش فى أمر الولاية عن مصلحة أنفسهم - فى ظاهر الامر الدينوى - وليس مصلحة سائر المسلمين. وأى فرق للمسلمين أىّ قبيلة من قريش وليت الحكم بعد رسول الله (ص).

وفى تصويبه عمل قريش لم يستدلّ بغير قوله (اختارت قريش لانفسها) ولم يذكر أى دليل آخر من كتاب الله أو سنّة رسوله (ص).

ويستفاد من جواب ابن عباس (فلو أنّ قريشا اختارت لانفسها حيث اختار الله عزّ وجلّ لها لكان الصواب بيدها) أمران:

أولاً- إنّ اختيار قريش كان فى غير ما اختاره الله، ويقصد حيث اختار الله الامام عليّا (ع). كما سنورد الايات والاحاديث فى هذا الصدد بعيد هذا إن شاء الله تعالى.

ثانيا- إنه ليس لقريش أن تختار غير ما اختاره الله. ويشير بقوله هذا إلى

ص: ٣٤٤

قوله تعالى فى سورة الاحزاب:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦). وشدّد النكير على كراهية قريش أن تجتمع النبوة والخلافة فى بنى هاشم وقال: إنّ الله عزّ وجلّ وصف قوما بالكراهية فقال: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (محمد/ ٩). وقد فصلنا القول فى مدلول حبط الاعمال فى بحث «جزاء الاعمال» من كتاب «عقائد الاسلام» فليراجع.

<sup>٥٧٩</sup> (١). فى ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٢٣ هـ من تأريخ الطبرى، ط. مصر الاولى / ١ - ٣٠ - ٣٢، وطبعة اوربا / ١ - ٢٧٤٨ - ٢٧٧٢، والثانية منهما - أيضا - فى تأريخ ابن الاثير ٣ / ٢٤ - ٢٥، واللفظ للطبرى.

وفى جواب الخليفة لابن عباس لم يجد ردًا لدعوى ابن عباس أن قريشا اختاروا غير ما اختار الله وغير ما أنزل الله؛ بل جابهه بنقل ما بلغه أن ابن عباس قال : (إنما صرفوها عنّا حسدا وظلما) ولم ينكر ذلك ابن عباس، بل أبان حجته فى هذا القول وقال:

(أما قولك: ظلما؛ فقد تبين للجاهل والحليم).

يعنى ابن عباس من قوله هذا أن قوله: بأن بنى هاشم ظلموا فى تنحية الامام على عن الحكم ليس يخصّ ابن عباس وحده ليكون هو الذى كشف بقوله ذلك عن تلك الحقيقة، بل إنّ ذلك قد تبين لجميع الناس، العاقل الحصيف منهم، والجاهل الخسيس.

وأجاب عن قوله (حسدا) وقال: (إنّ إبليس حسد آدم ونحن ولده المحسودون).

ولعلّ ابن عباس يشير فى كلامه هذا إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ \* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٣ - ٣٤) أى  
إنّ بنى هاشم من ذرية من حسده إبليس لأنّ الله اصطفاهم، وللذرية اسوة فى ذلك بأبائهم.

وأخيرا جاش صدر الخليفة بالغیظ ولم يتحمّل أقوال ابن عباس وقال له:

ص: ٣٤٥

(هيهات! أبت والله قلوبكم يا بنى هاشم إلا حسدا ما يحول، وضغنا وغشا ما يزول).

فأجابه ابن عباس وقال : (مهلا يا أمير المؤمنين ! لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا بالحسد والغش؛ فإنّ قلب رسول الله (ص) من قلوب بنى هاشم).

ونترك شرح كلمة الخليفة لما فيها من قسوة. أمّا كلمة ابن عباس فقد أشار فيها إلى قوله تعالى فى سورة الاحزاب : **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (٣٣)**. ولما لم يستطع الخليفة أن يردّ على ابن عباس قوله، أمره بالابتعاد عنه وقال له: (إليك عنى يا ابن عباس!) أى ابتعد عنى، ولما أطاع ابن عباس أمر الخليفة وأراد أن يقوم؛ لانّ عليه الخليفة وختم الامر بينهما بالحسنى، واستمرت الخلافة القرشية كسائر قريش فى كرهها لاستيلاء بنى هاشم على الحكم . كما يظهر ذلك من المحاورة التى دارت بين الخليفة وابن عباس بعد موت عامل حمص حيث خاطب الخليفة ابن عباس بقوله:

يا ابن عباس! إنّ عامل حمص هلك، وكان من أهل الخير - وأهل الخير قليل - وقد رجوت أن تكون منهم، وفى نفسى منك شىء لم أره منك، وأعيانى ذلك، فما رأيك فى العمل؟

قال: لن أعمل حتّى تخبرنى بالذى فى نفسك.

قال: وما تريد إلى ذلك؟

قال: اريده، فإن كان شيء أخاف منه على نفسي، خشيت منه عليها الذي خشيت، وإن كنت بريئاً من مثله علمت أنّي لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فأني قلما رأيتك طلبت شيئاً إلا عاجلته.

فقال: يا ابن عباس! إنني خشيت أن يأتي عليّ الذي هو آت وأنت في

ص: ٣٤٦

عملك فتقول: هلمّ إلينا ولا هلمّ إليكم دون غيركم ... الحديث.<sup>٥٨٠</sup>

يظهر أنّ هذه المحاوره جرت بينهما في اخريات حياة عمر . وجرت في آخر شهر من حياة الخليفة عمر ما رواه في هذا الصد البخارى بسنده وقال:

عن ابن عباس أنّه قال : كنت اقرئ رجلا من المهاجرين منهم عبد الرحمن ابن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجّها إذ رجع إلى عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين! هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلانا، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت. فغضب عمر ثم قال: إنني إن شاء الله لقاتم العشية في الناس فمحدّتهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم امورهم . قال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين! لا تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كلّ مطير، وأن لا يعوها وأن لا يضعونها على مواضعها، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس فتقول ما قلت متمكنا، فيعي أهل العلم مقالاتك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر: أما والله إن شاء الله لا قومنّ بذلك أوّل مقام أقومه بالمدينة.

فقال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة فلما كان يوم الجمعة عجلنا الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حوله تمسّ ركبتى ركبتيه فلم أنشب أن خرج عمر اب ن الخطاب فلما رأته مقبلا قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ليقولنّ العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف . فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما

ص: ٣٤٧

لم يقل قبله؟ فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأنتى على الله بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد! فأني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها، لا أدري لعلها بين يدي أجلى، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا يعقلها فلا احلّ لاحد أن يكذب عليّ - إلى قوله - ثمّ إنّه بلغنى أنّ قاتلا منكم يقول :

<sup>٥٨٠</sup> (١) مروج الذهب للمسعودى ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢.

والله لو مات عمر بايعت فلانا فلا يغترنّ امرؤ أن يقول إنّما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمّت، ألا وإنّها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرّها، وليس منكم من تقطع الاعناق إليه مثل أبي بكر . من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرّة أن يُقتلا . - إلى قوله فى آخر الخطبة أيضا- فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرّة أن يقتلا.<sup>٥٨١</sup>

يا ترى! من هو فلان المعزوم على بيعته؟ ومن هو فلان الذى أهاج بقوله غضب الخليفة فخطب وقال فى خطبته ما قال؟ إن ابن أبى الحديد الشافعى قد كشف فى بعض ما رواه عن اسميهما وقال:

(إن الرجل الذى قال: لو قد مات عمر لبايعت فلانا؛ عمّار بن ياسر قال : لو قد مات عمر لبايعت عليّا . فهذا القول هو الذى أهاج عمر أن خطب بما خطب به).<sup>٥٨٢</sup>

### دراسة مفهوم الخطبة:

يفهم من كلام الخليفة أنّه خشى أن يفلت زمام الامر بعد وفاته من يد

ص: ٣٤٨

قريش ويبادر غيرهم من المسلمين - صحابة وتابعين - إلى بيعة من يكرهون ولايته، وهو الامام على، ولذلك ابتكر طريقة سدّ بها الطريق على اولئك وقال: (من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرّة أن يُقتلا). قال ذلك فى حين أنّه بنفسه ولى أمر المسلمين دون مشورة المسل مين، واستند فى شرعية حكمه إلى تعيين الخليفة أبى بكر له، ومهما يكن من أمر فقد أمسك - بطرحه ذلك - بزمام الامر بقوة بيده، ثمّ طرح بعد ذلك بقليل، وعندما طعن، وأمر بأن يجتمع ستة من قريش ليختاروا واحدا منهم للخلافة، وجعل أمر ترشيح الخليفة بيد عبد الرحمن بن عوف، وش رط هذا- للبيعة- عمل الخليفة بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقبل عثمان الشرط ورفضه الامام على (ع)، وكانوا يعلمون أنّ الامام عليا لا يقبل أن يجعل سيرة أبى بكر وعمر فى عداد كتاب الله وسنة رسوله . وإذا رجعنا إلى ص ١٧٥ من هذا الكتاب نجد الخليفة عمر ينبئ سعيد بن العاص الاموى أنّ الذى يلى الامر من بعده هو ذو رحم سعيد، وقد ولى بعد الخليفة عمر ذو رحم سعيد (عثمان بن عفان الاموى)، ولعلنا نجد السبب- أيضا- فى ص ١٧١ منه أنّ أبى بكر دعا عثمان خاليا فقال: (اكتب ... هذا ما عهد أبو بكر إلى المسلمين، أمّا بعد ) فاغوى عليه فذهب عنه، (فكتب عثمان: أمّا بعد! فأني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب) ولما أفاق أمضى ما كتبه عثمان من توليته عمر لأنه كان قد وافق قصده.

وعن أمر من يلى بعد عثمان روى اليعقوبى وقال:

<sup>٥٨١</sup> (١) . صحيح البخارى ١١٩ / ٤ - ١٢٠، باب رجم الحبلى من الزنا من كتاب الحدود. وقد أوردنا مورد الحاجة من الخطبة ص ١٥٦ قبل هذا. (و يضعونها)

كذا جاءت فى الاصل والصواب: يضعوها.

<sup>٥٨٢</sup> (٢) . فى شرح الخطبة (٢٦) من شرح ابن أبى الحديد لهج البلاغة.

إنَّ عثمانَ اعتلَّ علَّةً اشتدَّت به، فدعا حمران بن أبان، وكتب عهداً لمن بعد ه، وترك موضع الاسم، ثمَّ كتب بيده : عبد الرحمن بن عوف، وربطه وبعث به إلى أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، فقرأه حمران في الطريق فأتى عبد الرحمن فأخبره، فقال عبد الرحمن، وغضب غضباً شديداً: أستعمله علانية،

ص: ٣٤٩

ويستعملني سرّاً! ونمى الخبر وانتشر بذلك في المدينة . وغضب بنو أمية، فدعا عثمان بحمران مولاه، فضربه مائة سوط، وسيّره إلى البصرة. فكان سبب العداوة بينه وبين عبد الرحمن ابن عوف.

ووجّه إليه عبد الرحمن بن عوف بابنه، فقال له: قل له: والله لقد بايعتك، وإنَّ فيّ ثلاث خصالٍ أفضلُك بهنَّ ... الخبر.<sup>٥٨٣</sup>

ويظهر أنَّه كان قد بُتَّ في أن يلي الحكم بعد عثمان عبد الرحمن بن عوف غير أن عبد الرحمن توفّي قبل عثمان سنة ٣١ أو ٣٢ ه بعد أن اشتدَّ الخصام بينهما،<sup>٥٨٤</sup> وكذلك وقع الخلاف بين بنى أمية «الاسرة الحاكمة من قريش» وسائر أفخاذ قريش، وقادت أم المؤمنين عائشة اسرتها من تميم والمخالفين حتى سقطت الخليفة عثمان قتيلاً في داره في المدينة وبمحضر من المهاجرين والانصار.<sup>٥٨٥</sup>

عند ذلك ملك المسلمون أمرهم وانحلّوا من كلِّ بيعة سابقة توثقهم فتهافتوا على الامام على (ع) يبايعونه وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله (ص)، ولمّا ولي الامام على (ع) الحكم ألغى جميع امتيازات قريش التي مُنحوها على عهد الخلفاء قبله، وساوى بين سراوات قريش وسائر المسلمين - العرب منهم والموالي - في تقسيم بيت المال والمنزلة الاجتماعية، فلملمت قريش أطرافها بعد أربعة أشهر من حكمه، وأقامت عليه حرب الجمل التي اجتمع فيها مروان (المطالب بدم عثمان) وطلحة والزبير (الذنان حرّضاً على قتل عثمان) بقيادة أم المؤمنين عائشة التي أفتت بقتل عثمان، ثمَّ أقامت قريش عليه حرب صفين.

ص: ٣٥٠

أقامت الحربين عليه باسم الطلب بدم عثمان، وبذلك شوّشت قريش على المسلمين في خارج المدينة الروية الصحيحة . وبعد تحكيم الحكيمين بصفيين خرجت على الامام الخوارج بنهروان. ولهذا كلّه تكرر شكوى الامام من ظلم قريش مثل قوله في كتابه لآخيه عقيل:

«فَدَعُ عَنْكَ قَرِيْشًا وَتَرَكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ، وَتَجَوَّاهُمْ فِي الشَّقَاقِ، وَجَمَّاحَهُمْ فِي التَّيِّبِ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَيَّ حَرْبِي كِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيَّ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) قَبْلِي؛ فَجَزَّتْ قَرِيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي، فَقَدْ قَطَعُوا رَحْمِي ... الْكِتَابِ».<sup>٥٨٦</sup>

<sup>٥٨٣</sup> (١) تاريخ يعقوبى ١٦٩ / ٢.

<sup>٥٨٤</sup> (٢) راجع الاوائل لابي هلال العسكري، ط. بيروت ١٤٠٧، ص ١٢٩. وشرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٦٩ / ١.

<sup>٥٨٥</sup> (٣) راجع كتابنا: (أحاديث أم المؤمنين عائشة)، ط. بيروت عام ١٤٠٨، ص ٨٧ - ١٦٢، فصل في عهد الصهرين.

<sup>٥٨٦</sup> (١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده - الرسائل، الكتاب رقم ٣٦. والاغانى، ط. ساسى ١٥ / ٤٤.

وأخبر عن مشاجرة وقعت بينه وبين أحدهم وقال:

وقد قال قائل: إنك على هذا الامر لحريص.

فقلت: بل أنتم والله لا حرص وأبعد، وأنا أخص وأقرب! وإنما طلبتُ حقاً لى وأنتم تحولون بينى وبينه، وتضربون وجهى  
دونه فلما قرعته بالحجة في الملا الحاضرين هب كأنه [بُهِت] لا يدري ما يُجيبني به!

اللهم إنى أستعينك على قريش ومن أعانهم؛ فإنهم قطعوا رحمى، وصغروا عظيم منزلتى، وأجمعوا على منازعتى أمراً هو  
لى، ثم قالوا: ألا إن [فى] الحق أن تأخذه وفى الحق أن تتركه.<sup>٥٨٧</sup>

ص: ٣٥١

وقال فى خطبة اخرى:

«اللهم إنى أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمى وأكفأوا إنائى، وأجمعوا على منازعتى حقاً كنت أولى به  
من غيرى، وقالوا ألا إن فى الحق أن تأخذه وفى الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو متأسفاً. فنظرت فإذا ليس لى رافد،  
ولا ذاب، ولا مساعد إلا أهل بيتى فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجى، وصبرت من  
كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار».<sup>٥٨٨</sup>

وأخيراً استشهد الامام (ع) بيد أحد الخوارج فى محراب مسجد الكوفة وبعد استشهاد الامام على (ع) استولى معاوية على  
الحكم فى سنة أربعين للهجرة وسموا هذا العام بعام الجماعة وهو فى الحقيقة عام الجماعة لقريش،

ص: ٣٥٢

واستمر حكم معاوية عشرين عاماً، وتوفى فى سنة ستين للهجرة.

\*\*\*

---

والتركاظ: مبالغة فى الركض، واستعاره لسرعة خواطهم فى الضلال، وكذلك التجوال من الجول والجولان، والشقاق : الخلاف، وجماعهم: استعصاهم على  
سابق الحق، والتهيه: الضلال والغواية.

الجوازي: جمع جازية بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم

<sup>٥٨٧</sup> (٢). نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: ١٦٧. وطبعة بيروت للدكتور صبحى الصالح، الخطبة: ١٧٢-.

<sup>٥٨٨</sup> (١). نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الخطبة: ٢١٢.

وقد جاء القسم الاول منها فى كتاب الغارات للتقى ص ٣٩٢.

وأستعديك: أستعينك، وأكفأ الاناء أى قلبه، كناية عن تضييعهم حقه.

والرافد: المعين، والذاب: المدافع، و«ضننت» أى: بخلت، والقذى: ما يقع فى العين،

والشجى: ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه، يريد غصّة الحزن.

والشفار: جمع شفرة، وهى حدّ السيف وغيره.

كان ذلكم بعض آثار كراهية قريش لحكم الامام على (ع)، ومن آثار تلك الكراهية من عهم نشر حديث الرسول (ص) كما سنذكرها في ما يأتي بإذنه تعالى.

منع كتابة حديث الرسول (ص):

روى عبد الله بن عمرو بن العاص وقال:

«كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله (ص) فنهتني قريش وقالوا:

تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الغضب والرضا! فأمسكت عن الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله (ص) فأوماً بإصبعه إلى فيه وقال: اكتب! فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق».<sup>٥٨٩</sup>

صرحت قريش بسبب نهياها عن كتابة حديث الرسول (ص) وهو أن يكون حديثه في حال غضبه على أحد أو حال رضاه من أحد.

ففي الاولى يبقى حديث الرسول (ص) منقصة له، ونحن نعلم كم تحدت الرسول (ص) عن عتاة قريش وشرح الايات التي نزلت تقريرا لهم!

وفي الثانية يبقى حديث الرسول (ص) نصاً في حق أحد لا يرضون أن ينشر نصاً له.

ولهذا السبب نفسه منعوا كتابة وصية الرسول (ص) في مرض وفاته عندما قال:

«هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده».

فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع، وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله.

ص: ٣٥٣

وقالوا: «ما شأنه! أهجر؟».<sup>٥٩٠</sup>

كان هذا المنع وذلك النهي بسبب الخشية من أن ينشر نص عن الرسول (ص) في حق من يكرهون ولايته فتجتمع الخلافة والنبوة في بيتهم!

وبسبب تلكم الكراهية - أيضاً - منع الخليفة عمر في عهد خلافته من كتابة حديث الرسول (ص)، وأحرق ما كتبه الصحابة من حديث الرسول (ص)، وبقي المنع نافذا حتى عصر الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز وجرت امور اخرى ذكرناها في

<sup>٥٨٩</sup> (١). راجع مصادره في ص ٤٤ من المجلد الثاني من هذا الكتاب، الطبعة الثالثة.

<sup>٥٩٠</sup> (١). راجع ص ٤٤ - ٤٦ من المجلد الثاني من هذا الكتاب المتن والهامش. ومر ذكر ذلك في ص ١٥٢ - ١٥٣ من هذا المجلد.

فصل: (منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء) من المجلد الثاني من هذا الكتاب، وجرى بعد عهد الخلفاء الأربعة ما سنذكره على التوالي في ما يأتي إن شاء الله تعالى:

سياسة الخلافة القرشبية وسائر بنى أمية:

أ- على عهد معاوية:

ذكر الجاحظ بإيجاز سياسة الخلافة القرشبية على عهد معاوية كما رواه ابن أبي الحديد وقال:

قال أبو عثمان الجاحظ: إن معاوية أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسبب علي (ع) والبراءة منه.

وخطب بذلك على منابر الاسلام، وصار ذلك سنة في أيام بنى أمية إلى أن قام عمر بن عبد العزيز (رض) فأزاله.

وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة:

اللهم إن أبا تراب ألد في دينك، وصد عن سبيلك، فالعنه لعنا

ص: ٣٥٤

وببلا، وعذبه عذابا أليما . وكتب بذلك إلى الافاق، فكانت هذه الكلمات يُشار بها على المنابر إلى خلافة عمر بن عبد العزيز.<sup>٥٩١</sup>

روى الطبري<sup>٥٩٢</sup> وقال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة إحدى وأربعين، فلما أمره عليها دعاه، وقال له: قد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة أنا تاركها اعتمادا على بصرك، ولست تاركا إيصاءك بخصلة، لا تترك شتم عليّ وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب لأصحاب علي، والاقصاء لهم، والاطراء لشبيعة عثمان، والادناء لهم . فقال له المغيرة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك، فلم يذممني، وستبلو فتحمداً أو تدمم، فقال: بل نحمد إن شاء الله.

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني في كتاب الاحداث وقال:

---

<sup>٥٩١</sup> (١). شرح الخطبة السابعة والخمسين من خطب نهج البلاغة في شرح ابن أبي الحديد، ط. الاولى، فصل في ما روى من سب معاوية وحزبه لعلى ١/ ٣٥٦، وطبعة دار إحياء

الكتب العربية بمصر سنة ١٣٨٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/ ٥٦. وهو مصدر ما نرويّه عن شرح ابن أبي الحديد في ما يأتي.

وأبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر اللبثي البصري اللغوي النحوي، توفي سنة ٢٥٥ هـ في البصرة وكان مانلا إلى النصب، ومن كتبه (العثمانية) التي نقض عليه أبو جعفر الاسكافي

محمد بن عبد الله (ت: ٢٤٠ هـ) والشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ).

<sup>٥٩٢</sup> (٢). في حوادث سنة إحدى وخمسين من الطبري، ط. اوربا ٢/ ١١٢-١١٣، و ط.

الاولى ١٠٨/٦، و ط. دار المعارف القاهرة ٥/ ٢٥٣-٢٥٤. وابن الاثير ٣/ ٢٠٢.



كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة : أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب، وأهل بيته، ... وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة.<sup>٥٩٣</sup>

ص: ٣٥٥

وقال: كتب معاوية<sup>٥٩٤</sup> إلى عماله في جميع الافاق: ألا يجيزوا لاحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه، وأهل ولايته، والذين يروون فضائله ومناقبه، فادنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا إليّ بكلّ ما يروى كلّ رجل منهم، واسمه، واسم أبيه، وعشيرته، ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطايع، ويفضيه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية، فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه، وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً، ثم كتب إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأوّلين، ولا تتركوا خيرا يرويه أحدٌ من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمنافض له في الصحابة فإنّ هذا أحبّ إليّ وأقرّ إلى عيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشدّ عليهم من مناقب عثمان، وفضله، فقرأت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، والتقى إلى معلّمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلماهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه، وتعلّموه كما يتعلّمون القرآن، وحتى علّموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله ... فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة ... الحديث.<sup>٥٩٥</sup>

ص: ٣٥٦

وقد روى ابن عرفة المعروف بنفطويه، وهو من أكابر المحدثين وأعلامهم، في تأريخه ما يناسب هذا الخبر وقال: «إن أكثر الاحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بنى امية تقرباً إليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به انوف بنى هاشم».<sup>٥٩٦</sup>

وروى ابن أبي الحديد<sup>٥٩٧</sup> عن أبي جعفر الاسكافي وقال: «إنّ معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ (ع) تقتضى الطعن فيه، والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلاً يُرغب في مثله».

<sup>٥٩٣</sup> (٣). شرح الخطبة (٢٠٨) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. مصر الاولى ٣/ ١٥-١٦. ومنه نقل كلّ ما نقل من شرح ابن أبي الحديد.

<sup>٥٩٤</sup> (١). قد نقل كتاب معاوية هذا أيضا أحمد أمين في فجر الاسلام ص ٢٧٥.

<sup>٥٩٥</sup> (٢). في شرح « من كلام له، وقد سأله سائل عن أحاديث البدعة » من شرح النهج ٣/ ١٥-١٦، أورد ابن أبي الحديد الروايتين المرويّتين عن ( المدائني).

وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ٣١٥ هـ) ذكر له النديم في الاحداث ٢٥ كتابا (الفهرست ص ١١٥).

<sup>٥٩٦</sup> (١). المصدر السابق؛ و ص ٢١٣ من فجر الاسلام.

ونفطويه هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الازدي قال في ترجمته بتاريخ بغداد : كان صدوقا له مصنّفات كثيرة؛ وقال المسعودي في ذكر المؤرخين وأصحاب الاخبار في أول كتابه مروج الذهب ١/ ٢٣: وكذلك تأريخ أبي عبد الله الملقّب بنفطويه فمحمّد من ملاحه كتب الخاصّة مملوء من فوائد السادة وكان أحسن أهل عصره تأليفا وأملحهم تصنيفا وذكر أسماء مؤلفاته في هدية العارفين ص ٥ وقال (ت: ٣٢٣ هـ).

وروى في هذا الصدق عن الصحابة عن عمرو بن العاص، الحديث الذي أخرجه البخارى <sup>٥٩٨</sup> ومسلم في صحيحهما مسندا متصلا بعمرو بن

ص: ٣٥٧

العاص، قال: سمعت رسول الله يقول جهارا غير سرّ: <sup>٥٩٩</sup> «إن آل أبي طالب ليسوا لى بأولياء، إنما وليى الله وصالح المؤمنين».

وفى البخارى بعده بطريق آخر عنه: (ولكن لهم رحما أبلاها ببالها) - يعنى أصلها بصلتها - انتهى.

كانت تلكم رواية ابن أبى الحديد عن صحيح البخارى وفى طبقات البخارى فى عصرنا بدّل لفظ (آل أبى طالب) ب: (آل أبى فلان).

وروى الطبرى أنّ المغيرة بن شعبة، أقام سبع سنين وأشهرا فى الكوفة لا يدع شتم علىّ والوقوف فيه، والعيب لقتلة عثمان واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له والتزكية لأصحابه، <sup>٦٠٠</sup> غير أنّ المغيرة كان يدارى، فيشتدّ مرّة، ويلين اخرى.

وروى الطبرى: أنّ المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدى وكان المغيرة يومذاك أميرا على الكوفة من قبل معاوية: «إياك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، وإياك أن يبلغنى عنك أنك تذكر شيئا من فضل علىّ علانية، فإنك لست بذاكر م ن فضل علىّ شيئا أجعله، بل أنا أعلم بذلك، ولكن هذا السلطان قد ظهر، وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا ممّا أمرنا به، ونذكر الشىء الذى لا نجد منه بدّا ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة، فإن كنت ذاكرا فضله، فاذكره بينك وبين أصحابك، وفى منازلكم سرّا، وأمّا علانية فى المسجد، فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا ولا يعذرنا به...» <sup>٦٠١</sup> الحديث.

ص: ٣٥٨

<sup>٥٩٧</sup> (٢). شرح النهج، ط. مصر الاولى / ١ / ٣٥٨. والاسكافى نسبة إلى الاسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط. وأبو جعفر الاسكافى فى مادة الاسكاف من معجم البلدان عداده فى أهل بغداد أحد المتكلمين من المعتزلة (ت: ٢٠٤ هـ) وقال ابن حجر فى ترجمته:

محمد بن عبد الله الاسكافى؛ من متكلمى المعتزلة وأحد أئمتهم؛ وإليه تنسب الطائفة الاسكافية منهم؛ وهو بغدادى أصله من سمرقند، قال ابن النديم: كان عجيب الشأن فى العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والنزاهة، بلغ فى مقدار عمره ما لم يبلغه أحد؛ وك ان المعتصم يعظمه. وله مناظرات مع الكرابيسى وغيره. توفى سنة ٢٤٠، لسان الميزان / ٥ / ٢٢١.

<sup>٥٩٨</sup> (٣). قد ذكر البخارى هذا الحديث فى صحيحه ٣٤ / ٤، كتاب الادب، باب يبيل الرحم ببالها بطريقين عن ابن العاص. وفى ط. البخارى كنى عن آل أبى طالب بآل أبى فلان.

<sup>٥٩٩</sup> (١). هذه الزلطة فى رواية البخارى الثانية عن ابن العاص وكنى - أيضا - وقال آل أبى فلان. ومسلم / ١ / ١٣٦ كتاب الايمان، باب موالة المؤمنين ومقاطعة غيرهم.

<sup>٦٠٠</sup> (٢). الطبرى، ط. اوربا / ٢ / ١١٢.

<sup>٦٠١</sup> (٣). الطبرى، ط. اوربا / ٢ / ٣٨.

وقال اليعقوبي<sup>٦٠٢</sup> ما موجزه:

وكان حجر بن عدى الكندى، وعمرو بن الحمق الخزاعى وأصحابهما من شيعة على بن أبى طالب، إذا سمعوا المغيرة وغيره من أصحاب معاوية، وهم يلعنون عليا على المنبر، يقومون فيردون عليهم، ويتكلمون فى ذلك.

فلما قدم زياد الكوفة وجّه صاحب شرطه إليهم، فأخذ جماعة منهم فقتلوا، وهرب عمرو بن الحمق الخزاعى إلى الموصل وعدة معه، وأخذ زياد حجر بن عدى الكندى وثلاثة عشر رجلا من أصحابه فأشخصهم إلى معاوية فكتب فيهم أنهم خالفوا الجماعة فى لعن أبى تراب، وزرّوا على الولاة، فخرجوا بذلك من الطاعة، وأنفذ شهادت قوم . فلما صاروا بمرج عذراء من دمشق على أميال، أمر معاوية بإيقافهم هناك، ثم وجّه إليهم من يضرب أعناقهم، فكلمه قوم فى ستّة منهم فأخلى سبيلهم، وأمر أن يعرض على البلقى البراءة من على واللعن له فقالوا : إن فعلتم تركناكم وإن أبيتم قتلناكم، فأبرأوا منه نخل سبيلكم ! قالوا: اللهم لسنا فاعلى ذلك!

فحفروا لهم قبورهم وادنيت أكفانهم، فقاموا الليل كله يصلون، فلما أصبحوا عرضوا عليهم البراءة من على فقالوا : نتولاه وتبرأ ممّن تبرأ منه . فأخذ كل رجل منهم رجلا ليقبله فقال حجر دعونى أتوضأ وأصلى . فلما أتمّ صلاته قتلوه وأقبلوا يقتلونهم واحدا واحدا حتّى قتلوا ستة مع حجر، فلما بلغوا عبد الرحمن بن حسان العنزى وكريم بن العفيف الخثعمى قالا : ابعثوا بنا إلى أمير المؤمنين فنحن

نقول فى هذا الرجل مقالته . فبعثوا بهما إلى معاوية فلما دخلا عليه قال معاوية للثخعمى : ما تقول فى على؟ قال : أقول فيه قولك! قال أتبرأ من دين على؟ فسكت، فقام ابن عمّ له فاستوهبه من معاوية فحبسه شهرا ثمّ

ص: ٣٥٩

خلى سبيله على أن يذهب إلى الكوفة . أمّا العنزى فقد قال له: يا أبا ربيعة! ما قولك فى على؟ قال : أشهد أنّه كان من الذاكرين لله كثيرا ومن الامرين بالحقّ والقائمين بالقسط والعافين عن الناس . قال: فما قولك فى عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحقّ . قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت، فبعث به معاوية إلى زياد وكتب إليه : أمّا بعد، فإنّ هذا العنزى شرّ من بعثت، فعاقبه عقوبته التى هو أهلها واقتله شرّ قتلة . فلما قدم به على زياد بعث زياد به إلى قسّ الناطف فدفن به حيا.<sup>٦٠٣</sup>

ومن قصص زياد بن أبيه فى هذه المعركة أيضا ما وقع بينه وبين صيفى ابن فسيل، فإنّه أمر فجىء به إليه، فقال له: يا عدوّ الله! ما تقول فى أبى تراب؟ قال : ما أعرف أبا تراب؛ قال : ما أعرفك به ! قال: ما أعرفه، قال : أما تعرف علىّ بن أبى طالب؟! قال: بلى، فذاك، - وبعد محاوراة بينهما - قال: علىّ بالعصا، فقال: ما قولك فى على؟ قال: أحسن قول أنا قائله فى عبد من عبيد الله أقوله فى أمير المؤمنين، قال: اضربوا عاتقه بالعصا حتّى يلصق بالارض؛ فضرِب حتّى الصق بالارض؛ ثمّ قال: اقلعوا عنه، فتركوه، فقال له : إيه ما قولك فى على؟ قال : والله لو شرطنتى بالمواسى والمُدَى ما قلت إلّا ما سمعت

<sup>٦٠٢</sup> (١). اليعقوبى ٢٣٠ / ٢ - ٢٣١.

<sup>٦٠٣</sup> (١). أوردناها موجزة من عبد الله بن سبأ ٢٦٨ / ٢ - ٢٩٢، ط. نشر توحيد ١٤١٣ هـ.

وفى ترجمة حجر من تاريخ دمشق لابن عساكر وتهذيبه تفصيل الخبر.

مَنْ، قال: لَتَلْعَنَهُ أو لاَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ، قال: إذا واللَّه تَضْرِبُهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَاسْعُدْ وَتَشْقَى، قال: ادْفَعُوا فِي رِقْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْقِرُوهُ حَدِيدًا وَاطْرَحُوهُ فِي السَّجْنِ، ثُمَّ قَتَلَ مَعَ حَجْرٍ.<sup>٦٠٤</sup>

ص: ٣٦٠

وكتب إلى معاوية في رجلين حضرميين<sup>٦٠٥</sup> أنهما على دين عليّ ورأيه، فأجابته: من كان على دين عليّ ورأيه فاقتله، ومثّل به، فصلبهما على باب دارهما بالكوفة.<sup>٦٠٦</sup>

كما أمره بدفن الخثعمي الذي مدح عليّاً وعاب عثمان حياً، فدفنه حياً.<sup>٦٠٧</sup>

وختم حياته بما ذكره المسعودي، وابن عساكر، قال ابن عساكر:

جمع أهل الكوفة فملا منهم المسجد والرحبة والقصر، ليعرضهم على البراءة من عليّ.<sup>٦٠٨</sup> وقال المسعودي: وكان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن عليّ، فمنّ أبي ذلك عرضه على السيف، ثمّ ذكر أنّه أصيب بالطاعون في تلك الساعة فأفرج عنهم.

وكان عمرو بن الحمق الخزاعي ممن أصابه التشريد والقتل في هذه المعركة، فإنّه فرّ إلى البراري، فبحثوا عنه حتى عثروا عليه، فحزّوا رأسه وحملوه إلى معاوية، فأمر بنصبه في السوق ثمّ بعث برأسه إلى زوجته في السجن - وكان قد سجنها في هذا السبيل - فالقى في حجرها.<sup>٦٠٩</sup>

عمّت هذه السياسة بالبلاد الاسلامية، وأتبعها ونفّذها غير من ذكرنا من الامراء أيضاً، كبسر بن أرطاة في ولايته البصرة، وابن شهاب في الري<sup>٦١٠</sup> فقد كانت لهم قصص في ذلك ذكرها المؤرّخون، ثمّ أصبحت هذه سياسة بني امية

ص: ٣٦١

التقليدية، ولعن علي بن أبي طالب على منابر الشرق والغرب ما عدا سجستان، فإنّه لم يُلعن علي منبرها إلّا مرة، وامتنعوا على بني امية، حتى زادوا في عهدهم أن لا يُلعن علي منبرهم أحد في حين كان يلعن على منابر الحرمين مكة والمدينة.<sup>٦١١</sup>

<sup>٦٠٤</sup> (٢). الطبري ١٠٨ / ٦ و ١٤٩. وابن الاثير ٣ / ٢٠٤. والاغاني ٧ / ١٦. وابن عساكر ٤٥٩ / ٦.

<sup>٦٠٥</sup> (١). نسبة إلى حضرموت من بلاد اليمن.

<sup>٦٠٦</sup> (٢). المحير ص ٤٧٩.

<sup>٦٠٧</sup> (٣). راجع قصة حجر بن عدى في عبد الله بن سبأ.

<sup>٦٠٨</sup> (٤). المسعودي في أيام معاوية ٣ / ٣٠. وابن عساكر ٤٢١ / ٥.

<sup>٦٠٩</sup> (٥). المعارف لابن قتيبة ٧ / ١٢. والاستيعاب ٢ / ٥١٧. والاصابة ٢ / ٥٢٦. وتأريخ ابن كثير ٨ / ٤٨. والمحير ص ٤٩٠.

<sup>٦١٠</sup> (٦). في حوادث سنة ٤١ هـ - من الطبري ٦ / ٩٦. وابن الاثير ٣ / ١٦٥. وابن شهاب في ابن الاثير ٣ / ١٧٩ في ذكر استعمال المغيرة على الكوفة من ( حوادث سنة إحدى وأربعين).

<sup>٦١١</sup> (١). أوردتها ملخّصة من معجم البلدان ٥ / ٣٨، ط. المصرية الاولى في لغة سجستان، وهي من بلاد إيران.

وقد كانوا يلعنون عليًا على المنابر بمحضر من أهل بيته، وقصصهم في ذلك كثيرة نكتفى منها بذكر واحدة أوردها ابن حجر<sup>٦١٢</sup> في تطهير اللسان، وقال:

(إنَّ عمراَّ صعد المنبر فوقع في عليٍّ، ثمَّ فعل مثله المغيرة بن شعبة، فقبل للحسن: إصعد المنبر لتردَّ عليهما، فامتنع إلَّا أن يعطوه عهدا أنَّهم يصدِّقوه إن قال حقًّا، ويكذبوه<sup>٦١٣</sup> إن قال باطلا، فأعطوه ذلك، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: انشدك الله يا عمرو! يا مغيرة! أتعلمان أنَّ رسول الله (ص) لعن السائق والقائد أحدهما فلان؟ قالوا: بلى، ثمَّ قال: يا معاوية! يا مغيرة! ألم تعلمَّا أنَّ النبيَّ (ص) لعن عمرا بكلِّ قافية قالها لعنة؟ قالوا: اللهم بلى (... الحديث.

ولمَّا كان الناس لا يجلسون لاستماع خطبهم لما فيها من أحاديث لا يرتضونها، خالفوا السنَّة وقدموا الخطبة على الصلاة، قال ابن حزم في المحلِّي: <sup>٦١٤</sup>

ص: ٣٦٢

أحدث بنو امية تقديم الخطبة على الصلاة، واعتلوا بأنَّ الناس كانوا إذا صلَّوا تركوهم، ولم يشهدوا الخطبة، وذلك لأنَّهم كانوا يلعنون على بن أبي طالب (رض) فكان المسلمون يفرُّون، وحقَّ لهم ذلك.

وقال اليعقوبى في تاريخه (٢/ ٢٢٣):

وفي هذه السنَّة - سنة ٤٤ هـ - عمل معاوية المقصورة في المسجد وأخرج المنابر إلى المصلَّى في العيدين وخطب الخطبة قبل الصلاة، وذلك أنَّ الناس إذا صلَّوا، انصرفوا لثلثا يسمعون لعن على فقدَّم معاوية الخطبة قبل الصلاة، ووهب فدكا لمروان بن الحكم ليغيظ بذلك آل رسول الله (ص).

وفي الصحيحين<sup>٦١٥</sup> وغيرهما عن أبي سعيد الخدرى قال:

خرجت مع مروان وهو أمير المدينة - فى أضحى أو فطر - فلما أتينا المصلَّى إذا منبر بناه كثير بن الصلت، فإذا مروان يريد أن يرتقيه قبل أن يصلَّى، فجبذت بثوبه، فجبذنى، فارتفع، فخطب قبل الصلاة، فقلت له : غيّرتم والله. فقال: يا أبا سعيد! قد ذهب ما تعلم . فقلت: ما أعلم والله خير ممَّا لا أعلم، فقال : إنَّ الناس لم يكونوا يجلسون لما بعد الصلاة، فجعلتها قبل الصلاة.

وكانوا لا يكتفون بذلك، بل يأمرؤن الصحابة به أيضا، فى صحيح مسلم<sup>٦١٦</sup> وغيره عن سهل بن سعد: قال:

<sup>٦١٢</sup> (٢). فى تطهير اللسان ص ٥٥، قال: وجاء بسند رجاله رجال الصحيح إلَّا واحدا فمختلف فيه، لكن قوَّاه الذهبى بقوله : إنَّه أحد الانبياء، وما فيه جرح أصلا، ثمَّ أورد الحديث.

<sup>٦١٣</sup> (٣). كذا جاءت فى الاصل، والصحيح: يصدِّقونه ... ويكذبونه.

<sup>٦١٤</sup> (٤). المحلِّي لابن حزم، تحقيق أحمد محمد شاكر ٥/ ٨٥ - ٨٦. وراجع كتاب الامِّ للشافعى ١/ ٢٠ (ع).

<sup>٦١٥</sup> (١). البخارى ٢/ ١١. ومسلم ٣/ ٢٠. وسنن أبى داود ١/ ١٧٨. وابن ماجة ١/ ٣٨٦. والبيهقى ٣/ ٢٩٧. وفى مسند أحمد ٣/ ١٠، ٢٠، ٥٢، ٥٤ و ٩٢، واسم المعترض على مروان فى مسند أحمد غير أبى سعيد.

«استعمل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعيد فأمره أن يشتم عليًا، فأبى سهل، فقال له: أما إذا أبيت فقل: لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعليَّ إسمٌ أحبَّ إليه من أبي التراب، وإن كان ليفرح إذا دُعِيَ به، فقال له: أخبرنا عن قصته، لم سُمِّيَ أبا تراب؟ قال: جاء رسول الله (ص) بيت فاطمة، فلم يجد عليًا في البيت، فقال: أين ابن عمك؟».

إلى قوله:

«هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداؤه عن شِقِّه، فجعل رسول الله (ص) يمسحه عنه، ويقول: قم أبا التراب، قم أبا التراب».

وعن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: «أمر معاوية سعدا فقال: ما منعك

أن تسبَّ أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهنَّ له رسول الله (ص) فلن أسبِّه، لأن تكون لى واحدة منهنَّ أحبَّ إلىَّ من حمر النعم.

سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلَّفه في بعض مغازيه، فقال له عليٌّ: يا رسول الله! خلَّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (ص): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدى، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحبَّ الله ورسوله ويحبَّه الله ورسوله؛ قال: فتناولنا لها، فقال: ادعوا لى عليًا فأتى به أرمدا، فبصق في عينه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية: **فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ** دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال: اللهم! هؤلاء أهلي<sup>٦١٧</sup>.

ورواه المسعودي<sup>٦١٨</sup> عن الطبري هكذا: قال:

«لما حجَّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سرير، ووقع في عليٍّ، وشرع في سبِّه، فزحف سعد، ثم قال: أجلسنتى معك على سريرك، ثم شرعت في سبِّ عليٍّ؟! والله لا يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال عليٍّ أحبَّ إليَّ، ثم ساق الحديث باختلاف يسير وذكر في آخره أنه قال: وأيم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت، ثم نهض».

أما ابن عبد ربِّه فقد ذكره باختصار في أخبار معاوية من العقد الفريد وقال: <sup>٦١٩</sup>

<sup>٦١٦</sup> (٢). أوردته ملخصاً عن صحيح مسلم ١٢٤ / ٧ باب مناقب علي. وأورده البخارى محرِّفاً في صحيحه باب مناقب علي، وفي باب نوم الرجل في المسجد من كتاب الصلاة ١٩٩ / ٢. وفي إرشاد السارى ١١٢ / ٦: أن هذا الوالى هو مروان بن الحكم. وراجع البيهقي ٢ / ٤٤٦.

<sup>٦١٧</sup> (١). مسلم ١٢٠ / ٧. والترمذى ١٧١ / ١٣. والمستدرک ١٠٨ / ٣ و ١٠٩، وزاد: فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة. والاصابة ٥٠٩ / ٢. والنسائي في الخصائص ص ١٥.

<sup>٦١٨</sup> (١). مروج الذهب ٣ / ٣٤ في أيام معاوية، ثم ذكر ما صدر عن معاوية في المجلس ممَّا أربأ بقلمي عن ذكره.

«ولمّا مات الحسن بن علي حجّ معاوية، فدخل المدينة، وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله (ص) فقيل له: إنّها هنا سعد بن أبي وقاص، ولا نراه يرضى بهذا، فابعث إليه وخذ رأيه، فأرسل إليه وذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لا أخرجنّ من المسجد، ثمّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد، فلمّا مات لعنه على المنبر، وكتب إلى عمّاله أن يلعنوه على المنابر، ففعلوا، فكتبت أمّ سلمة زوج النبيّ (ص) إلى معاوية: إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب، ومن أحبّه، وأنا أشهد الله أنّ الله أحبّه، ورسوله، فلم يلتفت إلى كلامها» انتهى.<sup>٦٢٠</sup>

وقال ابن أبي الحديد:

وروى أبو عثمان - الجاحظ - أيضاً أنّ قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير

ص: ٣٦٥

المؤمنين! إنّك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! فقال:

لا والله حتّى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلاً!<sup>٦٢١</sup>

تربية أهل الشام منذ زمن معاوية على بغض الامام علي (ع) ولعنه:

روى الثقفى فى كتابه الغارات وقال: إنّ عمر بن ثابت كان يركب بالشام ويدور فى القرى بالشام فإذا دخل قرية جمع أهلها ثمّ يقول:

أيّها الناس! إنّ عليّ بن أبي طالب كان رجلاً منافقاً أراد أن ينخس برسول الله (ص) ليلة العقبة فالعنوه قال: فيلعنه أهل تلك القرية ثمّ يسير إلى القرية الاخرى فيأمرهم بمثل ذلك (وكان فى أيام معاوية).<sup>٦٢٢</sup>

خبر ليلة العقبة بإيجاز:

فى إمتاع الاسماع:<sup>٦٢٣</sup>

عندما رجع النبيّ سنة ٩ للهجرة من غزوة تبوك ومرّ بعقبة وفى أسفلها وادّ تسيير القوافل منها فأمر الجيش أن يسيروا من بطن الوادى وسار هو ليلاً من طريق العقبة فتأمّر بعض المنافقين على نفر ناقة الرسول ليلاً ليقتلوه وه فممنعهم من ذلك الصحابيّان عمّار بن ياسر وحذيفة اللذان كانا فى صحبة الرسول، ونسب عميل معاوية هذا العمل إلى ابن عمّ الرسول (ص).

البعث لمعاوية على ما فعل:

<sup>٦١٩</sup> (٢). العقد ٣/ ١٢٧.

<sup>٦٢٠</sup> (٣). نقلته باختصار من كتاب (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة)، بحث دواعى وضع الحديث من فضل (مع معاوية)، ط. بيروت سنة ١٤٠٥ هـ، ص ٣٨٩.

<sup>٦٢١</sup> (١). شرح الخطبة (٥٧) من شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة.

<sup>٦٢٢</sup> (٢). الغارات للثقفى ص ٣٩٧.

<sup>٦٢٣</sup> (٣). إمتاع الاسماع ص ٤٧٧. ومرّ الاشارة إلى الخبر ومصادره فى ص ١٣٨ من هذا الكتاب.

إن كان دافع سائر قريش في ما فعلته مع الامام عليّ (ع)، كرهها أن

ص: ٣٦٦

تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم. فقد كان دافع معاوية القرشي الاموي مع ذلك حقه على بني هاشم كما يظهر ذلك في الخبر الاتي:

روى الزبير بن بكار وقال:

قال المطرف بن المغيرة بن شعبة:

دخلت مع أبي علي معاوية . فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتّه مغتمًا فانتظرت ساعة، وظننت أنه لامر حدث فينا فقلت : ما لي أراك مغتمًا منذ الليلة؟ فقال: يا بني! جئت من عند أكفر الناس وأحبّهم. قلت: وما ذاك؟ قال: قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت سنًا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك ممّا يبقى لك ذكره وثوابه، فقال : هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلّا أن يقول قا نل: أبو بكر، ثمّ ملك أخو عدى فاجتهد وشمرّ عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلّا أن يقول قائل: عمر.

وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كلّ يوم خمس مرات (أشهد أن محمدا رسول الله) فأى عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك؟ لا والله إلّا دفنا دفنا.<sup>٦٢٤</sup>

كان ذلكم من معاوية بسبب حقه على بني هاشم.

ص: ٣٦٧

أسباب حقد معاوية على بني هاشم:

لمعرفة أسباب حقد معاوية على بني هاشم ينبغي قراءة بحث (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أم المؤمنين عائشة) وكان في ما شرحناه هناك من تلك الاسباب:

إنّ معاوية ورث ذلكم الحقد من أمّه هند التي لاكت كبد حمزة عم الرسول (ص) في غزوة احد، وصنعت من أطرافه قلادة تشفيا لغيظها على بني هاشم.

<sup>٦٢٤</sup> (١). الموفقيات ص ٥٧٦ - ٥٧٧. ومروج الذهب ٢ / ٤٥٤. وابن أبي الحديد ١ / ٤٦٣، و ط. مصر تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥ / ١٢٩ - ١٣٠. وكانت

قريش تكني رسول الله (ص) أبا كبشة استهزاء به.



وأخيرا شفى حقد آل أبي سفيان يزيد بن معاوية بقتله آل الرسول فى كربلاء وقطع رؤوسهم وسبى نسائهم كما ذكرناه مفصّلا فى المجلّد الثالث من هذا الكتاب.

وولى بعد يزيد آل مروان من بنى أميّه وفى ما يأتى أمثلة من سياستهم مع آل الرسول بعد ذكر ما فعله ابن الزبير فى دولته:

### سياسة ابن الزبير

: شرح ابن أبي الحديد ابن الزبير فى دولته وقال:

روى عمر بن شبّه وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير، أنّه مكث أيام ادّعائه الخلافة أر بعين جمعة لا يصلّى فيها على النبيّ ٩، وقال: لا يمنعى من ذكره إلّا أن تشمخ رجال بآنافها.

وقال:

وفى رواية محمد بن حبيب وأبى عبيدة معمر بن المثنى: إنّ له أهيلّ سوء يُنغضون رؤوسهم عند ذكره.

وقال أيضا:

وروى سعيد بن جبير أنّ عبد الله بن الزبير قال لعبد اللّ بن عباس: ما

ص: ٣٤٨

حديث أسمعك عنك! قال: وما هو؟ قال: تأنيبي وذمّي! فقال: إني سمعت رسول الله (ص) يقول: «بئس المرء المسلم يشبع ويجوع جاره»، فقال ابن الزبير: إني لآكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة ... الحديث. عرض ابن عباس إلى بخل ابن الزبير فى حديثه.

وقال أيضا: روى عمر بن شبّه عن سعيد بن جبير، قال: خطب عبد الله ابن الزبير، فقال من على (ع)، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية (ت: ٨١ هـ)، فجاء إليه وهو يخطب، فوضّع له كرسى، فقطع عليه خطبته، وقال: (يا معشر العرب، شأهت الوجوه! أيُنْتَقَصُ علىّ وأنتم حضور! إنّ عليّا كلن يد الله على أعداء الله، وصاعقة من أمره، أرسله على الكافرين والجاحدين لحقّه، فقتلهم بكفرهم فشننوه وأبغضوه، وأضمرّوا له السيف والحسد وابن عمّه ٩ حتى بعدّ لم يمّت؛ فلما نقله الله إلى جواره، وأحبّ له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشفت أضغانها، فمنهم من ابتزّه حقّه، ومنهم من اتّمر به ليقتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالباطيل؛ فإن يكن لذريّته وناصرى دعوته دولة تنشر عظامهم، وتحفر على أجسادهم؛ والابدان منهم يومئذ بالية، بعد أن تقتل الاحياء منهم، وتذلّ رقابهم، فيكون الله عزّ اسمه قد عذبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرن ا عليهم، وشفى صدورنا منهم، إنّ الله ما يشتم عليّا إلّا كافر يُسرّ شتم رسول الله (ص) ويخاف أن يبوح به، فيكنّى بشتم على (ع) عنه.

أما إنّه قد تخطّطت المنية منكم من امتدّ عمره، وسمع قول رسول الله (ص) فيه: «لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق»، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون.<sup>٦٢٥</sup>

ص: ٣٦٩

وقال ابن أبي الحديد:

وكان عبد الله بن الزبير يُبغض عليّاً (ع)، وينتقصه وينال من عرضه.<sup>٦٢٦</sup>

وقال اليعقوبي:

تحامل عبد الله بن الزبير على بنى هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتّى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، فقيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكراه، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وأربعة وعشرين رجلاً من بنى هاشم ليبياعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو ليبياعنّ أو ليحرقنهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار ابن أبي عبيدة: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيدة ومن قبله من المسلمين، أمّا بعد فإنّ عبد الله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعنه، أو ليضرمّنا علينا بالنار، فيا غوثاه! <sup>٦٢٧</sup> فوجّه إليهم المختار بن أبي عبيدة بأبي عبد الله الجدلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكة، فكسر الحجر، وقال لمحمد بن علي: دعني وابن الزبير! قال: لا أستحلّ من قطع رحمه ما استحلّ مني.<sup>٦٢٨</sup>

ص: ٣٧٠

بعد ابن الزبير:

بعد قتل ابن الزبير صفا الجوّ للخلفاء الامويين من آل مروان فتابعوا معاوية في سياسته في شأن الامام علي (ع) كالاتي بيانه بحوله تعالى:

ب- على عهد عبد الملك وابنه الوليد:

روى ابن أبي الحديد عن الجاحظ أنّ قال:

<sup>٦٢٥</sup> (١) شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط . الاولى / ١ / ٣٥٨، وط . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٦١ - ٦٣. ورواه اليعقوبي في

تأريخه ٢ / ٢٦٢، أكثر تفصيلاً من هذا، وابن الزبير هو عبد الله ابن -

<sup>٦٢٦</sup> (١) شرح النهج لابن أبي الحديد / ١ / ٣٥٨.

<sup>٦٢٧</sup> (٢) في نسختنا: فيا غوثاه، والصحيح ما أثبتناه.

<sup>٦٢٨</sup> (٣) تأريخ اليعقوبي ٢ / ٢٦١. ومحمد بن الحنفية ابن علي بن أبي طالب (ت: ٨١ هـ).

وقال أبو عثمان : وما كان عبد الملك مع فضله وأناته وسداده ورُجحانه ممّن يخفى عليه فضل عليّ (ع)، وإن لعنه على رؤوس الشهداء، وفي أعطاف الخطب، وعلى صهوات المنابر ممّا يعود عليه نقصه، ويرجع إليه وهنه، لأنّهما جميعا من بنى عبد مناف، والاصل واحد، ولكنّه أرا د تشييد الملك وتأكيد ما فعله الاسلاف، وأن يقرّر في أنفس الناس أن بنى هاشم لا حظّ لهم في هذا الامر، وأن سيّدهم الذي به يصلون، وبفخره يفخرون، هذا حاله وهذا مقداره، فيكون من ينتمى إليه ويُدلى به عن الامر أبعد، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح.

وقال أيضا:

روى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليا (ع)، فقال: لعنه «اللّه» بالجبرّ، كان لصّ ابن لصّ.

فعبج الناس من لحنه في ما لا يلحن فيه أحد، ومن نسبته عليّا (ع) إلى اللصوصية وقالوا: ما ندرى أيّهما أعجب! وكان الوليد لحّانا.<sup>٦٢٩</sup>

ص: ٣٧١

ويؤيد أن الوليد كان لحّانا ما رواه أهل السير وقالوا:

إنّ روح بن زنباع قال : دخلت يوما على عبد الملك وهو مهموم فقال : فكّرت في من أوّليه العرب فلم أجده ! فقلت: وأين أنت من ريحانة قريش وسيّدها الوليد ! فقال لي يا ابن زنباع إنّه لا يلي العرب إلّا من تكلم بكلامهم، قال : فسمعها الوليد فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو وجلس معهم في بيت وطّين عليه ستة أشهر ثمّ خرج وهو أجهل ممّا كان . فقال عبد الملك أما إنّه قد أعذر.<sup>٦٣٠</sup>

\*\*\*

كان ذلكم بعض آثار سياسة الخلافة القرشبية على عهد عبد الملك وابنه الوليد وبعضه الاخر ندرسه من خلال دراسة ما فعله واليهما الحجّاج في هذا الشأن .

بعض ما فعله الحجّاج تنفيذًا للسياسة القرشبية

روى ابن أبي الحديد بعض ما فعله الحجّاج في هذا الشأن وقال:

<sup>٦٢٩</sup> (١) . شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٣٥٦، و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٥٧ - ٥٨.

وعبد الملك بن مروان بويح له بالخلافة سنة ٦٥ هـ وتوفّي سنة ٨٦ هـ وبويح بعده لابنه الوليد بالخلافة.

<sup>٦٣٠</sup> (١) . ترجمة الوليد في تأريخ الاسلام للذهبي ٤ / ٦٥، وقال الذهبي - أيضا - في ترجمة روح بن زنباع في سير أعلام النبلاء، ط . الاولى ٤ / ٢٥١. وكان

شبه الوزير للخليفة عبد الملك (ت: ٨٤ هـ).

كان الحجاج لعنه الله يلعن عليا (ع)، ويأمر بلعنه. وقال له متعرضاً به يوماً وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عقّوني فسمّوني عليا، فعبر اسمي، وصلني بما أتبلّغ به، فإنّي فقير . فقال: للطف ما توصلت به قد سميتك كذا، ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه.<sup>٦٣١</sup>

وروى المسعودي في هذا الشأن وقال:

قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هانئ وهو رجل من أود، حتى من اليمن،

ص: ٣٧٢

وكان شريفاً في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها، وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأناك بعد، ثم أرسل إلى أسماء بن خارجة - وكان من فزارة - أن زوج عبد الله بن هانئ ابنتك، فقال : لا والله، ولا كرامة، فدعا له بالسياط، فقال: أنا أزوجه، فزوجته، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانية أن زوج عبد الله بن هانئ، قال، ومن أود؟ والله لا أزوجه ولا كرامة، قال : هاتوا السيف، قال: دعني حتى اشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوجة لا يقتلك هذا الفاسق، فزوجته، فقال له الحجاج : يا عبد الله، قد زوجت بنت سيد بني فزارة وابنة سي دهمدان وعظيم كهلان، وما أود هنالك، فقال : لا تقل - أصلح الله الأمير - ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لأحد من العرب، قال : وما هذه المناقب؟ قال: ما سب أمير المؤمنين عثمان في نادٍ لنا قط، قال : هذه والله منقبة، قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً، وما شهدها مع أبي تراب إلا رجل واحد، وكان والله ما علمته امرأ سوء، قال : وهذه والله منقبة، قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحبّ أبا تراب ولا تتولاه، قال : هذه والله منقبة، قال : وما منا امرأة إلا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت، قال : وهذه والله منقبة، قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل، وقال : وأزيدكم ابنه الحسن والحسين وأمهما فاطمة، قال : وهذه والله منقبة. قال: وما أحد من العرب له من الملاحاة والصباحاة ما لنا، فضحك الحجاج وقال : أمّا هذه يا أبا هانئ فدعها . وكان عبد الله دميماً شديداً لادمه مجدورا، في رأسه عجر، مائل الشدق، أحول قبيح الوجه، شديد الحول.<sup>٦٣٢</sup>

وروى ابن سعد في ترجمة عطية بن سعد بن جنادة العوفي من طبقاته

ص: ٣٧٣

وقال:

كتب الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن عليّ ابن أبي طالب وإلا فاضربه أرب عمائة سوط واحلق رأسه ولحيته. فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج فأبى عطية أن يفعل، فاضربه أربعمائة سوط وحلق رأسه ولحيته.<sup>٦٣٣</sup>

<sup>٦٣١</sup> (٢). شرح ابن أبي الحديد ١/ ٣٥٦، و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/ ٥٨.

<sup>٦٣٢</sup> (١). مروج الذهب ٣/ ١٤٤. وابن أبي الحديد ١/ ٣٥٧، و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤/ ٦١.

<sup>٦٣٣</sup> (١). الطبقات الكبرى، ط. اوربا ٦/ ٢١٢ - ٢١٣. والطبري، ط. اوربا ٢/ ٢٤٩٤. وتهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٤ - ٢٢٦. وفي تقريب التهذيب:

وعطية أخرج حديثه البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه وتوفي سنة ١١١ هـ.

\*\*\*

وسار على نهج الحجاج أخوه وواليه على اليمن كالاتى بيانه:

بعض ما فعله أخو الحجاج محمد بن يوسف زمان ولايته على اليمن:

روى الذهبي عن حجر المدرى م| موجزه قال: قال على بن أبى طالب:

كيف بك إذا امرت أن تلعننى.

قلت: أو كائن ذلك؟

قال: نعم!

قلت: فكيف أصنع؟

قال: إلعنى ولا تبرأ منى.

قال: فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن عليا.

فقال: إن الامير أمرنى أن ألعن عليا فالعنوه لعنه الله. فما فطن لها إلّا

ص: ٣٧٤

رجل. ٦٣٤

\*\*\*

هكذا توالى سياسة الخلافة الاموية القرشبية إلى زمن الخليفة عمر ابن عبد العزيز الذى قام بتقضى تلکم السياسة كما سندرسه فى ما يأتى:

ج- على عهد عمر بن عبد العزيز:

---

ومحمد بن القاسم الثقفى كان على رأس جيش فى بلاد فارس فأمره الحجاج سنة ٩٢ هـ أن يذهب لفتح بلاد السند ففتح بلادها وقتل ملكها وكان فى ما فتح من بلادها مدينة الكراتشى ومولتان من بلاد باكستان اليوم، ولما ولى الخليفة سليمان أمر بتصفية ولاية الحجاج فسجن محمد وقتل فى السجن سنة ٩٢ هـ.

٦٣٤ (١). تأريخ الاسلام للذهبي ٤ / ٥١ - ٥٢ فى ترجمة محمد بن يوسف الثقفى . وحجر هو ابن قيس الهمدانى والمدرى نسبة إلى مدّر جبل باليمن قال ابن حجر: تابعى ثقة أخرج حديثه أبو داود والنسائى وابن ماجه، ترجمته فى تهذيب التهذيب ٢ / ٢١٥ وتقريبه ١ / ١٥٥.

إنَّ عمر بن عبد العزيز خالف سياسة الخلافة الاموية وأمر بترك لعن الامام على (ع). وذكروا في سبب ذلك وقالوا ما رواه ابن أبي الحديد وغيره واللفظ لابن أبي الحديد:

فأما عمر بن عبد العزيز (رض) فإنه قال: كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عتبة بن مسعود، فمرَّ بي يوما وأنا ألعب مع الصبيان، ونحن نلعن عليًّا، فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لادرس عليه ورُدِّي، فلمَّا رأني قام فصلِّي وأطال في الصلاة - شيبه المعرض عني حتَّى أحسست منه بذلك - فلمَّا انفتل من صلاته كَلَحَ في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أنت اللاعن عليًّا منذ اليوم! قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم! فقلت: وهل كان عليٌّ من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلَّا له! فقلت: لا أعود، فقال: الله أنك لا تعود! قلت: نعم. فلم ألعنه بعدها.<sup>٦٣٥</sup> ثمَّ كنت أحضر تحت

ص: ٣٧٥

منبر المدينة، وأبى يخطب يوم الجمعة، وهو حينئذ أمير المدينة، فكنت أسمع أبي ي مرَّ في خُطْبِهِ تهدير شقاشقه، حتَّى يأتي إلى لعن على (ع) فيجتمجم، ويعرض له من الفهاهة والحَصْر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوما: يا أبت، أنت أفصح الناس وأخطبهم، فما بالي أراك أفصح خطيب يوم حَفَلِك، حتَّى إذا مررت بلعن هذا الرجل، صرت أكن عيبًا! فقال: يا بني، إنَّ من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمته في صدري، مع ما كان قاله لي معلمي أيام صغري، فأعطيت الله عهدًا؛ لئن كان لي في هذا الامر نصيب لأغيّرته، فلمَّا منَّ الله علىَّ بالخلافة أسقطت ذلك وجعلت مكانه: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ**<sup>٦٣٦</sup> **يَعْظُمُ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**<sup>٦٣٧</sup>، وكتبت به إلى الافاق فصار سنة.<sup>٦٣٨</sup>

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه السبِّ:

بريا ولم تقبل إساءة مجرم

وليت فلم تشتم عليًّا ولم تخف

أتيت فأضحى راضيا كلَّ مسلم<sup>٦٣٩</sup>

وكفرت بالعمو الذنوب مع الذي

وقال الرضى أبو الحسن (ره):

ص: ٣٧٦

<sup>٦٣٥</sup> (٢). شرح النهج لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٥٨ - ٥٩. وأورد هذا الخبر ابن عساكر في تاريخ دمشق، ومصوِّرة المجمع العلمي

الاسلامى ١٢ / ١ / ١٣٢ أ في

ترجمة عمر بن عبد العزيز.

<sup>٦٣٦</sup> (١). ذكر الخبرين بإيجاز كلٍّ من ابن الاثير في تأريخه ٥ / ١٦. والمسعودى في مروج الذهب ٣ / ١٨٤.

<sup>٦٣٧</sup> (٢). سورة النحل / ٩٠.

<sup>٦٣٨</sup> (٣). شرح الخطبة (٥٧) من نهج البلاغة لابن أبي الحديد. وأوجز منه في تاريخ اليعقوبى ١ / ٣٠٥.

<sup>٦٣٩</sup> (٤). الاغانى ٩ / ٢٥٠ (طبعة الدار) مع اختلاف في الرواية.

يا ابن عبد العزيز لو بكت

العين فتى من امية لبكيتك

غير انى أقول إنك قد طبت

وإن لم يطب ولم يزك بيتك

أنت نزهتنا عن السب والقد

ف؛ فلو أمكن الجزاء جزيتك<sup>٦٤٠</sup>

\*\*\*

إن عمر بن عبد العزيز لم ينجح في مسعاه لسببين:

أولاً- لأن المسلمين كانوا قد اعتادوا على لعن الامام على ورأوا فيه سنة لا ينبغي تركه، وأبى بعضهم ترك لعن الامام على (ع) على عهد عمر بن عبد العزيز مثل أهل حران كما رواه الحموى والمسعودى حيث قال:

قد كان أهل حران قاتلهم الله تعالى حين ازيل لعن أبى تراب- يعنى على بن أبى طالب (رض)- عن المنابر يوم الجمعة امتنعوا عن إزالته وقالوا:

لا صلاة إلا بلعن أبى تراب. وأقاموا على ذلك سنة حتى كان من أمر المشرق وظهور المسودة ما كان.<sup>٦٤١</sup>

ثانياً- لأن الخلفاء الامويين من بعد عمر بن عبد العزيز أعادوا تلك السنة السيئة كما ندرسها فى ما يأتى بإذنه تعالى.

ج- على عهد هشام بن عبد الملك:

روى ابن عساکر فى ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد بن عبد الرحمن الحررى مولى بنى امية وقال : إنه روى عن جده الجنيد أنه قال: أتيت من حوران إلى دمشق لاخذ عطائي فصليت الجمعة ثم خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له أبو شيبه القاص يقص على الناس فرغب فرغبنا وخوف فبكينا،

ص: ٣٧٧

فلما انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبى تراب فلعنوا أبى تراب (ع). فالتفت إلى من على يميني فقلت له: فمن أبى تراب؟ فقال: على بن أبى طالب ابن عم رسول الله وزوج ابنته وأول الناس إسلاما وأبو الحسن والحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاص، فقممت إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا رداي في رقبتي وساقوني حتى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبه يقدمني، فصاح: يا أمير المؤمنين! قاصك وقاصك آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. قال: من فعل بك؟ فقال: هذا فالتفت إلى هشام وعنده أشرف الناس فقال: يا أبا يحيى متى قدمت؟ فقلت أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصليت وخرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقص فجلست إليه فقرأ فسمعنا فرغب من رغب وخوف من خوف ودعا فأمتنا وقال فى آخر كلامه اختموا مجلسنا بلعن أبى تراب فسألت من أبو تراب؟ فقيل: على بن أبى طالب أول الناس

<sup>٦٤٠</sup> (١) ديوانه، لوحة ١٢٤. وابن أبى الحديد ١/ ٣٥٧.

<sup>٦٤١</sup> (٢) مروج الذهب ٣/ ٢٤٥. ومادة حران من معجم البلدان، واللفظ للاول، وحران مدينة بين الموصل والشام وتركيا وتخرج منها ابن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ) مؤسس المذهب السلفى.

إسلاما وابن عمّ رسول الله وأبو الحسن والحسين وزوج بنت رسول الله، فوالله يا أمير المؤمنين لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لاحتلت به الذي أحتلت فكيف لا أغضب لصهر رسول الله وزوج ابنته؟! فقال هشام: بئس ما صنع، ثم عقد لي على السند ثم قال لبعض جلسائه: «مثل هذا لا يجاورني ها هنا فيفسد علينا البلد فباعدهته إلى السند» فلم يزل بها إلى أن مات وفيه يقول الشاعر:

فعلى الجود والجنيد السلام<sup>٦٤٢</sup>

ذهب الجود والجنيد جميعا

ص: ٣٧٨

كلن ذلكم عمل الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك، وفي ما يأتي مثال من عمل ولاته:

عمل خالد بن عبد الله القسري:

ذكر المبرّد في «الكامل» أنّ خالد بن عبد الله القسري لما كان أمير العراق في خلافة هشام، كان يلعن عليّا (ع) على المنبر، فيقول: اللهم العن عليّ ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، صهر رسول الله على ابنته، وأبا الحسن والحسين! ثمّ يقبل على الناس فيقول: هل كنييت؟!<sup>٦٤٣</sup>

من هو خالد بن عبد الله القسري:

ابن النصرانية<sup>٦٤٤</sup> أبو الهيثم بن عبد الله القسري كان كريما بيت مال المسلمين ينفقه ويكسب به حمد الناس في الدنيا . ولى مكة لابناء عبد الملك الوليد وسليمان وهشام، وولى العراق لهشام.

قال ابن عساكر في ترجمته:

ساق ماء إلى مكة فنصب طستا إلى جانب زمزم ثمّ خطب فقال : قد جئتمكم بماء الغاية لا يشبه امّ الخنافس (يعنى ماء زمزم)، وكان يقع في علي بن أبي طالب.

وقال ابن عساكر: وذكر كلاما لا يحلّ ذكره.

وقال - أيضا -:

وخطب وقال في خطبته: والله لو كتب إلى أمير المؤمنين لنقضتها حجرا

<sup>٦٤٢</sup> (١). ترجمة جنادة بن عمرو بن الجنيد في تهذيب تاريخ دمشق لابن بدران ٣/ ٤١٠، واللفظ له. وفي مختصره لابن منظور ٦/ ١١٧ - ١١١ (ع).

<sup>٦٤٣</sup> (١). الكامل ص ٤١٤، ط. اوربا. وابن أبي الحديد ١/ ٣٥٦.

والمبرد أبو العباس محمد بن يزيد الازدي التمامي شيخ أهل النحو وحافظ علم العربية كان من أهل البصرة فسكن بغداد (ت: ٢٨٥ هـ) بها وأشهر مؤلفاته الكامل، راجع ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب.

<sup>٦٤٤</sup> (٢). هكذا جاء ذكره في فهرست الطبري / ١٦٣، للمستشرق دي خويه.



حَجْرًا، يعنى الكعبة.

وكان عاقبة أمر خالد أن الخليفة هشاما سلّمه إلى يوسف بن عمر واليه على العراق فقتله تعذيبا في السجن سنة ١٢٦ هـ.<sup>٦٤٥</sup>

وقال ابن خلكان: بنى خالد كنيسة في داره لأمّه.<sup>٦٤٦</sup>

كانت الخلافة الاموية تسعى جاهدة في إبعاد المسلمين عن ذكر الامام على بخير، وبلغت في ذلك أنها منعت من تسمية أحد باسم عليّ: كما نرى ذلك في الخبر الاتي:

بنو امية يقتلون من سُمي عليّا:

روى ابن حجر في ترجمة على بن رباح وقال ما موجزه:

كان بنو امية إذا سمعوا بمولود اسمه على قتلوه، فبلغ ذلك رباحا فقال : هو عُليّ، وكان يغضب من عليّ ويُحرّج عليّ من سمّاه به.

المعنى أن رباحا كان يقول: اسم ابني عُليّ ... وقال ابن حجر:

قال على بن رباح: لا أجعل في حلّ من سمّاني (عليّ) فإنّ اسمي عُليّ.<sup>٦٤٧</sup>

\*\*\*

ويظهر من خبر عمر بن عبد العزيز وخبر هشام الاتي أن لعن الامام على من قبل بنى امية كان مع علمهم بمنزلته . فقد روى ابن أبي الحديد:

أن هشام بن عبد الملك لما حجّ خطب بالموسم، فقام إليه إنسان، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن هذا يوم كانت الخلفاء تستحبّ فيه لعن أبي تراب، فقال: اكفف، فما لهذا جئتنا.<sup>٦٤٨</sup>

إن سبب امتناع هشام من لعن الامام عليّ في خطبته في الموسم يوم عرفة هو الامر نفسه الذي كان يتلجج بسببه عبد العزيز في لعنه الامام عليّا في خطبته في المدينة كما أبانه لابنه عمر بن عبد العزيز والذي أسلفنا ذكره، حيث قال له:

<sup>٦٤٥</sup> (١). مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧ / ٣٦٩ - ٣٨٤.

<sup>٦٤٦</sup> (٢). هكذا رواه ابن كثير في تاريخه، واللفظ له ١٠ / ٢١. وبعض أخباره في مروج الذهب ٣ / ١٢٠، ١٧٤، ١٧٩ و ٢٨٠. وابن خلكان ٧ / ٢.

<sup>٦٤٧</sup> (٣). على بن رباح اللخمي (ت: ١١٤ أو ١١٧ هـ) راجع ترجمته في تهذيب التهذيب ٧ / ٣١٩.

<sup>٦٤٨</sup> (١). شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٥٦.

يا بنى إن من ترى تحت منبرنا من أهل الشام وغيرهم - جنده وخاصة من حوله - لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد.

إذا فقد كانت سياسة الخلافة الاموية القرشية في هذا الامر تبعاً لسياسة الخلافة القرشية في بادئ أمر الخلافة بعد الرسول ل (ص) وقد بقيت آثار تلك السياسة في المجتمع الاسلامي بعد بنى امية كما ندرس أمثلة مما جرى في هذا الشأن على عهد بنى العباس في ما يأتي بإذنه تعالى.

### على عهد العباسيين:

بقيت في المجتمع الاسلامي على عهد العباسيين آثار ما فعله الخلفاء، والولاة قبلهم . وندرس في ما يلي ثلاثة أمثلة من ثلاث طبقات في هذا الشأن على عهدهم:

### أولاً- من عمل طبقة العلماء:

روى ابن حجر في ترجمة أبي عثمان حريز بن عثمان<sup>٦٤٩</sup> الحمصي وقال ما

ص: ٣٨١

موجزه:

كان ينتقص علياً وينال منه، وقال إسماعيل بن عياش<sup>٦٥٠</sup> عادت حريز بن عثمان من مصر إلى مكة فجعل يسبّ علياً ويلعنه. وقال أيضاً: سمعت حريز بن عثمان يقول: هذا الذي يرويه الناس عن النبي (ص) أنه قال لعلی: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» حق، ولكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنما هو: أنت منى بمنزلة قارون من موسى.

وذكر الازدي أن حريز بن عثمان روى أن النبي (ص) لما أراد أن يركب جاء علي بن أبي طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبي (ص).

وقيل ليحيى بن صالح<sup>٦٥١</sup> لم لا تكتب عن حريز؟ فقال: كيف أكتب عن رجل صلّيت معه الفجر سبع سنين، فكان لا يخرج من المسجد حتّى يلعن علياً سبعين مرّة.

وقال ابن حبان<sup>٦٥٢</sup>: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرّة وبالعشي سبعين مرّة.

### ثانياً- من عمل طبقة الحكّام:

<sup>٦٤٩</sup> (٢). حريز بن عثمان دخل بغداد في عصر المهدي العباسي (ت: ١٦٣ هـ)، قال ابن حجر في ترجمته بتهذيب التهذيب ٢/ ٢٣٧ - ٢٤٠. وتقريب التهذيب ١/

١٥٩: ثقة ثبت رمى بالنصب أخرج حديثه البخاري وغيره عدا مسلم، وراجع ترجمته في تهذيب تاريخ ابن عساكر-

<sup>٦٥٠</sup> (١). إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي الحمصي (ت: ٨١ أو ٨٢ هـ) أخرج حديثه أصحاب السنن. تقريب التهذيب ١/ ٧٣.

<sup>٦٥١</sup> (٢). يحيى بن صالح الوحاظي الحمصي (ت: ٢٢٢ هـ) أخرج حديثه أصحاب الصحاح والسنن. تقريب التهذيب ٢/ ٣٤٩.

<sup>٦٥٢</sup> (٣). ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت: ٣٥٤ هـ).

روى ابن حجر فى ترجمة نصر بن علىّ، وقال:

لَمَّا حَدَّثَ نَصْرُ بِنِ عَلِيٍّ حَدِيثَ عَلِيٍّ بِنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) أَخَذَ بِيَدِ حَسَنِ وَحُسَيْنٍ فَقَالَ مِنْ أَحَبِّنِي وَأَحَبِّ هَذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ فِي دَرَجَتِي

ص: ٣٨٢

يوم القيامة، أمر المتوكّل بضربه ألف سوط، فكلمه فيه جعفر ابن عبد الواحد وجعل يقول له : هذا من أهل السنة فلم يزل به حتّى تركه.<sup>٦٥٣</sup>

ثالثاً- من عمل عامّة الناس:

روى الذهبي فى ترجمة ابن السقا من تذكرة الحفاظ، وقال:

الحافظ الامام، محدث واسط، أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عثمان الواسطى .

واتفق أنّه أملى حديث الطير، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا به فأقاموه، وغسلوا موضعه فمضى ولزم بيته . فكان لا يحدث أحدا من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم.<sup>٦٥٤</sup>

\*\*\*

لم يقتصر ما جرى من الحكّام على آل البيت طوال القرون على ما أوردنا أمثلة منه من قيامهم بلعنهم وأمر الناس بلعنهم والتبرؤ منهم وترك رواية أحاديث الرسول (ص) فى مدحهم، بل شمل أنواع الاذى لهم وقتلهم إبادة، كما أوردنا بعضها فى المجلد الثالث من هذا الكتاب، فى ذكرنا ما جرى على آل الرسول (ص) فى كربلاء، ثمّ تسلسل قتل الحكّام إيّاهم على عهد الامويين والعباسيين، كما حفل بذكر أخبارهم أبو الفرج فى كتابه مقاتل

ص: ٣٨٣

الطالبين. وأحيانا كان يجرى عليهم من قبل الخلفاء العباسيين أشدّ ممّا كان يجرى عليهم على عهد الخلفاء من قبلهم، كالآتى ذكر أمثلة منه بحوله تعالى:

أ- مثال ممّا جرى على آل الرسول (ص) على عهد المنصور:

روى أبو الفرج أنّ المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب:

<sup>٦٥٣</sup> (١) نصر بن على بن صهبان الازدى الجهضمي (ت: ٢٥٠ أو ٢٥١ هـ). تهذيب التهذيب ١٠ / ٤٣٠.

<sup>٦٥٤</sup> (٢) تذكرة الحفاظ / ٩٦٥ - ٩٦٦.

وحديث الطير أنّ رسول الله (ص) اهدى إليه طير مشوى فوضع بين يديه فقال: اللهم ائتنى بأحبّ الخلق إليك يأكل معي . فجاء على بن أبى طالب وأكل معه . وراجع أسانيد حديث الطير فى ٢ / ١٠٥ - ١٥٥، من سيرة الامام على فى تاريخ دمشق لابن عساكر تحقيق البحّثة المحقق المحمودى، ط . بيروت سنة ١٣٩٥

أنت الديباج الاصفر؟

قال: نعم.

قال: أما والله لاقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا من أهل بيتك.

ثم أمر باسطوانة ففرغت ثم ادخل فيها فبنيت عليه وهو حي.<sup>٦٥٥</sup>

ب- بعض ما جرى على آل الرسول على عهد المتوكل:

روى الطبرى فى ذكر حوادث سنة (٢٣٦ هـ)، وقال:

وفىها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علىّ وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يحرق ويبيذ ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه. فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادى فى الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثنا به إلى المطبق، فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه وحرق ذلك الموضع وزرع ما حوالبه.<sup>٦٥٦</sup>

ص: ٣٨٤

وقال ابن الاثير فى ذكر حوادث سنة (٢٣٦ هـ) من تأريخه:

فى هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن على (ع) وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من إتيانه . فنادى بالناس فى تلك الناحية : من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه فى المطبق، فهرب الناس وتركوا زيارته وخرب وزرع . وكان المتوكل شديد البغض لعلى بن أبى طالب (ع) ولاهل بيته . وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولّى عليّا وأهله بأخذ المال والدم . وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون:

قد أقبل الاصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكى بذلك عليّا (ع)، والمتوكل يشرب ويضحك . ففعل ذلك يوما والمنتصر حاضر، فأوما إلى عبادة يتهدّده فسكت خوفا منه، فقال المتوكل : ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر : يا أمير المؤمنين إنّ الذى يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمّك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكلّ أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكل للمغنين: غنّوا جميعا:

رأس الفتى فى حرّامه

غار الفتى لابن عمّه

<sup>٦٥٥</sup> (١) الطبرى ١٩٨/٩. ومقاتل الطالبين ص ٢٠٠.

والديباج من الثياب ما كان من الحرير، وديباجة الوجه حسن بشرته.

والمنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن على ثانى الخلفاء العباسيين (ت: ١٥٨ هـ).

<sup>٦٥٦</sup> (٢) الطبرى ١٤٠٧/٣ فى ذكر حوادث سنة ست وثلاثين ومائتين، والمتوكل على الله جعفر ابن المعتصم بن هارون الرشيد. ولى الخلافة سنة ٢٣٢ وقاتل سنة ٢٤٧ هـ. والمطبق: سجنه الرهيب.

فكان هذا من الاسباب التي استحلَّ بها المنتصر قتل المتوكِّل.<sup>٦٥٧</sup>

وقال أبو الفرج في مقاتل الطالبين:<sup>٦٥٨</sup>

وبعث برجل من أصحابه يقال له الديزج - وكان يهوديا فأسلم - إلى قبر الحسين، وأمره بكرب قبره ومحوه وإخراجه كلَّ ما حوله، فمضى لذلك وخرَّب ما حوله وهدم البناء وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلمَّا بلغ إلى قبره لم يتقدَّم

ص: ٣٨٥

إليه أحد، فأحضر قوما من اليهود فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكلَّ به مسالح، بين كلِّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلَّا أخذوه ووجَّهوا به إليه.

وروى عن محمد بن الحسين الاشناني أنه قال:

بُعد عهدى بالزيارة في تلك الايام خوفا، ثمَّ عملت على المخاطرة بنفسى فيها، وساعدنى رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكمن النهار ونسير الليل، حتَّى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتَّى أتينا القبر فخفى علينا، وجعلنا نشمُّه ونتحرَّى جهته حتَّى أتيناها، وقد قلع الصندوق الذى كان حوالبه واحرق، واجرى الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه فأكبنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قطَّ كشيء من الطيب، فقلت للعطار الذى كان معي: أى رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها كشيء من العطر. فودَّعناه وجعلنا حول القبر علامات فى عدَّة مواضع.

فلمَّا قتل المتوكِّل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشبيعة حتَّى صرنا إلى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه.

وقال - أيضا -:

واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرج الرخجى فمَنع آل أبي طالب من التعرُّض لمسألة الناس، ومنع الناس من البرِّ بهم، وكان لا يبلغه أن أحدا أبرَّ أحدا منهم بشيء وإن قلَّ إلَّا أنهكه عقوبة، وأثقله غرما، حتَّى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه واحدة بعد واحدة، ثمَّ يرقعنه ويجلسن على مغازلهنَّ عوارى حواسر، إلى أن قُتل المتوكِّل، فعطف المنتصر عليهم وأحسن إليهم، ووجَّه بمال فرقه فيهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه فى جميع أحواله ومضادة مذهبه طعنا عليه ونصرة لفعله.<sup>٦٥٩</sup>

ص: ٣٨٦

<sup>٦٥٧</sup> (١). الكامل فى التاريخ لابن الاثير، ط. مصر الاولى ١٨ / ٧.

<sup>٦٥٨</sup> (٢). مقاتل الطالبين ص ٥٩٨ - ٥٩٩.

<sup>٦٥٩</sup> (١). مقاتل الطالبين ص ٥٩٩.

كانت تلکم بعض آثار سياسة الخلافة القرشية على آل الرسول مدى القرون.

وسوف ندرس آثارا اخرى لها بعد إيراد نتيجة البحث الاتية بحوله تعالى.

\*\*\*

### نتيجة البحث:

كرهت قريش أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم فنهت من استطاعت أن تنهات عن كتابة حديث الرسول (ص) في حياة الرسول (ص) كى لا يكتب نص عن الرسول (ص) يثبت حقاً في الخلافة لمن تكره أن يلى الحكم من بني هاشم بعد الرسول (ص). وأيضا لكي لا ينشر حديث من الرسول (ص) فيه منقصة لذوى أرومتهم من قريش تبعدهم عن الحكم وفضيلة لمنافسيهم من بني هاشم خاصة والانصار عامة.

وللسبب نفسه منعت الرسول (ص) من كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته، تلك الوصية التي قال عنها : لن تضلوا بعدها أبدا. وخشية أن يكتب نصاً لمن يتولى الحكم بعده من بني هاشم الذين كرهوا أن تجتمع فيهم النبوة والخلافة، وللسبب نفسه سعى الصحابي عمر القرشي ومن معه من مهاجرة قريش في أخذ البيعة لابي بكر القرشي التيمي بعد وفاة الرسول (ص).

ولذلك - أيضا - أدلى أبو بكر بالخلافة إلى صاحبه عمر القرشي العدوي بواسطة عثمان القرشي.<sup>٦٦٠</sup>

وللسبب نفسه منع الخليفة عمر من كتابة حديث الرسول (ص) ونشره، وأحرق ما كتبه الصحابة منه وسجن منهم في المدينة من خالفه ونشر حديث

ص: ٣٨٧

الرسول (ص) في البلاد خارج المدينة.<sup>٦٦١</sup>

وللسبب نفسه كان عمر إذا استعمل العمال خرج معهم يشيعهم فيقول ... جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن محمد، وأنا شريككم.<sup>٦٦٢</sup>

وللسبب نفسه لم يؤل الخليفان أبو بكر وعمر أحدا من بني هاشم على جيش في الفتوح ولا على بلد مفتوح.<sup>٦٦٣</sup>

ولذلك - أيضا - دبر الخليفة عمر تولية عثمان القرشي الاموي على الحكم بواسطة عبد الرحمن بن عوف في الشورى القرشية.<sup>٦٦٤</sup>

<sup>٦٦٠</sup> (١). راجع أخبارها ومصادرها في فصل الواقع التاريخي لتقيام الخلافة من هذا الكتاب ص ١٥١ فما بعدها.

<sup>٦٦١</sup> (١). راجع ٢ / ٤٤ - ٤٥ من هذا الكتاب، فصل منع كتابة الحديث على عهد الخلفاء.

<sup>٦٦٢</sup> (٢). تأريخ الطبرى ١٩ / ٥، في ذكر سيرة عمر من حوادث سنة ٣٠ هـ.

<sup>٦٦٣</sup> (٣). راجع مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٣٢١ - ٣٢٢، ويؤيد ذلك أنهم لم يولوا أحدا من بني هاشم على عهد الخلفاء الثلاثة.

وللسبب نفسه جرّد عثمان القرآن من حديث الرسول (ص) ونسخه في مصاحف ووزّعه على البلاد الإسلامية وأحرق ما عداها من مصاحف الصحابة التي دوّن فيها مع القرآن أحاديث الرسول (ص) في تفسير القرآن. وجلب الصحابي عبد الله بن مسعود من الكوفة إلى المدينة لمخالفته إياه في إحراق المصاحف وأمر بضربه وقطع عطاءه من بيت المال.<sup>٦٦٥</sup>

ونفى الصحابي أبا ذر من المدينة إلى الربذة لنشره حديث الرسول بين العباد وفي البلاد.<sup>٦٦٦</sup>

وأدلى بالخلافة إلى عبد الرحمن القرشي الزهري في وصيته التي كتبها في

ص: ٣٨٨

مرضه بالرعايف.<sup>٦٦٧</sup>

وعندما توفّي عبد الرحمن في حياة عثمان وقتل عثمان ولم يتسنّ له أن يولّي أحدا من قريش على الحكم عندئذ ملك المسلمون زمام أمرهم فتهافتوا على الامام على (ع) يبائعونه يتقدّمهم سروات قريش من الصحابة بعد فقدهم زمام المبادرة، وبعد أربعة أشهر من ذلك لملت قريش أطرافها وأقامت على الامام على حرب الجمل بقيادة أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير لعلّها تسلب الحكم من الامام على (ع)،<sup>٦٦٨</sup> وثنت بإقامة حرب صفين عليه للسبب نفسه ولكي تتمكن من إقامة الحربين عليه أشاعت بين المسلمين خارج المدينة بأن الامام قتل الخليفة عثمان واستولى على الحكم؛<sup>٦٦٩</sup> ولما كان المسلمون خارج المدينة يأخذون معالم دينهم وأخبار سيرة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه ممّن يليهم من الصحابة، وولاتهم من رجالات قريش وحلفائها ومواليها، ولا يعلمون ما عدا القرآن من الاسلام وسيرة أهله غير ما يذيعه فيهم اولئك الرجال، ولا يملكون سبيلا للمعرفة غير ذلك؛ فقد استطاعت قريش أن تشوّش على المسلمين رؤيتهم للامام على (ع)، وزاد في الطين بلة رفع جيش معاوية المصاحف حفا عندما ضعفوا عن القتال في صفين ودعوتهم الامام عليا (ع) وجيشه إلى تحكيم القرآن ثمّ إلى تحكيم الحكمين، وعندما أصرّ القراء في جيش الامام على (ع) ومن تبعهم على قبول التحكيم وخذع الصحابي عمرو ابن العاص القرشي الاموي الصحابي أبا موسى الاشعري في مقام الحكم، وانتشر خبر الخدعة؛ كبر ذلك على جمع ممّن قبلوا التحكيم من قراء أهل الكوفة فكفّروا عامّة المسلمين، وخرجوا على الامام على (ع) وحاربوه في النهروان فقتلهم

ص: ٣٨٩

<sup>٦٦٤</sup> (٤). أشرنا إلى هذا الخبر قبيل هذا.

<sup>٦٦٥</sup> (٥). راجع بحث (على عهد عثمان) من (تأريخ القرآن) في كتابنا (القرآن الكريم وروايات المدرستين)، وراجع خبر ابن مسعود في كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) فصل (على عهد الصهرين).

<sup>٦٦٦</sup> (٦). راجع ٢ / ٤٦ من هذا الكتاب.

<sup>٦٦٧</sup> (١). مضى ذكر مصدره.

<sup>٦٦٨</sup> (٢). راجع خبر الجمل في كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) فصل (على عهد الصهرين).

<sup>٦٦٩</sup> (٣). راجع أخبار صفين في تأريخ الطبري وابن الاثير وابن كثير.

الامام على (ع)، ثم اغتال أحدهم الامام فى محرابه بمسجد الكوفة .<sup>٦٧٠</sup> إنَّ كلَّ ذلك شوَّش على المسلمين خا رج المدينة الرؤىة الصحيحة للامام على (ع) وسبب قبولهم ما ينشر عن الامام على (ع) خلافا للواقع والحق.

ومن جانب آخر تبدل كره قريش أن يستولى على الحكم أحد من بنى هاشم - والمقصود فى هذه الكراهية استيلاء الامام على على الحكم إذ لم يكن فى بنى هاشم مرشحا للحكم غ يره-، تبدل ذلك الكره فى الحربين التى أقامتها قريش على الامام على (ع) إلى الحقد والعداء على الامام على (ع) وقام حكم قريش على المسلمين بعد ذلك على أساس الحقد والعداء للامام على (ع)، وظهر ذلك جليا فى حكم بنى امية على المسلمين كما نشير إليه فى ما يأتى:

ص: ٣٩٠

عداوة الخلافة الاموية للامام على وآثارها

أولا- فى خلافة آل أبى سفيان وعلى عهد معاوية:

عندما استولى معاوية على الحكم بنى سياسة الحكم على أساسين:

١- الادلاء بالخلافة لابنه يزيد بعد أن كانت سياسة الخلفاء قائمة على أساس تداول الخلافة فى قريش وكان شعارهم فى ذلك (وسعوها فى قريش تتسع).<sup>٦٧١</sup>

٢- سياسة العداة لال الرسول (ص) ولسيدهم الامام على (ع) خاصة.

لم نعلم فى التأريخ مثيلا لعداء معاوية للامام على (ع) خاصة بالاضافة إلى عداوته لعامة بنى هاشم، ولذلك شيّد حكمه على ذمهم واختلاق المتالب فى حقهم والمناقب لغيره م، ونشر ذلك بين الناس فى البلاد، وأمر بلعن الامام على (ع) فى كل نادٍ وخاصة فى خطب صلاة الجمعة فى المساجد من أقصى بلاد الشرق إلى أقصى بلاد الغرب الاسلامية، وآلى آلا يتركه حتى يهرم عليه الصغير ويفنى الكبير، وقتل من امتنع عن ذلك من أفاضل المسلمين بأنواع ا لقتل، وأربى على ذلك ابنه يزيد حين قتل آل الرسول (ص) فى كربلاء وقطع رؤوسهم وسبى ذرية الرسول وطاف بالرؤوس وبالسبايا فى البلاد، وبذلك انتهت أفعال الخلافة الاموية من آل أبى سفيان، وانتهى الحكم إلى بنى مروان من آل امية.

ص: ٣٩١

سياسة حكم الخلافة المروانية من آل امية:

<sup>٦٧٠</sup> (١). راجع أخبار صفين والنهروان فى تأريخ الطبرى وابن الاثير وابن كثير وغيرها.

<sup>٦٧١</sup> (١). تجد خبر رفع قريش هذا الشعار بعد وفاة الرسول (ص) فى ابن أبى الحديد ١٨ / ٢، و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤٣ / ٦، كما أن عملهم فى

تولية القرشيين على الحكم

من بطون مختلفة من قريش لخير دليل على ذلك.



تبع الخلفاء من آل مروان سياسة معاوية في تداول الحكم في أسرته وفي لعن الامام على (ع) والتنقيص من قدره إلى زمان عمر بن عبد العزيز الذي أمر بترك لعن الامام . غير أن الناس كانوا قد اعتادوا على لعن الامام ورآه بعضهم فريضة لا يصح تركها ولا تقبل صلاة الجمعة دونها كما كان شأن أهل حرّان الذين قالوا: (لا صلاة دون لعن أبي تراب)، ولم يدم حكم ابن عبد العزيز أكثر من سنتين وأشهر<sup>٦٧٢</sup> إذ سمّه آل أبيه<sup>٦٧٣</sup> وعادت آل أمية بعده إلى عاداتها القديمة في لعن الامام إلى أن جاء إلى الحكم بعدهم بنو العباس، وكانت سياستهم كالاتي:

### سياسة حكم الخلافة العباسية:

كان في خلفاء بني العباس من زاد على بني أمية في قتل آل الرسول والحطّ من مكانتهم بين المسلمين مثل أبي جعفر المنصور وهارون الرشيد والمتوكل، وفيهم من خالف اولئك ومال إلى أهل البيت.<sup>٦٧٤</sup>

غير أن الناس كانوا قد تربّوا تسعين عاما مدّة الخلافة الاموية (٢٣٩) كما خطّط معاوية تربيتهم على التبرؤ من الامام على (ع) ولعنه وتنقيصه، وبقي أثر تلك التربية إلى عهد العباسيين، فقد كان على عهدهم من العلماء والمحدثين حريز

ص: ٣٩٢

بن عثمان (ت: ١٦٢ هـ) الذي كان يلعن الامام بالغداة سبعين مرّة ووضع الاحاديث في ذمّ الامام ورواها في بغداد وغيرها من عواصم البلاد الاسلامية.

وكان في عامّة بلادهم اناس مثل أهالي واسط الذين اتفق لعالمهم ومحدّث بلدهم عبد الله بن محمد بن عثمان (ت: ٣٧١ هـ) أن أملي حديث الطير، فأقاموه وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته.

اتفق لمحدّث البلد مرّة واحدة أن يحدّث بحديث واحد في فضيلة للامام على (ع) فأقامه أهل البلد وغسلوا الموضع الذي جلس فيه وحدّث ذلك الحديث.

\*\*\*

لم يقتصر الامر على ما ذكرنا ومن ذكرنا، ولا على تلك العصور، بل امتدّ الامر إلى غيرهم وإلى عصرنا الحاضر وإنّما اقتصرنا في ما سبق على ذكر أمثله من عمل الحكّام طوال القرون في إخفاء ذكر أهل بيت الرسول (ص) ونشر الكراهية لهم والانتقاص من قدرهم كي لا يتّجه المسلمون إليهم، ويدبروا عنهم . فينتقض حكمهم - حكم الخلافة القرشبية - ويشاد على أنقاضه حكم لال الرسول (ص)، وأنتجت سياسة الخلافة القرشبية قادة وأتباعا مع أهل البيت، أموية وعباسية، وغير أموية وغير عباسية إجراء عشرة أنواع من الكتمان والتحريف في مدرسة الخلفاء على سنّة الرسول (ص) وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه في ما يخصّ منها أهل البيت، كما سندرسها في بحث : (دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) وسيرة أهل بيته وأصحابه) الاتي بإذنه تعالى.

<sup>٦٧٢</sup> (١). مروج الذهب للمسعودي ٣/ ٣٥ وغيره.

<sup>٦٧٣</sup> (٢). تأريخ ابن كثير ٩/ ٢٠٩.

<sup>٦٧٤</sup> (٣). مثل الناصر لدين الله الذي كان من أتباع مدرسة أهل البيت وقد شاهدت من آثاره في سامراء في مصلى الائمة تحت مسجد الهادي والمسمى بسرداب الغيبة كتابة خشبية في صفتها نصبت في ارتفاع أكثر من متر من قاع الصفة كتب عليها أسماء الائمة الاتني عشر وأنها شيدت بأمر الناصر لدين الله.

ص: ٣٩٣

عشرة أنواع من الكتمان والتحرّيف لسنة الرسول (ص) وأخبار سيرة أهل بيته وأصحابه

ص: ٣٩٤

دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنة الرسول (ص) المخالفة لاتّجاهها

في هذه العجالة نضرب - مثلا - لما فعلته مدرسة الخلفاء بالنصوص التي تخالف اتّجاهها بعملها مع النصوص التي فيها ذكر صفة الوصيّ للإمام عليّ (ع) في سنة الرسول (ص) وأقوال الصحابة ونقول:

روت الصحابة روايات متعددة موثوقة ومعتبرة أنّ رسول الله (ص) قال: عليّ وصيّى ووزيرى ووارثى . وفي بعضها: وخليفتى؛ واشتهر الامام عليّ بلقب الوصيّ من بين هذه الالقاب، وأصبح علما له، ولم يعرف غيره بهذا اللقب، كما كنّاه رسول الله (ص) بأبى تراب، فاخصّص به واشتهر وأصبح علما له، ولم تعرف لغيره هذه الكنية . ثمّ أكثرت الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من الشعراء ذكره بالوصيّ في أشعارهم كما ورد ذكره عند علماء أهل الكتاب وأخبروا الناس بذلك.

إنكار الوصيّة:

لمّا كانت شهرة لقب (الوصيّ) للإمام عليّ تخالف سياسة مدرسة الخلفاء، فقد سعوا في مقابلة هذه الشهرة بإنكارها وكتمان النصوص الدالّة عليها.

بدأت أمّ المؤمنين عائشة بحملة دعائية قويّة ضدّ شهرة الامام عليّ بلقب الوصيّ وأنكرته، ثمّ استمرّت حملاتهم ضدّ هذه الشهرة بأشكال اخرى مدى القرون.

ص: ٣٩٥

ومن أهمّ ما فعلته مدرسة الخلفاء في هذا المقام كتمان النصوص الواردة في شأن الوصيّة، ويجد الباحث المتتبّع من كتمان النصوص التي تخالف سياسة الخلفاء بمدربتهم سواء ما كان منها في شأن الوصيّة أو في غيرها، أمرا هائلا خطيرا.

ومن أمثلة الكتمان لدى مدرسة الخلفاء، الاصناف العشرة الاتية، نذكرها بحسب أهميّتها في كتمان سنة الرسول (ص) بدءا بالمهمّ فالاهمّ.

أ- حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمّة.

ب- حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الاشارة إلى الحذف.

ج- تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص).

د- حذف بعض أقوال الصحابة مع عدم الاشارة إليه.

ه- حذف تمام الرواية من سنة الرسول (ص) مع عدم الاشارة إليه.

و- النهى عن كتابة سنة الرسول (ص).

ز- تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان.

ح- إحراق الكتب والمكتبات.

ط- حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه.

ي- وضع الروايات المختلفة بدلا من روايات سنة الرسول (ص) الصحيحة وسيرة الصحابة الصحيحة.

أ- حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمة:

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الحديث من سنة الرسول (ص) وتبديله بكلمة مبهمة بدل ما حذف، مثل ما فعله الطبرى

ص: ٣٩٦

وابن كثير بخبر دعوة بنى هاشم فى تفسير الاية : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** حيث حذفوا قول رسول الله (ص): «ووصيى وخليفتى فيكم» وأبدلاه بقولهما: [وكذا وكذا].

ومن هذا النوع من الكتمان ما فعله البخارى فى صحيحه مع سيرة الصحابة فى خبر عبد الرحمن الذى مر بنا سابقا، حيث حذف قول عبد الرحمن لمروان وقال: [فقال عبد الرحمن شيئا] بدل كلام عبد الرحمن بقول مبهم وأضاف إلى ذلك حذف ما روته أم المؤمنين عائشة عن رسول الله (ص) من الحديث فى حق الحَكَمَ والد الخليفة مروان.

ومن هذا النوع من الكتمان - أيضا - ما فعلوه بخبر استشارة رسول الله (ص) أصحابه فى شأن غزوة بدر وجواب أصحابه له:

فقد روى ابن هشام والطبرى وقالوا:

(وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى : **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ولكن، اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون - إلى قوله -: فقال رسول الله (ص) خيرا ودعا له).

وجاء فى جواب سعد بن معاذ الانصارى قوله:

(فامض يا رسول الله (ص) لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل ... فسُرَّ رسول الله (ص) بقول سعد ونشطه ذلك).

ترى ماذا كان جواب الصحابيِّين أبي بكر وعمر لرسول الله (ص) الذي حُذِفَ من هذه الرواية وابدل بقول مبهم وهو :  
[وأحسن]؟ ولو كان القول

ص: ٣٩٧

حسنا فلم حذف ذلك القول الحسن؟! بينا أثبت قول المقداد المهاجري وسعد بن معاذ الانصارى، نرجع إلى صحيح مسلم فنجد في روايته:

إن رسول الله (ص) شاور أصحابه حين بلغه إقبال أبي سفيان قال:

(فتكلم أبو بكر، فأعرض عنه. ثم تكلم عمر فأعرض عنه ... الحديث).

ترى لماذا أعرض الرسول (ص) عن الصحابيِّين، لو كان قولهما حسنا؟ ونبحث عن قولهما لدى الواقدي و المقرئى  
فنجدهما يقولان هكذا، واللفظ للاول:

(قال عمر: يا رسول الله إنها والله قريش وعزها، والله ما دلت منذ عزت، والله ما آمنت منذ كفرت، والله لا تسلّم عزها أبدا، ولتقاتلنك، فأتهد لذلك اهبتة وأعدّ لذلك عدته ...).<sup>٦٧٥</sup>

عرفنا من رواية ابن هشام والطبوى ومسلم أن الصحابى عمر تكلم بعد الصحابى أبى بكر، ووصف الطبرى وابن هشام قول كلّ منهما ب- [فأحسن] وفى رواية مسلم أن الرسول (ص) أعرض عن أبى بكر، ثمّ عن عمر، ومن ثمّ نعرف أنّ قولهما كان أمرا واحدا، وعندما صرّح الواقدي والمقرئى بقول عمر وكتما قول أبى بكر، كشف لنا قول عمر- أيضا- عن قول أبى بكر.

ولمّا كان قول الصحابيِّين يسوء ذكره بعض الناس حُذِفَ قولهما من رواية ابن هشام والطبرى ومسلم، ومن أجل هذا النوع من الكتمان، أصبحت هذه الكتب من أوثق الكتب بمدرسة الخلفاء.

وأصبح صحيح البخارى الذى لم يذكر شيئا من هذا الخبر؛ مبهما وغير مبهم أكثر اشتهاارا بالصحة والوثاقة من جميع الكتب.

ص: ٣٩٨

إنّ الطبرى وابن كثير أبدا من حديث الرسول (ص) «وصبى وخليفتى» ب- [كذا وكذا] لأنّ هذا الخبر ينبّه العامة إلى حقّ الامام علىّ فى الحكم، ولا يحسن انتشاره.

<sup>٦٧٥</sup> (١). مرّ بنا ذكر مصادر الخبر فى بحث مناقشة الاستدلال بالشورى بهذا الكتاب.

وأبدل البخارى قول عبد الرحمن ب- (شئاً)، لأن قول عبد الرحمن كان يسوء الخلفاء : معاوية ويزيد ومروان، وينبّه العامة على ما لا ينبغي أن يتنبّهوا إليه.

وأبدل قول أبي بكر وعمر فى جواب رسول الله (ص) فى كل من سيرة ابن هشام وتأريخ الطبرى، وحذف من رواية صحيح مسلم، لما فيه ما لا يزين الخليفين أبا بكر وعمر، وكلهم حذف بعض الخبر وأبهم فى القول .

وهذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلافة.

### ب- حذف تمام الخبر من سيرة الصحابة مع الاشارة إلى الحذف:

ومن أنواع الكتمان عندهم ما فعلوه بمكاتبات جرت بين محمد بن أبى بكر ومعاوية، فقد وجدنا فى كتاب صفين لنص ر بن مزاحم (ت: ٢١٢ هـ) ومروج الذهب للمسعودى (ت: ٣٤٦ هـ) تفصيل كتاب محمد بن أبى بكر لمعاوية وفيه ذكر فضائل الامام على بما فيها أنه وصى النبي، واعترف معاوية فى جوابه بها، وفى الكتابين ذكر ما لا يزين الخلفاء نشره، فحذفهما الطبرى (ت: ٣١٠ هـ) مع ذكره لسنده إلى الكتابين، واعتذر عن ذلك بعدم احتمال العامة لسماع ما فيهما، أى أنه أخفى الحقائق عن الناس.

وجاء بعده ابن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ) وفعل كذلك واعتذر بالعدر نفسه.

وجاء بعدهما ابن كثير وأشار إلى كتاب محمد بن أبى بكر فى موسوعته التأريخية الكبرى<sup>٦٧٤</sup> واقتصر بقوله: (وفيه غلظة).

ص: ٣٩٩

قصد الطبرى وابن الاثير من قولهما : (عدم احتمال العامة لسماع ما فيهما): أن العامة لا تبقى على عقيدتها بالخلفاء بعد سماع الكتابين.

وهذا الصنف من الكتمان، أى: حذف تمام الخبر مع الاشارة إلى الخبر المحذوف، نادر عند علماء مدرسة الخلفاء.

### ج- تأويل معنى الحديث من سنة الرسول (ص):

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء تأويل معنى الرواية كما فعل الذهبى<sup>٦٧٧</sup> بترجمة النسائي صاحب السنن؛ فإنه قال : سئل النسائي أن يخرج فضائل معاوية، قال: أى شىء اخرج؟! حديث: اللهم لا تشيع بطنه؟

فقال الذهبى:

(قلت: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (ص): اللهم من لعنته أو شتمته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة).

<sup>٦٧٤</sup> (١). البداية والنهاية ٧/ ٣١٤. وقد ذكرنا الكتابين مع تعليقتنا عليهما، وعلى ما فعله الطبرى فى ما سبق.

<sup>٦٧٧</sup> (١). تذكرة الحفاظ ص ٦٩٨-٧٠١.

قال الذهبي (ت: ٧٢٨ هـ): [لعلّ ...]. وجاء بعده ابن كثير (ت: ٧٧٤ هـ) وقال:

(وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه واخراه).

وهذا نصّ كلامه<sup>٦٧٨</sup> في الرواية التي جاءت في شأن معاوية، في صحيح مسلم، باب (مَنْ لعنه النبيُّ أو سبّه، جعله الله له زكاةً وطهوراً) من كتاب البرِّ والصلة، عن ابن عباس قال:

كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله (ص) فتواريت خلف باب، قال: فجاء فخطناني خطاة وقال: «إذهب وادع لي معاوية». قال: فجئت

ص: ٤٠٠

فقلت: هو يأكل. قال: ثم قال لي: «إذهب فادع لي معاوية». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: «لا أشبع الله بطنه»<sup>٦٧٩</sup>. كان هذا لفظ مسلم.

وأورد الحديث ابن كثير في تأريخه وزاد على كلام رسول الله (ص) بعد قوله «إذهب وادع لي معاوية» جملة: (وكان يكتب الوحي) وهذا لفظ ابن كثير:

(عن ابن عباس، قال: كنت ألعب مع الغلمان فإذا رسول الله (ص) قد جاء، فقلت: ما جاء إلّا إليّ، فاخترت على باب فجاءني فخطناني خطاةً أو حطّأتين، ثم قال: إذهب فادع لي معاوية - وكان يكتب الوحي - قال: فذهبت فدعوته له، فقيل: إنّه يأكل، فأتيت رسول الله (ص) فقلت: إنّه يأكل، فقال: إذهب فادعه، فأتيته الثانية فقيل: إنّه يأكل، فأخبرته، فقال في الثالثة: لا أشبع الله بطنه. قال: فما شبع بعدها. وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه واخراه، أمّا في دنياه، فإنّه لما صار إلى الشام أميراً<sup>٦٨٠</sup> كان يأكل في اليوم سبع مرّات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منه، ويأكل في اليوم سبع أكالات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وإنّما أعياء، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كلّ الملوك. وأمّا في الآخرة فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله (ص) قال:

اللهم إنّما أنا بشر فأبشّر عبداً سببته أو جلّدته أو دعوت عليه، وليس لذلك أهلاً، فاجعل ذلك كفّارة وقربةً تقربّه بها عندك يوم القيامة. فركب مسلم من

ص: ٤٠١

<sup>٦٧٨</sup> (٢). البداية والنهاية ٨ / ١١٩.

وحطّأتين: ضربني باليد المبسوطة بين الكتفين. في تأريخ ابن كثير (خطاني) تصحيف.

<sup>٦٧٩</sup> (١). صحيح مسلم، كتاب البرِّ والصلة، ح ٩٦، ص ٢٠١٠.

<sup>٦٨٠</sup> (٢). وهذه الاضافة إلى آخرها من كلام ابن كثير.

الحديث الاول وهذا الحديث فضيلة لمعاوية، ولم يورد له غير ذلك).<sup>٦٨١</sup> انتهى كلام ابن كثير. وأراد بما قال أن دعاء الرسول على معاوية دعاء له في الدنيا والاخرة؛ أما في الدنيا فبما ذكره من مزية كثرة الاكل للملوك، وأما الاخرة فاعتمد الاحاديث التي نسبت إلى رسول الله (ص) أنه كان يلعن المؤمنين - معاذ الله - ودعا أن يكون لهم زكاة وطمهورا، وأن مسلما حين أورد هذا الحديث في آخر هذا الباب أثبت لمعاوية رضوانا وتقربا إلى الله يوم القيامة.

وهكذا يؤولون الاحاديث والابخار التي فيها ذم لذوى السلطة من الخلفاء والولاة إلى ما فيه مدحهم والثناء عليهم.

ولنا هنا نظرة تأمل في ما ورد أن النبي لعن المؤمنين - معاذ الله -.

نظرة تأمل في ما رووا في باب من لعنه النبي (ص):

رووا واللفظ هنا لمسلم في صحيحه، باب من لعنه النبي: أن رسول الله (ص) قال:

«اللهم إني أتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه فإنما أنا بشر فأى المؤمنين آذيته، شتمته، لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة».

أشعر - وأنا أكتب هذا - بمثل طعن المدى في قلبي لعظم ما نسب إلى رسول الله (ص)!! يروون هذا الحديث في مقابل قول الله سبحانه وتعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**، وينبغي دراسة هذا الحديث في الصنف الثامن من أنواع الكتمان : (وضع الروايات المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة)، فإنها نسبت إلى رسول الله (ص) في مقابل ما تواتر عند جميع المسلمين من سيرة رسول الله الصحيحة في باب سمو أخلاقه الكريمة، وإنما رويت أمثال هذه

ص: ٢٠٢

الرواية عن رسول الله (ص) لكتمان ما مر بنا من رواية أم المؤمنين عائشة أن رسول الله (ص) لعن الحكم بن أبي العاص والد الخليفة الاموي مروان، وكتمان ما تواترت روايته عن رسول الله (ص) في حق الخليفة معاوية التي أولها ابن كثير إلى ما فيه مدح معاوية؛ وبما أنا قد ناقشنا هذه الاحاديث في الجزء الثاني من كتاب (أحاديث أم المؤمنين عائشة) والثالث من (قيام الائمة بإحياء السنة)، فلا نعيد تلك البحوث في هذا الكتاب.

\*\*\*

عود على بدء:

نعود إلى بحث تأويل معنى الرواية من أصناف الكتمان ونقول:

وكان من هذا الباب من التأويل وما يأتي بحثه<sup>٦٨٢</sup> في خبر دعر سعد ابن أبي وقاص حدّ شرب الخمر عن أبي م حجن، وتمحلّ ابن فتحون وابن حجر في تأويل قول سعد لابى محجن : (والله لا نجلدك على الخمر). وسيأتى في بحث نصّ

<sup>٦٨١</sup> (١). البداية والنهاية ٨ / ١١٩.

<sup>٦٨٢</sup> (١). في بحث انتشار أحاديث سيف ... في الصنف العاشر من أصناف الكتمان.

رسول الله (ص) على أن عدد الائمة الخلفاء بعده اثنا عشر، كيف ارتبكوا في تأويله عندما رأوا أنه لا يصدق على غير الائمة الاثني عشر من آل رسول الله (ص) بما لم يرض به العالم الاخر ونقضه.

ومن هذا الباب من الكتمان ما فعله الطبراني بالحديث الاتي كما في مجمع الزوائد: <sup>٦٨٣</sup>

(عن سلمان، قال: قلت: يا رسول الله، إن لكل نبي وصيًا، فمن وصيِّك؟ فسكت عني، فلمَّا كان بعد رأني فقال: يا سلمان، فأسرعت إليه قلت: لبيك، قال: «تعلم من وصيِّ موسى؟» قلت: نعم، يوشع بن نون، قال:

ص: ٤٠٣

«لم؟» قلت: لأنَّه كان أعلمهم يومئذ، قال: «إنَّ وصيِّ وموضع سرِّي وخير من أترك بعدى وينجز عدتي ويقضى ديني عليَّ بن أبي طالب». رواه الطبراني وقال: وصيِّ: أنَّه أوصاه بأهله لا بالخلافة).

انتهى ما نقله الهيثقي عن الطبراني في مجمع الزوائد.

دراسة للحديث النبوي الشريف ونظرة تأمل في تأويل الطبراني إيَّاه:

لمعرفة مدى صحَّة تأويل الطبراني للحديث الشريف ندرس ثلاثة جوانب من الحديث: السائل، والسؤال، وحكمة النبي في الجواب.

السائل هو: سلمان الفارسي نسبا، ولم يكن من بنى عبد المطلب أو أقرباء أزواج الرسول أو أصحابه ليعنيه من يخلفه الرسول على أهله وإنَّما كان ممَّن عاشر رهبان النصارى وعلماءهم قبل أن يسلم على يدى الرسول (ص)، وأخذ منهم علم الامم السابقة وأخبار أنبيائها وأوصيائها، ومن ثمَّ قال للرسول (ص):

(إنَّ لكل نبي وصيًّا فمن وصيِّك؟). فهو إذا يسأل عن وصيِّ النبي على شريعته ووليِّ عهده في أمته، ولم يقل له أن ربَّ كلِّ عائلة يعيِّن وصيًّا فمن وصيِّك من بعدك؟ ليفهم منه أنَّه يسأل عن خليفته على أهله.

أمَّا جواب النبي (ص) وتأخُّره عن الاجابة فقد كان هذا شأن النبي (ص) في الامور المهمَّة. نختظر أمر السماء مثل انتظاره في المدينة أمر السماء في تحويل القبلة إلى الكعبة وهو يعلم أنَّها قبلته، حتَّى نزلت عليه: **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا الْبَقْرَةَ/ ١٤٤**. ولمَّا كان رسول الله (ص) يعلم تنافس الانسان العربى على الامرة كما مرَّ بنا بعض أخباره <sup>٦٨٤</sup> في ما سبق، وكان المجتمع الاسلامى الصغير فى المدينة الذى بدأ النبي (ص) بتأسيسه لا يتحمَّل نشر خبر ولاية عهد الامام

ص: ٤٠٤

<sup>٦٨٣</sup> (٢). مجمع الزوائد ٩/ ١١٣ - ١١٤.

<sup>٦٨٤</sup> (١). فى فصل مصطلحات بحث الامامة والخلافة.



على بعد النبيّ (ص)، تأخّر النبيّ (ص) في جواب سلمان، ولعلّه أجاب سلمان حين اذن له بذلك، وعندئذٍ فتح سلمان وأعدّه لاستماع الجواب بالسؤال منه عن وصيّ موسى وهو يعلم أنّ سلمان يعلم ذلك بما عنده من علماء أهل الكتاب، فلمّا أجابه بأنّ يوشع بن نون كان وصيّ موسى، سأله النبيّ (ص) وقال له: «لم؟» فلمّا قال سلمان في جوابه: «لأنّه كان أعلمهم يومئذٍ» قال النبيّ (ص): «إنّ وصيّى و ... علىّ بن أبى طالب».

والحكمة في جواب النبيّ (ص) لسلمان بهذا الاسلوب ما يأتى:

أولاً: ضرب النبيّ (ص) المثل بيوشع بن نون لأنّه كان أشهر أوصياء الانبياء، ولأنّ موسى بن عمران (ع) كان قد استخلفه على أمته من بعده، فقاد بنى إسرائيل ومارس الحروب، كما فعل الامام علىّ بعد النبيّ (ص) في مدّة حكمه.

ثانياً: سأل عن سبب كون يوشع وصيّاً لموسى وأجاب سلمان أنّه كان أعلمهم.

بهذه المحاورة بيّن رسول الله (ص) أنّ عليّاً وصيّيه. ليس لكونه ابن عمّ الرسول (ص) أو لأنّه دافع عن الاسلام في حروب النبيّ (ص) ببسالة فائقة، بل لأنّه أعلمهم، أى أنّه كشف عن قابلية الامام علىّ للوصاية على الاسلام والمسلمين وأكد ذلك بقوله (ص): «موضع سرّى وخير من أترك بعدى». وهذا الكلام - أيضاً - أوّله الطبراني وقال: «خير من أترك بعدى من أهل بيتى». كان هذا تأويل الطبراني في حديث لم يجد فيه مغزاً من ضعف وما شاكله من القول.

حيرة عالم آخر في تأويل معنى الوصيّة:

قال ابن أبى الحديد الشافعى في شرح الوصيّة في كلام الامام علىّ (ع):

ص: ٢٠٥

(لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الامة أحد ... هم أساس الدين ... ولهم خصائص حقّ الولاية وفيهم الوصيّة والوراثة) ما يأتى:

(أمّا الوصيّة فلا ريب عندنا أنّ عليّاً (ع) كان وصيّ رسول الله (ص) وإنّ خالف في ذلك من هو منسوب عندنا إلى العناد، ولسنا نعى بالوصيّة النصّ على الخلافة ولكن امورا اخرى لعلّها إذا لمحت أشرف وأجلّ). انتهى كلام ابن أبى الحديد.

ونقول في جوابه:

إنّ الامام عليّاً (ع) لم يقل: لى حقّ الولاية والوصيّة والوراثة، كى يمكن تأويل قوله إنّ له حقّ الولاية والوصيّة على أهل رسول الله (ص)، بل قال: (آل محمد هم أساس الدين ... وفيهم الوصيّة). أثبت الامام الصفات المذكورة لآل رسول الله (ص) بما فيها الوصيّة، ولا معنى للقول بأنّ آل رسول الله (ص) لهم حقّ الوصيّة على آل رسول الله (ص)، أثبتتها الامام لآل رسول الله (ص) وهو أحدهم وسائرهم الائمة الاحد عشر من بنيّه. ومن ثمّ حار العلامة الشافعى في تأويل الوصيّة هنا ولم يستطع أن يردّد تأويل الطبراني، وإنّما قال: (لسنا نعى بالوصيّة النصّ على الخلافة ولكن امورا اخرى)، فما هى الامور الاخرى التى لم تذكرها أيّها العالم المحتار في تأويل الحديث؟

وخلاصة القول إن العلماء في هذا الصنف من الكتمان يؤولون من سنة رسول الله (ص) حديثه وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة على المسلمين من خلفاء وولاة وما فيه تقدمهم إلى ما فيه مصلحتهم ومدحهم والثناء عليهم.

د- حذف بعض من أقوال الصحابة مع عدم الإشارة إليه:

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، حذف بعض الخبر الذي ينقلونه دونما

ص: ٤٠٦

إشارة إلى المحذوف؛ مثل ما فعلوه مع قصيدة الصحابيِّ الانصارى النعمان بن عجلان التي استشهدنا ببيتين منها في باب الأشعار التي قيلت في الوصية، وقد رواها الزبير بن بكَّار بتمامها ضمن إيراد أخبار السقيفة وما وقع بين المهاجرين والانصار من خصومة ومحاججات، منها أقوال عمرو بن العاص ضدَّهم، فأجابه

النعمان بقصيدة ذكر فيها مواقف الانصار في حروب رسول الله (ص) مع قريش، ثمَّ إيواءهم مهاجرة قريش ومقاسمتهم الاموال، ثمَّ ذكر حوادث السقيفة وقال:

وقلتم: حرام نصب سعد ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
وأهل أبو بكر لها خير قائم	وإنَّ عليًّا كان أخلق بالامر
وكان هوانا في عليٍّ وإنَّه	لاهل لها ياعمرؤ من حيث لاتدرى
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى	وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر
وصىَّ النبيَّ المصطفى وابن عمّه	وقاتل فرسان الضلالة والكفر
وهذا بحمد الله يهدى من العمى	ويفتح آذانا ثقلن من الورى
نجىَّ رسول الله في الغار وحده	وصاحبه الصديق في سالف الدهر

- الابيات. ٤٨٥

ص: ٤٠٧

وأورد ابن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان بن عجلان من الاستيعاب غير أنَّه حذف منها البيتين الاتيين:

٤٨٥ (١). راجع مصادر ترجمته وشعره في الهامش رقم ٣٤ ص ٣٣١ في باب: شهرة لقب وصيَّ النبي (ص) للامام عليٍّ وانتشار ذكره في أشعار الصحابة والتابعين من هذا الكتاب.

فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى

وينهى عن الفحشاء والبغى والنكر

وصى النبي المصطفى وابن عمه

وقاتل فرسان الضلالة والكفر

حذف هذين البيتين لما فيهما من ثناء على ابن عم الرسول (ص) أنه وصى الرسول (ص) وأبقى البيتين اللذين فيهما مدح أبي بكر.

وجاء بعده ابن الاثير وقال بترجمة النعمان من اسد الغابة:

ومن شعره يذكر أيام الانصار ويذكر الخلافة بعد النبي (ص)، ثم ذكر من أول القصيدة أبياته في أيام الانصار فحسب وحذف من القصيدة الايات التي يشير فيها إلى الخلاف الذي وقع يومذاك في أمر الخلافة والبيتين اللذين مدح فيهما الامام عليًا وخاصة أنه كان وصى النبي.

وجاء ابن حجر بعده فقال في ترجمته:

(وهو القائل يفخر بقومه من أبيات) ثم أورد أبياته في المفاخرة بأيام الانصار ولم يذكر من أبيات هذه القصيدة ما فيه ذكر الخلافة.

وهكذا كلما تأخر الزمن حذف العلماء من الروايات ما لم يرق لهم ذكره، فابتعدنا عن فهم الواقع التاريخي.

إذا نرى أن الزبير بن بكار (ت: ٢٥٦ هـ) غفل وذكر في كتابه الموقفيات ما وقع من الاختلاف في أمر الخلافة بعد رسول الله (ص) وما تقاولوا فيه من خطب وشعر، ومن ضمنها قصيدة النعمان بن عجلان التي فيها بيتان ذكر فيهما فضائل الامام عليّ وخاصة أنه وصى النبي، وتنبه لها ابن عبد البر (ت:

ص: ٤٠٨

٤٦٣ هـ) فحذف البيتين.

وجاء بعده ابن الاثير (ت: ٦٣٨ هـ) وتنبه إلى أن ذكر ما وقع من الخلاف في الخلافة - أيضا - لا يصلح، فحذف من القصيدة ما فيه ذكر الاختلاف في أمر الخلافة وقال: (ويذكر الخلافة) هذا إضافة إلى حذفه ما فيه وصف الامام عليّ.

وجاء بعدهما ابن حجر (ت: ٨٥٢ هـ) فحذفها كذلك ولم يقل إن في القصيدة ذكرا للخلافة.

وهكذا كلما تأخر الزمن زاد العلماء من حذف الحقائق ما لا يصلح ذكره لمدرسة الخلفاء.

\*\*\*

إذا راجعنا ما سبق إيراداه في بحث الوصيّة وما يأتي في بحث أصناف الكتمان، وما كتموه من خبر الوصيّة، يتضح جليًا، أن انتشار تعيين الرسول عليًا وصيًا له كان يسوء مدرسة الخلفاء، فحذفوا من القصيدة والخبر هذا القسم دون أن يشيروا إلى

أنهم حذفوا منهما شيئاً، وهذا النوع من الكتمان من أكثر أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء سواء في حديث الرسول (ص) أو سيرته أو سيرة صحابته، ويطول بنا المقام لو أردنا أن نأتى بأمر ثلثة منها في غير شأن الوصيّة من سنّة الرسول (ص) في هذا المقام.

هـ- حذف تمام الرواية من سنّة الرسول (ص) مع عدم الاشارة إليه:

إنّ ابن هشام<sup>٦٨٦</sup> أخذ من سيرة ابن إسحاق برواية البكائي ما أورد في

ص: ٤٠٩

سيرته من روايات سيرة الرسول (ص) وقال في ذكر منهجه بأول الكتاب:

(وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب ... وأشياء يشنع الحديث به وبعض يسوء الناس ذكره ...).

وكان ممّا حذفه ابن هشام من سيرة ابن إسحاق (ممّا يسوء الناس ذكره) خبر دعوة الرسول بنى عبد المطلب عندما أوحى الله إليه: **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** فقد روى الطبرى في تأريخه عن ابن إسحاق بسنده أن رسول الله (ص) قال في دعوته لبني عبد المطلب:

« فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ؟ » فأحجم القوم عنها جميعاً. وقال عليّ بن أبي طالب:

أنا يا نبيّ الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي - رقبتي عليّ بن أبي طالب - ثمّ قال:

« إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا. »

قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب: قد أمرك أن تسمع

ص: ٤١٠

---

<sup>٦٨٦</sup> (١). ابن هشام: أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري.

قال ابن خلكان: (جمع سيرة رسول الله (ص) من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها ...).

وقال السيوطي في بغية الوعاة ص ٣١٥: (مهذب السيرة النبوية، سمعها من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق وتّقحها ...).

قصدوا من هذبها وتّقحها، أنّه حذف من سيرة ابن إسحاق ما كان مخالفاً لمصلحة السلطة الحاكمة.

توفّي بمصر سنة ٢١٨ أو ٢١٣ هـ.

والبكائي: هو زياد بن عبد الله بن طفيل البكائي العامري (ت: ١٨٣ هـ). وابن إسحاق: هو أبو عبد الله أو أبو بكر محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى ولاء، كتب

السيرة بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور لابنه الخليفة المهدي. توفّي سنة ١٥١ أو ١٥٢ هـ.

أو ١٥٤ هـ.

ذكرنا هذه التراجم من مقدمة محمد حسين هيكل على سيرة ابن هشام، ط. القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ، ورجعنا إلى هذه الطبعة في ما ذكرناه في المتن

لابنك وتطيع).<sup>٦٨٧</sup>

حذف ابن هشام هذا الخبر وأخبارا كثيرة أخرى كان يرى أن ذكرها يسوء الناس وهم عصبة الخلافة.<sup>٦٨٨</sup> ولهذا السبب أهملت سيرة ابن إسحاق لأن فيها أخبارا لا يرغبون في نشرها حتى فقدت نسخها.<sup>٦٨٩</sup> واشتهرت سيرة ابن هشام وأصبحت أوثق سيرة عند الناس.

وقد أدرك الطبري أهمية هذا النص في حق الامام على بعد أن أثبتته في تأريخه فتدارك في تفسيره ما غفل عنه في تأريخه، فإنه لما أورد الخبر بالسند نفسه في تفسيره آية **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** قال:

فأيكم يؤازرنى على هذا الامر على أن يكون أخى وكذا وكذا ... ثم قال:

إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب ... الحديث.<sup>٦٩٠</sup>

وكذلك فعل - أيضا - ابن كثير في تأريخه<sup>٦٩١</sup> وتفسير الآية من تفسيره.

وهذا ما نسميه بحذف بعض الخبر مع الابهام في القول.

وأكثر من هذا ما فعله محمد حسين هيكل حيث أورد الخبر في ص ١٠٤ من الطبعة الاولى من كتابه (حياة محمد) ولفظه:

«فأيكم يؤازرنى على هذا الامر وأن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم».

وحذفه في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩ من كتابه.<sup>٦٩٢</sup>

ص: ٤١١

وهذا الصنف من الكتمان أى كتمان تمام الخبر دونما إشارة إليه كثير عند علماء مدرسة الخلفاء..

و- النهي عن كتابة سنة الرسول (ص):

من أهم أصناف كتمان سنة الرسول (ص) بمدرسة الخلفاء نهى الخلفاء عن كتابة سنة الرسول (ص). وكان بدء النهي في عصر رسول الله (ص) حيث نهت قریش عبد الله بن عمرو بن العاص عن كتابة حديث الرسول (ص) وقالت له: تكتب كل ما سمعته من رسول الله (ص) ورسول الله (ص) بشر يتكلم في الرضا والغضب. وقریش هنا هم المهاجرون من أصحاب

<sup>٦٨٧</sup> (١). ذكرتها ملخصة من تأريخ الطبري، ط. مصر الاولى ٢/ ٢١٦-٢١٧.

<sup>٦٨٨</sup> (٢). ذكرنا بعضها في كتابنا المخطوط: (من تأريخ الحديث).

<sup>٦٨٩</sup> (٣). طبع أخيرا قسم من سيرة ابن إسحاق في الرباط بالمغرب سنة ١٣٩٦ هـ.

<sup>٦٩٠</sup> (٤). تفسير الطبري، ط. الاولى بولاق سنة ١٣٢٣-١٣٣٠ هـ، ١٩/ ٧٢-٧٥.

<sup>٦٩١</sup> (٥). البداية والنهاية ٣/ ٤٠.

<sup>٦٩٢</sup> (٦). نقلناه عن كتاب الغدير للحرر الحجة الاميني، ط. طهران سنة ١٣٧٢ هـ، ٢/ ٢٨٨-٢٨٩.

رسول الله (ص) وهم الذين منعوا الرسول عن كتابة وصيته في آخر ساعة من حياته، ثم لما وألوا الحكم بعد رسول الله (ص) نهوا عن كتابة حديث الرسول (ص) وبقي منع كتابة الحديث ساريا حتى عصر الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز حيث رفع الحظر وأمر بتدوين حديث الرسول (ص). وسيأتي تفصيل أخبار النهي عن كتابة حديث رسول الله (ص) في الجزء الثاني من الكتاب في بحث مصادر الشريعة الاسلامية لدى المدرستين، ومضى ذكر خبر منع الرسول (ص) من كتابة وصيته في خبر السقيفة.

والله أعلم كم من حديث لرسول الله (ص) في أمر الوصية، نسي مع ما نسي من سنة الرسول (ص) بسبب عدم كتابتها طيلة هذه القرون.

\*\*\*

ويلحق بهذا الصنف من الكتان الخبران الاتيان:

أولاً- خبر الانصار مع معاوية وعمرو بن العاص، كما رواه صاحب الاغانى وقال ما موجزه:

حضرت وفود الانصار باب معاوية بن أبي سفيان، فخرج إليهم حاجبه

ص: ٤١٢

سعد أبو درة، فقالوا له: استأذن للانصار. فدخل إليه وعنده عمرو بن العاص، وقال: الانصار بالباب. فقال عمرو: ما هذا اللقب الذى قد جعلوه نسباً يا أمير المؤمنين؟ اردد القوم إلى أنسابهم، فقال [له معاوية: إنى أخاف من ذلك الشنعة، فقال:] هى كلمة تقولها إن مضت عرتهم و نقصتهم وإلا فهذا الاسم راجع إليهم. فقال له: اخرج فقل: من كان ها هنا من ولد عمرو بن عامر فليدخل، فقالها الحاجب، فدخل ولد عمرو بن عامر كلهم إلا الانصار، فنظر معاوية إلى عمرو نظر منكر، فقال له: باعدت جدًا، فقال: اخرج فقل: من كان ها هنا من الاوس والخزرج فليدخل، فخرج فقالها [فلم يدخل أحد، فقال معاوية: اخرج فقل: من كان ها هنا من الانصار فليدخل، فخرج فقالها] فدخلوا يقدمهم النعمان بن بشير، وهو يقول:

نسبٌ نجيبٌ به سوى الانصار

يا سعد لا تُعدِّ الدعاء فما لنا

أثقل به نسباً على الكفار

نسبٌ تخيَّره الاله لقومنا

يوم القليب هم وقود النار

إن الذين تَوَّوا بيدركم

وقام مغضبا فانصرف. فبعث معاوية فردّه وترضاه، وقضى حوائجه وحوائج من كان معه من الانصار.

فقال معاوية لعمرو: كُنَّا أغنياء عن هذا. ٦٩٣

نرى السلطة الحاكمة في هذا الخير تنهى عن نشر لقب الانصار الذي هو من سنة الرسول (ص) لما فيه من ثناء على الانصار اليمانيين، وليسوا من عصبة الخلافة، والجامع بين هذه الموارد التي أوردناها هو نهى السلطة عن نشر سنة الرسول، حنقا على خصومها.

ثانيا- ما رواه- أيضا- بسنده عن ابن شهاب، قال: قال لي خالد ابن

ص: ٤١٣

عبد الله القسري: اكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، [فمكثت فيه أياما، ثم أتيت، فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر] وما أتممت، فقال: اقطعه قطعه الله مع اصولهم، واكتب لي السيرة. فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب أفأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم.<sup>٦٩٤</sup>

نرى أن السلطة الحاكمة تمنع من كتابة اسم الامام عليّ (ع) إلا إذا ما كان فيه ذم له. فكيف إذا تسمح بكتابة سنة الرسول (ص) التي تنص على أن الرسول (ص) عينه وصيا من بعده؟!

نهى الخلفاء عن نشر سنة الرسول (ص) وكان مصير من خالفهم ويروى أو يكتب ما يخالف اتجاههم مدى القرون القتل المعنوي أو الجسدي كما سنشير إلى أمثلة منه في ما يأتي إن شاء الله.

ز- تضعيف الروايات ورواية سنة الرسول (ص) والكتب التي تنتقص السلطان وقتل المخالفين أحيانا:

لا يستطيع الباحث أن يحصى عمل العلماء في تضعيف الراوي والكتاب اللذين ينقصان السلطان، وكذلك تضعيفهم الروايات التي فيها انتقاص لمقام السلطة من خليفة ووالٍ وأمير وأحيانا تقتل العامة العالم المخالف لهذا الاتجاه،

ص: ٤١٤

وكي لا يطول البحث في هذا الصنف من الكتمان تقتصر على ذكر أربعة أمثلة منه في ما يأتي:

١- انتقاص من يذكر الوصية:

قال ابن كثير ما موجزه:

(وأما ما يغتر به كثير من جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء، من أنه أوصى إلى عليّ بالخلافة، فكذب وبهت وافترأ، يلزم منه خطأ كبير من تخوين الصحابة وممالاتهم بعده على ترك إنفاذ وصيته- إلى قوله:- وما قد يقصه بعض القصاص من العوام

<sup>٦٩٤</sup> (١). الاغانى، ط. ساسى ١٩ / ٥٩، و ط. بيروت ٢٢ / ٢٣.

وابن شهاب: هو محمد بن مسعود القرشي الزهري. أخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح (ت: ١٢٥ هـ أو بعده بسنة أو سنتين). تقريب التهذيب ٢ / ٢٠٧. وخالد بن عبد الله: ولي مكة سنة ٨٩ هـ للوليد، والعراقيين البصرة والكوفة سنة ١٠٥ لهشام بن عبد الملك، ثم عزله سنة ١٢٠. وقتله والى العراق من بعده. وقد رمى في نسبه ودينه. راجع ترجمته في الاغانى وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ / ٧٦- ٨٠ وغيره.

وغيرهم فى الاسواق وغيرها من الوصية لعلّى فى الاداب والاخلاق ... كلّ ذلك من الهذيانا، فلا أصل لشيء منه بل هو اختلاق بعض السفلة الجهلة ولا يعول على ذلك ولا يغترّ به إلا غبيّ عيى).<sup>٦٩٥</sup>

هكذا تكلم ابن كثير بتوتّر عصبى شديد من عناء هذه المشكّلة، ولنرَ من هُم الذ ين اغترّ بهم جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء. إنهم كلّ من الاشخاص الاتية أسماؤهم:

أولاً- من الصحابة:

أ- الامام على بن أبى طالب المهاجرى.

ب- سلمان المحمّدى (الفارسى).

ج- أبو أيوب الانصارى.

د- أبو سعيد الخدرى الانصارى.

ه- أنس بن مالك الانصارى.

و- بريدة بن الحصيب الاسلمى المهاجرى.

ز- عمرو بن العاص القرشى.

ص: ٤١٥

ح- أبو ذرّ الغفارى.

ط- الامام الحسن سبط الرسول الاكبر.

ى- الامام الحسين السبط الشهيد.

ك- حسّان بن ثابت الانصارى.

ل- الفضل بن العباس بن عبد المطلب.

م- النعمان بن عجلان الانصارى.

ن- عبد الله بن أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب.

---

<sup>٦٩٥</sup> (١). البداية والنهاية ٧ / ٢٢٤.



س- أبو الهيثم بن التيهان الانصارى.

ع- سعيد بن قيس الانصارى.

ف- حجر بن عدى الكندى.

ص- خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين.

ق- عمرو بن الحمق الخزاعى.

ر- عبد الله بن عباس.

ش- المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب.

ت- الاشعث بن قيس الكندى وهو من خصوم الامام على.

ثانيا- من التابعين:

أ- جرير بن عبد الله البجلي.

ب- النجاشى الشاعر قيس بن عمرو.

ج- محمد بن أبى بكر (الخليفة الاول).

د- المنذر بن حميضة الوداعى.

ه- عبد الرحمن بن جعيل.

و- النضر بن عجلان.

ز- مالك الاشتهر.

ص: ٤١٦

ح- عمر بن حارثة الانصارى.

ط- عبد الرحمن بن ذؤيب الاسلمى.

ثالثا- من حكام مدرسة الخلفاء وأئمة مذاهبهم:

أ- الامير على بن عبد الله عمّ الخليفة العباسى السفّاح.

ب- الخليفة العباسى هارون الرشيد.

ج- الخليفة العباسى المأمون.

د- إمام الشافعية محمد بن إدريس الشافعى.

رابعاً- من المؤلفين الذين أخرجوا أحاديث الوصية عن رسول الله (ص):

أ- إمام الحنابلة أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) فى كتابه: مناقب على.

ب- الدينورى (ت: ٢٨٢ هـ) فى الاخبار الطوال.

ج- إمام المؤرخين الطبرى (ت: ٣١٠ هـ) فى تأريخه.

د- البيهقى (كان حياً قبل ٣٢٠ هـ) فى المحاسن والمساوئ.

هـ- مسند الدنيا، الطبرانى إمام المحدثين فى عصره (ت: ٣٦٠ هـ) فى معاجمه.

و- أبو نعيم الاصبهاني (ت: ٤٣٠ هـ) فى حلية الاولياء.

ز- الحافظ ابن عساكر الشافعى (ت: ٥٧١ هـ) فى تأريخ مدينة دمشق.

ح- ابن الاثير (ت: ٦٣٠ هـ) فى تأريخه.

ط- ابن أبى الحديد الشافعى (ت: ٦٥٦ هـ) فى شرح نهج البلاغة.

ى- المتقى الهندى (ت: ٩٧٥ هـ) فى كنز العمال.

هؤلاء هم جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء على حسب تعبير ابن كثير الذين اغتروا بروايات الوصية ورووها وأخرجوها فى كتبهم، إلى كثير من نظرائهم من الصحابة والتابعين الذين اغتروا بها واحتجوا بها فى أشعارهم

ص: ٤١٧

وخطبهم ورواها عنهم أمثال:

الزبير بن بكار فى الموقفيات، والطبرى وابن الاثير فى تأريخيهما، والخطيب البغدادي فى تأريخ بغداد، والمسعودى الشافعى فى مروج الذهب، والامام المقدّم فى الحديث الحاكم فى المستدرک، والذهبي فى تذكرة الحفاظ، وأمثالهم.

كنتم ابن كثير كل ما ذكرناه آفا، وكنتم أكثر مما أشرنا إليه مما كان في متناول أيدي علماء ذلك العصر، وذهبت عنا لتكنتمهم الشديد عليها وإخفائها عن الناس، كنتمها جميعا ولم يخرج منها شيئا في موسوعته التاريخية.

وكنتمها- أيضا- بتضعيف الرواة والروايات والكتب التي خرّجتها، وتسخيف المحتجّين بها كي لا يصدّق من يصل إليه شيء مما كنتمها من كتاب آخر وقال: (ما يغترّ به جهلة الشيعة والقصاص الاغبياء).

وهذا النوع من الكتمان كثير عند علماء مدرسة الخلفاء.

## ٢- الطعن في رواية الحديث:

نقل ابن عبد البرّ عن الشعبي أنّه قال في الحارث الهمداني:

(حدّثني الحارث وكان أحد الكذّابين) قال ابن عبد البرّ:

(ولم يبين من الحارث كذب، وإنّما نقم عليه إفراطه في حبّ علي وتفضيله له على غيره، ومن ها هنا والله كذبته الشعبي لأنّ الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وإلى أنّه أوّل من أسلم)<sup>٦٩٦</sup> انتهى قول ابن عبد البرّ.

## ٣- الطعن في أئمة الحديث:

في مدرسة الخلفاء يطعنون أحيانا في أئمة الحديث الذين يروون حديثا يخالف اتجاهها، مثل ما جرى للحاكم الشافعي كما رواه الذهبي بترجمته<sup>٦٩٧</sup>

ص: ٤١٨

وفي ما يلي ما أورده بإيجاز:

الحافظ الكبير إمام المحدّثين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن محمد ابن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع. ولد سنة ٣١٢ هـ، وتوفّي سنة ٤٠٥ هـ.

طلب الحديث من الصغر ورحل إلى العراق وحجّ وجال في خراسان وما وراء النهر وسمع من ألفي شيخ أو نحو ذلك، بلغت تصانيفه قريبا من خمسمائة جزء ومن تأليفه فضائل الشافعي، ونقل أنّ مشايخ الحديث كانوا يذكرون أيامه وأنّ الائمة من مقدّمى عصره كانوا يقدّمونه على أنفسهم ويراعون حقّ فضله ويعرفون له الحرمة الاكيدة.

قال الذهبي: وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال: (لا يصحّ، ولو صحّ لما كان أحد أفضل من عليّ (رض) بعد النبي (ص)).

وقال: ثمّ تغيّر رأى الحاكم وأخرج حديث الطير في مستدركه.

<sup>٦٩٦</sup> (١). جامع بيان العلم، باب حكم العلماء بعضهم في بعض ٢ / ١٨٩.

<sup>٦٩٧</sup> (٢). تذكرة الحفاظ ص ١٠٣٩ - ١٠٤٥.

ونقل الذهبي عن العلماء أنهم قالوا عن مستدركه: إنه جمع فيه أحاديث وزعم أنها على شرط البخاري ومسلم، منها حديث الطير، ومن كنت مولاه فعلىّ مولاه، فأنكرها عليه أصحاب الحديث فلم يلتفتوا إلى قوله.

وقال الذهبي:

أما حديث الطير، فله طرق كثيرة جداً قد أفردتها بمصنّف ومجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.

وأما حديث «من كنت مولاه فعلىّ مولاه»، فله طرق جيّدة، وقد أفردت ذلك أيضاً. يعنى الذهبي أنه ألف في حديث «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» كتاباً خاصاً.

قال المؤلف:

أما حديث «من كنت مولاه» فسيأتي بحثه في ذكو النصوص الواردة عن الرسول (ص) في حقّ الامام على (ع) إن شاء الله تعالى.

ص: ٤١٩

وحديث الطير برواية الصحابيّ أنس وغيره من الصحابة، أنه اهدى إلى رسول الله طير مشوى فدعا أن يأتيه الله بأحبّ الخلق إليه - أى بعد رسول الله (ص) - فيأكل معه، فجاء علىّ وأكل معه، وبما أن الحديث يدلّ على أن الامام عليّاً أفضل الناس بعد رسول الله (ص) فقد أنكروا على الحاكم وغيره رواية هذا الحديث، ولم نخرجها نحن في باب النصوص، لأننا لسنا بصدد إيراد فضائل الامام علىّ (ع) وإنما نورد النصوص الصريحة في حقّ آل الرسول (ص) في الحكم.

نقل الذهبي فضل الحاكم الشافعي في علم الحديث بمدرسة الخلفاء، وبما أنه خرّج في مستدركه أحاديث في فضل الامام علىّ (ع) وما فيه انتقاص لمعاوية، طعنوا فيه وقالوا ما نقله الذهبي:

(ثقة في الحديث، رافضى خبيث).

(كان يظهر التسنن في التقديم والخلافة وكان منحرفاً عن معاوية وآله - يعنى يزيد - متظاهراً بذلك ولا يعتذر منه).

قال الذهبي:

(قلت: أمّا انحرافه عن خصوم علىّ فظاهر، وأمّا أمر الشيخين فمعظم لهما بكلّ حال فهو شيعي لا رافضي، وليته لم يصنّف المستدرك فإنه غضّ من فضائله بسوء تصرفه). انتهت أقوال الذهبي.

ولامام المحدثين بمدرسة الخلفاء اسوة بإمام المذهب الشافعي محمد بن إدريس (ت: ٢٠٤ هـ) حيث رمى بالرفض كما رواه البيهقي، فقال الشافعي في ذلك:

ما الرفض ديني ولا اعتقادي

قالوا ترفضت، قلت كلا

لكن توليت غير شك

خير إمام وخير هادي

ص: ٤٢٠

إن كان حبّ الوصي<sup>٦٩٨</sup> رفضاً

فإنني أرفض العباد

ومما قال أيضاً:

إن كان رفضاً حبّ آل محمد

فليشهد التقلان أنني رافضي

ويظهر أنه كان يضطرّ إلى الكتمان أحياناً فقد قال:

ما زال كتماً منك حتى كاتني

بردّ جواب السائلين لاعمج

وأكتم ودّي مع صفاء مودّتي

لتسلم من قول الوشاة وأسلم<sup>٦٩٩</sup>

غير أنه لم ينفعه الكتمان ورمى بالرفض كغيره من العلماء الذين لا يكتمون رأيهم في ما جاء عن سنّة الرسول (ص) وسيرة الصحابة، وإنّ أغلب علماء المذهب الشافعي بمدرسة الخلفاء لا يكتمون الحديث كما يفعله علماء المذاهب الأخرى في تلك المدرسة ولذلك يرمون بالرفض.

\*\*\*

في هذا الباب لاحظنا أنواعاً من الإنكار بدءاً بتضعيف الراوي والرواية إلى طعنهم بالتشيع والرفض والذي كان يؤدّي إلى إسقاط الحديث عن الاعتبار . وكلّ أنواع الإنكار من أسهل الأمور في باب الاحتجاج للمنكر ومن أصعب الأمور عندئذ إثبات الحقّ، فإنّ المنكر يسهل عليه أن يقول: الحديث ضعيف، باطل، كذب . وعلى صاحب الحقّ أن يأتي بالدليل تلو الدليل وليس للمُنكر في

ص: ٤٢١

مقابله أكثر من الإنكار وعدم القبول، وهو في حقيقته قتل معنويّ للرواية، وأحياناً يقتل الراوي الذي يروى ما يخالف مصلحة مدرسة الخلفاء جسدياً، كما نذكر في ما يأتي مثلاً واحداً منه لما جرى لاحد أصحاب الصحاح السنّة بمدرسة الخلفاء.

<sup>٦٩٨</sup> (١) جاء في ديوان الشافعي ط. بيروت ١٤٠٣ هـ، وكذلك في (النصائح الكافية لمن يتولّى معاوية) لمحمد بن يحيى العلوي (ت: ١٣٥٠ هـ)، وذكر ابن حجر في الصواعق المحرقة ص ١٣١: (الولي) بدلا من (الوصي). ولنا أن نعدّ هذا التبديل في الصواعق من موارد الكتمان لدى أتباع مدرسة الخلفاء.

<sup>٦٩٩</sup> (٢) هذا موجز ما ذكره الهيثمي (ت: ٩٧٤ هـ) في الصواعق، ط. مصر الثانية، سنة ١٣٧٥ هـ، ص ١٣١، مع قول البيهقي ذكر جميعها مفصلاً والبيت: إن كان رفضاً ... مع بيتهين آخرين رواها أيضاً ابن الصبّاح المالكي المكي (ت: ٨٥٥ هـ) في كتابه الفصول حسب نقل صاحب الكنى واللقاب بترجمة الشافعي.

#### ٤- النسائي أحد مؤلفي الصحاح الستة وقصة قتله:

نقل خبره وقصة قتله من كتابي الذهبي وابن خلكان فقد قالوا بترجمته<sup>٧٠٠</sup>

ما موجزه:

الحافظ، الامام، شيخ الاسلام، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، كان إمام أهل عصره في الحديث وله كتاب السنن تفرّد بالمعرفة وعلو الاسناد، واستوطن مصر . وكان يصوم يوما ويفطر يوما، ويجتهد في العبادة ليلا . وخرج مع أمير مصر إلى الغزو، وكان يحترز عن مجالسه والانبساط في المأكل، وخرج آخر عمره حاجًا وبلغ دمشق، وصنّف في دمشق كتاب الخصائص في فضل عليّ بن أبي طالب (رض) وأهل البيت، وأكثر رواياته فيه عن أحمد بن حنبل، فأنكروا عليه ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف عن عليّ بها كثير، فصنّفت كتاب الخصائص رجوت أن يهديهم الله بهذا الكتاب، فقيل له: ألا تُخرج فضائل معاوية؟ فقال: أيّ شيء أخرج؟ حديث اللهم لا تشعب بطنه؟ فسكت السائل، وسئل - أيضًا - عن معاوية وما جاء من فضائله، فقال: ألا يرضى رأساً برأس حتى يُفضل، فما زالوا يدفعون في خصييه وداسوه حتى أخرج من المسجد وحمل إلى الرملة.

قال الحافظ أبو نعيم: مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.

وقال الدارقطني: امتحن بدمشق وأدرك الشهادة . وكان ذلك سنة ٣٠٣ هـ.

ص: ٤٢٢

ولا ينحصر من اودى وقتل في سبيل نشر سنة الرسول (ص) بالنسائي وحده، فقد لاقى الصحابي أبو ذرّ أيضاً كما سيأتي ذكره بعيد هذا في بقية بحوث كتمان سنة الرسول (ص) وقتل عدد غير قليل من العلماء، ترجم بعضهم العلامة الحبر الاميني في كتابه: شهداء الفضيلة.

ومن يجروء مع هذه الحالة أن يروى النصوص الواردة عن رسول الله (ص) في فضائل آله فضلا عن ذكر النصوص الواردة في حقّ آله في الحكم.

ألا يحقّ لابن كثير، إذا كان يريد أن يدارى من يطالب العلماء بإيراد فضائل معاوية أن يؤوّل ما فيه انتقاص لمعاوية إلى ما فيه له فضيلة في الدنيا والاخرة!!!

وكيف يتيسر نشر سنة الرسول (ص) مع هذه الحالة!؟

\*\*\*

ذكرنا شيئاً من مصير من يخالف مدرسة الخلفاء ويروى أو يكتب من سنة الرسول (ص) ما يخالف مصلحة الخلفاء، وفي ما يأتي نُشير إلى مصير الكتب التي حوت من سنة الرسول (ص) ما يخالف سياسة هذه المدرسة.

<sup>٧٠٠</sup>(١). تذكرة الحفاظ ص ٤٨٩. ووفيات الاعيان ١ / ٥٩.

## ح- إحراق الكتب والمكتبات:

من أصناف الكتمان بمدرسة الخلفاء، إحراق الكتب التي فيها سنة الرسول (ص) سيرة وحديثاً مما لا ترغب في نشره. وقد بدأ ذلك الخليفة عمر ابن الخطاب كما سيأتي ذكره في باب بحوث مدرسة الخلفاء من مصادر الشريعة الاسلامية.

عن طبقات ابن سعد، قال: إن الاحاديث كثرت على عهد عمر، فأنشد

ص: ٤٢٣

الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها، أمر بتحريقها.

وروى الزبير بن بكار<sup>٧٠١</sup> أن سليمان بن عبد الملك في زمان ولايته للعهد مرّ بالمدينة حاجاً، وأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سير النبي (ص) ومغازيه، فقال أبان: هي عندي أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر عشرة من الكتاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه، نظر فإذا فيها ذكر الانصار في العقبتين - يقصد بيعة الانصار في العقبتين الاولى والثانية - وذكر الانصار في بدر، فقال سليمان: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل فيما أن يكون أهل بيتي - أي الخلفاء الامويين - غمصوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا، فقال أبان ابن عثمان: أيها الامير! لا يمنعنا ما صنعوا بالشهيد المظلوم - يقصد الخليفة عثمان - من خذلانه، أن نقول الحق. هم على ما وصفنا لك في كتابنا هذا. قال سليمان: ما حاجتى إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لامير المؤمنين - يقصد والده عبد الملك - لعله يخالفه، فأمر بذلك الكتاب فحرق، ولما رجع أخبر أباه بما كان، فقال عبد الملك: وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل تعرف أهل الشام امورا لا نريد أن يعرفوها، قال سليمان: فلذلك أمرت بتحريق ما نسخته حتى أستطلع رأى أمير المؤمنين، فصوب رأيه.

\*\*\*

هكذا يأمر خلفاء المسلمين وأولياء عهدهم بإحراق كتب سنة الرسول (ص) لئلا يعرف المسلمون ما يخالف مصالح السلطة، وقد فعلت أكثر من ذلك حين أحرقت مكتبات فيها من كتب سنة الرسول (ص) ما يخالف اتجاهها نظير ما يأتي بيانه:

ص: ٤٢٤

## إحراق مكتبة إسلامية ببغداد:

قال ابن كثير<sup>٧٠٢</sup> في ذكر حوادث سنة ٤١٦ هـ بترجمة سابور بن أردشير:

كان كثير الخير سليم الخاطر إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة، وقد وقف دارا للعلم في سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها كتبا كثيرة جدا، ووقف عليها غلة كبيرة، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيئه طغرل في سنة ٤٥٠ هـ وكانت في محلة بين السورين.

<sup>٧٠١</sup> (١). الموقفيات / ٣٣٢ - ٣٣٣.

<sup>٧٠٢</sup> (١). البداية والنهاية ١٢ / ١٩.

وقال الحموي بترجمة بين السورين في معجم البلدان:

بين السورين، اسم لمحلّة كبيرة كانت بالكرخ وبها كانت خزانة الكتب التي وقفها وزير بهاء الدولة، ولم يكن في الدنيا أحسن كتباً منها كانت كلّها بخطوط الأئمة المعتمدة واصولهم المحرّرة واحترقت في ما احرق من محالّ الكرخ عند ورود طغرل بك أوّل ملوك السلجوقية إلى بغداد.

وقال ابن كثير<sup>٧٠٣</sup> - أيضاً - بترجمة الشيخ أبي جعفر الطوسي، من حوادث سنة ٤٦٠ هـ:

احترقت داره بالكرخ وكتبه سنة ٤٤٨ هـ.

وفُعل أكثر من ذلك مع مخازن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر كما ذكره المقرئ<sup>٧٠٤</sup> (ت: ٨٤٨ هـ) في ذكر الخزانات التي كانت في قصر الفاطميين وقال عن خزانة الكتب:

وكانت من عجائب الدنيا ويقال: إنّه لم يكن في جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر. ويقال: إنّها كانت تشتمل على ألف وستمئة ألف كتاب. وقال قبلها: (أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم يرسم

ص: ٤٢٥

عمل ما يلبسونه في أرجلهم واحرق ورقها تأوّلًا منهم أنّها خرجت من قصر السلطان وأنّ فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل إلى سائر الاقطار وبقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية إلى اليوم في نواحي آثار تعرف بتلال الكتب).

\*\*\*

أسّس مكتبة الكرخ وزير البويهيين من أتباع مدرسة أهل البيت (ع). فلمّا استولى السلجوقيون من أتباع مدرسة الخلفاء أحرقوها وأحرقوا مكتبة الشيخ الطوسي بالكرخ، وفعل أكثر من ذلك بخزائن كتب الخلفاء الفاطميين بمصر عند استيلاء صلاح الدين على الحكم.

يا ترى كم كنتم عنّا من سنّة الرسول (ص) بسبب تحريق الكتب والمكتبات التي كان أصحابها من مخالفي مدرسة الخلفاء؟ وكم كان فيها أحاديث صحيحة مسلسلة عن رسول الله (ص) في حقّ آل الرسول من ضمنها أحاديثه في الوصيّة ذهبت عنّا بسبب هذا النوع من الكتمان؟ الله أعلم بذلك . وأهمّ من كلّ ما ذكرنا من أصناف كتمان سنّة الرسول (ص) تحريف سنّة الرسول وسيرة الصحابة الاتى ذكره في البحثين التاليين:

ط - حذف بعض الخبر من سيرة الصحابة وتحريفه:

<sup>٧٠٣</sup> (٢). نفس المصدر ٩٧ / ١٢.

<sup>٧٠٤</sup> (٣). خطط المقرئ ٢ / ٢٥٤ - ٢٥٥.



من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء حذف بعض الخير وتحريفه، كما فعل ذلك ابن كثير فى خطبة الامام الحسين فى تاريخه، فقد أورد الخطبة الطبرى وابن الاثير فى تاريخيهما وفى لفظهما:

(أمّا بعد فانسونى، فانظروا من أنا، ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، هل يجوز لكم قتلى وانتهاك حرمتى؟ ألسنت ابن بنت نبيكم (ص) وابن وصيّه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله بما جاء من عند ربّه؟ أو ليس حمزة

ص: ٢٢٦

سيّد الشهداء عمّ أبى؟ أو ليس جعفر الطيّار ذو الجناحين عمّى (...).<sup>٧٠٥</sup>

حرّف ابن كثير هذا الخبر فى تاريخه ونقل أنّ الامام الحسين قال:

(راجعوا أنفسكم وحاسبوها، هل يصلح لكم قتال مثلى، وأنا ابن بنت نبيكم، وليس على وجه الارض ابن بنت نبيّ غيرى، وعلىّ أبى، وجعفر ذو الجناحين عمّى، وحمزة سيّد الشهداء عمّ أبى).<sup>٧٠٦</sup>

\*\*\*

إنّ ابن كثير حذف ذكر الوصيّة من خطبة الامام الحسى ن، لأنّ ذكرها كما قلنا ينبّه العامّة على حقّ الامام علىّ وسبّطى الرسول (ص) فى الحكم وهو ما يسوء السلطنة نشر خبره، ثمّ حرّف الخطبة . وهذا نوع من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، ويوجد نظير هذا الحذف فى سيرة الرسول (ص) وسنشير إلى شىء منه فى الصنف العاشر من أصناف الكتمان الاتى بحثه بعد هذا.

ى- وضع الروايات والاخبار المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة:

من أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء، وضع الاخبار المختلفة ونشر الروايات المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة . وإليك مثلا واحدا منها:

روى الطبرى فى تاريخه خبر أبى ذرّ وقال:

(وفى هذه السنة أعنى سنة ثلاثين كان ما ذكر من أمر أبى ذرّ ومعاوية وإشخاص معاوية إيّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر فى سبب ذلك امور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها . فأما العاذرون معاوية فى ذلك فإنهم ذكروا فى ذلك قصّة كتب إلى بها السرىّ يذكر أنّ شعيبا حدّثه سيف (...). الحديث.

ص: ٢٢٧

وتبعه ابن الاثير وقال - أيضا - فى ذكره حوادث سنة ٣٠ من الهجرة:

<sup>٧٠٥</sup> (١). تاريخ الطبرى، ط. اوربا ٢ / ٣٢٩. وتاريخ ابن الاثير، ط. اوربا ٤ / ٥٢، و ط. مصر الاولى ٤ / ٢٥.

<sup>٧٠٦</sup> (٢). ابن كثير ٧ / ١٧٩.

(وفى هذه السنة كان ما ذكر من أمر أبي ذرٍّ وإشخاص معاوية إليّاه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب ذلك أمور كثيرة من سبب معاوية إليّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به ...).

فمن هو سيف هذا الذى أورد الطبرى القصة التى رواها فى خبر أبي ذرٍّ، وتمسك بها العاذرون معاوية؟ وما هو نوع أخباره ورواياته؟

هو سيف بن عمر التميمى (توفى حدود سنة ١٧٠ هـ) روى أخبارا عن عصر الرسول (ص) والسقيفة وبيعة أبي بكر وحروب الردة والفتوح وحرب الجمل.

وصفه علماء الرجال وقالوا فى نعتة:

ضعيف، متروك الحديث، ليس بشيء، كذاب، كان يضع الاحاديث، اتهم بالزندقة.<sup>٧٠٧</sup>

### نوع أخباره ورواياته:

اختلف فى رواياته أكثر من خمسين ومائة صحابىّ لرسول الله (ص) نشرنا دراسات مفصلة عن ثلاثة وتسعين منهم فى المجلدين الأوّل والثانى من كتاب (خمسون ومائة صحابىّ مختلف) جعل سيف تسعة وعشرين منهم من قبيلته تميم، اختلف لهم أخبارا فى الفتوح وكثيرا من المعجزات والشعر ورواية

ص: ٤٢٨

الحديث، غير أنّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق أشخاصهم ولا شيئا من أخبارهم، بل اختلقهم سيف جميعا، كما اختلف عشرات الرواة وروى عنهم أخباره، وقد نشرنا فى جزءى (عبد الله بن سبأ) و (خمسون ومائة صحابىّ مختلف) دراسات عن نيف وسبعين راويا منهم، تتبّعنا فى حدود قدرتنا روايات سيف عنهم فوجدنا لراو واحد منهم والذى سمّاه م حمد بن سواد بن نويرة ٢١٦ رواية، ومنهم من روى عنه أقلّ من ذلك، إلى رواية واحدة.

وكذلك اختلف شعراء للعرب وقادة للفرس والرومان وأراضى فى البلاد الاسلامية وغيرها، وحرّف سنى الحوادث التاريخية، كما حرّف أسماء أشخاص ذكروا فى التأريخ الاسلامى، ونشر الخرافات بين المسلمين فى ما اختلق منها فى أحاديثه، واختلف حروبا فى الردة والفتوح لم تقع، وذكر مئات الالوف ممّن قتلهم المسلمون قتلا فظيحا فى تلك الحروب ممّا لم يكن شىء منها، وأشاع فى ما وضع واختلف أنّ الاسلام انتشر بحدّ السيف، وقد بيّنا زيفها فى أوّل الجزء الثانى من كتابنا (عبد الله بن سبأ).

<sup>٧٠٧</sup> (١). كان ما ذكرناه بعض ما ذكره فى وصفه علماء أمثال: يحيى بن معين (ت: ٢٣٣ هـ)، أبى داود (ت: ٢٧٥ هـ)، النسائى صاحب الصحيح (ت: ٣٠٣ هـ)، ابن أبى حاتم الرازى (ت: ٣٢٧ هـ)، ابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ)، الحاكم (ت: ٤٠٥ هـ) وتفصيل ما ذكروا فى حق سيف ومصادر ترجمة سيف بكتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الأوّل.

انتشرت رواياته الموضوعة في أكثر من سبعين مصدرًا<sup>٧٠٨</sup> من كتب الحديث والتاريخ والأدب وغيرها من مصادر الدراسات الإسلامية بمدرسة الخلفاء انتشر فيها ما روى سيف واختلق منذ عصر الرسول (ص) حتى عصر معاوية، وكان أكثر من أخذ عنه الطبري في تأريخه وروى عنه أمثال الأخبار<sup>٧٠٩</sup> الآتية:

أ- مسير الجيش على ماء البحر من الساحل إلى دارين مسيرة يوم وليلة

ص: ٤٢٩

لسفن البحر، يمشون على مثل رملة ميثاء فوقها ماء يغمر أخفاف الأبل.

ب- تكليم الأبقار لعاصم بن عمرو التميمي الصحابي المختلق في حرب القادسية بلسان عربي فصيح . وإن بكيرا قال لفرسه أطلال عند نهر أراد أن يعبره بعدئذ : (ثبي أطلال). فنظقت وقالت: (وثبا وسورة البقرة) أي أنها أقسمت بسورة البقرة، ثم وثبت!!!

ج- إنشاد الجنّ الشعر في فتح القادسية وثناؤهم على موقف تميم في الحرب.

د- فتح السوس بضرب الدجال باب السوس برجله وقوله: (انفتح بظار).

ه- تكلم الملائكة على لسان الأسود بن قطبة التميمي في فتح بهر سير.

ومن تأريخ الطبري انتشرت أكاذيب سيف في كتب التاريخ الإسلامي التي ألفت بعده إلى عصرنا الحاضر كما سنشير إلى بعض ذلك في ما يأتي.

انتشار أحاديث سيف من تأريخ الطبري إلى كتب التاريخ وسببه:

قال ابن الأثير في مقدمة تأريخه الكامل:

إنّي قد جمعت في كتابي هذا ما لم يجتمع في كتاب واحد، فابتدأت بالتأريخ الكبير الذي صنّفه الإمام أبو جعفر الطبري، إذ هو الكتاب المعولّ عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه ... فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالته وأضفت إلى ما نقلته من تأريخ الطبري ما ليس فيه ... إلّا ما يتعلّق بما جرى بين أصحاب رسول الله (ص) فإنّي لم أضف إلى ما نقله أبو جعفر شيئا إلّا ما فيه زيادة بيان أو اسم إنسان، أو ما لا يطعن على أحد منهم في نقله، على أنّي لم أنقل إلّا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة

ص: ٤٣٠

<sup>٧٠٨</sup> (١) ذكرنا أسماء أكثرها في أوّل الجزء الأوّل من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق).

<sup>٧٠٩</sup> (٢) راجع أخبارها في ذكر فتح دارين والقادسية والسوس وبهرسير ودراسة مقارنة لاخبار سيف هذه بروايات صحيحة لغيره في كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) الجزء الأوّل بتراجم عفيف بن المنذر وعاصم بن عمرو والاسود بن قطبة من الصحابة الذين اختلقهم سيف بن عمر التميمي من قبيلته تميم.

مَنْ يَعْلَمُ صَدَقَهُمْ فِي مَا تَقْلُوهُ وَصَحَّةَ مَا دَوَّنُوهُ ...<sup>٧١٠</sup>

وقال ابن كثير بعد انتهائه من ذكر أخبار الصحابة في الردة والفتوح والفتن:

هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري؛ عن أئمة هذا الشأن، وليس في ما ذكره أهل الاهواء من الشيعة وغيرهم من الاحاديث المختلفة على الصحابة والاعخبار الموضوعة التي ينقلونها بما فيها.<sup>٧١١</sup>

وقال ابن خلدون:

هذا آخر الكلام في الخلافة الاسلامية وما كان فيها من الردة والفتوحات والحروب ثم الاتفاق والجماعة، أوردتها ملخصة عيونها ومجامعها من كتب محمد بن جرير الطبري وهو تأريخه الكبير فإنه أوثق ما رأينا في ذلك وأبعد عن المطاعن والشبه في كبار الامة من خيار الامة وعدولهم من الصحابة والتابعين.<sup>٧١٢</sup>

نظرة تأمل في سبب اختيار كبار العلماء الافذاذ روايات سيف في أخبار صدر الاسلام

قال الطبري في خبر أبي ذرّ الصحابي الفقير - مثلا - مع معاوية الامير:

(كرهت ذكر أكثرها، فأما العاذرون معاوية في ذلك فإنهم ذكروا في ذلك قصة ... عن سيف).

وقال ابن الاثير:

(... من سبّ معاوية إيّاه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير

ص: ٤٣١

وطاء ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصلح النقل به). ثم أورد قصة سيف ووصفهم كذلك بالعاذرين.

إنّ العالمين الكبار لم يتركوا روايات غير سيف لعدم اعتمادهما عليها، بل لأنهما لم يجدا فيها العذر للسلطة الحاكمة، ووجدا العذر عند العاذرين معاوية الامير وعثمان الخليفة، وهم سيف الزنديق وسلسلة رواياته ال مختلقين، فحسّى الطبري تأريخه الكبير بروايات سيف، وللسبب نفسه أخذ ابن الاثير روايات سيف من تأريخ الطبري، وكذلك فعل ابن كثير حيث قال في آخر ذكره خبر واقعة الجمل من أخبار سنة ست وثلاثين هجرية عمّا نقله من أخبار سيف في حوادث ما بعد وفاة رسول الله (ص) إلى واقعة الجمل:

(هذا ملخص ما ذكره ابن جرير الطبري؛ عن أئمة هذا الشأن ) وقصد من أئمة هذا الشأن الذين ذكر ابن جرير الطبري الاخبار عنهم سيف الزنديق ورواته المختلقين.

<sup>٧١٠</sup> (١). تأريخ ابن الاثير، ط. مصر سنة ١٣٤٨ هـ، ٥/١.

<sup>٧١١</sup> (٢). تأريخ ابن كثير ٧/٢٤٤.

<sup>٧١٢</sup> (٣). تأريخ ابن خلدون ٢/٤٥٧.

وقد أفصح العلامة ابن خلدون أكثر منهم في سبب اختيارهم روايات سيف المنتشرة في تاريخ الطبرى عن أخبار الخلافة أى بيعة الخلفاء والرذة والفتوح والجماعة أى الاجتماع على بيعة معاوية وقال:

(إنه أوثق ما رأيناه فى ذلك وأبعد عن المطاعن والشبهة فى كبار الامّة).

إذا فإنّ روايات سيف فى تاريخ الطبرى عن تلك الاخبار أوثق عندهم، لأنّها أبعد عن المطاعن والشبهة فى كبار الامّة من الصحابة والتابعين، وهم الخلفاء والولاة وذووهم، وإليكم دليلاً آخر على أنّه من المعيب أن يذكر ما يورد النقد على الكبراء وينبغى البحث عن العذر لهم فى ما يوجّه النقد إليهم كيف ما كان؛ فى خبر دعر سعد بن أبى وقاص الحدّ عن أبى محجن والبحث عن العذر لسعد الامير.

كان أبو محجن الثقفى كما فى ترجمته من الاستيعاب واسد الغابة

ص: ٤٣٢

والإصابة، مدمنا للخمر وحده الخليفة عمر سبع مرّات لذلك، وأخيراً نفاه من المدينة، والتحق بسعد بن أبى وقاص فى حرب القادسية فقيده لشربه الخمر وأطلقت زوجة سعد سراحه وكانت له مواقف مشهورة فى الحرب، فدرأ سعد الحدّ عنه لموقفه وقال: واللّه لا نجلدك على الخمر أبداً. قال أبو محجن: وإذا لا أشربها أبداً.

كان هذا خبر دعر سعد الحدّ عن أبى محجن، وفى هذا الشأن نقل ابن حجر فى ترجمة أبى محجن فى كتابه الإصابة عن كتاب ابن فتحون (ت: ٥١٩ هـ):

(التذييل على استيعاب أبى عمر بن عبد البر) وقال:

(وقد عاب ابن فتحون أبا عمر على ما ذكره فى قصة أبى محجن، أنّه كان منهما فى الشراب - إلى قوله -: وأنكر ابن فتحون على من روى أنّ سعداً أبطل عنه الحدّ وقال: [لا يظنّ هذا بسعد] ثمّ قال: [لكن له وجه حسن] ولم يذكره وكأنّه أراد بقوله لا يجلده فى الخمر بشرط أضمره وهو: إن ثبت عليه أنّه يشربها، فوقّه اللّه أن تاب توبة نصوحاً فلم يعد إليها (...).<sup>٧١٣</sup>

\*\*\*

هكذا يبحث أتباع مدرسة الخلفاء عمّا يرفع النقد عن الكبراء وهم الخلفاء والولاة وذووهم من الخلفاء الاوائل حتى معاوية ومروان بن الحكم ويزيد ابن معاوية وولاتهم الذين يسمّونهم الكبراء أو كبراء الصحابة والتابعين . وبما أنّ سيف بن عمر الزنديق عرف من أين تؤكل الكتف، فقد وضع روايات موافقة لرغبات جميع الطبقات بمدرسة الخلفاء مدى العصور، وطلّى رواياته بطلاء الدفاع عن الخلفاء وذوئهم فى ما انتقدوا عليه ونشر فضائلهم.

وتحت هذا الغطاء السميك استطاع أن يخفى أهدافه فى الطعن بالاسلام

<sup>٧١٣</sup> (١). الإصابة ٤ / ١٧٣ - ١٧٥.

والاضرار به ونشر الخرافات الضارة بالعقائد الاسلامية بين المسلمين، وكذلك استطاع أن ينشر ويذيع بين الناس أن الاسلام انتشر بحدّ السيف.

استطاع سيف أن يصل إلى كل أهدافه في ما اختلق بدافع زندقته. وسنورد أمثلة ممّا ذكرنا في ما يأتي.

ومن أمثلة نشره الخرافات الضارة بالعقيدة الاسلامية ما رواه في خبر الاسود العنسي المتنبئ وخبر مناجاة كسرى مع الرسول (ص) عند الله كالآتي.

#### أولاً- قصّة الاسود العنسي في روايات سيف:

روى الطبري في قصة الاسود العنسي<sup>٧١٤</sup> عدّة روايات عن سيف تتلخّص في ما يلي:

إنّ الاسود لما ادّعى النبوة وتغلّب على اليمن وقتل ملكها شهر بن باذان وتزوَّج امرأته وأسند أمر الجيش إلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الانباء - وهم أبناء الفرس باليمن - إلى فيروز وداذويه، كتب النبي (ص) إلى هؤلاء بقتال الاسود إمّا مصادمة أو غيلة. فاتفقوا على اغتياله، فأخبره شيطانه فأرسل إلى قيس وقال : يا قيس! ما يقول الملك؟ قال قيس : وما يقول؟ قال : يقول: (عمدت إلى قيس فأكرمته حتى إذا دخل منك كلّ مدخل، وصار في العزّ مثلك، مال ميل عدوك؛ وحاول ملكك وأضر على الغدر! إقّ يقول : يا أسود، يا أسود، يا سوءة! يا سوءة! اقطف قنّته<sup>٧١٥</sup> وخذ من قيس أعلاه وإلّا سلبك أو أخذ قنّتك!)، فقال قيس: فحلف به وكذب: (وذى الخمار<sup>٧١٦</sup> لانت أعظم

في نفسي وأجلّ عندي من أن احذّ بك نفسي)، قال الاسود: (ما أجفاك! أتكذب الملك؟! وعرفت الان أنك تائب ممّا أطّلع عليه منك) يعني ما أطّلع عليه شيطانه الذي يسمّيه الملك.

وقال سيف: ثمّ خرج قيس وأخبر جماعته بما جرى له مع الاسود وتواطأوا على إنفاذ ما اتفقوا عليه من قتله، فدعا الاسود قيسا ثانياً، وقال له : (ألم اخبرك الحقّ وتخبرني الكذابة إنه يقول - يعني شيطانه الذي يسمّيه الملك - : يا سوءة! يا سوءة! إلّا تقطع من قيس يده يقطع قنّتك العليا)، فقال له قيس : (ليس من الحقّ أن أقتلك وأنت رسول الله فمرّ بي بما أحببت، فإنّما الخوف والفرع فأنا فيهما مخافة ! اقتلني! فموتة أهون عليّ من موتات أموتها كلّ يوم)، قال سيف: فرقّ له فأخرجه! وقال: دعا الاسود بمائة جزور بين بقرة وبعير، وخطّ خطّاً فاقبمت من وراء الخطّ، وقام من دونها، فحرها غير محبسة ولا معقّلة، ما يقتحم الخطّ منها شيء، ثمّ خلّاه فجالت إلى أن زهقت. ونقل سيف عن الراوي أنّه قال: (ما رأيت أمرا كان أفظع منه، ولا يوماً أوحش منه).

<sup>٧١٤</sup> (١). نسبة إلى عنس بن مذحج وهم حيّ من زيد بن كهلان بن سبأ، ترجمتهم في أنساب ابن حزم ص ٣٨١.

<sup>٧١٥</sup> (٢). إقطف قنّته أي اقطع رأسه، وقنّة كلّ شيء أعلاه مثل القلّة.

<sup>٧١٦</sup> (٣). كان الاسود يلقّب ذا الخمار أو ذا الحمار.

قال سيف: وتواطأوا مع زوجته على اغتياله - ليلا- فلما دخلوا عليه ليقتلوه بادره فيروز، فأنذره شيطانه بمكان فيروز وأيقظه. فلما أبطأ تكلم الشيطان على لسانه وهو يغط في نومه وينظر إلى فيروز قال له: (ما لي ولك يا فيروز؟) فدق فيروز رقبتة وقتله.

قال: (ثم دخل الباقون ليحتزوا رأسه، فحركه شيطان فاضطرب فلم يضبطوا أمره حتى جلس اثنان على ظهره وأخذت المرأة شعره، فجعل يبربر بلسانه فاحتز الآخر رقبتة فخار كأشد خوار ثور سمع قط، فابتدر الحرس الباب : وقالوا: ما هذا؟ فقالت المرأة: النبي يوحى إليه، فحمد... الحديث.

\*\*\*

ص: ٤٣٥

روى هذا الخبر عن سيف كل من الطبري والذهبي في تأريخيهما، وأخذه من الطبري كل من ابن الاثير وابن كثير وابن خلدون، غير أن الاخير أورده بإيجاز.

دراسة خبر الاسود العنسي:

أ- رواة الخبر:

روى سيف هذا الخبر في إحدى عشرة رواية رواها عن أربعة رواة اختلقهم وهم كل من:

١- سهل بن يوسف الخزرجي السلمى.

٢- عبيد بن صخر الخزرجي السلمى.

٣- المستنير بن يزيد النخعي.

٤- عروة بن غزية الدثيني.

هكذا تخيلهم سيف الزنديق غير أن الله لم يخلق رواة بهذه الاسماء وإنما اختلقهم سيف بن عمر لروايته.

ب- دراسة متن الخبر:

قد قرأنا روايات سيف المختلقة في خبر الاسود العنسي بالروايات الصحيحة وبينا اختلاقه الروايات والرواة في هذا الخبر في الجزء الثاني من (عبد الله بن سبأ).

ثانيا- خبر مناجاة كسرى مع الرسول عند الله في رواية سيف:

روى سيف في قصّة مسير يزيدجرد إلى خراسان بعد واقعة جلولاء وقال :

(كان يزيدجرد بن شهریار بن كسرى وهو يومئذ ملك فارس، لمّا انهزم أهل جلولاء خرج يريد الرىّ وكان ينام فى محمله والبعير يسير به ولا يعرسون، فانتهاوا به إلى مخاضة وهو نائم فى محمله فأنبهوه ليعلم ولثلاً يفرع إذا خاض البعير،

ص: ٤٣٦

فعنف وقال: بئسما صنعتم، واللّه لو تركتمونى لعلمت ما مدّة هذه الامّة، إنى رأيت: أنى ومحمدا تناجينا عند اللّه، فقال له:

- إملكهم مائة سنة.

فقال: زدنى.

فقال: عشرا ومائة سنة.

فقال: زدنى.

فقال: عشرين ومائة سنة.

فقال: لك.

وأنبهتمونى، فلو تركتمونى لعلمت ما مدّة هذه الامّة (...).<sup>٧١٧</sup>

دراسة خبير مناجاة كسرى والرسول (ص):

أ- دراسة رواية الخبر:

روى سيف اسطورة مناجاة كسرى والرسول (ص) عند اللّه عن مختلفاته من الرواة الاتية أسماؤهم:

١- محمد، وقد تخيّل: محمد بن عبد اللّه بن سواد بن نويرة.

٢- المهلب، وهو عنده: المهلب بن عقبة الاسدى.

٣- عمرو، وقد اختلق سيف راويين باسم عمرو، تخيّل أحدهما : عمرو ابن ريان، والاخر : عمرو بن رفيل، وبيّننا اختلاقه هذه الاسماء فى الجزء الاول من (عبد اللّه بن سبأ) و (خمسون ومائة صحابىّ مختلق).

ب- دراسة متن الخبر:

<sup>٧١٧</sup> (١). راجع مصادره فى البحث الاول من البحوث التمهيدية فى الجزء الاول من (خمسون ومائة صحابىّ مختلق).



درسنا متن هذا الخبر في أول الجزء الأول من (خمسون ومائة صحابي

ص: ٤٣٧

مختلق) وبيّننا زيفه ولا حاجة لاعادة البحث في هذه العجالة.

ماذا استهدف الزنديق من وضع هذين الخبرين؟

زعم سيف أن الاسود الذي ادّعى النبوة كان يخبر قيسا بكل ما ينويه مرة بعد اخرى ويقول:

(قال الملك!) وكان الملك الذي يخبره هو الشيطان ! وظهرت من الاسود مدّعى النبوة معجزة باهرة حين خطّ خطأ أوقف وراءه مائة جزور بين بقرة وبعير وقام من دونها ونحرها جميعا غير محبسة ولا معقلة ما يقتحم الخطّ منها شىء، ثمّ خلاها فجالت إلى أن زهقت، وإنّ الراوى استعظم هذا الامر ! وقال في الخبر الثانى : (إنّ كسرى رأى فى المنام أنّه اجتمع مع الله ورسوله فى مؤتمر ثلاثى ...) الحديث.

أليس مغزى الاسطورة الاولى أنّ نبيّ المسلمين ادّعى النبوة وكان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب، وتصدر منه المعجزات؟

والاسود العنسى أيضا ادّعى النبوة وكان من يسمّيه (الملك) يخبره بالغيب وتظهر منه المعجزات؟ هل نشر الزنديق هذه الاسطورة دون أن يقصد إلقاء الشبهات فى أذهان المسلمين؟

وفى الاسطورة الثانية، ألم يقصد الزنديق الاستهزاء بربّ المسلمين ونبیّهم حين جمعهما فى مؤتمر واحد مع عدوّهما يزدجرد ملك الفرس فى ما رآه!!؟

هكذا نقل كبار العلماء عن سيف أساطير الخرافة وحشوا بها كتب التاريخ الاسلامى وأصبحت تلك الاساطير جزءا من مصادر الدراسات الاسلامية، وكذلك نشروا فى كتب التاريخ الاسلامى ما أشاعه سيف الزنديق بأنّ الاسلام انتشر بحدّ السيف، نظير الاخبار الاتية:

إشاعة الزنديق أنّ الاسلام انتشر بالسيف وإراقة الدماء:

أشاع سيف فى ما اختلق من أخبار حروب الردّة والفتوح بأنّ الاسلام

ص: ٤٣٨

انتشر على وجه الارض بحدّ السيف وإراقة الدماء، ومما اختلق باسم حروب الردّة، الاكاذيب والتهويلات الاتية:

تهويلات وأكاذيب فى ما رواه سيف من أخبار حروب الردّة:

مهّد سيف لما أراد أن يذكر في حروب الردّة من تهويلات بما روى في روايات قصيرة له أوردها الطبري في أوّل أخبار الردّة، قال سيف فيها:

(كفرت الارض وتضرّمت نارا، وارتدّت العرب من كلّ قبيلة خاصّتها وعامّتها إلّا قريشا وثقيفا). ثمّ ذكر ارتدادا في غطفان، وامتناع هوازن من دفع الصدقة، واجتماع عوام طيّئ وأسّد على طليحة، وارتداد خواصّ بني سليم، وقال: (وكذلك سائر الناس بكلّ مكان) وقال: (وقدمت كتب امراء النبيّ من كلّ مكان بانتفاض القبائل خاصّتها، أو عامّتها).

ونقل الخبر كذلك ابن الاثير وابن خلدون بتأريخيهما، ونقله ابن كثير بالمعنى حيث قال في تأريخه: <sup>٧١٨</sup>

(ارتدّت العرب عند وفاة رسول الله (ص) ما خلا أهل المسجدين مكّة والمدينة).

ثمّ ذكر سيف في ما اختلقه من حروب الردّة كيف ارجع المرتدّون إلى الاسلام بحدّ السيف كما زعمه الزنديق في رواياته .  
ومن أمثلة ما روى في حروب الردّة ما سمّاها بحرب الاخابث كالآتي:

ردّة عكّ والاشعرين وخبر طاهر ربيب رسول الله (ص) في روايات سيف:

وقال سيف في خبر الاخابث من عكّ:

ص: ٤٣٩

كان أوّل من انتفض بتهامة العكّ والاشعريين لما بلغهم نبأ وفاة النبي (ص) تجمّعوا وأقاموا على الاعلاب (طريق الساحل) فكتب بذلك طاهر إلى أبي بكر، ثمّ سار إليهم مع مسروق ال عكّي حتّى التقى بهم، فاقتتلوا، فهزمهم الله وقتلهم كلّ قتلة، وأنّنت السبل لقتلهم، وكان مقتلهم فتحا عظيما.

وأجاب أبو بكر طاهرا- من قبل أن يأتيه كتابه بالفتح-: (بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقا وقومه إلى الاخابث بالاعلاب، فقد أصبت، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترفهوا عنهم، وأقيموا بالاعلاب حتّى يأتيكم أمرى). فسمّيت تلك الجموع ومن تأسّب إليهم إلى اليوم الاخابث، وسمّى ذلك الطريق طريق الاخابث، وقال في ذلك طاهر بن أبي هالة:

لما فضّ بالاجراع جمع العتاعث

ووالله لولا الله لا شىء غيره

بجنب صحارٍ في جموع الاخابث

فلم ترّ عيني مثل يوم رأيتّه

إلى القبيعة الحمراء ذات النبائث

قتلناهم ما بين قنّة خامر

جهارا ولم نحفل بتلك الهثاث

وقننا بأموال الاخابث عنوة

قال: وعسكر طاهر على طريق الاخابث، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر.

\*\*\*

أدار سيف خبر ردّة عكّ والاشعرين على من تخيّل طاهر بن أبي هالة، فمن هو طاهر في أحاديث سيف؟

طاهر في أحاديث سيف:

تخيّل سيف طاهر بن أبي هالة التميمي ابن امّ المؤمنين خديجة وربيب رسول الله (ص) وعامله في حياته، وذكر من أخباره في عصر أبي بكر إبادته

ص: ٤٤٠

للمرتدّين من عكّ والاشعرين، ومن أحاديث سيف استخرجوا ترجمته وذكره في عداد الصحابة في كلّ من الاستيعاب ومعجم الصحابة واسبغ الغابة وتجريد أسماء الصحابة والاصابة وغيرها، وكذلك ترجم في معجم الشعراء وسير النبلاء.

وذكر خبره في تواريخ الطبري وابن الاثير وابن كثير وابن خلدون وميرخواند.

واعتمد (شرف الدين) على هذه المصادر وذكر اسم طاهر في عداد أسماء الشيعة من أصحاب عليّ في كتابه (الفصول المهمّة).

واعتمادا على أخبار سيف ترجم البلدانيون الاعلاب والخابث في عداد الاماكن مثل الحموي في معجم البلدان وعبد المؤمن في مرصد الاطلاع.

مناقشة الخبر:

روى سيف أخبار طاهر في خمس من رواياته في أسانيد خمس رواة اختلقهم باسم سهل عن أبيه يوسف السلمى وعبيد بن صخر بن لوذان وجريز ابن يزيد الجعفي وأبي عمرو مولى طلحة.

ولم يكن وجود لردّة عكّ والاشعرين.

ولم يخلق الله أرضا باسم الاعلاب والخابث.

ولا صحابيا شيعيا ريبيلرسول الله (ص) من امّ المؤمنين خديجة اسمه طاهر ابن أبي هالة.

ولم تقع حرب الابداء لعكّ والاشعرين المرتدّين كما تخيّلها سيف، ولا الرواة الذين روى عنهم أخبار طاهر وردّة عكّ والاشعرين والخابث.

اختلق سيف الردّة، وحربها، والاراضى، والشعر، وكتاب أبى بكر، والصحابىّ، والرواة، ووصل من خلالها إلى هدفه أن الناس ارتدّوا بعد رسول

ص: ٤٤١

الله (ص) عامّة عدا قريش وثقيف، وهكذا حاربهم المسلمون حرب إبادة، وقد ناقشنا كلّ هذه الاخبار وأسانيدها فى ترجمة من سمّاه بطاهر بن أبى هالة فى الجزء الاوّل من كتاب (خمسون ومائة صحابىّ مختلق).

كانت هذه إحدى حروب الردّة التى اختلقها سيف، وممّا اختلق من حروب الردّة واختلق أخبارها، ما سمّاه برّدّة طيّى وردّة أمّ زمل وردّة أهل عمان والمهرة وردّة اليمن الاولى وردّة اليمن الثانية.

اختلق ارتداد تلك القبائل والبلاد وحروبها وحروب رّدّة اخرى زعم أنّها وقعت فى عصر أبى بكر، كذب فيها جميعا . وكذب وافترى فى ذكر عدد من قتل فى تلك المعارك وذكر تهاويل مزعومة سوّد بها وجه التّاريخ الاسلامى الناصع، وكذلك فعل فى أخبار الفتوح حيث ذكر معارك لم تقع، وقتلا وإبادة من قبل جيوش المسلمين لم يكن لهما وجود فى التّاريخ بلتقا كالاتى ذكرهما:

فتح أليس وتخريب أمغيشيا فى أحاديث سيف:

روى الطبرى عن سيف فى خبر أليس وأمغيشيا من فتوح سواد العراق وقال فى خبر أليس:

فاقتتلوا قتالا شديدا والمشركون يزيدهم كلبا وشدة ما يتوقّعون من قدوم بهمن جاذويه، فصابروا المسلمين للذى كان فى علم اللّاه أن يصيرهم إليه وحرب المسلمون عليهم، وقال خالد : اللّاهم إنّ لك علىّ إن منحتنا أكتافهم ألّا أستبقى منهم أحدا قدرنا عليه حتّى اجرى نهرهم بدمائهم، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ كشفهم للمسلمين ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى فى الناس: الاسر الاسر، لا تقتلوا إلّا من امتنع فأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سوفا وقد وكلّ بهم رجالا يضربون أعناقهم فى النهر، ففعل ذلك بهم يوما وليلة، وطلبوهم الغد وبعد الغد حتّى انتهوا إلى النهرين ومقدار ذلك من

ص: ٤٤٢

كلّ جوانب أليس، فضرب أعناقهم وقال له القعقاع وأشباه له : لو أنّك قتلت أهل الارض لم تجرّ دماؤهم إنّ الدماء لا تزيد على أن تفرّق منذ نهيت عن السيلان ونهيت الارض عن نشف الدماء، فأرسل عليها الماء، تبرّ بيمينك، وقد كان صدّ الماء عن النهر فأعاده فجرى دما عبيطا فسّمى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم. وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية: وبلغنا أنّ الارض لمّا نشفت دم ابن آدم نهيت عن نشف الدماء ونهى الدم عن السيلان إلّا مقدار برده.

وقال: كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ثمانية عشر ألفا أو يزيدون ثلاثة أيّام ...

وقال بعده فى خبر هدم مدينة أمغيشيا:

لمّا فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيشيا وقد أعجلهم عمّا فيها وقد جلا أهلها وتفرّقوا في السواد، فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها، وكانت مصرا كالحيرة، وكانت أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قطّ.

إخترق سيف جميع هذه الاخبار بتفاصيلها مع روايتها ولنتأمّل في ما وضع واخترق في الخبرين.

نظرة تأمل في رواية سيف عن أليس ومدينة أمغيشيا:

قال سيف:

في وقعة أليس آلى خالد أن يجري نهرهم بدمائهم، فلمّا غلب غير مجرى الماء من نهرهم واستأسر فلول الجيش الفارسي والمدنيين من أهل الارياف من كلّ جوانب أليس م سافة يومين وأقبلت الخيول بهم أفواجا مستأسرين ووكل بهم رجالا يضربون أعناقهم على النهر يوما وليلة، والدم ينشف فقال له القعقاع

ص: ٤٤٣

- الصحابي الذي اخترقه سيف - وأشباه له: لو قتلت أهل الارض لم تجر دماؤهم، أرسل عليها الماء تبرّ يمينك، فأرسل عليها الماء فأعاده فجرى النهر دما عبيطا فسّمى نهر الدم لذلك إلى اليوم . ثمّ قال: ذهب خالد إلى أمغيشيا وكانت مصرا كالحيرة فأمر بهدم أمغيشيا وكلّ شيء كان في حيزها وبلغ عدد قتلاهم سبعين ألفا.

\*\*\*

وأما هدم مدينة أمغيشيا التي اخترق سيف المدينة وحيزها وخبر هدمها، فقد كان له ن ظير في التأريخ من قبل طغاة مثل هولوكو وجنكيز وكذلك قتل الاسرى، غير أنّ سيفاً نسب إلى خالد ما لم يجر له نظير في تأريخ الحروب وهو أنّه أجرى نهرهم بدمائهم، وأنّه لذلك سمّى نهرهم بنهر الدم إلى اليوم.

اخترق سيف كلّ هذه الاخبار واخترق أخبار معارك التني والمذار و المقر وفم فرات بادقلى وحرب المصيخ وقتلهم الكفار يومذاك حتّى امتلا الفضاء من قتلاهم، فما شبهوهم إلّا بغنم مصرّعة وكذلك معركة الزميل والفراض وقتل مائة ألف من الروم فيها.

اخترق سيف جميع أخبار هذه الحروب ونظائرها وانتشرت في تواريخ الطبرى وابن الاثير وابن كثير وابن خلدون وغيرهم، ولا حقيقة لواحدة منها، وقد ناقشنا أخبارها وأسانيدنا في بحث (انتشار الاسلام بالسيف والدم في حديث سيف) من كتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الثاني.

ألا يحقّ لخصوم الاسلام مع هذا التأريخ المزيف أن يقولوا: (إنّ الاسلام انتشر بحدّ السيف)؟!؟

وهل يشكّ أحد بعد هذا في هدف سيف من وضع هذا التأريخ وما نواه من سوء للاسلام؟ ! وما الدافع لسيف إلى كلّ هذا الدسّ والوضع إن لم تكن الزندقة التي وصفه العلماء بها؟!؟

وأخيرا هل خفى كل هذا الكذب والافتراء على إمام المؤرخين الطبري؟ وعلمتهم ابن الاثير؟ ومكثره م ابن كثير؟ وفيلسوفهم ابن خلدون؟ وعلى عشرات من أمثالهم، كابن عبد البر وابن عساكر والذهبي وابن حجر؟

كلّما فإنهم هم الذين وصفوه بالكذب ورموه بالزندقة! وقد ذكر الطبري وابن الاثير وابن خلدون في تواريخهم في وقعة ذات السلاسل: أن ما ذكره سيف فيها خلاف ما يعرفه أهل السير!

إذا فما الذي دعاهم إلى اعتماد رواياته دون غيرها مع علمهم بكذبه وزندقته، إن هو إلا أن سيفاً حلّى مفترياته بإطار من نشر مناقب ذوى السلطة من الصحابة، فبذل العلماء وسعهم في نشرها وترويجها، مع علمهم بكذبها؟ ففي فتوح العراق - مثلا - أورد مفترياته تحت شعار مناقب خالد بن الوليد، فقد وضع على لسان أبي بكر أنه قال بعد معركة أليس وهدم مدينة أمغيشيا: (يا معشر قريش عدا أسدكم على الاسد فغلبه على خراذيله، أعجزت النساء أن ينشئن مثل خالد).

كما زين ما اختلق في معارك الردة بإطار من مناقب الخليفة أبي بكر، وكذلك فع ل في ما روى واختلق عن فتوح الشام وإيران على عهد عمر، والفتن في عصر عثمان، وواقعة الجمل في عصر علي، فإنه زين جميعها بإطار من مناقب ذوى السلطة والدفاع عنهم في ما انتقدوا عليه وبذلك راجت روايات سيف وشاعت أكاذيبه ونسيت الروايات الصحيحة واهملت، على أنه ليس في ما وضعه سيف واختلق - على الاغلب - فضيلة للصحابة بل فيه مذمة لهم.

ولست أدري كيف خفى على هؤلاء أن جلب خالد عشرات الالوف من البشر وذبحهم على النهر ليجرى نهرهم بدمائهم ليس فضيلة له، ولا هدمه مدينة أمغيشيا ولا نظائرها إلا على رأى الزنادقة في الحياة من أنها سجن للنور،

وأنه ينبغي السعي في إنهاء الحياة لانقاذ النور من سجنه.<sup>٧١٩</sup>

ومهما يكن من أمر، فإن بضاعة سيف المزجاة إنما راجت لأنه طلالها بطلاء من مناقب الكبراء، وإن حرص هؤلاء على نشر فضائل ذوى السلطة والدفاع عنهم أدى بهم إلى نشر ما في ظاهره فضيلة لهم وإن لم تكن لهم في واقعه فضيلة!

والانكى من ذلك أن سيفاً لم يكتف باختلاق روايات في ظاهرها مناقب للصحابة من ذوى السلطة ويدس فيها ما شاء لهدم الاسلام، بل اختلق صحابة للرسول (ص) لم يخلقهم الله! ووضع لهم ما شاء من كرامات وفتوح وشعر ومناقب كما شاء! وذلك معرفة منه بأن هؤلاء يتمسكون بكل ما فيه مناقب لاصحاب الحكم كيف ما كان، فوضع واختلق ما شاء لهدم الاسلام! اعتمادا منه على هذا الخلق عند هؤلاء! وضحكا منه على ذقون المسلمين! ولم يخيب هؤلاء ظن سيف، وإنما روجوا مفترياته زهاء ثلاثة عشر قرنا!

\*\*\*

<sup>٧١٩</sup> (١). راجع بحث الزندقة والزنادقة من البحوث التمهيدية في الجزء الاول من (خمسون ومائة صحابي مختلق).

أوردنا إلى هنا أمثلة مما اختلقه سيف للطعن بالاسلام وأطره بإطار مناقب كبراء الصحابة والتابعين أى ذوى السلطة منهم، وفى ما يأتى ندرس أمثلة اخرى منها مما أطره بإطار حلّ معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون، كما سيأتى بيانها.

كانت شهرة الامام علىّ (ع) بالوصى معضلة مدرسة الخلافة مدى القرون

رأينا فى ما مرّ بنا كيف دارت المعركة الكلامية بين المدرستين حول نصّ الوصيّة مدى سبعمائة سنة منذ عهد امّ المؤمنين عائشة حتّى عصر ابن كثير،

ص: ٤٤٤

لأنّ نصّ الوصيّة كان يُشخّص قصد الرسول (ص) فى سائر النصوص التى نصّ بها علىّ حقّ آلّه فى الحكم بدءا بالإمام علىّ وانتهاء بالامام المهدي، مثل حديث الغدير وحديث أنّ عليّا وليّ الامر بعد الرسول (ص) ووارثه، إلى غيرهما. بينما كانت مدرسة الخلفاء تؤوّل تلك النصوص إلى مدلول الفضيلة لال الرسول (ص). ومما يوضّح ذلك أنّ علماء أهل الكتاب - مثلا - عندما كانوا يتكلّمون عن وصيّ خاتم الانبياء، ما كانوا يعنون غير وليّ عهده من بعده.

وأنّ أنصار الامام علىّ (ع) عندما كانوا يذكرون الوصيّة فى خطبهم وأشعارهم يحتجّون بها علىّ حقّ الامام علىّ (ع) فى الحكم مثل أبى ذرّ علىّ عهد عثمان ومالك الاشتهر يوم بيعته الامام علىّ (ع) ومحمّد بن أبى بكر فى كتابه لمعاوية، والمهاجرين والانصار فى أشعارهم فى الجمل وصفين، والامام الحسن (ع) عندما خطب ليبياع له، والامام الحسين عندما خطب علىّ جيش الخلافة بكرىلاء، كلّهم كانوا يحتجّون بالوصيّة، لأنّها كانت تشير إلى جميع النصوص التى جاءت بحقّهم وتشملها، فكانهم فى احتجاجهم بالوصيّة يدلون بجميع تلك النصوص.

وإنّ قيام العلويين المطالبين بالحكم لم ينته باستشهاد الامام الحسين (ع) وإنّما استمرّت ثوراتهم علىّ الخلفاء حتّى عصر العباسيين، وكان فى مقدمة ما يضايق مدرسة الخلفاء فى كلّ تلكم القرون فى المعركة السياسية شهرة الامام علىّ (ع) بأنّه وصيّ النبىّ (ص) لما كان يحتجّ بها المطالبون بالحكم من العلويين باعتبار أنّها تدلّ كما ذكرنا أنّفا علىّ نصّ النبىّ (ص) بحقّ الامام علىّ (ع) وولده فى الحكم.

ومن ثمّ لما أراد المأمون تهدئة ثورات العلويين تظاهر بالاستدلال بالوصيّة وولّى الامام الرضا العهد من بعده، وبذلك هدأ العلويين فى كلّ مكان وجلب

ص: ٤٤٧

رؤوسهم إلى عاصمته وقضى علىّ جُلّهم بالسّم وانتصر عليهم.

إذا كانت شهرة الامام علىّ (ع) بالوصىّ هى معضلة مدرسة الخلفاء مدى القرون، فكيف حلّ سيف هذه المعضلة؟

سيف يضع حلّا لمعضلة مدرسة الخلفاء:

مرّ بنا كيف كانت مدرسة الخلفاء تعمد إلى كتمان كلّ ما فيه ذكر للوصيّة حذفاً وتحريفاً وطعنا على رواة الحديث والمحتجّين به، وتأويلاً للنصوص الصريحة للوصيّة، ولم يبلغ أحدهم شأو سيف في ما وضع من حلّ لهذه المشكلة العويصة بتحريفه الحقائق إلى ما يناقضها في ما اختلّع من روايات نذكرها في ما يأتي :

أ- روى الطبري<sup>٧٢٠</sup> في أول أخبار سنة خمس وثلاثين للهجرة الرواية الآتية:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، أمّه سوداء، فأسلم زمان عثمان، ثمّ تنقّل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثمّ البصرة ثمّ الكوفة ثمّ الشام. فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتّى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم في ما يقول : لَعَجَبٌ مَمَّنْ يَزْعَمُ أَنَّ عَيْسَى يَرْجِعُ وَيَكْذِبُ بِأَنَّ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ فَمُحَمَّدٌ أَحَقُّ بِالرَّجُوعِ مِنْ عَيْسَى، قَالَ: فَقِيلَ ذَلِكَ عَنْهُ فَوَضَعَ لَهُمُ الرَّجْعَةَ فَتَكَلَّمُوا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ : إِنَّهُ كَانَ أَلْفَ نَبِيٍّ وَلِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ، وَكَانَ عَلِيُّ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ. ثُمَّ قَالَ: مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلِيُّ خَاتَمُ

ص: ٤٤٨

الاصبياء. ثمّ قال بعد ذلك: من أظلم ممّن لم يُجزِ وصيّة رسول الله (ص) ووثبت على وصيّ رسول الله (ص) وتناول أمر الآمة؟ ثمّ قال لهم بعد ذلك: إنّ عثمان أخذها بغير حقّ، وهذا وصيّ رسول الله (ص) فانهضوا في هذا الامر فحركوه وابدأوا بالظعن على امرائكم، وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم إلى هذا الامر.

فبثّ دعائه وكاتب من كان استفسد في الامصار، وكاتبوه ودعوا في السرّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الامصار بكتب يضعونها في عيوب ولائهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كلّ مصر منهم إلى مصر آخر بما يصنعون، فيقرأ أولئك في أمصارهم وهؤلاء في أمصارهم حتّى تناولوا بذلك المدينة. وأوسعوا الارض إذاعة وهم يريدون غير ما يُظهرون ويسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل كلّ مصر : إنّنا لفي عافية ممّا ابتلى به هؤلاء، إلّا أهل المدينة، فإنّهم جاءهم ذلك عن جميع الامصار فقالوا : إنّنا لفي عافية ممّا فيه الناس وجامعه محمد وطلحة من هذا المكان، قالوا: فأتوا عثمان فقالوا: يا أمير المؤمنين، أيأتيك عن الناس الذي يأتينا؟ قال : لا والله ما جاءني إلّا السلامة، قالوا: فإنّا قد أتانا وأخبروه بالذي أسقطوا إلى هم، قال: فأنتم شركائي وشهود المؤمنين، فأشيروا علىّ، قالوا: نشير عليك أن تبعث رجلاً ممّن تثقّ بهم إلى الامصار حتّى يرجعوا إليك بأخبارهم . فدعا محمد بن مسلمة فأرسله إلى الكوفة وأرسل اسامة بن زيد إلى البصرة وأرسل عمّار بن ياسر إلى مصر وأرسل عبد الله بن عمر إلى الشام وفرّق رجلاً سواهم، فرجعوا جميعاً قبل عمّار فقالوا : أيّها الناس ما أنكرنا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وقالوا جميعاً: الامر أمر المسلمين إلّا أنّ امراءهم يقسطون بينهم ويقومون عليهم، واستبطنوا الناس عمّاراً حتّى ظنّوا أنّه قد اغتيل، فلم يفجأهم إلّا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم

ص: ٤٤٩

<sup>٧٢٠</sup> (١) . تأريخ الطبري، ط. اوربا ١ / ٢٩٤١ - ٢٩٤٤ .



أَنَّ عَمَّارًا قَدِ اسْتَمَالَهُ قَوْمٌ بِمِصْرَ وَقَدْ انْتَقَعُوا إِلَيْهِ، مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السُّودَاءِ وَخَالِدُ بْنُ مَلْجَمٍ وَسُودَانُ بْنُ حَمْرَانَ وَكِنَانَةُ بْنُ بَشَرَ.

ب- روى الذهبي<sup>٧٢١</sup> في أوائل ذكره أخبار سنة خمس وثلاثين هجرية الحديثين الاتيين:

أولاً- (قال سيف بن عمر بن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال : لَمَّا خَرَجَ ابْنُ السُّودَاءِ إِلَى مِصْرَ نَزَلَ عَلَى كِنَانَةَ بْنِ بَشَرَ مَرَّةً وَعَلَى سُودَانَ بْنِ حَمْرَانَ مَرَّةً، وَانْتَقَعَ إِلَى الْغَافِقِيِّ، فَشَجَّهَ الْغَافِقِيُّ فَكَلَّمَهُ، وَأَطَافَ بِهِ خَالِدُ بْنُ مَلْجَمٍ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنُ رَزِينَ وَأَشْبَاهَهُ لَهُمْ فَصَرَفَ لَهُمُ الْقَوْلَ فَلَمْ يَجِدْهُمْ يُحْيِيُونَ إِلَى الْوَصِيَّةِ ... ) إِلَى آخِرِ

الحديث الطويل.

ثانياً- روى بعد هذا الحديث خبر عَمَّارٍ فِي مِصْرَ كَالآتِي:

(قال سيف: عن مبشر وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، قال : قَدِمَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنْ مِصْرَ وَأَبَى يَسَّالَ، فَبَلَغَهُ فَبَعَثَنِي إِلَيْهِ أَدْعُوهُ، فَقَامَ مَعِيَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ وَسُخَّةٌ وَجِبَّةٌ فَرَأَى، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ سَعِدٌ قَالَ لِي : وَيْحَكَ يَا أَبَا الْيَقْظَانَ، إِنْ كُنْتَ فِينَا لِمَنْ أَهْلُ الْخَيْرِ فَمَا الَّذِي بَلَّغَنِي عَنْكَ مِنْ سَعِيكَ فِي فِسَادِ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّأَلُّبِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَمَعَكَ عَقْلُكَ أَمْ لَا؟ فَأَهْوَى عَمَّارٌ إِلَى عِمَامَتِهِ وَغَضِبَ فَزَعَهَا وَقَالَ: خَلَعْتُ عُثْمَانَ كَمَا خَلَعْتَ عِمَامَتِي هَذِهِ. فَقَالَ سَعِدٌ: إِنَّ لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَيْحَكَ حِينَ كَبُرْتَ سَنَكَ وَرَقَّ عَظْمُكَ وَنَفَدَ عَمْرُكَ، خَلَعْتَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِكَ وَخَرَجْتَ مِنَ الدِّينِ عَرَبَانًا. فَقَامَ عَمَّارٌ مَغْضَبًا مَوْلِيًا وَهُوَ يَقُولُ : أَعُوذُ بِرَبِّي مِنْ فِتْنَةِ سَعِدٍ. فَقَالَ سَعِدٌ: أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا، اللَّهُمَّ زِدْ عُثْمَانَ بَعْضَهُ وَحَلِّمْهُ عِنْدَكَ دَرَجَاتٍ، حَتَّى خَرَجَ عَمَّارٌ مِنْ

ص: ٤٥٠

الباب فأقبل عليَّ سعد يبكي حتَّى اخضَلَّ لِحِيَّتَهُ وَقَالَ : مَنْ يَأْمَنُ الْفِتْنَةَ، يَا بُنَيَّ لَا يَخْرُجَنَّ مِنْكَ مَا سَمِعْتَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنَ الْإِمَانَةِ وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ النَّاسُ عَلَيْهِ يَتَنَاولُونَهُ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص): الْحَقُّ مَعَ عَمَّارٍ مَا لَمْ تَغْلِبْ عَلَيْهِ وَلِهَذَا الْكَبِيرُ فَقَدَ وَلَهُ وَخَرَفَ. وَمَمَّنْ قَامَ عَلَى عُثْمَانَ، مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، فَسَأَلَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي مَا قِيلَ عَنْ سَبَبِ خُرُوجِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: الْغَضَبُ وَالطَّمَعُ وَكَانَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِمَكَانٍ، وَغَرَّهُ أَقْوَامٌ فَطَمَعُوا وَكَانَتْ لَهُ دَالَّةٌ وَلَزِمَهُ حَقٌّ فَأَخَذَهُ عُثْمَانُ مِنْ ظَهْرِهِ.

ج- روى الطبري<sup>٧٢٢</sup> في أخبار سنة ثلاثين أمر أبي ذرَّ كَالآتِي:

(عن سيف، عن عطية، عن يزيد الفقعسي، قال : لَمَّا وَرَدَ ابْنُ السُّودَاءِ الشَّامَ لَقِيَ أَبَا ذَرٍّ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا تَعْجَبُ إِلَى مَعَاوِيَةَ يَقُولُ: الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لِلَّهِ كَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَحْتَجِنَهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ وَيَمْحُو اسْمَ الْمُسْلِمِينَ، فَأَتَاهُ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ : مَا يَدْعُوكَ إِلَى أَنْ نَسَمِيَ مَالَ الْمُسْلِمِينَ مَالَ اللَّهِ؟ قَالَ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا أَبَا ذَرٍّ، أَلَسْنَا عِبَادَ اللَّهِ وَالْمَالُ مَالُهُ وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ، قَالَ: فَلَا تَقْلَهُ. قَالَ: فَإِنِّي لَا أَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ، وَلَكِنْ سَأَقُولُ مَالَ الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: وَأَتَى ابْنَ السُّودَاءِ أَبَا الدَّرْدَاءِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ أَظَنُّكَ وَاللَّهِ يَهُودِيًّا. فَأَتَى عِبَادَةَ ابْنَ الصَّامِتِ فَتَعَلَّقَ بِهِ فَأَتَى بِهِ مَعَاوِيَةَ فَقَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَ عَلَيْكَ أَبَا ذَرٍّ .

<sup>٧٢١</sup> (١) . تأريخ الاسلام ٢ / ١٢٢ - ١٢٨ .

<sup>٧٢٢</sup> (١) . تأريخ الطبري، ط. اوربا ١ / ٢٨٥٨ - ٢٨٥٩ .

وقام أبو ذرّ بالشام وجعل يقول : يا معشر الاغنياء واسوا الفقراء، بشرّ الذين يكتزون الذهب والفضّة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبه على الاغنياء وحتّى شكا الاغنياء ما يلقون من الناس . فكتب معاوية إلى عثمان : إنّ أبا ذرّ قد أعزل بي وقد كان من أمره كيت وكيت . فكتب إليه عثمان: إنّ

ص: ٤٥١

الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها فلم يبقَ إلّا أن تثبت فلا تنك أ القرح وجهز أبا ذرّ إلىّ وابعث معه دليلاً وزوّده وارقق به وكفكف الناس ونفسك ما استطعت فإنّما تمسك ما استمسكت، فبعث بأبي ذرّ ومعه دليل، فلمّا قدم المدينة ورأى المجالس في أصل سلع قال: بشرّ أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار. ودخل على عثمان فقال: يا أبا ذرّ ما لاهل الشام يشكون ذرّيك؟ فأخبره أنّه لا ينبغي أن يقال مال الله ولا ينبغي للاغنياء أن يقتنوا مالا، فقال : يا أبا ذرّ علىّ أن أفضى ما علىّ وأخذ ما على الرعيّة ولا اجبرهم على الزهد وأن أدعوهم إلى الاجتهاد والاقتصاد، قال : فتأذن لي في الخروج؟ فإنّ المدينة ليست لي بدار . فقال: أوّستبدل بها إلّا شراً منها، قال : أمرني رسول الله (ص) أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا . قال: فانفذ بما أمرك به . قال: فخرج حتّى نزل الربذة فخطّ بها مسجدا وأقطعه عثمان صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأرسل إليه أن تعاهد المدينة حتّى لا ترتدّ أعرابيا، ففعل).

دراسة روايات سيف في أخبار الفتن:

اختلف سيف هذه الاخبار ونظائرها في الدفاع عن الخلفاء الامويين: عثمان، ومعاوية، ومروان، والولادة: الوليد، وسعد بن أبي سرح، وغيرهم من كبراء بني امية، فراجت قصصه المختلفة في أخبار تلك الفتن، وانتشرت في مصادر الدراسات الاسلامية انتشار النار في الهشيم، كما برهنّا على ذلك في أوّل الجزء الأوّل من (عبد الله بن سبأ)، وأثبتنا الصحيح من أخبار تلك الفتن في فصل (في عصر الصهرين) وفصل (مع معاوية) من كتابنا (أحاديث أمّ المؤمنين عائشة) الجزء الأوّل، ونشير في ما يأتي إلى أمثلة من أنواع الاختلاق والتحريف في روايات سيف السابقة .

ص: ٤٥٢

الاختلاق والتحريف في روايات سيف الانفة الذكر:

أولاً- أمثلة من الاختلاق في الروايات السابقة:

أ- اختلف سيف رواة الحديث: عطية ومبشر وسهل بن يوسف ويزيد الفقعسي وهذا بيانه:

أمّا عطية، فقد تخيّل سيف : ابن بلال بن أبي بلال، هلال الضبيّ واختلق له ابنا سمّاه الصعب، وأسند إليهم رواية بعض مختلفاته من الروايات، تارة يروي الابن منهم عن أبيه، وتارة يروي عن غيره، وهؤلاء درسناهم وأحصينا الروايات التي أسندها سيف إليهم في كتابنا (رواة مختلفون)، وقارنّا بين بعض ما أسرد إليهم سيف من روايات في ترجمة القعقاع الصحابي المختلق بكتابنا (خمسون ومائة صحابي مختلق) الجزء الأوّل، وفي خبر العلاء الحضرمي بكتابنا (عبد الله ابن سبأ) الجزء الأوّل.

وسهل بن يوسف تخيّل سيف نسبه هكذا : سهل بن يوسف بن سهل بن مالك الانصارى، وقد ترجمناهم وأحصينا روايات سيف عنهم فى كتاب (رواة مختلفون) ودرسنا روايات سيف عنهم فى ترجمة القعقاع بكتاب (خمسون ومائة صحابى مختلف).  
ومبشر تخيّل: مبشر بن فضيل وقد درسناه ودرسنا رواية سيف عنه فى خبر السقيفة بكتابنا (عبد الله بن سبأ) الجزء الاول.

ويزيد الفقعسى: لم نجد له ذكرا فى ما بحثنا من كتب الحديث والسير والتاريخ والادب والانساب والطبقات وتراجم الرجال عدا خمس روايات لسيف فى تاريخ الطبرى ورواية واحدة له فى تاريخ الاسلام للذهبي، وكان الله لم يخلقه إلا ليروى سيف عنه، ولذلك اعتبرناه من مختلفات سيف من الرواة.

ب- اختلق سيف، الغافقى وغيره، فى متون الاحاديث السابقة وترك

ص: ٤٥٣

إحصاء ما اختلق فيها والبرهنة عليها، لئلا يطول بنا الكلام.

واختلق فى متون الاحاديث السابقة أيضا الاخبار الاتية:

أ- قصة عبد الله بن سبأ فى تلك الفتن ويكفى لمعرفة ما اختلقه مقارنتها بالاخبار الصحيحة التى أوردناها فى فصلى (فى عصر الصهرين) و (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة) الجزء الاول.

ب- من ضمن هذه الاخبار المختلفة متابعة الصحابييين عمّار وأبى ذرّ لعبد الله ابن سبأ الذى تخيّل يهوديا من أهل اليمن ... وألحق بهما فى متابعتهما عبد الله بن سبأ، صحابة وتابعين آخرين وسمّى جميعهم بالسبائية.

ج- اختلق خبر إرسال الخليفة عثمان رجالا إلى الامصار لتحقيق ما تصل إليه من الشكاوى، وتخيّلهم هكذا : محمد بن مسلمة إلى الكوفة، واسامة بن زيد إلى البصرة، وعمّار بن ياسر إلى مصر، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وأنّ جميعهم رجعوا يخبرون عن رضا الناس عن ولائهم ما عدا عمّار بن ياسر الذى تبع عبد الله بن سبأ اليهودى وبقي فى أرض مصر يفسد فيها.

اختلق سيف جميع تلك الاخبار بتفاصيلها، ولم يرد ذكر شىء منها عند أى واحد من المؤرخين غيره . والخبر الصحيح فى ذلك ما ذكرناه فى كتاب (أحاديث عائشة) عن أنساب الاشراف للبلاذرى وغيره.

د- اختلق خبر أبى ذرّ مع معاوية وحرّفه والروايات الصحيحة فى خبره- أيضا- ما أوردناه فى كتاب (أحاديث عائشة).

ه- اختلق غيرها مثل المكاتبات التى تخيّل أنّها جرت بين الخليفة عثمان وعمّاله وغير ذلك.

ثانيا- أمثلة من التحريف فى الروايات السابقة:

أ- تحريف فى الاسماء:

حرّف اسم عبد الرحمن بن ملجم قاتل الامام عليّ وعبد الله بن وهب

ص: ٤٥٤

السبائي من رؤساء الخوارج في حرب النهروان وسماهها خالد بن ملجم وعبد الله بن سبأ كما برهننا على ذلك في فصل (تصحيح وتحريف) من كتاب (عبد الله بن سبأ) الجزء الثاني.

ب- تحريف في الاخبار، مثل:

تحريفه خبر عبادة بن الصامت ومعاوية. والصحيح منه ما أورده في فصل (مع معاوية) من كتاب (أحاديث عائشة).

وتحريفه خبر القول بالرجعة وقوله: إن ابن سبأ اخترعه، ويطول بنا البحث عن أدلته في الكتاب والسنة، ونقتصر على إيراد خبر واحد كالاتي:

لمّا توفّي رسول الله (ص) كان الصحابي أبو بكر بمنزله في السنح، وأخذ الصحابي عمر يقول : إن رجلا من المنافقين يزعمون أنّ رسول الله توفّي . وأنّ رسول الله ما مات، ولكنّه ذهب إلى ربّه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه أربعين ليلة ثمّ رجع بعد أن قيل مات، والله ليرجعنّ رسول الله. <sup>٧٢٣</sup>

وتحريفه خبر القول بالوصية ونسبته إلى ابن سبأ اليهودي وقد مرّ بنا البحث عنها في ما سبق.

وتحريفه رواية رسول الله (ص) في حقّ عمّار بقوله: (الحقّ مع عمّار ما لم تغلب عليه ولهة الكبر) وأنّ سعدا قال: إن عمّارا وله وخرف، بينما قال رسول الله (ص) في حقّه الحديث الاتي:

عن عبد الله بن مسعود، قال: قال رسول الله:

«إذا اختلف الناس، كان ابن سميّة مع الحقّ». <sup>٧٢٤</sup>

ص: ٤٥٥

وفي طبقات ابن سعد: <sup>٧٢٥</sup> قال الامام عليّ في رثاء عمّار:

(إنّ عمّارا مع الحقّ والحقّ معه، يدور عمّار مع الحقّ أينما دار).

إنّ سيف بن عمر حرّف هذه الاحاديث في حقّ عمّار وزاد فيها: (ما لم تغلب عليه ولهة الكبر).

<sup>٧٢٣</sup> (١). راجع تفصيل الخبر في فصل وفاة الرسول (ص) من كتاب (عبد الله بن سبأ)، الجزء الاول.

<sup>٧٢٤</sup> (٢). راجع تاريخ الذهبي ٢ / ١٧٩. وتاريخ ابن كثير ٧ / ٢٧٠.

<sup>٧٢٥</sup> (١). ط. بيروت ٣ / ٢٦٢.

ومن حديث رسول الله في عمّار ما رواه ابن هشام في خبر بناء مسجد الرسول (ص) أنّ رجلا تعرّض لعمّار، فقال رسول الله (ص):

«ما لهم ولعمّار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إنّ عمّارا جلدة ما بين عيني وأنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه».

روى الحديث ابن هشام ولم يذكر اسم الرجل الذي تعرّض لعمّار . وذكر أبو ذرّ في شرح سيرة ابن هشام أنّ هذا الرجل هو عثمان بن عفّان، وتفصيل الخبر بكتاب (أحاديث عائشة)، فصل (في عصر الصهرين).

أمّا أبو ذرّ فقد قال رسول الله (ص) فيه:

«ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذرّ».<sup>٧٢٦</sup>

مقارنة خبر سيف في الفتن بأخبار غيره:

قال الذهبي في تاريخه<sup>٧٢٧</sup> في خبر الفتن على عهد عثمان:

(عن الزهري قال: ولي عثمان فعمل ستّ سنين لا ينقم عليه الناس

ص: ٤٥٦

شيئا. وإنّه لاحبّ إليهم من عمر، لأنّ عمر كان شديدا عليهم . فلمّا وليهم عثمان لان لهم ووصلهم، ثمّ إنّه توانى في أمرهم واستعمل أقباءه وأهل بيته في الستّ الاواخر، وكتب لمروان بخمس مصر أو بخمس أفريقية، وآثر أقباءه بالمال وتأول في ذلك الصلّة التي أمر الله بها، واتخذ الاموال واستسلف من بيت المال، وقال : إنّ أبا بكر وعمر تركا من ذلك ما هو لهما، وإنّي أخذته فقسمته في أقبائي. فأنكر الناس عليه ذلك.

قلت: وممّا نقموا عليه أنّه عزل عمير بن سعد عن حمص وكان صالحا زاهدا، وجمع الشام لمعاوية، ونزع عمر و بن العاص عن مصر، وأمر ابن أبي سرح عليها، ونزع أبا موسى الاشعري عن البصرة وأمر عليها عبد الله بن عمر، ونزع المغيرة ابن شعبة<sup>٧٢٨</sup> عن الكوفة وأمر عليها سعيد بن العاص.

وقال: دعا عثمان ناسا من الصحابة فيهم عمّار فقال : إنّي سائلكم واحبّ أن تصدقوني . نشدتكم الله أتعلمون أنّ رسول الله (ص) كان يؤثر قريشا على سائر الناس ويؤثر بني هاشم على سائر قريش؟ فسكتوا، فقال : لو أنّ بيدي مفاتيح الجنة لاعطيتها بني امية حتى يدخلوها).<sup>٧٢٩</sup>

<sup>٧٢٦</sup> (٢) . سنن ابن ماجة، المقدمة، باب ١١، ح ١٥٦. وسنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذرّ (رض). ومسند أحمد ١٦٣ / ٢، ١٧٥ و ٢٢٣ و ٥ /

٣٥١ و ٣٥٦ و ٤٢٢ / ٦. وطبقات ابن سعد، ط. اوريا ٤ / ق ١ / ١٦٨.

<sup>٧٢٧</sup> (٣) . ١٢٢ / ٢.

<sup>٧٢٨</sup> (١) . في النسخة: المغيرة بن شعبة خطأ، وإنما نزع سعد بن أبي وقاص.

\*\*\*

لا يتسع المجال لذكر ما فعله الولاة والامراء من بني امية في السنوات الست التي ذكرها المؤرّ خون في مصر والشام والكوفة والبصرة والمدينة، وما جرى بينهم وبين ابرار الصحابة والتابعين، وإنما تقتصر على ذكر بعض ما كان من أمر أبي ذرّ خاصة معهم.

ص: ٤٥٧

أبو ذرّ في موسم الحجّ بمنى:

عن أبي كثير عن أبيه، (قال: أتيت أبا ذرّ وهو جالس عند الجمرّة الوسطى وقد اجتمع الناس عليه يستفتونه، فأناه رجل فوقف عليه ثمّ قال: أو لم تُنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت علي؟ لو وضعت المصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لانفذتها).<sup>٧٣٠</sup>

اختزل هذا الخبر البخاري في صحيحه وقال:

(قال أبو ذرّ: لو وضعت المصامة على هذه - وأشار إلى قفاه - ثمّ ظننت أنّي أنفذ كلمة سمعتها من النبيّ (ص) قبل أن تجيزوا عليّ لانفذتها).<sup>٧٣١</sup>

وفي شرحه من فتح الباري قال ابن حجر:

(إنّ الذي خاطبه رجل من قريش والذي نهاه عثمان (رض)». <sup>٧٣٢</sup>

وقال: (ونكوب «كلمة» ليشمل القليل والكثير، والمراد به يبلغ ما تحمله في كلّ حال، ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل). انتهى كلام شارح البخاري وفسّر في ما قال كلام أبي ذرّ بأنّه أراد أنّه سيبلغ ما سمعه عن رسول الله (ص) وإن كان كلمة واحدة ولا ينتهي عن ذلك ولو أشرف على القتل.

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي:

(وعلى رأسه فتى من قريش، فقال: أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا (...)<sup>٧٣٣</sup> الحديث.

ص: ٤٥٨

<sup>٧٢٩</sup> (٢). قال المؤلف: ولكن مفاتيح بيوت أموال المسلمين كانت بيده.

<sup>٧٣٠</sup> (١). سنن الدارمي ١/ ١٣٧. وطبقات ابن سعد ٢/ ٣٥٤.

<sup>٧٣١</sup> (٢). كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل ١/ ١٦.

<sup>٧٣٢</sup> (٣). ١/ ١٧٠ - ١٧١.

<sup>٧٣٣</sup> (٤). ١/ ١٨.

أبو ذرّ في بيت الله الحرام:

في مستدرک الحاكم<sup>٧٣٤</sup> بسنده عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذرّ يقول وهو آخذ بباب الكعبة:

أيها الناس من عرفني فلنا من عرفتم، ومن أنكرني فأنا أبو ذرّ، سمعت رسول الله يقول:

«مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

أبو ذرّ في مسجد الرسول (ص) وغيره:

أورد اليعقوبي تفصيل خبر أبي ذرّ مع السلطنة في تأريخه<sup>٧٣٤</sup> وقال:

(وبلغ عثمان أن أبا ذرّ يقعد في مسجد رسول الله، ويجتمع إليه الناس،<sup>٧٣٧</sup> فيحدّث بما فيه الطعن عليه . وأنه وقف بباب المسجد فقال:

أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أبو ذرّ الغفاري، أنا جندب بن جنادة الربذي **إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** محمد الصفوة من نوح، فالال<sup>٧٣٨</sup> من إبراهيم، والسلالة من إسماعيل، والعترّة الهاديّة من محمد إنّه شرف شريفهم، واستحقّوا الفضل في قوم هم فينا كالسمااء المرفوعة وكالكعبة

ص: ٤٥٩

المستورة، أو كالقبة المنصوبة، أو كالشمس الضاحية، أو كالقمر الساري، أو كالنجوم الهاديّة، أو كالشجرة الزيتونية أضاء زيتها، وبورك زبدها، ومحمد وارث علم آدم وما فضلّ به النبيون، وعلى بن أبي طالب وصيّ محمد، ووارث علمه . أيّتها الامة المتخيّرة بعد نبيّها! أما لو قدّمتم من قدّم الله، وأخرتم من آخر الله، وأقرّتم الولاية والوراثة في أهل بيت نبيّكم لاكلتم من فوق رؤوسكم ومن تحت أقدامكم، ولما عال وليّ الله، ولا طاش سهم من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم الله، إلّا وجدتتم علم ذلك عندهم من كتاب الله وسنة نبيّه، فأما إذا فعلتم، فذوقوا وبال أمركم، وسيعلم الذي ظلموا أيّ منقلب ينقلبون).

وقال اليعقوبي بعده:

<sup>٧٣٤</sup> (١) / ٢ / ٣٤٣.

<sup>٧٣٥</sup> (٢) . حنش في الاصابة، رجل من غفار.

<sup>٧٣٤</sup> (٣) / ٢ / ١٧١.

<sup>٧٣٧</sup> (٤) . يظهر من سياق الخبر أنّ أبا ذرّ كان يفعل ذلك في مسجد الرسول في موسم الحجّ كفعله في منى وبباب الكعبة، فإنّه لو كان في غير موسم الحجّ لم يكن بحاجة إلى أن يعرف نفسه لآخوته الذين كانوا يعيشونه في المدينة.

<sup>٧٣٨</sup> (٥) . في النسخة المطبوعة: (فالاول)، خطأ مطبعي.

(وبلغ عثمان أيضا أن أبا ذرّ يقع فيه، ويذكر ما غير وبدل من سنن رسول الله وسنن أبي بكر وعمر، فسيره إلى الشام إلى معاوية، وكان يجلس في المسجد، في قول كما كان يقول ويجتمع إليه الناس حتى كثر من يجتمع إليه ويسمع منه (... الحديث.

وقال يعقوبى بعد ذلك ما موجزه:

(إن معاوية كتب إلى عثمان أنك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذرّ، فكتب إليه أن أحمله على قتب بغير وطاء، فقدم به المدينة وقد ذهب لحم فخذيته وجرى له مع عثمان ما أدى بعثمان أن ينفيه إلى الربذة، وجرى للوليد والى الكوفة مع ابن مسعود نظير ذلك، فجلبه الخليفة إلى المدينة وأمر به، فضرب به الأرض وتوفى على أثر ذلك، وفعل نظير ذلك بعمّار).<sup>٧٣٩</sup>

ص: ٤٦٠

#### خلاصة خبر الفتن في اخريات عهد عثمان:

أطلق الخليفة عثمان يد الولاة من بنى امية على المسلمين وفي بيوت أموالهم، وكلما اشتكى المسلمون إلى الخليفة من ظلم ولاته لم يبال بهم، فثاروا عليه وأصبحت بنو تميم عندئذ تعارض عثمان وتطمح بالخلافة لطلحة وآل الزبير للزبير، وكان ما عداهم وما عدا بنى امية جلّ الانصار وسائر أصحاب رسول الله (ص) يدعون للامام على. وأخيرا قتل الثائرون عثمان ولم ينصره الانصار وغيرهم، ثمّ تجمهر المهاجرون والانصار على الامام على فبايعوه وخضع طلحة والزبير للرأى العام وبايعا عليّا فى مقدمة من بايعه من صحابة رسول الله (ص). ولما قسم الامام على بيوت الاموال با لسوية ثارت نائرة الطبقة المتميزة وعلى رأسهم طلحة والزبير، فاجتمعوا مع ام المؤمنين عائشة بمكة، وجمعوا حولهم بنى امية، وأظهروا الطلب بدم عثمان، وساروا إلى البصرة وتغلّبوا عليها، وجهّزوا جيشا لقتال الامام على، فخرج الامام من المدينة والتقى بهم خارج البصرة، وركبت ام المؤمنين عائشة جملا، وقادت العسكر، وقاتلوا جيش الامام على، فقتل فى المعركة منهم من قتل واستسلم الباقون، فعفا عنهم الامام على.

هذه خلاصة خبر الفتن فى عصر عثمان وبيعة الامام على وحرب الجمل بالبصرة، ذكرنا أخبارها ومصادر الاخبار فى كتاب (أحاديث عائشة).

#### نتيجة البحث المقارن بين روايات سيف المختلقة فى الفتن والروايات الصحيحة

روى سيف أن يهوديا من صنعاء اليمن اسمه عبد الله بن سبأ ابن الامة السوداء تظاهر على عهد عثمان بالاسلام وسار فى عواصم البلاد الاسلامية ومدنها: المدينة والشام والكوفة ومصر يدعو إلى القول برجعة الرسول بعد وفاته

ص: ٤٦١

<sup>٧٣٩</sup> (١). راجع تفصيل أخبارها بكتاب أحاديث عائشة.



وَأَنَّ عَلِيًّا وَصِيَّهُ وَأَنَّ عَثْمَانَ غَاصِبَ حَقِّ هَذَا الْوَصِيِّ، فَيَجِبُ الْوُثُوبُ عَلَيْهِ لِارْتِجَاعِ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَمَّنْ بِهِ أَبْرَارَ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَظْرَاءَ أَبِي ذَرٍّ وَعَمَّارَ وَحَجْرَ بْنَ عَدَى إِلَى عَشْرَاتِ أَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ سَمَّاهُمْ بِالسَّبَائِيَةِ وَأَنَّ ابْنَ سَبَأَ الْيَهُودِيَّ عَ لَّمْ هُوَ لَاءَ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَنْ يَكْتُبُوا فِي عَيْبِ وَلَا تَهْمِ وَيَشِيرُوا النَّاسَ عَلَيْهِمْ، فَفَعَلُوا . وَأَنَّ عَمَّارًا كَانَ قَدْ خَرَفَ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّسُولُ، وَكَذَلِكَ أَبُو ذَرٍّ، فَامْتَثَلَ السَّبَائِيُّونَ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعُونَ تَعْلِيمَاتِ ابْنِ سَبَأٍ، وَجَلَبُوا النَّاسَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَتَلُوا عَثْمَانَ فِي دَارِهِ وَبَايَعُوا عَلِيًّا، وَسَارَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَائِشَةُ إِلَى الْبَصْرَةِ لِلطَّلَبِ بِدَمِ عَثْمَانَ، وَسَارَ خَلْفَهُمُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ وَالتَّقْوَى خَارِجَ الْبَصْرَةِ وَتَذَاكُرُوا فِي الصَّلْحِ وَقَرَّ رَأْيُهُمْ عَلَى الصَّلْحِ، فَتَخَوَّفَ السَّبَائِيُّونَ ٧٤٠ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهِمْ وَانْدَسَّوْا فِي الْجَيْشِينَ لَيْلًا وَتَرَامَوْا بِالسَّهَامِ مِنَ الْجَانِبِينَ وَأُ ثَارُوا الْحَرْبَ بَيْنَ الْجَيْشِينَ، فَقَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ دُونَ أَنْ يَتَنَبَّهَ إِلَى مَكِيدَتِهِمْ مِنَ الْجَيْشِينَ أَحَدٌ، لَمْ يَتَنَبَّهُوْا هُمْ وَقَادَتَهُمْ إِلَى مَنْ يَرْمِي السَّهَامَ مَعَ أَنْ رَمَاةَ السَّهَامِ كَانُوا مَنْدَسِّيْنَ بَيْنَ صَفُوفِهِمْ.

قال سيف: هكذا وقعت الحرب وانتهت بنصرة جيش الامام على.

روى سيف هذه الاخبار في م ثات من رواياته المختلفة ورواها عمّن اختلقهم من الرواة من ضمنهم من ذكر أسماءهم في الروايات السابقة، وقد أشرنا إلى الصحيح من أخبارها في ما مضى، ولم يخفَ على فطاحل العلم أمثال الطبري وابن الاثير وابن عساكر وابن كثير وابن خلدون وغيرهم أن سيف بن عمر متهم بالزندقة وأن علماء الرجال أجمعوا على نعتة بالكذب ولم يوثقه أحد منهم، بل رأينا هؤلاء بأنفسهم يضعفون حديثه كما نقلنا عنهم في كتابنا (عبد

ص: ٤٦٢

اللّه بن سبأ)، وكذلك لم تخف عليهم الروايات الصحيحة في تلك الاخبار وإنما كرها ذكرها كما نصّوا على ذلك، فكتبتوا الاخبار الصحيحة لما قالوا إن العامة لا تحتل سماعها، وليتهم اكتفوا بكتمان الاخبار الصحيحة في هذا الشأن كما فعلوا بكثير من الاخبار الاخرى ولم ينقلوا الاخبار المكذوبة بدلا من الاخبار الصحيحة ولم ينشروا الاخبار المختلفة بين الناس مع علمهم بكذبها، فإنهم كانوا يعلمون بكذب ما نسبته سيف إلى عمّار وأبي ذرّ وابن مسعود وحجر بن عدى إلى عشرات غيرهم من الصحابة والتابعين في ما افتراه عليهم من أنهم اتبعوا يهوديا أمرهم بالافساد بين المسلمين وإيقاع الفتنة والفساد بينهم حتى قتل بعضهم البعض الاخر وهم لا يدركون ما يعملون! على عقول من صدّق هذه الخرافات، العفا! كيف يصدّقون أن الخليفة عثمان لم يتنبّه إلى هذا اليهودي على حدّ زعم سيف في إثارته الفتنة! وكيف لم يسأل عمّار وأبو ذرّ الامام عليّا عمّا يدعو له اليهودي من أنه وصي رسول الله (ص)؟! وكيف لم يسأله ربيبه محمد بن أبي بكر عن صدق مزعمة هذا اليهودي؟!!

لست أدري كيف يصدّقون هذه الاكاذيب؟! ولست أزعّم أن العلماء صدّقوا بحديث سيف، كلّا، فإنهم يعلمون كذب ما اختلقه وافتراه وإنما عجبى من عامّة الناس كيف يصدّقون هذه الاساطير الخرافية؟ فإن العلماء الذين نشروا أكاذيب سيف كانوا يعلمون كذبه وإنما تقبلوها لأنّ الزنديق طلالها بطلاء الدفاع عن ذوى السلطة في ما انتقدوا عليه، مثل ما فعل في ما انتقد عليه خالد على قتله مالك بن نويرة ونكاحه زوجته في ليلته، وفي ما رُمى به المغيرة بن شعبه زمان إمارته على البصرة،

٧٤٠ (١). السبائيون في روايات سيف هم عمّار وحجر بن عدى وضعفة بن صوحان ومحمد بن أبي بكر ومالك الاشتهر ونظراؤهم . راجع عبد الله بن سبأ

الجزء الثاني، فصل (حقيقة ابن سبأ والسبئية).

وفى خبر دعر سعد بن أبى وقاص حدّ شرب الخمر عن أبى محجن، وفى خير الوليد وحدّه على شرب الخمر . إنّ سيف بن عمر عالج جميع ما انتُقد عليه هؤلاء وغيرهم من الخلفاء والولاة وذويهم، فلم يهتمّ كبار العلماء عندئذ أن ينشروا ما افتراه هذا الزنديق على أبرار الصحابة

ص: ٤٦٣

الفقراء، أمثال ابن مسعود وأبى ذرّ وعمّ ار تحت غطاء الدفاع عن اولئك، لأنّ المهمّ عندهم كتمان ما يعاب عليه الخلفاء والولاة وذوهم عن عامة الناس . وبنشر أكاذيب سيف بلغوا غايتهم وبلغ سيف - أيضا - غايته من تسخيف صحابة النبيّ الابرار ونشر الارجيف السخيفة فى التاريخ الاسلامى بدافع الزندقة.

ويظهر من قول الطبرى فى ذكر سبب قتل عثمان: (فأعرضنا عن ذكر كثير منها لعل دعوت إلى الاعراض عنها)<sup>٧٤١</sup> أنّ العلل التى دعته إلى كتمان الاخبار الصحيحة، هى كتمان الاخبار التى تعاب بها سلطّة الخلافة عن عامة الناس، كما سبق لنا أن نقلنا منه أنّه قال: (مما لا يتحمّله عامّة الناس).

وخلاصة القول: إنهم فى هذا الصنف من الكتمان، يحرفون حديث الرسول (ص) وسيرته وسيرة أهل بيته وأصحابه وأخبارهم الصحيحة ويبدّلونها بأخبار مختلقة، كما فعل سيف ذلك بدافع زندقته . وأنّ العلماء يروّجون هذه الروايات المختلفة بدلا من الروايات الصحيحة مع علمهم بأنّها غير صحيحة لما يجدون فيها

دفاعا عن السلطة الحاكمة وذويهم من خلفاء وولاة وامراء!!!

وهذا النوع من الكتمان غير قليل عند علماء مدرسة الخلفاء.

#### خلاصة بحث أنواع الكتمان بمدرسة الخلفاء:

قد رأينا العلماء بمدرسة الخلفاء مجمعين على كتمان كلّ رواية أو خبر يسبّب توجيهه إلى ذوى السلطة فى صدر الاسلام، وولاتهم وذويهم، محتجّين فى ذلك بأنّ اولئك كانوا من صحابة الرسول (ص). ولا يصحّ ذكر ما يسبّب انتقادهم، بينما هم نشروا من الروايات المكذوبة ما فيه طعن على أبرار صحابة رسول الله (ص) الفقراء أمثال عمّار وأبى ذرّ وابن مسعود.

ص: ٤٦٤

وفى سبيل الدفاع عن ذوى السلطة، تارة يكتمون كلّ الرواية والخبر، وأحيانا يحذفون من الخبر والرواية بعضها الذى يوجّه النقد إلى ذوى السلطة بسببها، ويأتون بباقي الرواية ممّا لا يوجب النقد عليهم، وتارة اخرى يبدّلون من الرواية والخبر ما يسبّب النقد على الولاة بكلمة مبهمّة لا يفهم منها شىء من المراد، واخرى يُحرّف بعضهم الخبر والرواية بأنواع التحريف حتّى يبلغ الامر أن يجعل الحليم البارّ ظالما سفيها، والظالم المتعنّت بارّا حليما؛ أى يبدّل الشىء إلى نقيضه تماما ثمّ يتسابق الآخرون إلى نشر ذلك الخبر المحرّف والرواية المختلفة وتوثيقهما وإشاعتهما فى المجتمعات الاسلامية بدّل الخبر الصحيح

<sup>٧٤١</sup> (١). تأريخ الطبرى، ط. اوربا ١ / ٢٩٨٠.

والرواية الصحيحة التي تُسبب النقد على الحكّام والامراء، ويتسابقون كذلك ويتعاونون في تضييف الرواية التي تسبب النقد لذوى السلطة والظعن على راويها وعلى مؤلف الكتاب الذى أورد الرواية فيه بأنواع الطعون والتضييف والتسخيف، وإن لم يستطيعوا كل ذلك أولوا تلك الرواية والخبر إلى ما فيه مصلحة ذوى السلطة ويبدل النقد الموجّه إليهم إلى مدحهم والثناء عليهم.

ويحترمون من التزم هذا الاتجاه ويجلّونه على قدر التزامه الاسلوب المذكور، يوثقون الراوى ال ملتزم بذلك ويصفون خبره بالصحيح، ويصفون تأليف المؤلف الملتزم بهذا النهج بالوثاقة والصحة على قدر التزامهما المسلك المتفق عليه، ويشهرونهما ويذكرونهما بكلّ تجلّة واحترام. ومن ثمّ اشتهرت سيرة ابن هشام فى مدرسة الخلفاء ومن تابعهم بالوثاقة لالتزامه ما اتفقوا عليه، واهملت سيرة ابن إسحاق لعدم التزام الاسلوب المقبول عندهم، وتركوا تدارسها واستنساخها حتى أدّى ذلك إلى فقدان سيرة ابن إسحاق فى حين أنّ ابن هشام أخذ جميع ما حوته سيرته من سيرة ابن إسحاق مع إسقاط (ما يسوء الناس ذكره) من سيرة ابن إسحاق بحسب تعبيره.

ومن ثمّ- أيضا- أصبح تأريخ الطبرى أوثق مصادر التأريخ الاسلامى

ص: ٤٦٥

وأكثرها شهرة واعتبارا وأصبح مؤلفه الطبرى إمام المؤرّخين بمدرسة الخلفاء، لأنّه باتّباعه المنهج المذكور بثّ روايات سيف التي كان يعلم كذبها ومخالفتها للحقّ والواقع التاريخى فى أخبار عصر الصحابة أو بالاحرى الخلفاء الاوائل، ثمّ تهافت العلماء على أخذ ما جاء منها فى تأريخ الطبرى ونشرها فى مصادر الدراسات الاسلامية وأهملوا الاخبار الصحيحة فى مقابلها حتى نُسييت وفُقدت من المجتمعات الاسلامية.

ومن ثمّ- أيضا- أصبح البخارى إمام المحدثين بمدرسة الخلفاء، وأصبح صحيحه أصحّ كتاب بعد كتاب الله عندهم، وأصبحت الاحاديث الصحيحة فى غير صحيحه أو صحيح مسلم غير معتبرة.

منشأ الاختلاف فى روايات مصادر الدراسات الاسلامية:

إذا أمعنا النظر فى بحوثنا السابقة وما يأتى فى بحوث اجتهادات الخلفاء من الجزء الثانى لهذا الكتاب، عرفنا م نشأ الاختلاف فى روايات مصادر الدراسات الاسلامية، فقد وجدنا فى الموردين أحاديث وُضعت موافقة لسياسة السلطات الحاكمة ومصالحها، مقابل الروايات الصحيحة التي كانت تخالف سياستهم ومصالحهم، ومن ثمّ انكشف لنا ميزان ثابت لتميز الحديث القوى من الضعيف، فإنّ الضعيف من الاحاديث المتعارضة فى صحيح البخارى فى شأن البكاء على الميّت- مثلا- ما وافق سياسة السلطة الحاكمة التي تنهى عن البكاء على الميّت وتنسب النهى إلى الرسول (ص)، والحديث القوى ما خالفها مثل حديث أمّ المؤمنين عائشة وحديث غيرها التي أخبرت عن جواز البكاء على الميّت وأنّه من سنّة الرسول (ص). وكذلك الضعيف فى حديثي أمّ المؤمنين عائشة المتعارضين فى بيان من كان إلى جنب رسول الله (ص) فى آخر ساعات حياته ما فيه: (متى أوصى إليه وقد انخنث ومات فى صدرى)، والقوى منهما حديثها

ص: ٤٦٦

الآخر الذي جاء فيه أن الإمام علياً كان إلى جنب الرسول في آخر ساعات حياته لموافقة الأوّل منهما لرغبات الحكّام ومخالفة الثاني لسياستهم.

هذا هو الميزان الثابت لمعرفة القوى من الضعيف في أحاديث سنّة الرسول (ص) وسيرة الصحابة والتابعين وسيرة الانبياء السابقين والاحكام التي اجتهد فيها الخلفاء وفقاً لرأيهم وأمثالها.

### نتيجة البحوث وحقيقة الامر:

يرى الباحث المتتبع أن الميزان الثابت لمعرفة الحق من الباطل بمدرسة الخلفاء إنما هو مصلحة ذوى السلطة، وأن كل رواية أو خبر يوجّه النقد لهم أو يشينهم فهو ضعيف وغير صحيح وباطل، وكل كتاب وكل راوٍ أو مؤلف يروى شيئاً من ذلك فهو ضعيف وغير ثقة، ويؤمى بأنواع الطعون، وإذا جاء الحديث أو الخبر من راوٍ لا يستطيعون الطعن عليه وعلى مؤلف الكتاب، فإنهم حينئذ يؤوّلون الحديث إلى ما يرغبون فيه . ومن جهة اخرى كل مؤلف أو راوٍ يذكر مناقب ذوى السلطة ويترك ما يوجّه النقد إليهم، فهو ثقة و صدوق، فإذا استطاع أن يدافع عنهم في ما يروى ويؤلف، فهو الثقة المأمون المصدق، وتنتشر رواياته في الكتب وتذاع . ومن هذا الباب الواسع أدخل سيف الزنديق في سنّة رسول الله (ص) وسيرته وحديثه بمقتضى زندقته ما شاء، ولذلك - أيضاً - انتشرت رواياته في أكثر من سبعين مصدراً من مصادر الدراسات الاسلامية زهاء ثلاثة عشر قرناً.

إن سيف بن عمر أدخل في سنّة رسول الله (ص) حديثاً وسيرة ما اختلقه ودرسناه في أبواب «رسل النبي (ص)» و «عمّال رسول الله (ص)» و «الوافدون على رسول الله (ص)» و «ريب رسول الله (ص)» من كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) وكتابتنا (رواة مختلقون) وقد مرّ بنا في ما سبق كيف حرف سيف

ص: ٤٦٧

حديث رسول الله (ص) في حقّ عمّار.

كان هذا رأينا في سيف ونظائره مثل أبي الحسن البكري مؤلف كتاب «الانوار» الذي أدخل أحاديث خرافية في كتاب : سيرة النبي (ص) المختار وغيره من كتبه، ومثل كعب الاحبار الذي أدخل الاسرائيليات في مصادر الدراسات الاسلامية، وقد درسنا أخبارهم وآثارهم في سلسلة (أثر الائمة في إحياء السنّة). كان هذا شأن هؤلاء عندنا.

أمّا البخارى وصحيحه، وابن هشام وسيرته، والطبرى وتاريخه، وأمثالهم من العلماء الذين ناقشنا اسلوبهم، فلهم ع ندنا شأن آخر فإنهم وإن كانوا ينتقدون في شيء من اسلوبهم، فإنهم مع ذلك قد ذكروا في كتبهم الكثير من سنّة رسول الله (ص) الصحيحة سيرة وحديثاً ممّا نعتمدها ونرويها عنهم، وكذلك دأب علماء مدرسة أهل البيت مع من يرون خطأ في عمله العلمى، فإنهم عندئذ ينتقدون اسلوبه أشدّ الانتقاد رغم أنّهم يجلّونه ويحترمونه ويأخذون منه غير الذي انتقدوه فيه، وهذا معنى عدم تقليدهم لمن تقدّمهم من العلماء لا في الاحكام الفقهية ولا في دراية الحديث، إنّ علماء مدرسة أهل البيت يُضعفون الحديث الضعيف في اصول الكافي وصحيح البخارى معاً، ويأخذون - أيضاً - الحديث الصحيح من كليهما، وإنّ المجلسى الكبير (ت: ١١١١ هـ) عندما شرح كتاب الكافي في كتابه مرآة العقول نبّه فيه على آلاف الاحاديث الضعيفة الواردة في أبواب كتاب الكافي، وهو أشهر كتاب حديث في مدرسة أهل البيت، وهذا الامر بمدرسة أهل البيت مخالف لما

عليه أتباع مدرسة الخلفاء الذين يرون لصحيح البخارى ما يرونه لكتاب الله، ويعتقدون أنه ليس فيه حديث غير صحيح، بل يرون أكثر من ذلك حيث يرون صحّة ما جاء في صحيح البخارى ومسلم من سنّة الرسول (ص) ممّا لم يرد في كتاب الله، ويصعب عليهم أن يتقبّلوا صحّة سنّة الرسول (ص) التي جاءت في غير

ص: ٤٤٨

صحيحى مسلم والبخارى، والكتب الاربعة الاخرى التي سمّيت جميعها بالصحاح الستّة . على أن الكثير من حفظة الحديث بمدرسة الخلفاء غير اولئك الذين ذكرناهم ألفوا في الحديث: الصحاح والمسانيد والسنن والصفات والزوائد وغيرها أمثال:

صحيح ابن خزيمة (ت: ٣١١ هـ).

صحيح ابن حبان (ت: ٣٥٤ هـ).

الصحاح المأثورة عن رسول الله (ص) للحافظ أبى على بن السكن

(ت: ٣٥٣ هـ).

مسند الطيالسى (ت: ٢٠٤ هـ).

مسند أحمد (ت: ٢٤١ هـ).

سنن البيهقى (ت: ٤٥٨ هـ).

السنن لابى بكر الشافعى (ت: ٣٤٧ هـ).

المعاجم الثلاثة للطبرانى (ت: ٣٦٠ هـ).

المصنّف لعبد الرزاق الصنعانى (ت: ٢١١ هـ).

مصنّف ابن أبى شيبة (ت: ٢٣٥ هـ).

مجمع الزوائد للهيثمى (ت: ٨٠٧ هـ).

المستدرک للحاكم (ت: ٤٠٥ هـ).

وعشرات الموسوعات الحديثية الاخرى لمحدّثين آخرين.

وفى سيرة النبىّ والصحابة والفتوح ألف أمثال:

خليفة بن خياط (ت: ٢٤٠ هـ) الطبقات والتأريخ.

البلاذرى (ت: ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان وأنساب الاشراف.

المسعودى (ت: ٣٤٥ هـ) التنبيه والاشراف ومروج الذهب.

الواقدى (ت: ٢٠٧ هـ) المغازى.

ص: ٤٦٩

ابن سعد (ت: ٢٣٠ هـ) الطبقات.

وعشرات المؤلفات المعتمدة الاخرى لمؤلفين آخرين.

لماذا اختص بالاهتمام الصحاح ا لسنّة فى الحديث إلى حدّ إهمال غيرها، وفى السير والمغازى : سيرة ابن هشام، وفى التاريخ: تاريخ الطبرى، مع عدم العناية بغيرهما.

**وخلاصة القول:** إن علماء مدرسة الخلفاء يوجّه إليهم النقد فى عملهم العلمى لامرين:

أولاً- إنهم يكتمون من سنّة رسول الله (ص) سيرةً وحديثاً ومن سائر الاخبار ما يخالف سياسة السلطات الحاكمة مدى القرون سواء أكان ذلك ممّا يخصّ سيرة الانبياء السلف أو سيرة خاتم الانبياء وأهل بيته وصحابته، أو فى العقائد الاسلامية أو تفسير القرآن، كما شاهدنا ذلك من الطبرى وابن كثير فى تفسير آية : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** فى كتابهم لفظ (وصيى وخليفتى) فى حقّ الامام علىّ وتبديلها ب- (كذا وكذا)، وكذلك فعلوا بالنصوص التى تبيّن سنّة الرسول (ص) فى الاحكام الاسلامية التى تخالف اجتهادات الخلفاء، كما سيأتى بيانه فى بحث مصادر الشريعة الاسلامية لدى مدرسة الخلفاء فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

ثانياً- لا ينبغى للمسلمين فى هذا اليوم وهم على أبواب نهضة إسلامية شاملة أن يبقوا على تقليد أئمة المذاهب الاربعة فى الفقه ولا على تقليد أصحاب الصحاح السنّة فى تصحيح الحديث وتضعيفه وخاصة البخارى ومسلم، وكذلك فى الاحكام الاسلامية التى اجتهد الخلفاء فيها فى مقابل نصوص سنّة رسول الله (ص) بحسب ما رأوه من المصلحة فى عصرهم، بل ينبغى أن يبحثوا عن سنّة رسول الله (ص) الصحيحة ويظهرها ما اخفى منها بمقتضى سياسة الخلفاء مدى القرون، ثمّ يجاهدوا فى سبيل الدعوة لتوحيد كلمة المسلمين

ص: ٤٧٠

والعمل بكتاب الله وسنّة رسوله (ص) الصحيحة، وبذلك يتيسّر توحيد كلمة المسلمين حول كتاب الله وسنّة رسوله (ص) المجمع عليها وما ذلك من لطف الله على المسلمين بعبده.

عود على بدء فى بحث الوصية:

لما كانت النصوص الدالّة على حقّ الامام عليّ في الحكم بعد النبي (ص) وحقّ الائمة من ولده فيها من أهمّ ما يوجّه النقد لمن ولى الحكم دونهم، لم يألُ العلماء بمدرسة الخلفاء جهداً في كتمان تلكم النصوص، وكان من أهمّها بحث علماء أهل الكتاب بعد وفاة رسول الله (ص) عن وصيّيه وأقوالهم فيه، مثل خبر الراهبين اللذين مرّ عليهما الامام عليّ في طريق صفّين. بينما حفظ نظير تلك الاخبار علماء مدرسة أهل البيت في كتبهم،<sup>٧٢٢</sup> مثل خبر مجيء يهوديين في عصر أبي بكر وسؤالهما عن وصيّ النبيّ وبعد أن أشار الناس إلى أبي بكر، ولم يجداً أجوبة أسألتهما عنده، أرسلوا إلى الامام عليّ، فحضر وأجاب عن أسئلتهما، فقالا: أنت وصيّ خاتم الانبياء، وأسلمنا. وخبر آخرين من أهل الكتاب جاؤوا على عهد عمر وجرى لهم مع عمر وعليّ مثل ما سبق ذكره على عهد أبي بكر، وقد مرّ بنا في ما سبق سؤال كعب الاحبار من الخليفة عمر عن أشياء من أحوال رسول الله (ص) وإحالة عمر إيّاه إلى عليّ بن أبي طالب، واستمرت أمثال هذه المراجعات من أهل الكتاب وإسلامهم إلى عصور متأخّرة، فقد قال ابن كثير في تأريخه<sup>٧٢٣</sup> بعد ما نقل من التوراة: أن الله بشرّ إبراهيم بإسماعيل وأنه ينمّيه ويجعل من ذريّته اثني عشر عظيماً، ونقل عن ابن تيمية أنّه قال: (وهؤلاء المبشرّ بهم في حديث جابر بن سمرة، ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا).

ص: ٤٧١

قال: وغلط كثير ممّن تشرّف بالاسلام من اليهود، فظنّوا أنّهم الذين تدعو إليهم فرقة الراضة فاتبعوهم).

يا ترى ما هي أخبار الكثير من اليهود الذين تشرّفوا بالاسلام واتّبعوا الراضة.

إنّ العلماء ارتأوا ما قاله الطبري: (لا يحتمل سماعها العامّة) فأسقطوا أخبار أهل الكتاب الذين أسلموا واتّبعوا الراضة جملة وتفصيلاً.

#### عدد الاخبار والروايات والنصوص التي أسقطوها:

إذا قارنا ما رواه ابن كثير في تأريخه من الحديث عن رسول الله (ص) في أمر الخوارج الذين قاتلهم الامام عليّ (ع) في النهروان والذي بلغ سبع عشرة صفحة من كتابه مع النزر اليسير من روايات رسول الله (ص) التي بقيت في الكتب في أمر الجمل وصفّين أو غيرهما ممّا فيه فضيلة للامام عليّ، يمكننا أن نقدر عظم الخسارة في ما اخفى عن الناس من حديث رسول الله (ص) وإنّما أبقوا الروايات التي جاءت في شأن الخوارج الذين خرجوا على الامام عليّ، لأنّ الخوارج استمرّ خروجهم على السلطة بعد الامام عليّ أيضاً، وكان في نشر تلكم الاحاديث مصلحة للسلطة، فرووها في جميع كتب الاحاديث وبقيت سالمة إلى يومنا هذا.

ومن أحاديث الرسول (ص) التي كانت تخالف سياسة مدرسة الخلفاء وسعوا في كتمانها، أحاديث الرسول (ص) في حقّ الامام عليّ بأنّه وصيّيه، وكذلك فعلوا بما جاء في شأنه في شعر الصحابة أو نثرهم، كما رأينا أمّ المؤمنين عائشة أنكرت الوصيّة، وناقشنا الخبر الذي روى عنها في ذلك؛ وكذلك رأينا:

<sup>٧٢٢</sup> (١). راجع أخبارهم في البحار، ط. طهران، الثانية ١٠ / ١٠ ص ٥٠.

<sup>٧٢٣</sup> (٢). ٢٥٠ / ٦.

أ- حذف بعضهم من الكلام ما فيه ذكر الوصيّة دون أن يشير إلى ذلك، كما فعلوه مع قصيدة النعمان بن عجلان الانصارى .

ص: ٤٧٢

ب- حذف بعضهم بعض الخبر مع الابهام فى القول، كما فعله الطبرى، وابن كثير فى تفسيريهما بلفظ (وصيى وخليفتى) فى حديث رسول الله (ص).

ج- حذف بعضهم من الخبر لفظ الوصيّة وحرف الخبر كما فعله ابن كثير مع خطبة الامام الحسين (ع).

د- حذف بعضهم تمام الخبر الذى فيه ذكر الوصيّة مع الاشارة إليه، كما فعل ذلك الطبرى وابن الاثير وابن كثير مع كتاب محمد بن أبى بكر.

ه- حذف بعضهم تمام الخبر الذى فيه ذكر الوصيّة مع عدم الاشارة إليه ك ما فعله ذلك ابن هشام فى خبر دعوة الرسول (ص) لبني هاشم لما فيه قوله فى على: «وصيى وخليفتى فيكم».

و- أول بعضهم معنى الوصيّة، كما فعل ذلك الطبرانى فى حديث الرسول (ص) وابن أبى الحديد فى كلام الامام على.

ز- غفل بعضهم عنها وأثبتها فى كتاب له، وحذفها وأبدلها بق ول مبهم فى كتاب آخر له، كما فعله الطبرى فى تأريخه وتفسيره.

ح- أثبتها بعضهم فى الطبعة الاولى من كتابه، وحذفها فى الطبعة الثانية منها، كما فعله محمد حسين هيكلى فى كتابه حياة محمد (ص).

ص: ٤٧٣

ما بقى من النصوص الواردة عن الرسول (ص) فى حق آله فى الحكم

كنا فى صدد إيراد النصوص الواردة عن رسول الله (ص) فى حق الأئمة من آل الرسول (ص) وكان لا بد لنا فى هذا السبيل من تقديم البحوث السابقة ليعرف أن النصوص الواردة عن الرسول (ص) فى حقهم مُنيت بأنواع من الكتمان الذى ذكرناه لأنها كانت مخالفة لسياسة الخلفاء مدى القرن، ولم يبق منها فى كتب مدرسة الخلفاء سوى النزر اليسير التى غفل العلماء عنها وذكروها فى كتبهم ووقفنا الله تعالى للعثور عليها، وها نحن نذكرها فى ما يأتى بحوله تعالى، مضافا إلى ما سبق إيراده من النصوص.

تعيين الوصيّ بألفاظ مختلفة



ذكرنا في تعريف الوصيِّ والوصيَّة في بحث المصطلحات أن تعيين الوصيِّ يكون تارة بلفظ الوصيَّة ومشتقاتها، مثل أن يقول الموصي لوصيِّه: اوصيك بعدي بكذا وكذا، واخرى بلفظ يؤدِّي معنى الوصيَّة، مثل أن يقول الموصي لوصيِّه: أطلب منك أن تفعل كذا وكذا، وكذلك الشأن في إخباره الاخرين بذلك فإنَّه يقول بثوة - مثلا-: عهدت إلى فلان، أو أوكلت إليه بأمر كذا وكذا. وقلنا: إنَّ جميع هذه الالفاظ ونظائرها تدلُّ على أن الشخص القائل أوصى إلى الشخص الثاني بما أهمَّه، بعده . وكذلك شأن رسول الله (ص) في تعيين وصيِّه من بعده.

ص: ٤٧٤

ومن تلکم الالفاظ، ما جاء في اتّخاذ الرسول (ص) ابن عمّه وزيرا له، كما يرد في بحث وزير النبيّ الاتي:

وزير النبيّ (ص):

أ- في القرآن الكريم مع بيانه من سنّة الرسول.

سيأتى إن شاء الله قول الرسول (ص) للامام عليّ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي؟».

وقد ذكر الله منزلة هارون من موسى في ما حكاه من أمرهما؛ قال سبحانه في ما حكاه من طلب موسى من ربّه:

وَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي طه / ٢٩ - ٣١.

وقال سبحانه في استجابة طلبه:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا الْفِرْقَانِ / ٣٥.

ب- متى اتّخذ الرسول (ص) عليّا وزيرا؟

يوم دعا رسول الله (ص) بني عبد المطلب وقال لهم:

«أَيْكُمْ يُوَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ...»

وأجابه من بينهم الامام عليّ وحده، اتّخذ رسول الله (ص) يومئذ وزيرا في أمره.

وروت أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول:

«اللّهُمَّ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي»

دعا رسول الله (ص) ربّه وقال:

«اللّهم إنّى أقول كما قال أخى موسى: اللّهم اجعل لى وزيراً من أهلى

ص: ٤٧٥

أخى عليّ، اشدد به أزرى».<sup>٧٤٤</sup>

وبتفسير آية **وَأَجْعَلْ لى وَزيراً مِنْ أَهلى** من تفسير السيوطى:

لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله ربّه وقال:

«اللّهم اشدد أزرى بأخى عليّ»

فأجابه إلى ذلك.

وروى ابن عمر عن رسول الله (ص) أنّه قال للامام على:

«أنت أخى ووزيرى تقضى دينى وتنجز موعدى ...»

إلى آخر الحديث فى فضل الامام على.<sup>٧٤٥</sup>

وأثبت رسول الله (ص) للامام على (ع) بقوله له:

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدى»

جميع ما كان لهارون من موسى عدا النبوة وفى مقدمة ما كان لهارون أنّه كان وزير موسى، وسيأتى ذكر مصادره.

وفى نهج البلاغة:<sup>٧٤٦</sup> أن رسول الله (ص) قال للامام على:

«ولكنك وزير».

وجاء فى ما نظم على لسان الأشعث فى جوابه لكتاب الامام على إليه:

«وزير النبىّ وذو صهره ...».

<sup>٧٤٤</sup> (١). الرياض النضرة ٢/١٦٣، عن مناقب أحمد بن حنبل.

<sup>٧٤٥</sup> (٢). معجم الزوائد ٩/١٢١. وكنز العمال، ط. الاولى ٦/١٥٥، عن الطبرانى.

<sup>٧٤٦</sup> (٣). الخطبة ١٩٠.

يُتضح جليًا من قول الرسول (ص) لابن عمّه: أنت أخي ووزيرى، تقضى دينى وتنجز موعدى، أنه عيّنه وصيًا من بعده.

وكذلك الامر فى قوله: خليفتى، الا تى:

خليفة النبى (ص):

ذكرنا فى باب من استخلف النبى (ص) على المديقة فى غزواته عن

ص: ٤٧٦

صحيح البخارى، باب غزوة تبوك : أن رسول الله (ص) لما خرج إلى تبوك واستخلف عليًا، فقال : أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟ قال:

«ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى».

وقد حكى الله عن خبر هارون فى ذلك وقال: وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ ... الاعراف / ١٤٢.

وفى لفظ إحدى روايتى أحمد بن حنبل بمسند<sup>٧٤٧</sup> عن خبر دعوة

الرسول (ص) بنى عبد المطلب جاء قول الرسول (ص) فى حقّ على: «وخليفتى».

\*\*\*

هذا ما أمكننا إيراداه فى الوصى والوزير والخليفة فى هذه العجالة. وفى ما يأتى ما تبقي من النصوص بعد الكتمان بمدرسة الخلفاء.

ومنها قوله (ص) فى حقّ ابن عمّه، أنه ولى المسلمين بعده، كما يأتى:

ولى المسلمين بعد الرسول (ص):

نصّ رسول الله (ص) على أن الامام عليًا ولى أمر المسلمين فى أماكن متعدّدة، منها ما فى الاحاديث الاتية:

أولاً - حديث الشكوى:

فى مسند أحمد وخصائص النسائي، ومستدرک الحاكم، وغيرها، واللفظ للاول:

(عن بريدة، قال: بعث رسول الله (ص) بعثين إلى اليمن، على أحدهما

ص: ٤٧٧

على بن أبي طالب (ع)، وعلى الآخر خالد بن الوليد، فقال: إذا التقيتم فعلىّ على الناس، وإن افترقتما فكلّ واحد منكما على جنده، قال: فلقينا بنى زيد من أهل اليمن، فاقتتلنا، فظهر المسلمون على المشركين، فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علىّ (ع) امرأة من السبي لنفسه. قال بريدة: فكتب معي خالد ابن الوليد إلى رسول الله (ص) يخبره بذلك، فلما أتيت النبيّ (ص) رفعت الكتاب فقرأ عليه فرأيت الغضب في وجه رسول الله (ص) فقلت: يا رسول الله، هذا مكان العائد، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه، ففعلت ما أرسلت به، فقال رسول الله (ص):

«لا تقع في علىّ، فإنه منّي وأنا منه، وهو وليكم بعدى، وإنه منّي وأنا منه وهو وليكم بعدى».<sup>٧٤٨</sup>

وفي رواية:

(فقلت: يا رسول الله، بالصحة إلّا بسطت يدك فبايعتني على الاسلام جديدا. قال: فما فارقتني حتى بايعته على الاسلام).<sup>٧٤٩</sup>

وفي صحيح الترمذى، ومسندي أحمد والطيالسي، وغيرها، واللفظ للاول، عن حمران بن حصين:

(إن أربعة من أصحاب رسول الله (ص) تعاقدوا- في هذه الغزوة- أن يشكوا عليّا إذا لقوا رسول الله (ص). فلما قدموا عليه، قام أحدهم فقال: يا

ص: ٤٧٨

رسول الله، ألم تر إلى علىّ بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه رسول الله (ص).

وفعل الثاني منهم والثالث والرابع مثل أولهم، وفي كلّ مرة يعرض الرسول عن الشاكي. قال:

فأقبل رسول الله (ص) والغضب يعرف في وجهه، فقال:

«ما تريدون من علىّ؟! ما تريدون من علىّ؟! ما تريدون من علىّ؟! إن عليّا منّي وأنا منه، إن عليّا منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدى».<sup>٧٥٠</sup>

<sup>٧٤٨</sup> (١). مسند أحمد ٣٥٦ / ٥ وخصائص النسائي ص ٢٤، باختلاف يسير. ومستدرک الصحيحين ١١٠ / ٣، مع اختلاف في اللفظ. ومجمع الزوائد ١٢٧ / ٩.

وفي كنز العمال ٢٠٧ / ١٢، مختصرا عن ابن أبي شيبة، وفي ٢١٠ / ١٢ منه عن الديلمي؛ وراجع كنوز الحقائق للمناوي ص ١٨٦.

<sup>٧٤٩</sup> (٢). مسند أحمد ٣٥٠ / ٥ و٣٥٨، ٣٤١. ومجمع الزوائد ١٢٨ / ٩، عن الطبراني في الاوسط عن بريدة ولفظه:

أ» من كنت وليّه فعلىّ وليّه» E\

<sup>٧٥٠</sup> (١). سنن الترمذى ١٦٥ / ١٣، باب مناقب على بن أبي طالب. ومسندي أحمد ٤٣٧ / ٤. ومسندي الطيالسي ١١١ / ٣، ح ٨٢٩. ومستدرک الحاكم ١١٠ / ٣.

وخصائص النسائي ص ١٦ و١٩. وحلية أبي نعيم ٢٩٤ / ٦. والرياض النضرة ١٧١ / ٢. وكنز العمال ٢٠٧ / ١٢ و١٢٥ / ١٥.

## شكوى ثانية:

في اسد الغابة، ومجمع الزوائد، وغيرهما واللفظ للاول:

(عن وهب بن حمزة: صحبت عليًا (رض) من المدينة إلى مكة فرأيت منه بعض ما أكره فقلت: لئن رجعت إلى رسول الله (ص) لاشكوّنك إليه. فلما قدمت لقيت رسول الله (ص) فقلت: رأيت من عليّ كذا وكذا. فقال:

«لا تقل هذا فهو أولى الناس بكم بعدى»<sup>٧٥١</sup>.

## زمان الشكوى:

ذكر المؤرخون وكتّاب السير خرجتين للامام عليّ إلى اليمن، ونراها ثلاث خرجات كما يأتي بيانها إن شاء الله تعالى في باب الاجتهاد، وعلى كلا التقديرين، فإن آخرها كانت في السنة العاشرة للهجرة، حيث التحق الامام برسول الله (ص) في حجة الوداع قبل يوم التورية. والشكوى المذكورة في

ص: ٤٧٩

خرجاته لليمن إن كانت قدّمت لرسول الله (ص) مرتين فإن اولاهما وقعت في المدينة قبل العام العاشر، والثانية في مكة وبعد وصول صحب الامام إلى النبيّ (ص) قبل يوم التورية، حيث وصلوا مكة قبل أيام الحجّ.

وعلى هذا، فقد توهم من العلماء من قال: إن قصة الغدير وقعت من أجل هذه الشكوى، وذلك لأن قصة الغدير وقعت بعد الحجّ، وفي الجحفة بمحضر من جماهير المسلمين، وحديث الرسول (ص) هنا كان مع الشاكين خاصة وفي نفس المجلس وبعد إظهارهم الشكوى مباشرة.

أما الشكوى الثانية، فصريح الحديث أنّها كانت بعد رجوعهما إلى المدينة.

## ثانيا- نصوص اخرى لم يعين زمانها:

عن ابن عباس:

«إنّ النبيّ قال لعليّ: أنت وليّ كلّ مؤمن بعدى»<sup>٧٥٢</sup>.

وعن عليّ:

أنّ النبيّ قال له:

<sup>٧٥١</sup> (٢). اسد الغاية ٥ / ٩٤. ومجمع الزوائد ٩ / ١٠٩.

<sup>٧٥٢</sup> (١). مسند الطيالسي ١١ / ٣٦٠، ح ٢٧٥٢. والرياض النضرة ٢ / ٢٠٣.

الاحتفال بتنصيب الامام عليّ وليّاً للعهد بعد الرسول (ص) ووصيًّا على الاسلام والمسلمين

إحتفال عظيم يقيمهُ الرسول (ص) لتعيين وليّ عهده من بعده ووصيّه على الاسلام والمسلمين، فقد روى الحاكم الحسكاني:

(عن ابن عباس وجابر قالا : أمر الله محمدا (ص) أن ينصب عليّاً للناس ليخبرهم بولايته، فتخوف رسول الله (ص) أن يقولوا حابي ابن عمّه، وأن يطعنوا في ذلك عليه، فأوحى الله إليه : **يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** المائدة / ٦٧. فقال رسول الله (ص) بولايته يوم غدير خم<sup>٧٥٤</sup>.

وروى عن زياد بن المنذر أنّه كان يقول:

(كنت عند أبي جعفر محمد بن عليّ (ع) وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الاعشى - كان يروى عن الحسن البصرى - فقال له: يا ابن رسول الله، جعلني الله فداك، إن الحسن يخبرنا أنّ هذه الآية نزلت بسبب رجل، ولا نخبرنا من الرجل **يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ**

**رَبِّكَ** .... فقال: لو أراد أن يخبر به لاخبر به، ولكنه يخاف . إن جبرئيل هبط إلى النبي (ص) - إلى قوله -: فقال: إن الله يأمرك أن تدلّ أمّتك على وليّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلواتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم، ليلزمهم الحجّة من جميع ذلك، فقال رسول الله (ص): يا ربّ إن قومي قريبو عهد بالجاهلية، وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل إلّا وقد وتره وليّهم، وإنّي أخاف - أى من تكذيبهم - . فأنزل الله تعالى: **يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ - يَرِيدُ فَمَا بَلَغْتَهَا تَامَةً - وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** فلما ضمن الله له بالعصمة وخوفه أخذ بيد عليّ (...)<sup>٧٥٥</sup>.

وروى الحاكم الحسكاني:

عن ابن عباس في حديث المعراج، أن الله عزّ اسمه قال لتبيّه في ما قال:

<sup>٧٥٣</sup> (٢). تأريخ بغداد للخطيب ٢٣٩ / ٤. وكنز العمال ١١٤ / ١٥ و ١٢ / ٢٢١.

<sup>٧٥٤</sup> (١). الحافظ عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بالحاكم الحسكاني، الحذاء الحنفى النيسابورى، من أعلام القرن الخامس الهجرى، ترج منه فى تذكرة الحفاظ، ط. الهند ٣٩٠ / ٤، و ط. مصر ١٢٠٠ / ٣، بآخر الطبقة ١٤. وقد رجعنا إلى كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفصيل فى الايات النازلة فى أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمودى، ط. بيروت عام ١٣٩٣ هـ، والحديث فى ١ / ١٩٢، ورقم الحديث ٢٤٩.

<sup>٧٥٥</sup> (١). شواهد التنزيل ١ / ١٩١. وراجع تفسير الآية فى أسباب النزول للواحدى. ونزول القرآن لابی نعیم.

«وإني لم أبعث نبياً إلّا وجعلت له وزيراً، وإنك رسول الله (ص) وإن علياً وزيرك».

قال ابن عباس: [فهبط] <sup>٧٥٦</sup> رسول الله (ص) فكره أن يحدث الناس بشيء منها إذ كانوا حديثي عهد بالجاهلية - إلى قوله - فاحتمل رسول الله حتى إذا كان اليوم الثامن عشر أنزل الله عليه: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك... - إلى قوله -: فقال:

«يا أيها الناس، إن الله أرسلني إليكم برسالة، وإني ضقت بها ذرعاً، مخافة أن تتهموني وتكذبوني، حتى عاتبني ربي فيها بوعيد أنزله عليّ...» <sup>٧٥٧</sup>.

وروى الحسكاني وابن عساكر:

ص: ٤٨٢

عن أبي هريرة: أنزل الله عز وجل: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك - في علي بن أبي طالب - وإن لم تفعل فما بلغت رسالته... <sup>٧٥٨</sup>

قصد أبو هريرة أن المقصود أن يبلغ ما نزل في عليّ.

روى الحسكاني:

(عن عبد الله بن أبي أوفى، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول يوم غدیر خمّ وتلا هذه الآية: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك... ثم رفع يديه حتى يرى بياض إبطيه، ثم قال:

«ألا من كنت مولاه...» <sup>٧٥٩</sup>.

وروى الواحدى فى أسباب النزول والسيوطى فى الدر المنثور عن أبى سعيد الخدرى قال:

نزلت هذه الآية فى عليّ بن أبى طالب:

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك... <sup>٧٦٠</sup>

<sup>٧٥٦</sup> (٢). كذا جاءت.

<sup>٧٥٧</sup> (٣). شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٩٢-١٩٣، وفى ص ١٨٩ منه نزول الآية فقط.

<sup>٧٥٨</sup> (١). شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٨٧. ورواها ابن عساكر بترجمة الامام على من تأريخ دمشق بطرق كثيرة فى الحديث ٤٥٢.

<sup>٧٥٩</sup> (٢). الحسكاني ١/ ١٩٠.

وعبد الله بن أبى أوفى: علقة بن خالد الحارث الاسلمى. صحابى شهد الحديبية، وعمر بعد النبى (ص)، مات سنة ست أو سبع وثمانين، وهو آخر من مات بالكوفة من الصحابة. وأخرج حديثه جميع أصحاب الصحاح. ترجمته بتقريب التهذيب ١/ ٤٠٢. واسد الغابة ٣/ ١٢١.

<sup>٧٦٠</sup> (٣). أسباب النزول ص ١٣٥. والدر المنثور ٢/ ٢٩٨، وأراه هو الحديث المرقم ٢٤٤ من شواهد التنزيل. وراجع فتح القدير ٢/ ٥٧. وتفسير النيسابورى ٦/

وفى تفسير السيوطي:

(عن ابن مسعود قال : كُنَّا نَقْرَأُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - أَنْ عَلَيَّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ

ص: ٤٨٣

رسالته (...).<sup>٧٦١</sup>

قصد ابن مسعود أنهم كانوا على عهد رسول الله يقرأون في تفسير الآية هكذا.

وكان نزول هذه الآية في غدير خم، وفي ما يلي تفصيل الخبر.

خبر يوم الغدير:

لَمَّا صَدَرَ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ حِجَّةِ الْوُدَاعِ<sup>٧٦٢</sup> نَزَلَتْ عَلَيْهِ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ<sup>٧٦٣</sup> آتَى يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ...<sup>٧٦٤</sup> فَنَزَلَ غَدِيرَ خَمٍّ مِنَ الْجَحْفَةِ<sup>٧٦٥</sup> وَكَانَ يَتَشَعَّبُ مِنْهَا طَرِيقَ الْمَدِينَةِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ<sup>٧٦٦</sup> وَوَقَفَ هُنَاكَ حَتَّى لَحِقَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَرَدٌّ مِنْ كَانَ تَقَدَّمَ<sup>٧٦٧</sup> وَنَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ سِمَرَاتٍ مُتَفَرِّقَاتٍ بِالْبَطْحَاءِ أَنْ يَنْزِلُوا تَحْتَهُنَّ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِنَّ فَقُمَّ مَا تَحْتَهُنَّ مِنَ الشُّوكِ<sup>٧٦٨</sup> وَنَادَى بِالصَّلَاةِ جَامِعَةً<sup>٧٦٩</sup> وَعَمِدَ إِلَيْهِنَّ<sup>٧٧٠</sup> وَظَلَّلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (ص)

ص: ٤٨٤

بثوب على شجرة سمرة من الشمس،<sup>٧٧١</sup> فصلى الظهر بهجير<sup>٧٧٢</sup> ثم قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ وقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال:

الواحدى، هو أبو الحسن علي بن أحمد الواحدى النيسابورى (ت: ٤٦٨ هـ)، ورجعنا إلى كتابه أسباب النزول، ط. بيروت سنة ١٣٩٥ هـ.

<sup>٧٦١</sup> (١). الدر المنثور ٢ / ٢٩٨.

<sup>٧٦٢</sup> (٢). مجمع الزوائد ٩ / ١٠٥ و ١٦٣ - ١٦٥. وأقل عن هذه الصفحات في ما يأتي من هذا البحث.

<sup>٧٦٣</sup> (٣). رواه الحاكم الحسكاني في ١ / ١٩٢ - ١٩٣.

<sup>٧٦٤</sup> (٤). سبق ذكر مصادره.

<sup>٧٦٥</sup> (٥). مجمع الزوائد ٩ / ١٦٣ - ١٦٥. وابن كثير ٥ / ٢٠٩ - ٢١٣.

<sup>٧٦٦</sup> (٦). مادة (الجحفة) من معجم البلدان.

<sup>٧٦٧</sup> (٧). في تاريخ ابن كثير ٥ / ٢١٣.

<sup>٧٦٨</sup> (٨). مجمع الزوائد ٩ / ١٠٥، والسمر: نوع من الشجر، وقم: كئس. وقريب منه لفظ ابن كثير ٥ / ٢٠٩.

<sup>٧٦٩</sup> (٩). مسند أحمد ٤ / ٢٨١. وسنن ابن ماجه، باب فضل على. وتاريخ ابن كثير ٥ / ٢٠٩ و ٥ / ٢١٠.

<sup>٧٧٠</sup> (١٠). مجمع الزوائد ٩ / ١٦٣ - ١٦٥.

<sup>٧٧١</sup> (١). مسند أحمد ٤ / ٣٧٢. وابن كثير ٥ / ٢١٢.

<sup>٧٧٢</sup> (٢). مسند أحمد ٤ / ٢٨١. سنن ابن ماجه، باب فضل على. وابن كثير ٥ / ٢١٢.



«إني أوشك أن ادعى فاجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟» قالوا:

نشهد أنك بلغت ونصحت فجزاك الله خيرا؛ قال:

«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن الجنة حق وأن النار حق؟» قالوا:

بلى نشهد ذلك.

قال: «اللهم اشهد».

ثم قال: «ألا تسمعون؟».

قالوا: نعم.

قال: «يا أيها الناس إنني فرط وأنتم واردون عليّ الحوض وإن عرضه ما بين بصري إلى صنعاء<sup>٧٧٣</sup> فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما». فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: «كتاب الله، طرف بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به، لا تزلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، وقد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، سألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا، ولا تعلموهما فهما أعلم منكم».<sup>٧٧٤</sup>

ثم قال: «ألستم تعلمون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

ص: ٤٨٥

قالوا: بلى يا رسول الله!<sup>٧٧٥</sup>

قال: «ألستم تعلمون - أو تشهدون - أنني أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.<sup>٧٧٦</sup>

ثم أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعيه فرفعها حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما،<sup>٧٧٧</sup> ثم قال:

<sup>٧٧٣</sup> (٣). كانت بصري إسما لقرية بالقرب من دمشق، وأخرى بالقرب من بغداد.

<sup>٧٧٤</sup> (٤). مجمع الزوائد ٩/١٦٢ - ١٦٣ و ١٦٥. وبعض ألفاظه في روايات الحاكم ٣/١٠٩ - ١١٠. وابن كثير ٥/٢٠٩.

<sup>٧٧٥</sup> (١). مسند أحمد ١/١١٨ و ١١٩ و ٢٨١/٤. وسنن ابن ماجه ١/٤٣، ح ١١٦، وجاء (نعم) في مسند أحمد ٤/٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠ و ٣٧٢. وابن كثير ٥/٢٠٩.

٢٠٩، ولدى ابن كثير ٥/٢١٠: (ألست أولى بكل امرئ من نفسه).

<sup>٧٧٦</sup> (٢). مسند أحمد ٤/٢٨١، ٣٦٨، ٣٧٠ و ٣٧٢. وابن كثير ٥/٢٠٩ و ٢١٢.

«يُهَا النَّاسُ! اللَّهُ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَاكُمْ؛<sup>٧٧٨</sup> فَمَنْ كُنْتَ مَوْلَاهُ، فَهَذَا عَلِيُّ مَوْلَاهُ.<sup>٧٧٩</sup> اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهِ، وَعَادِرٍ مِنْ عَادَاهِ،<sup>٧٨٠</sup> وَاَنْصُرْ مِنْ نَصْرِهِ، وَاخْذَلْ مِنْ خَدْلِهِ،<sup>٧٨١</sup> وَأَحِبَّ مِنْ أَحْبَبِهِ، وَابْغُضْ مِنْ أَبْغَضَهُ.»<sup>٧٨٢</sup>

ص: ٤٨٦

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»<sup>٧٨٣</sup>.

ثُمَّ لَمْ يَتَفَرَّقَا - رَسُولَ اللَّهِ وَعَلِيَّ - حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا الْمَائِدَةَ / ٣.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص):

اللَّهُ أَكْبَرُ عَلَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ، وَرِضَا الرَّبِّ بِرِسَالَتِي وَالْوَلَايَةِ لِعَلِيِّ.<sup>٧٨٤</sup>

وَفِي بَابِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ تَأْرِيخِ الْبَيْعُوتِيِّ:

(إِنَّ آخِرَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ ... وَهِيَ الرَّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ الثَّابِتَةُ، وَكَانَ نَزُولُهَا يَوْمَ النَّصِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ - بِغَدِيرِ خَمٍّ).<sup>٧٨٥</sup>

فَلَقِيهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ:

هَنَيْتُنَا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.<sup>٧٨٦</sup>

<sup>٧٧٧</sup> (٣). فِي رَوَايَةِ الْحَاكِمِ الْحَسْكَانِيِّ ١ / ١٩٠: فَرَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَرَى بِيَاضَ إِبْطِيهِ، وَفِي ص ١٩٣ مِنْهُ: حَتَّى بَانَ بِيَاضُ إِبْطِيهِمَا. وَضَعَاهُ: الضَّعْبُ بِسُكُونِ الْبَاءِ: وَسَطُ الْعِضْدِ بِلَحْمِهِ. لِسَانَ الْعَرَبِ، مَادَّةٌ: (ضِع).  
<sup>٧٧٨</sup> (٤). الْحَاكِمِ الْحَسْكَانِيِّ فِي شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ ١ / ١٩١. وَعِنْدَ ابْنِ كَثِيرٍ ٥ / ٢٠٩: وَأَنَا مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ.

<sup>٧٧٩</sup> (٥). فِي جَمِيعِ الْمَصَادِرِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا إِلَى هُنَا فِي جَمِيعِ رَوَايَاتِ الْبَابِ.  
<sup>٧٨٠</sup> (٦). مَسْنَدُ أَحْمَدَ ١ / ١١٨ وَ ١١٩ وَ ٤ / ٢٨١، ٣٧٢، ٣٧٣ وَ ٥ / ٣٤٧ وَ ٣٧٠. وَمَسْتَدْرَكُ الْحَاكِمِ ٣ / ١٠٩. وَسَنَنِ ابْنِ مَاجَةَ، بَابُ فَضْلِ عَلِيِّ.

وَالْحَاكِمِ الْحَسْكَانِيِّ ١ / ١٩٠ وَ ١٩١. وَتَأْرِيخُ ابْنِ كَثِيرٍ ٥ / ٢٠٩ وَ ٢١٠ - ٢١٣، وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي ٥ / ٢٠٩: فَقُلْتُ لَزِيدٍ: هَلْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ فِي الدُّوْحَاتِ أَحَدٌ إِلَّا رَأَاهُ بَعِينَهُ وَسَمِعَهُ بِأَذْنِيهِ. ثُمَّ قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: قَالَ شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الذَّهَبِيُّ: وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.  
<sup>٧٨١</sup> (٧). مَسْنَدُ أَحْمَدَ ١ / ١١٨ وَ ١١٩. وَمَجْمَعُ الزَّوَائِدِ ٩ / ١٠٤، ١٠٥ وَ ١٠٧. وَشَوَاهِدُ التَّنْزِيلِ ١ / ١٩٣. وَتَأْرِيخُ ابْنِ كَثِيرٍ ٥ / ٢١٠ وَ ٢١١.

<sup>٧٨٢</sup> (٨). شَوَاهِدُ التَّنْزِيلِ لِلْحَسْكَانِيِّ ١ / ١٩١. وَتَأْرِيخُ ابْنِ كَثِيرٍ ٥ / ٢١٠.  
<sup>٧٨٣</sup> (١). شَوَاهِدُ التَّنْزِيلِ ١ / ١٩٠.

<sup>٧٨٤</sup> (٢). رَوَاهُ الْحَاكِمِ الْحَسْكَانِيُّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ ١ / ١٥٧ - ١٥٨، ح ٢١١ وَ ٢١٢، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ص ١٥٨، ح ٢١٣. وَفِي تَأْرِيخِ ابْنِ كَثِيرٍ ٥ / ٢١٤ بِإِيْجَازٍ.

<sup>٧٨٥</sup> (٣). الْبَيْعُوتِيُّ ٢ / ٤٣.

<sup>٧٨٦</sup> (٤). مَسْنَدُ أَحْمَدَ ٤ / ٢٨١. وَلَفْظُ (بَعْدَ ذَلِكَ) مِنْ تَأْرِيخِ ابْنِ كَثِيرٍ ٥ / ٢١٠.

وفى رواية قال له:

بخِ بَخٍ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ.<sup>٧٨٧</sup>

وفى رواية اخرى:

هنيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.<sup>٧٨٨</sup>

ص: ٤٨٧

تنويج الامام:

وكانت لرسول الله عمامة، تسمّى السحاب كساها عليًا<sup>٧٨٩</sup> وكانت سوداء اللون<sup>٧٩٠</sup> وكان الرسول يلبسها فى أيام خاصة<sup>٧٩١</sup> مثل يوم فتح مكة<sup>٧٩٢</sup> ورووا فى كيفية تنويج الامام بها يوم الغدير كما يلى:

عن عبد الاعلى بن عدى البهرانى قال:

دعا رسول الله (ص) عليًا يوم غدير خمّ فعَمَّمه وأرعى عذبة العمامة من خلفه.<sup>٧٩٣</sup>

وعن عليّ (ع) قال:

عمّمنى رسول الله (ص) يوم غدير خمّ بعمامة سوداء طرفها على منكبى.<sup>٧٩٤</sup>

وفى مسرح الطيالى وسنن البيهقى قال:

عمّمنى رسول الله (ص) يوم غدير خمّ بعمامة سدلها خلفى، ثمّ قال: إنّ

ص: ٤٨٨

الله عزّ وجلّ أمَدَّتْني يوم بدر وحنين بملائكة يعتَمون هذه العمّة ... وقال: إنّ العمامة حاجزة بين المسلمين والمشركين  
٧٩٥  
....

<sup>٧٨٧</sup> (٥). شواهد التنزيل ١/ ١٥٧ و ١٥٨.

<sup>٧٨٨</sup> (٦). مسند أحمد ٤/ ٢٨١. وسنن ابن ماجه، باب فضائل عليّ. والرياض النضرة ٢/ ١٦٩، ولفظ (بعد ذلك) فى تأريخ ابن كثير ٥/ ٢١٠.

<sup>٧٨٩</sup> (١). فى زاد المعاد لابن القيم، (فصل فى ملابسه): أى الرسول (ص)، بهامش شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ١/ ١٢١.

<sup>٧٩٠</sup> (٢). جاء ذكر لون العمامة التى توجّ بها الامام فى رواية عبد الله بن بشر اللاتية والامام نفسه .

<sup>٧٩١</sup> (٣). اشير إلى ذلك فى كتب الحديث.

<sup>٧٩٢</sup> (٤). صحيح مسلم، كتاب الحجّ، ح ٤٥١ - ٤٥٢. وسنن أبى داود ٤/ ٥٤، باب فى العمائم. وشرح المواهب ٥/ ١٠، عن معرفة الصحابة لابی نعيم.

<sup>٧٩٣</sup> (٥). الرياض النضرة ٢/ ٢٨٩ فى ذكر تعميمه إيّاه (ص) بيده. واسب الغاية ٣/ ١١٤.

<sup>٧٩٤</sup> (٦). فى ترجمة عبد الله بن بشر من الاصابة ٢/ ٢٧٤، قال: أخرجه البغوى.

وعن عليّ (ع): أن النبيّ (ص) عمّمه بيده، فذنب العمامة من ورائه ومن بين يديه، ثمّ قال له النبيّ (ص): «أدبر»، فأدبر. ثمّ قال له: «أقبل»، فأقبل. وأقبل عليّ أصحابه فقال النبيّ (ص): «هكذا تكون تيجان الملائكة».<sup>٧٩٦</sup>

وعن ابن عباس قال:

لَمَّا عمّم رسول الله (ص) عليّاً بالسحاب قال له: «يا عليّ العمائم تيجان العرب...».<sup>٧٩٧</sup>

وعن عبد الله بن بشر قال:

بعث رسول الله (ص) يوم غدِير خَمٍّ إلى عليّ فعَمّمه وأسَدَل العمامة بين كتفيه، وقال: «وهكذا أمَدَّنِي رَبِّي يَوْمَ حَنِينٍ بالملائكة معَمِّمين وقد أسَدَلوا العمائم، وذلك حِجْزٌ بين المسلمين والمشركين».<sup>٧٩٨</sup>

#### المناشدة:

جمع عليّ الناس في رحبِ مسجد الكوفة،<sup>٧٩٩</sup> ثمّ قال لهم:

أنشد الله كلّ امرئ مسلم سمع رسول الله يقول يوم غدِير خَمٍّ ما سمع

ص: ٤٨٩

إلّا قام<sup>٨٠٠</sup> ولا يقوم إلّا من قد رآه،<sup>٨٠١</sup> فقام ثلاثون من الناس. - وفي رواية - فقام ناس كثير.<sup>٨٠٢</sup> وقال عبد الرحمن: فقام اثنا عشر بدرية، كأنّي أنظر إلى أحدهم<sup>٨٠٣</sup> فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: «أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، قالوا: نعم يا رسول الله.<sup>٨٠٤</sup> قال:

<sup>٧٩٥</sup> (١). كنز العمال ٢٠ / ٤٥. ومسنَد الطيالسي ١ / ٢٣. والبيهقي ١٠ / ١٤.

<sup>٧٩٦</sup> (٢). كنز العمال ٢٠ / ٤٥، عن مشيخة ابن باذان.

<sup>٧٩٧</sup> (٣). كنز العمال عن الديلمي.

<sup>٧٩٨</sup> (٤). هكذا رواه ابن طاووس في أمان الاخطار، غير أنّها في ترجمة عبد الله بن بشر بالاصابة ٢ / ٢٧٤، رقم الترجمة ٤٥٦٦، ليس فيها لفظ ( يوم غدِير خَمٍّ ).

<sup>٧٩٩</sup> (٥). تاريخ ابن كثير ٥ / ٢١١.

<sup>٨٠٠</sup> (١). رواه أبو الطفيل، عامر أو عمرو بن وائلة الليثي، ولد عام احد، ورأى النبيّ وعمّ ر إلى أن مات سنة عشر ومائة، وهو آخر من مات من الصحابة، روى عنه جميع أصحاب الصحاح. التهذيب ١ / ٣٨٩.

وروايته بمسنَد أحمد ٤ / ٣٧٠، وفي ١ / ١١٨ منه بثلاثة أسانيد:

أ- عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

ب- عن سعيد بن وهب الهمداني الجنواني، وهو كوفي، ثقة، مخضرم، مات سنة خمس أو

ست وسبعين، ترجمته في تهذيب التهذيب وقد رواها أحمد عنه مختصراً في ٥ / ٣٦٦.

ج- عن زيد بن يثيع الهمداني الكوفي، ثقة، مخضرم، من الطبقة الثانية من الرواة، ترجمته بتهذيب التهذيب ١ / ٢٧٧.

«من كنت مولاه، فهذا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه،<sup>٨٠٥</sup> وانصر من نصره واخذل من خذله»<sup>٨٠٦</sup>

قال عبد الرحمن: فقام إلّا ثلاثة لم يقوموا، فدعا عليهم فأصابتهم دعوته.<sup>٨٠٧</sup>

ص: ٤٩٠

قال أبو الطفيل: فخرجت وكأن في نفسي شيئا، فلقيت زيد بن أرقم فقلت له:

إنّي سمعت عليّا (رض) يقول كذا وكذا. قال: فما تنكره قد سمعت رسول الله يقول ذلك له.<sup>٨٠٨</sup>

وفي رواية: فقام ثلاثون من الناس.<sup>٨٠٩</sup>

وفي رواية: جاء رهط من الانصار إلى علي في الرحبة فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب. قالوا: سمعنا رسول الله (ص) يوم خمّ يقول: «من كنت مولاه فإنّ هذا مولاه». قال الراوى: فلما مضوا تبعتهم فسألت: من هؤلاء؟ قالوا: نفر من الانصار منهم أبو أيوب.

وفي رواية: فقال: من القوم؟ قالوا: مواليك يا أمير المؤمنين.<sup>٨١٠</sup>

ما أشبه تعيين الوصى في هذه الامة بتعيين الوصى في امة موسى (ع)

رأينا في التوراة يقول في صدد تعيين الوصى لموسى بن عمران (ع) ما موجزه:

فقال الربّ لموسى: خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدّام كلّ الجماعة وأوصيه أمام أعينهم واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كلّ جماعة بنى إسرائيل حسب قوله يدخلون وحسب قوله يخرجون. ففعل موسى ما أمره الربّ، أخذ يشوع وأوقفه قدّام كلّ الجماعة ووضع يديه عليه وأوصاه كما تكلم الربّ.

<sup>٨٠١</sup> (٢). في رواية عبد الرحمن بن أبي ليلي الانصارى المدنى، الكوفى، ثقة م ن الثانية روى عنه جميع أصحاب الصحاح، ومات سنة نيف وثمانين، ترجمته بتقريب التهذيب ١/ ٤٩٦، والرواية في مسند أحمد ١/ ١١٩، ح ٩٦٤.

<sup>٨٠٢</sup> (٣). مسند أحمد ٤/ ٣٧٠، في حديث أبي الطفيل. وابن كثير ٥/ ٢١٢.

<sup>٨٠٣</sup> (٤). حديث عبد الرحمن بمسند أحمد ١/ ٩٦١، وفي ٥/ ٣٧٠. وابن كثير ٥/ ٢١١.

<sup>٨٠٤</sup> (٥). في مسند أحمد ١/ ١١٨ و ٤/ ٣٧٠. وابن كثير ٥/ ٢١١. ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٥.

<sup>٨٠٥</sup> (٦). في مسند أحمد ١/ ١١٨ و ١١٩ و ٤/ ٣٧٠ و ٥/ ٣٧٠. وابن كثير ٥/ ٢١١.

<sup>٨٠٦</sup> (٧). مسند أحمد ١/ ١١٨. وتأريخ ابن كثير ٥/ ٢١٠.

<sup>٨٠٧</sup> (٨). مسند أحمد ١/ ١١٩، ح ٩٦٤.

<sup>٨٠٨</sup> (٩). مسند أحمد ٤/ ٣٧٠.

<sup>٨٠٩</sup> (١٠). مسند أحمد ٤/ ٢٧٠. والرياض النضرة ٢/ ١٦٢. وابن كثير ٥/ ٢١٢.

<sup>٨١٠</sup> (١١). مسند أحمد ٥/ ٤١٩. وابن كثير ٥/ ٢١٢.

ورأينا فى القرآن الكريم بعدما أوحى الله إلى خاتم أنبيائه (ص) فى شأن

ص: ٤٩١

الامام على ما أوحى، رأيناه يقول: يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ورأينا النبي (ص) بعد ذلك يأمر بالحجيج أن يجتمعوا فى غدیر خم، يرجع إليه من تقدم عليه ويلتحق به من تأخر عنه، ثم يوقف الامام عليا ويرفعه أمام كل الجماعة وهم ينوفون على سبعين ألف ويخاطب الجمع ويقول لهم:

«ألستم تشهدون أنني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» ولما قال الجمع: اللهم بلى، جعل الرسول من هيبته هذا على الامام على وقال:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...».

\*\*\*

كان ما أوردناه بعض النصوص الواردة فى السنة النبوية فى تعيين إمام الأمة وولى الامر من بعده . ونذكر فى ما يأتى بعض ما جاء فى كتاب الله فى هذا الصدد.

ص: ٤٩٣

الولاية واولو الامر فى القرآن الكريم

أ- ولاية على فى القرآن الكريم:

نصت الاحاديث السابقة على ولاية الامام على على المؤمنين بعد رسول الله (ص)، وهذا بعينه ما عنته الاية الكريمة: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ الْمَائِدَةَ / ٥٥.**

ويؤيد ذلك الروايات الآتية:

فى تفسير الطبرى، وأسباب النزول للواحدى وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني وأنساب الاشراف للبلاذرى وغيرها:<sup>٨١١</sup>

<sup>٨١١</sup> (١). تفسير الطبرى ١٨٦ / ٦. وأسباب النزول للواحدى ص ١٣٣-١٣٤. وفى شواهد التنزيل ١ / ١٦١-١٦٤ خمس روايات عن ابن عباس، وفى ص ١٦٥-١٦٦ روايتان عن أنس بن مالك، وست روايات اخرى فى ص ١٦٧-١٦٩. وأنساب الاشراف للبلاذرى، ح ١٥١ من ترجمة الامام ١ / الورقة ٢٢٥. وغرائب القرآن للنيسابورى بهامش الطبرى ١٦٧-١٦٨. وأخرج السيوطى كثيرا من رواياتها فى تفسيره ٢ / ٢٩٣-٢٩٤، وقال فى لباب النقول فى أسباب النزول ص ٩٠-٩١ بعد إيراد الروايات: (فهذه شواهد يقوى بعضها بعضا).

عن ابن عباس وأبي ذرٍّ وأنس بن مالك والامام عليٍّ وغيرهم ما خلاصته:

إنّ فقيراً من فقراء المسلمين دخل مسجد الرسول (ص) وسأل، وكان عليّ راکعاً في صلاة غير فريضة،<sup>٨١٢</sup> فأوجع قلب عليّ كلام السائل، فأوماً بيده اليمنى إلى خلف ظهره، وكان في اصبعه خاتم عقيق يمانى أحمر يلبسه في

ص: ٤٩٤

الصلاة، وأشار إلى السائل بنزعه، فنزعه ودعا له ومضى فما خرج أح د من المسجد حتّى نزل جبرئيل (ع) بقول الله عزّ وجلّ: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ... الآية**،<sup>٨١٣</sup> فأنشأ حسّان بن ثابت يقول أبياتاً منها قوله:

وكلّ بطيء في الهدى ومسارع

أبا حسن تفديك نفسى ومهجتي

فدتك نفوس القوم يا خير راع

فأنت الذى أعطيت إذ أنت راع

فأثبتها في محكمات الشرائع<sup>٨١٤</sup>

فأنزل فيك الله خير ولاية

إيراد على دلالة الآية:

أورد بعضهم على مفاد الروايات السابقة أنّ لفظ الآية : **الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** جمع، فكيف يعبر بلفظ الجمع ويراد به الواحد وهو الامام عليّ (ع)؟

قال المؤلف: توهم من قال بذلك، فإنّ الذى لا يجوز إنّما هو استعمال اللفظ المفرد وإرادة الجمع منه، أمّا العكس فجائز وشائع فى المحاورات، وقد جاء نظائره فى موارد متعدّدة فى القرآن الكريم، مثل التعبيرات التى جاءت فى سورة المنافقون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ كَاذِبُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ إِلَى قَوْلِهِ: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن

ص: ٤٩٥

<sup>٨١٢</sup> (٢). يستفاد ذلك من رواية أنس حيث قال: خرج النبیّ إلى صلاة الظهر فإذا هو بعلي يركع. ونظيرها رواية ابن عباس، وكلتاها فى شواهد التنزيل ٨ /

١٦٣ - ١٦٤.

<sup>٨١٣</sup> (١). إلى هنا أوردنا ملخصه من شواهد التنزيل.

<sup>٨١٤</sup> (٢). نقلا عن كفاية الطالب، الباب ٦١، ص ٢٢٨، وبقية مصادر الحديث فى تاريخ ابن كثير ٧ / ٣٥٧.

رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الضَّالِّينَ لَا يَعْلَمُونَ المنافقون / ١ - ٨.

قال الطبري في تفسير السورة:

إنما عنى بهذه الايات كلها عبد الله بن أبي سلول ... وأنزل الله فيه هذه السورة من أولها إلى آخرها، وبالنحو الذى قلنا، قال أهل التأويل وجاءت الاخبار.<sup>٨١٥</sup>

وروى السيوطى بتفسير الايات عن ابن عباس أنه قال:

وكل شيء أنزله فى المنافقين - فى هذه السورة - فإنما أراد عبد الله بن أبى.<sup>٨١٦</sup>

وموجز القصة كما نقلها أهل السير وجاء فى التفاسير:

أن أجير عمر بن الخطاب، جهجاه الغفارى، ازدحم بعد غزوة بنى المصطلق مع سنان الجهنى حليف بنى الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى: يا معشر الانصار! وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين! فغضب عبد الله بن أبى ومعه رهط من قومه وفيهم زيد بن أرقم، غلام حديث السن فقال: أقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا، والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل: سمّن كلبك يأكلك! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل، ثم أقبل على من حضره من قومه، فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحوّلوا إلى غير بلادكم، فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى به إلى رسول الله وأخبره وعنده عمر بن الخطاب.<sup>٨١٧</sup>

فقال عمر بن الخطاب: دعنى أضرب عنقه يا رسول الله. فقال: إذا ترعد

ص: ٤٩٦

له أنف كثيرة بيثرب. قال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين، فمر به سعد بن معاذ ومحمد بن مسلمة فيقتلانه. فقال: إنى أكره أن يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه.

فذهب عبد الله إلى رسول الله، وحلف أنه لم يكن شىء من ذلك، فلام الانصار زيدا على قوله. وقالوا لعبد الله: لو رأيت رسول الله يستغفر لك. فلوّى رأسه وقال: أمرتمونى أن أومن فأمنت، وأمرتمونى أن اعطى زكاة مالى فأعطيت، فما بقى لى إلا أن أسجد لمحمد، فنزلت السورة فيه وهو المقصود بقوله تعالى: هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا.<sup>٨١٨</sup>

<sup>٨١٥</sup> (١). تفسير الطبري ٢٨ / ٢٧٠.

<sup>٨١٦</sup> (٢). تفسير السيوطى ٦ / ٢٢٣.

<sup>٨١٧</sup> (٣). تفسير الطبري ٢٨ / ٧٥.

<sup>٨١٨</sup> (١). تفسير الطبري ٢٨ / ٧٤.



وهو المقصود من قوله تعالى: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُؤُوسَهُمْ ....<sup>٨١٩</sup>

\*\*\*

فى هذه السورة عبّر الله عن عبد الله بن ابي القائل الواحد، بقوله تعالى : هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ وبقوله عز اسمه : وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأَ رُؤُوسَهُمْ . القائل والفاعل واحد كما أجمع على ذلك المفسرون، وأطبقت الروايات على ذلك، وإنما ذكرنا هذا على سبيل المثال وإلا فنظائرها متعدّدة فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى:

وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذنُ التَّوْبَةِ / ٦١.

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ... آل عمران / ١٧٣.

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ ... آل عمران / ١٥٤.

ص: ٤٩٧

هذه إلى غيرها ممّا عبّر فيها بلفظ الجمع وارىد بها الواحد، تعدّد نظائرها فى القرآن الكريم.

ب- اولو الامر على والائمة من ولده:

أثبتت الروايات المتظافرة المتواترة السابقة أنّ عليّاً هو مولى المؤمنين وولى أمرهم بعد رسول الله (ص)، كما أنّها تفسّر المراد من اولى الامر فى الاية الكريمة:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ النساء / ٥٩.

ودلّت على ذلك أيضا الاحاديث الاتية:

أ- فى شواهد التنزيل عن علىّ أنّه سأل رسول الله عن الاية وقال: يا نبيّ الله من هم؟ قال: أنت أولهم.

ب- وعن مجاهد: وأولى الامر منكم.

قال: علىّ بن ابي طالب وناه الله الامر بعد محمد فى حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة فأمر الله العباد بطاعته وترك الخلاف عليه.

ج- وعن ابي بصير، عن ابي جعفر:

أنّه سأله عن قول الله: أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

<sup>٨١٩</sup> (٢). لخصنا روايات متعدّدة جاءت فى تفسير الطبرى ٢٨ / ٧١ فما بعدها، وتفسير السيوطى ٦ / ٢٢٢ فما بعدها إلى غير ذلك ممّا جاء فى التفاسير والسير.

قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب.

قلت: إن الناس يقولون: فما منعه أن يسمّى عليّاً وأهل بيته في كتابه؟ فقال أبو جعفر:

قولوا لهم؛ إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسمّ ثلاثاً ولا أربعاً حتّى كان رسول الله هو الذي يفسّر ذلك، وأنزل الحجّ فلم ينزل طوفوا اسبوعاً حتّى

ص: ٤٩٨

فسرّ لهم ذلك رسول الله وأنزل: **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ** فنزلت في عليّ والحسن والحسين وقال رسول الله (ص) اوصيكم بكتاب الله وأهل بيته إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتّى يرده عليّ الحوض، فأعطاني ذلك. ٨٢٠

ج- قول النبيّ (ص): مثل أهل بيته كسفينة نوح (ع) ومثل باب حطّة في بني إسرائيل:

روى عن الصحابة وأهل البيت كلّ من الامام عليّ وأبي ذرّ وأبي سعيد الخدرى وابن عباس وأنس بن مالك:  
أن رسول الله (ص) قال:

«مثل أهل بيته كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق».

وفي ألفاظ بعضهم:

«ومثل باب حطّة في بني إسرائيل».

المصادر:

ذخائر العقبى للمحبّ الطبرى ص ٢٠.

مستدرک الحاكم ٢ / ٣٤٣ و ٣ / ١٥٠.

حلية الاولياء لابي نعيم ٤ / ٣٠٦.

تأريخ بغداد للخطيب ١٢ / ١٩.

مجمع الزوائد للهيتمي ٩ / ١٦٨.

الدرّ المنثور للسيوطى بتفسير الاية: **وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ** البقرة / ٥٨.

٨٢٠ (١). الاحاديث: أ، ب، ج جاءت متواليات في شواهد التنزيل ١ / ١٤٨ - ١٥٠.

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٧٠ بترجمة المنصور: عن المأمون عن

ص: ٤٩٩

الرشيد عن المهدي عن المنصور عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس عن النبيّ (ص):

«مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».

كنز العمال، ط. الاولى / ٦ / ١٥٣ و ٢١٦.

الصواعق لابن حجر ص ٧٥، رواها عن الدارقطنى والطبرانى وابن جرير وأحمد بن حنبل وغيرهم.

كلّ ما ذكرناه فى ما سبق نصوص من الكتاب والسنة تدلّ على تعيين الله ورسوله (ص) ولىّ الامر بعد الرسول (ص). وفى ما يأتى نصوص اخرى بألفاظ اخرى كما ترد فى البحوث الاتية.

ص: ٥٠١

الاتمة: علىّ وبنوه (ع) مبلّغون عن رسول الله (ص)

حصر القرآن الكريم فى عدّة آيات وظيفّة الرسل فى التبليغ مثل قوله تعالى:

ما علىّ الرسولِ إلّا البلاغ المائدة / ٩٩.

وقوله: وما علىّ الرسولِ إلّا البلاغُ المُبينُ النور / ٥٤، والعنكبوت / ١٨.

وقوله: إنّما علىّ رسولنا البلاغُ المُبينُ المائدة / ٩٢، والتغابن / ١٢.

وقوله: فهلّ علىّ الرسولِ إلّا البلاغُ المُبينُ النحل / ٣٥.

وحصر كذلك وظيفّة خاتم الرسل خاصّة فى التبليغ بقوله تعالى:

فإنّما علىّك البلاغُ آل عمران / ٢٠، والنحل / ٣٥، والرعد / ١٣.

وقوله: إنّ علىّك إلّا البلاغ الشورى / ٤٨.

وينقسم التبليغ إلى تبليغ مباشر وتبليغ بواسطة، وإلى تبليغ ما حان وقت عمله وما لم يحن، مثل حكم الطائفتين المتقاثلتين من المؤمنين وواجب المسلمين تجاه الحاكم الجائر، وينقسم ما يبلغه الرسول إلى قسمين:

أ- ما أوحى إلى الرسول لفظه ومعناه وهو كتاب الله ويسمى في هذه الأمة بالقرآن الكريم.

قال سبحانه: **وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِيَذُرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ الْأَنْعَامَ / ١٩.**

ص: ٥٠٢

ب- ما أوحى إلى الرسول معناه دون لفظه. ويبلغه الرسول بلفظه الشريف، مثل تبليغه تفصيل أحكام الشرع.

وقال الله سبحانه: **شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ الشورى / ١٣.**

إن الرسول (ص) عندما يعين عدد ركعات الصلاة وأذكارها، ويبين سائر أحكامها وسائر أحكام الشرع الاسلامي، أو يبلغ أنباء الامم السابقة والغيوب الآتية في هذه الدنيا أو العالم الآخر، إنما يبلغ ما أوحى إلى ه في غير القرآن الكريم **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ويسمى هذا النوع من التبليغ في هذه الأمة بالحديث النبوي الشريف.

\*\*\*

حصرت الايات السابقة وظيفة الرسول بالتبليغ، وعلى هذا فإن الصفة المميزة للرسول هي التبليغ، وإذا قال الرسول ع شخص: «إنه مني» يعنى إنه منه فى أمر التبليغ ولا نقول هذا اعتباطا، بل قد وجدنا الرسول يصرح بذلك فى قسم من تلك الاحاديث، مثل ما جاء فى قصة تبليغ آيات البراءة التالية:

قصة تبليغ آيات البراءة:

جاءت قصة تبليغ سورة البراءة فى صحيح الترمذى وتفسير الطبرى وخ سائى النساءى ومستدرک الصحیحين وغيرها، عن أنس وابن عباس وسعد ابن أبى وقاص وعبد الله بن عمر وأبى سعيد الخدرى وعمر بن ميمون وعلى ابن أبى طالب،<sup>٨٢١</sup> وأبى بكر، ونختار هنا ذكر موجز رواية الامام على الواردة

ص: ٥٠٣

فى مسند أحمد، قال:

دعا النبىّ أبابكر فبعثه ببراءة لاهل مكة، لا يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلّا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله (ص) مدة فأجله إلى مدته، والله برىء من المشركين ورسوله.

<sup>٨٢١</sup> (١) سنن الترمذى ١٣ / ١٦٤ - ١٦٥. ومسند أحمد ١ / ١٥١ و ٣ / ٢٨٣، وراجع ١ / ١٥٠. وخصائص النساء ص ٢٨ - ٢٩. وتفسير الطبرى ١٠ / ٤٦.

ومستدرک الصحیحين ٣ / ٥١ و ٥٢. ومجمع الزوائد ٧ / ٢٩ و ٩ / ١١٩.

قال: فسار بها ثلاثا ثم قال لعلّي:

«إلحقه فردّ عليّ أبا بكر وبلغها أنت».

قال: ففعل. فلما قدم على النبيّ (ص) أبو بكر بكى وقال: يا رسول الله حدث فيّ شيء؟

قال:

«ما حدث فيك إلّا خير، ولكنّي امرت أن لا يبلغه إلّا أنا أو رجل منّي».<sup>٨٢٢</sup>

وفي رواية عبد الله بن عمر:

«ولكن قيل لي: أنّه لا يبلغ عنك إلّا أنت أو رجل منك».<sup>٨٢٣</sup>

وفي رواية أبي سعيد الخدري:

«لا يبلغ عنّي غيري أو رجل منّي».<sup>٨٢٤</sup>

تدلّنا القرائن الحالية والمقالية في المقام، أن القصد من التبليغ في هذه الروايات وما شابهها تبليغ ما أوحى الله إلى رسوله من أحكام إلى المكلفين بها في بادئ الامر، وهذا ما لا يقوم به إلّا الرسول أو رجل من الرسول.

ويقابل هذا التبليغ الذي يقوم به المكلفون بتلك الاحكام بعدما بلغوا بها بواسطة الرسول أو رجل من الرسول، فإنّ لهم عند ذاك أن يقوموا

ص: ٥٠٤

بتبليغها إلى غيرهم، ويطرّد جواز هذا التبليغ ورجحانه ويتسلسل مع كلّ من بلغه الحكم إلى أبد الدهر.

وواضح أنّ الرسول (ص) عنى بقوله:

«لا يبلغ عنّي غيري أو رجل منّي»

التبليغ من النوع الاول.

ويفسّر أيضا لفظ «منّي» في أحاديث الرسول (ص) حديث المنزلة الاتي:

<sup>٨٢٢</sup> (١). مسند أحمد ١/ ٣، ح ٤ من مسند أبي بكر وقال أحمد شاکر: (إسناده صحيح). وراجع كنز العمال، كتاب التفسير، تفسير سورة براءة ٢/ ٢٦٧ و ٢٧٠.

وذخائر العقبى ص ٦٩.

<sup>٨٢٣</sup> (٢). في مستدرک الصحيحين ٣/ ٥١.

<sup>٨٢٤</sup> (٣). في الدر المنثور بتفسير: (براءة من الله).

على من النبي (ص) بمنزلة هارون من موسى:

في صحيح البخارى، ومسلم، ومسند الطيالسى، وأحمد، وسنن الترمذى، وابن ماجه وغيرها<sup>٨٢٥</sup> واللفظ للاول: أن رسول الله (ص) قال لعلى:

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدى».

ولفظ مسلم وغيره:

«إلا أنه لا نبي بعدى».

وفي رواية ابن سعد في الطبقات عن البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالوا:

لما كان عند غزوة جيش العسرة وهى تبوك قال رسول الله (ص) لعلى بن أبى طالب: إنه لا بد من أن اقيم أو تقيم، فخلّفه، فلما فصل رسول الله (ص) غازيا قال ناس: ما خلّف عليّا إلا لشيء كرهه منه فبلغ ذلك عليّا فاتبع رسول الله (ص) حتّى انتهى إليه فقال له: ما جاء بك يا على؟ قال: لا يا رسول الله إلا أنّى سمعت ناسا يزعمون أنّك إنّما خلّفتنى لشيء كرهته منى، فتضاحك

ص: ٥٠٥

رسول الله (ص)، وقال: يا على، أما ترضى أن تكون منى كهارون من موسى غير أنّك لست بنبي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فإنّه كذلك.<sup>٨٢٦</sup>

وقد مرّ بعض ألفاظ الحديث فى باب من استخلفه النبي (ص) على المدينة فى غزواته.

المراد من لفظ «منى» فى أحاديث الرسول (ص):

إن لفظ «منى» فى حديث

«أنت منى بمنزلة هارون من موسى»

يوضح المراد من هذا اللفظ فى أحاديث الرسول (ص) الاخرى، وذلك أن هارون لما كان شريك موسى فى النبوة ووزيره فى التبليغ، وكان على من خاتم الانبياء بمنزلة هارون من موسى باستثناء النبوة، يبقى لعلى الوزارة فى التبليغ.

<sup>٨٢٥</sup> (١) صحيح البخارى ٢ / ٢٠٠، باب مناقب على بن أبى طالب . وصحيح مسلم ٧ / ١٢٠، باب من فضائل على بن أبى طالب . والترمذى ١٣ / ١٧١، باب مناقب على . والطيالسى ١ / ٢٨ و ٢٩، ح ٢٠٥، ٢٠٩ و ٢١٣. وابن ماجه، باب فضل على بن أبى طالب، ح ١١٥. ومسند أحمد ١ / ١٧٠، ١٧٣-١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥ و ٣٣٠ و ٣٢ / ٣ و ٣٣٨ و ٣٦٩ / ٦ و ٤٣٨. ومستدرک الحاكم ٢ / ٣٣٧. وطبقات ابن سعد ٣ / ١ / ١٤ و ١٥. ومجمع الزوائد ٩ / ١٠٩ - ١١١. ومصادر اخرى كثيرة.

<sup>٨٢٦</sup> (١) طبقات ابن سعد ٣ / ق ١ / ١٥. ومجمع الزوائد للهيثمى ٩ / ١١١ باختلاف يسير.

وكذلك بين الرسول (ص) المراد من لفظ «منى» في حديثه يوم عرفات في حجة الوداع حيث قال:

«على منى وأنا من على. لا يؤدى عنى إلا أنا أو على»<sup>٨٢٧</sup>.

وعلى هذا فإن الرسول (ص) فسّر لفظ «منى» في هذه الأحاديث بكلّ وضوح وجلاء، وصرّح (ص) أن القصد منه؛ أنه منه في مقام التبليغ عن الله إلى المكلفين بلا واسطة . ومن ثمّ يتّضح معنى «منى» في أحاديث أخرى للرسول (ص) في حقّ الامام علىّ والذي جاء فيها غير مفسّرة.

مثل ما جاء في رواية بريدة في خبر الشكوى أن الرسول (ص) قال له:

ص: ٥٠٦

«لا تقع في علىّ فإنه منى و...»<sup>٨٢٨</sup>.

ورواية عمران بن حصين: «إن عليّاً منى...»<sup>٨٢٩</sup>.

\*\*\*

في كلّ هذه الروايات قصد الرسول (ص) أن عليّاً والائمة (ع) من ولده، من رسول الله (ص) في حمل أعباء التبليغ إلى المكلفين مباشرة و وظيفتهم من نوع وظيفته، وعلى هذا فهم منه وهو منهم، يشتركون في التبليغ ويختلفون في أنه يأخذ الاحكام التي يبلغها من الله عن طريق الوحي، وهم يأخذونها عن طريق رسول الله (ص) فهم مبلغون عن رسول الله (ص) إلى الامّة وقد أعدّهم الله ورسوله (ص) لحمل أعباء التبليغ، وذلك بما عصمهم الله من الرجس وطهرهم تطهيراً، كما أخبر سبحانه عن ذلك في آية التطهير، وبما أفاض الرسول (ص) على الامام علىّ خاصّة ممّا أوحى الله إليه، ثمّ ورث الائمة من أبيهم الامام علىّ ذلك واحداً بعد الآخر، كما نصّت على ذلك الروايات الاتية.

حامل علوم الرسول (ص):

في تفسير الرازى وكنز العمال قال على:

علّمني رسول الله (ص) ألف باب من العلم وتشعب لي من كلّ باب ألف باب.<sup>٨٣٠</sup>

وفي تفسير الطبرى وطبقات ابن سعد وتهذيب التهذيب وكنز العمال وفتح البارى واللفظ للاخير:

<sup>٨٢٧</sup> (٢). أخرجه ابن ماجة في كتاب المقدمة، باب فضائل الصحابة ص ٩٢ من الجزء الاول من سننه . والترمذى، كتاب المناقب ١٣ / ١٦٩، وهو الحديث ٢٥٣١، في ص ١٥٣ من الجزء السادس من الكنز في طبعته الاولى . وقد أخرجه الامام أحمد في ص ١٦٤ و ١٦٥ من الجزء الرابع من مسنده من حديث حبشى بن جنادة بطرق متعدّدة.

<sup>٨٢٨</sup> (١). مضى ذكر سندهما في باب: وليّ أمر المسلمين.

<sup>٨٢٩</sup> (٢). همان.

<sup>٨٣٠</sup> (٣). بتفسير الاية: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ... E وكنز العمال ٦ / ٣٩٢ و ٣٠٥.

عن أبي الطفيل قال: شهدت عليًا وهو يخطب ويقول:

(سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلّا حدثتكم به،

ص: ٥٠٧

وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل (...).<sup>٨٣١</sup>

ومن هنا قال في حقّه رسول الله (ص) كما رواه جابر بن عبد الله:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد.<sup>٨٣٢</sup>

وفي رواية:

«فمن أراد العلم فليأت الباب».<sup>٨٣٣</sup>

وفي رواية:

سمعت رسول الله (ص) يوم الحديدية وهو آخذ بيد عليّ يقول:

«هذا أمير البررة وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، - يمدّ بها صوته - أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد

البيت فليأت الباب».<sup>٨٣٤</sup>

ولفظه في رواية ابن عباس:

«أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».<sup>٨٣٥</sup>

وفي رواية الامام عليّ، قال رسول الله (ص):

<sup>٨٣١</sup> (١). تفسير ابن جرير ١١٦ / ٢٦. وطبقات ابن سعد ٢ / ٢ ق ١٠١ / ٢. وتهذيب التهذيب ٧ / ٣٣٧. وفتح الباري ١٠ / ٢٢١. وحلية الاولياء ١ / ٦٧ - ٦٨. وكنز العمال ١ / ٢٢٨.

<sup>٨٣٢</sup> (٢). مستدرک الصحيحين ٣ / ١٢٦، وفي ص ١٢٧ منه بطريق آخر. وفي تاريخ بغداد ٤ / ٣٤٨ و ٧ / ١٧٢ و ١١ / ٤٨، وفي ص ٤٩ منه عن يحيى بن معين أنّه صحيح. وفي اسد الغابة ٤ / ٢٢. ومجمع الزوائد ٩ / ١١٤. وتهذيب التهذيب ٦ / ٣٢٠ و ٧ / ٤٢٧. وفي متن فيض القدير ٣ / ٤٦. وكنز العمال، ط. الثانية ١٢ / ٢٠١، ح ١١٣٠. والصواعق المحرقة ص ٧٣.

<sup>٨٣٣</sup> (٣). مستدرک الصحيحين ٣ / ١٢٧ - ١٢٩.

<sup>٨٣٤</sup> (٤). تاريخ بغداد للخطيب ٢ / ٣٧٧.

<sup>٨٣٥</sup> (٥). كنز العمال، ط. الثانية ١٢ / ٢١٢، و ح ١٢١٩. وراجع كنوز الحقائق للمناوى.



ص: ٥٠٨

«أنا دار العلم وعلّيّ بابها».<sup>٨٣٦</sup>

وقال في حقّه - أيضاً - كما رواه ابن عباس:

«أنا مدينة الحكمة وعلّيّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب».<sup>٨٣٧</sup>

وفى رواية الامام عليّ، قال رسول الله (ص):

«أنا دار الحكمة وعلّيّ بابها».<sup>٨٣٨</sup>

وقال في حقّه كما فى رواية أبى ذرّ:

«علّيّ باب علمى ومبيّن لأمتى ما ارسلت به بعدى ...».<sup>٨٣٩</sup>

وقال كما فى رواية أنس بن مالك:

أن النبيّ (ص) قال لعلّيّ (ع):

«أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيه بعدى».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.<sup>٨٤٠</sup>

وفى رواية قال له:

«أنت تؤدّي عنّي وتسمعهم صوتى وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى».<sup>٨٤١</sup>

وقد يسّر الله لخاتم أنبيائه أن يزقّ ابن عمّه العلم فى ما هيأ لهما من الاجتماع فى بيت واحد منذ أن كان الامام عليّ طفلاً كما رواه الحاكم:

ص: ٥٠٩

<sup>٨٣٦</sup> (١). الرياض النضرة ٢ / ١٩٣.

<sup>٨٣٧</sup> (٢). تاريخ بغداد للخطيب ١١ / ٢٠٤. وسنن الترمذى، كتاب المناقب، باب مناقب عليّ ابن أبي طالب.

<sup>٨٣٨</sup> (٣). سنن الترمذى ١٣ / ١٧١، باب مناقب عليّ بن أبي طالب، قال: وفى الباب عن ابن عباس . وحملة الاولياء لابي نعيم ١ / ٦٤. وكنز العمال، ط. الاولى

١٥٦ / ٦.

<sup>٨٣٩</sup> (٤). كنز العمال، ط. الاولى ٦ / ١٥٦.

<sup>٨٤٠</sup> (٥). مستدرک الصحيحين ٣ / ١٢٢. وكنز العمال، ط. الاولى ٦ / ١٥٦. وراجع المناوى فى كنوز الحقائق ص ١٨٨

<sup>٨٤١</sup> (٦). حملة الاولياء ١ / ٦٣.

(كان من نعم الله على علي بن أبي طالب (ع) ما صنع الله وأراد به من الخير، أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب في عيال كثير فقال رسول الله (ص) لعمة العباس وكان من أيسر بني هاشم:

يا أبا الفضل إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة، فانطلق بنا إليه نخفف عنه من عياله آخذ أنا من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفلهما عنه، فقال العباس : نعم، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لى عقيلا فاصنعا ما شئتما، فأخذ رسول الله (ص) عليا فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه، فلم يزل علي (ع) مع رسول الله (ص) حتى بعته الله نبيا فابنته وصدقه، وأخذ العباس جعفرا وضمه إليه ولم يزل جعفر مع العباس حتى أسلم واستغنى عنه).<sup>٨٤٢</sup>

وروى عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه (ع) قال:

(أشرف رسول الله (ص) من بيت ومعه عمّاه العباس وحزمة، وعليّ وجعفر وعقيل في أرض يعملون فيها، فقال رسول الله (ص) لعبيّه: اختاروا من هؤلاء. فقال أحدهما: اخترت جعفرا، وقال الآخر: اخترت عقيلا. فقال: خير تكما فاخترتما، فاختر الله لى عليا).<sup>٨٤٣</sup>

وقد أخبر الامام بنفسه عن ذلك وقال:

(وقد علمتم موضعي من رسول الله (ص) بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعتني في حجره وأنا ولد، يض مني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسني جسده، ويشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمني، وما

ص: ٥١٠

وجد لى كذبة في قول، ولا خطلّة في فعل، ولقد قرن الله به (ص) من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لى في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله (ص) وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة وأشمّ ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ٦، فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟<sup>٨٤٤</sup> فقال:

«هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا إنك لست بنبي، ولكنك لوزير، وإنك لعلى خير».

ولقد كنت معه (ص) لما أتاه الملا من قريش، فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادّعت عطيما لم يدعه أبأوك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمرا إن أنت أحببتنا إليه وأرئتناه علمنا أنك نبيّ ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب . فقال (ص): وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك . فقال (ص): إن الله على كل شيء قدير،

<sup>٨٤٢</sup> (١). مستدرک الصحيحين ٣ / ٥٧٦.

<sup>٨٤٣</sup> (٢). مستدرک الصحيحين ٣ / ٥٧٦ - ٥٧٧.

<sup>٨٤٤</sup> (١). الرنة: الصيحة الحزينة.

فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا : نعم، قال: فإني ساريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير،<sup>٨٤٥</sup> وإن فيكم من يطرح في القلب،<sup>٨٤٦</sup> ومن يحزب الاحزاب. ثم قال

ص: ٥١١

(ص): يا أيُّها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروك حتى تقفي بين يدي بإذن الله. والذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دوى شديد، وقصف كقصف أجنحة الطير،<sup>٨٤٧</sup> حتى وقفت بين يدي رسول الله (ص) مرفرفة، وألقت بغصنها الاعلى على رسول الله (ص) فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا علواً واستكباراً: فمرها فليأتك نصفها ويبقى نصفها، فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشدّه دويًا، فكادت تلتف برسول الله ٤، فقالوا كفرا وعتوًا: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان، فأمره (ص) فرجع، فقلت أنا: لا إله إلا الله، إنني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأن الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك، فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدقك في أمرك إلا مثل هذا؟- يعنونى-).<sup>٨٤٨</sup>

هكذا كان رسول الله (ص) يرفع للامام في صغره كل يوم من أخلاقه علماً ويأمره بالاعتداء به، ويزقه العلم زقاً في كبره، ويخصّه بمناجاته.

وقد جاء في صحيح الترمذى وغيره واللفظ للترمذى عن جابر قال:

(دعا رسول الله (ص) علياً (ع) يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه! فقال رسول الله (ص):

«ما انتجيتيه ولكن الله انتجاه».<sup>٨٤٩</sup>

ص: ٥١٢

وفي رواية:

(لما كان يوم الطائف دعا رسول الله (ص) علياً فنتجاه طويلاً فقال بعض أصحابه ... الحديث.<sup>٨٥٠</sup>

وفي رواية جندب بن ناجية أو ناجية بن جندب:

<sup>٨٤٥</sup> (٢). لا تفيئون: لا ترجعون.

<sup>٨٤٦</sup> (٣). القلب - كأمير - البئر، والمراد منه قلب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش، والاحزاب : طوائف متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربته (ص) في وقعة الخندق.

<sup>٨٤٧</sup> (١). القصف: الصوت الشديد. (و ربح قاصف) أى: شديدة. (و رعد قاصف) أى: شديد الصوت.

<sup>٨٤٨</sup> (٢). الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة ٢ / ١٨٢ - ١٨٤.

<sup>٨٤٩</sup> (٣). سنن الترمذى، كتاب المناقب، باب مناقب على بن أبى طالب ١٣ / ١٧٣. وتأريخ بغداد للخطيب ٧ / ٤٠٢.

<sup>٨٥٠</sup> (١). اسد الغابة ٤ / ٢٧.

لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ قَامَ النَّبِيُّ (ص) مَعَ عَلِيٍّ (ع) مَلِيًّا ثُمَّ مَرَّ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَقَدْ طَالَتْ مَنَاجَاةُكَ عَلَيَّ مِنْذُ الْيَوْمِ! فَقَالَ:

«مَا أَنَا أَنْتَجِبْتَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَنْتَجَاهُ».<sup>٨٥١</sup>

وَكَانَ الْإِمَامُ عَلِيُّ حَرِيصًا عَلَيَّ أَنْ يَتَلَقَّى مِنِّي رَسُولَ اللَّهِ (ص). وَلَمَّا نَزَلَتْ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةَ الْمَجَادَلَةِ / ١٢ / ٨٥٢

قَالَ الطَّبْرِيُّ:

(نَهَوْا عَنِ مَنَاجَاةِ النَّبِيِّ (ص) حَتَّى يَتَصَدَّقُوا، فَلَمْ يَنَاجِهِ أَحَدٌ إِلَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ).<sup>٨٥٣</sup>

وَفِي سَبَابِ النَّزُولِ لِلوَاحِدِيِّ وَغَيْرِهِ عَنِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ:

(كَانَ لِي دِينَارٌ فَبِعْتُهُ وَكُنْتُ إِذَا نَاجَيْتُ الرَّسُولَ (ص) تَصَدَّقْتُ بِدَرَاهِمٍ حَتَّى رُفِدَ).<sup>٨٥٤</sup>

وَفِي رِوَايَةٍ:

(كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ فَصَرَفْتُهُ بِعَشْرَةِ دَرَاهِمٍ فَكُنْتُ إِذَا جِئْتُ إِلَى النَّبِيِّ (ص) (...).<sup>٨٥٥</sup>

ص: ٥١٣

وَرَوَى الزَّمْخَشَرِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:

(أَنَّهُ تَصَدَّقَ فِي عَشْرِ كَلِمَاتٍ سَأَلَهُنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص)).

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ الْإِمَامِ:

إِنَّ فِي كِتَابِ اللَّهِ لَآيَةً مَا عَمِلَ بِهَا أَحَدٌ قَبْلِي وَلَا يَعْمَلُ بِهَا أَحَدٌ بَعْدِي:

آيَةُ النَّجْوَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ ... الْآيَةَ، كَانَ عِنْدِي دِينَارٌ - إِلَى قَوْلِهِ -: ثُمَّ نَسَخْتُ فَلَمْ يَعْمَلْ بِهَا أَحَدٌ، فَنَزَلَتْ: أَلَسْتُمْ أَنْ تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتِ الْمَجَادَلَةِ / ١٣ / ٨٥٦

<sup>٨٥١</sup> (٢). كنز العمال، ط. الثانية ١٢ / ٢٠٠، ح ١١٢٢. والرياض النضرة ٢ / ٢٦٥.

<sup>٨٥٢</sup> (٣). تفسير السيوطي ٦ / ١٨٥.

<sup>٨٥٣</sup> (٤). تفسير الطبري ٢٨ / ١٤ - ١٥. والدر المنثور ٦ / ١٨٥.

<sup>٨٥٤</sup> (٥). أسباب النزول للواحدى ص ٣٠٨. والطبري في تفسير الآية.

<sup>٨٥٥</sup> (٦). تفسير الآية في الدر المنثور ٦ / ١٨٥. والرياض النضرة ٢ / ٢٦٥.

<sup>٨٥٦</sup> (١). تفسير السيوطي ٦ / ١٨٥. والرياض النضرة ٢ / ٢٦٥. والكشاف ٤ / ٧٦.

هكذا كان مع رسول الله (ص) ولم يفارقه حتى آخر لحظة من حياته.

قالت عائشة:

(قال رسول الله (ص) لَمَّا حضرته الوفاة:

«ادعوا لى حبيبي».

فدعوا له أبا بكر، فنظر إليه، ثم وضع رأسه.

ثم قال: «ادعوا لى حبيبي»، فدعوا له عمر، فلمَّا نظر إليه، وضع رأسه.

ثم قال: «ادعوا لى حبيبي»، فدعوا له عليًا (ع)، فلمَّا رآه أدخله فى الثوب الذى كان عليه فلم يزل يحتضنه حتى قبض ويده عليه).<sup>٨٥٧</sup>

وعن ابن عباس:

(إنَّ النّبىَّ ثَقُلَ وعنده عائشة وحفصة إذ دخل عليّ (ع) فلمَّا رآه النّبىَّ (ص) رفع رأسه ثمَّ قال: «ادنُّ منى، ادنُّ منى» فأسنده فلم يزل عنده

ص: ٥١٤

حتى توفى).<sup>٨٥٨</sup>

وعن أمّ سلمة قالت:

(والذى أحلف به إن كان عليّ (ع) لا قرب الناس عهدا برسول الله (ص). عدنا رسول الله (ص) غداة وهو يقول: جاء عليّ؟ جاء عليّ؟ مرارا، فقالت فاطمة: كأنك بعثته فى حاجة، قالت: فجاء بعد، قالت أمّ سلمة: فظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعنا عند الباب وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله (ص) وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان عليّ أقرب الناس عهدا).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد.<sup>٨٥٩</sup>

\*\*\*

<sup>٨٥٧</sup> (٢). الرياض النضرة ٢/ ٢٣٧، ط. الثانية، مطبعة دار التأليف بمصر. وذخائر العقبى ص ٧٢.

<sup>٨٥٨</sup> (١). مجمع الزوائد ٩/ ٣٦.

<sup>٨٥٩</sup> (٢). مسند أحمد ٦/ ٣٠٠. وخصائص النسائي ص ٤٠. ومستدرک الصحيحين ٣/ ١٣٨ - ١٣٩.

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (ص):

«من سرّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوال عليّاً من بعدى، وليوال وليّه، وليقتد بالائمة من بعدى فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهما وعلما، وويل للمكذّبين بفضلهم من امتي، القاطعين فيهم صلتى، لا أنالهم الله شفاعتي».<sup>٨٦٠</sup>

إلى هنا ذكرنا ما جاء في حقّ الوصيّ الاول بعد الرسول (ص)، وفي ما يأتي نذكر ما جاء في شأن أوصياء الرسول بعد الوصيّ الاول.

ص: ٥١٥

ما جاء في حقّ سبطي رسول الله (ص)

ذكرنا في ما سبق شيئا ممّا جاء في حقّ الامام الاول عليّ بن أبي طالب . وفي ما يأتي نذكر ما جاء في حقّ سبطي رسول الله (ص)، منه قوله لكلّ منهما: «هذا منّي»، وقد عرفنا معنى (منّي) في البحث السابق.

الحسن والحسين من رسول الله وسبطاه:

في مسند أحمد عن المقدم بن معدى كرب:

أنّ رسول الله وضع الحسن في حجره وقال: «هذا منّي...».<sup>٨٦١</sup>

وعن البراء بن عازب قال:

قال النبيّ (ص) للحسن أو الحسين: «هذا منّي».<sup>٨٦٢</sup>

وروى البخاري والترمذي وابن ماجّة وأحمد والحاكم عن يعلى بن مرة أنّ رسول الله (ص) قال:

«حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينا، حسين سبط من الاسباط».<sup>٨٦٣</sup>

<sup>٨٦٠</sup> (٣). حلية الاولياء لابي نعيم ٨٦ / ١.

<sup>٨٦١</sup> (١). مسند أحمد ٤ / ١٣٢. وكنز العمال ١٣ / ٩٩ و ١٠٠ و ١٦ / ٢٦٢. ومنتخب الكنز ٥ / ١٠٦. والجامع الصغير بشرح فيض القدير ٣ / ١٤٥.

<sup>٨٦٢</sup> (٢). كنز العمال ١٦ / ٢٧٠.

<sup>٨٦٣</sup> (٣). البخاري في الادب المفرد، باب معانقة الصبي، ح ٣٦٤. والترمذي ١٣ / ١٩٥، في باب مناقب الحسن والحسين . وابن ماجّة، كتاب المقدمة، باب ١١،

ح ١٤٤. ومسند أحمد ٤ / ١٧٢. ومستدرک الحاكم ٣ / ١٧٧. ووصف هو والذهبي الحديث بأنّه صحيح. واسبغ الغاية ٢ / ١٩ و ٥ / ١٣٠.

ص: ٥١٦

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الاسباط»<sup>٨٦٤</sup>.

وعن أبي رمثة قال: قال رسول الله (ص):

«حسين مني وأنا منه، هو سبط من الاسباط»<sup>٨٦٥</sup>.

وفي رواية:

«الحسن والحسين سبطان من الاسباط»<sup>٨٦٦</sup>.

وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله (ص):

«حسين مني وأنا منه أحب الله من أحبّه، الحسن والحسين سبطان من الاسباط»<sup>٨٦٧</sup>.

إن قول رسول الله (ص): «مني» في هذه الروايات بحقّ الحسين نظير قوله بحقّ أبيهما الامام عليّ، أراد في جميعها، أنهم منه في مقام تبليغ أحكام الاسلام.

وكذلك نرى أن قوله في حقّهما أنّهما سبطان من الاسباط، لا يعني أنّهما حفيدان كما أنّ جميع البشر ما عداهما حفدة، فهذا هذر من القول حاشا رسول الله (ص) منه، بل إنّ الالف واللام في الاسباط للهدى الذهنى من القرآن الكريم، أى: أنّهما من الاسباط المذكورين في كتاب الله في قوله تعالى:

قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا

ص: ٥١٧

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ البقرة / ١٣٦.

وقوله تعالى:

<sup>٨٦٤</sup> (١). كنز العمال ١٦ / ٢٧٠.

<sup>٨٦٥</sup> (٢). كنز العمال ١٣ / ١٠٦.

<sup>٨٦٦</sup> (٣). كنز العمال ١٣ / ١٠١ و ١٠٥.

<sup>٨٦٧</sup> (٤). كنز العمال ١٦ / ٢٧٠.

أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى ... البقرة / ١٤٠.

وقوله تعالى:

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ ... آل عمران / ٨٤.

وقوله تعالى:

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ... النساء / ١٤٣.

وعليه فإنّ الالف واللام في «الاسباط» في حديث رسول الله (ص) بحقّ الحسنين للعهد الذهني عند المسلمين من هذه الايات، وإنّ قول رسول الله (ص) في حقّهما نظير قوله في حقّ أبيهما : أنّه منه بمنزلة هارون من موسى، وقد شرح الله سبحانه تلك المنزلة في ما حكى عن موسى أنّه قال:

وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ... طه / ٢٩ - ٣٦.

وقوله تعالى:

وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَدِّبُونَ قَالَ سَنَسُدُّعَ ضُدَّكَ بِأَخِيكَ ... القصص / ٣٤ - ٣٥.

وقوله تعالى:

وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ

ص: ٥١٨

المُفْسِدِينَ ... الاعراف / ١٤٢.

وفي ما أخبر سبحانه عنهما وقال:

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ... الفرقان / ٣٥.

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ... المؤمنون / ٤٥.

في هذه الايات جعل الله هارون رداء لموسى ووزيرا وشريكا في النبوة استخلفه موسى في قومه، فلمّا نصّ خاتم الانبياء على أنّ عليّا منه بمنزلة هارون من موسى واستثنى من كلّ ذلك النبوة وأنّه لا نبيّ بعده، بقي منها للامام عليّ رداء ووزارة



ومشاركة في التبليغ على عهد الرسول (ص)، ومن بعده الخلافة في قومه وحمل أعباء التبليغ . وكذلك الامر مع ولديه الحسينين. ونستثنى النبوة مما كان للاسباط لأنه لا نبي بعد خاتم الانبياء، ويبقى لهما حمل مسؤولية تبليغ الاحكام الاسلامية عن الله.

ذكرنا في ما سبق ما جاء في حق الاوصياء الثلاثة الاول بعد رسول الله (ص) وفي ما يأتي نذكر ما جاء في شأن آخر أوصياء الرسول (ص) في السنة النبوية.

ص: ٥١٩

بشارات النبي (ص) بظهور المهدي (ع) في آخر الزمان

المهدي يواطئ اسمه اسم النبي (ص):

سنن الترمذي في باب ما جاء في المهدي (ع)، وأبو داود في كتاب المهدي وغيرهما قال رسول الله (ص):

«ولا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي».<sup>٨٦٨</sup>

في مستدرک الصحيحين ومسنده أحمد وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري، قال:

قال رسول الله (ص):

«لا تقوم الساعة حتى تملأ الارض ظلما وجورا وعدوانا، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا».<sup>٨٦٩</sup>

ص: ٥٢٠

إن المهدي (ع) من أهل بيت النبي (ص):

في سنن ابن ماجة في أبواب الجهاد عن أبي هريرة، قال:

<sup>٨٦٨</sup> (١). سنن الترمذي ٧٤ / ٩. ورواه أبو داود في صحيحه في كتاب المهدي ٧ / ٢، وطبعة دار إحياء السنة النبوية (د. ت) ٤ / ١٠٦ - ١٠٧، ح ٤٢٨٢. وأبو

نعيم في حليته ٧٥ / ٥. وأحمد بن حنبل في مسنده ١ / ٣٧٦. والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٤ / ٣٨٨. وكنز العمال، ط. الاولى ٧ / ١٨٨ بزيادة: (وخلقها خلقى). والسيوطي في تفسير سورة محمد (ص) في تفسير الآية: «أَفَهْلُ يُنظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ...» E، الدر المنثور ٦ / ٥٨.

<sup>٨٦٩</sup> (٢). مستدرک الصحيحين ٤ / ٥٥٧. ورواه أبو نعيم في حليته ٣ / ١٠١ باختلاف يسير في اللفظ. وأحمد بن حنبل في مسنده ٣ / ٣٦. وغيرهم. والسيوطي

في تفسير الآية: «أَفَهْلُ يُنظَرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ...» E من سورة محمد (ص) ٦ / ٥٨.

قال رسول الله (ص):

«لو لم يبقَ من الدنيا إلا يوم لطوّله الله عزّ وجلّ حتّى يملك رجل من أهل بيتي، يملك جبل الديلم والقسطنطينية».

وفي سنن ابن ماجة - أيضا - في أبواب الفتن في باب خروج المهدي، ومسنند أحمد وغيرهما، عن عليّ (ع) قال:

قال رسول الله (ص):

«المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».

ورواه آخرون أيضا.<sup>٨٧٠</sup>

وفي مستدرک الصحيحين قال: عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله (ص):

أنه قال:

«المهدي منّا أهل البيت، أشمّ الانف، أقتى، أجلى، يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، يعيش هكذا - وبسط يساره وإصبعين يمينه المسبّحة والابهام وعقد ثلاثة-».

قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ورواه أبو داود أيضا.<sup>٨٧١</sup>

المهدي (ع) من ولد فاطمة (ع):

وفي سنن أبي داود عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله (ص) يقول:

ص: ٥٢١

«المهدي من عترتي من ولد فاطمة».<sup>٨٧٢</sup>

وفي كنز العمال قال: عن عليّ (ع):

---

<sup>٨٧٠</sup> (١). رواه أبو نعيم في حليته ١٧٧/٣، وزاد فقال: في يومين. ورواه أحمد بن حنبل أيضا ٨٤/١. وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٨/٦ في تفسير سورة

محمد (ص) الآية: إِنْ فَهَلْ E

إِنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ E قال: أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وابن ماجة عن عليّ (ع)، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، ح ٤٠٨٥.

<sup>٨٧١</sup> (٢). مستدرک الصحيحين ٥٥٧/٤. ورواه أبو داود في صحيحه ١٣٦/٦، كتاب المهدي من سنن أبي داود ١٠٧/٤، ح ٤٢٨٥.

<sup>٨٧٢</sup> (١). كتاب المهدي ٧/٤، ح ٤٢٨٤، باب خروج المهدي من كتاب الفتن ١٣٦٨/٢. وسنن أبي داود ١٣٤/٧. ورواه ابن ماجة في صحيحه في أبواب الفتن

في باب خروج المهدي وقال: المهدي من ولد فاطمة. ورواه الحاكم أيضا في مستدرک الصحيحين ٥٥٧/٤ وقال: هو حق - يعني المهدي (ع) - وهو من بني

فاطمة. وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال ٢٤/٢ وقال: المهدي من ولد فاطمة. وذكره السيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة محمد (ص) من تفسير الآية: إِنْ

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ E ٥٨/٤ وقال: أخرجه أبو داود وابن ماجة والطبراني والحاكم عن أمّ سلمة.

قال:

«المهدىّ رجلٌ منّا من ولد فاطمة».<sup>٨٧٣</sup>

المهدى (ع) من ولد الحسين (ع):

وفى ذخائر العقبي عن أبي أيوب الانصارى قال:

قال رسول الله (ص):

«يولد منهما - يعنى الحسن والحسين (ع) - مهدىّ هذه الامة».<sup>٨٧٤</sup>

وفى ذخائر العقبي - أيضا - قال: عن حذيفة أنّ النبيّ (ص) قال:

«لو لم يبقَ من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل ذلك ا ليوم حتّى يبعث الله رجلا من ولدى اسمه كاسمى، فقال سلمان : من أىّ ولدك يا رسول الله؟ قال: من ولدى هذا».

وضرب بيده على الحسين (ع).

\*\*\*

أكد رسول الله (ص) فى رواياته على إمامة الامام الاول على ابن أبي طالب (ع) أكثر من سائر الائمة، وعلى البشائر بأخرهم المهدى، وعلى أنّ

ص: ٥٢٢

عدددهم اثنا عشر، لأنه إذا ثبت الاول والاخر والعدد، لا يبقى أدنى شكّ فى من هم الائمة الذين عدددهم اثنا عشر وأولهم الامام على وآخرهم المهدى، سلام الله عليهم أجمعين.

ص: ٥٢٣

نصوص على إمامة أئمة أهل البيت (ع)

<sup>٨٧٣</sup> (٢). كنز العمال، ط. الاولى ٧ / ٢٤١.

<sup>٨٧٤</sup> (٣). ذخائر العقبي ص ١٣٦.

النصوص الواردة عن رسول الله (ص) على إمامة أهل البيت (ع) على الأمة من بعده كثيرة، منها ما جاء في حق جميع أئمة أهل البيت، واخرى تخصّ بعضهم. ومما جاء في عامّتهم حديث الثقلين.

حديث الثقلين:

أ- في حجة الوداع.

روى الترمذى عن جابر، قال:

رأيت رسول الله في حجّته يوم عرفة وهو على ناقق القصواء يخطب فسمعتة يقول:

«يا أيّها الناس إنّي قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلّوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى.»

قال الترمذى: وفي الباب عن أبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن اسيد.<sup>٨٧٥</sup>

ب- في غدیر خمّ.

في صحيح مسلم ومسنّد أحمد وسنن الدارمى والبيهقى وغيرها واللفظ للاول، عن زيد بن أرقم، قال:

(إنّ رسول الله قام خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة ... ثمّ قال:

ص: ٥٢٤

«ألا يا أيّها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربّى فأجيب، وإنّى تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ... وأهل بيتى ...»<sup>٨٧٦</sup>.

وفي سنن الترمذى ومسنّد أحمد واللفظ للاول:

«إنّى تارك فيكم ما إن تمسّكنم به لن تضلّوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، وعترتى أهل بيتى، ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما»<sup>٨٧٧</sup>.

وفي مستدرک الصحيحين:

«كأنّى قد دعيت فأجبت، إنّى تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله، وعترتى؛ فانظروا كيف تخلفونى فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض ...»<sup>٨٧٨</sup>.

<sup>٨٧٥</sup> (١). الترمذى ١٣ / ١٩٩، باب مناقب أهل بيت النبى. وراجع كنز العمال ١ / ٤٨.

<sup>٨٧٦</sup> (١). صحيح مسلم، باب فضائل علىّ بن أبى طالب . ومسنّد أحمد ٤ / ٣٦٦. وسنن الدارمى ٢ / ٤٣١ باختصار. وسنن البيهقى ٢ / ١٤٨ و ٧ / ٣٠ منه باختلاف يسير فى اللفظ. وراجع الطحاوى فى مشكل الآثار ٤ / ٣٦٨.

<sup>٨٧٧</sup> (٢). الترمذى ١٣ / ٢٠١. واسد الغاية ٢ / ١٢ فى ترجمة الامام الحسن. والدر المنثور فى تفسير آية المودة من سورة الشورى.

وفى رواية:

«أيها الناس إنى تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتى عترتى ...».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.<sup>٨٧٩</sup>

ص: ٥٢٥

وقد جاء هذا الحديث بألفاظ أخرى فى مسند أحمد وحلية الاولياء وغيرهما<sup>٨٨٠</sup> عن زيد بن ثابت.

\*\*\*

فى الحديث السابق أخبر الرسول فى آخر سنة من حياته : أنه بشر، يُوشك أن يأتيه رسول ربّه، ويدعى فيجيب ويلتحق برّبّه، وقال:

«وإنى تارك فيكم، ما إن تمسّكنم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض وعترتى أهل بيتى ولن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوننى فيهما».

قاله مرّة فى عرفة، وأخرى فى غدير خمّ، وهذا النصّ من رسول الله فى تعيين مرجع الامّة من بعده، عمّ جميع الائمة من عترته.

وفى الروايات التالية:

نصّ الرسول (ص) على عددهم:

حديث عدد الائمة:

أخبر الرسول أنّ عدد الائمة الذين يلون من بعده اثنا عشر، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد الاتية:

أ- روى مسلم عن جابر بن سمرة أنّه سمع النبىّ يقول:

«لا يزال الدين قائما حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش».

<sup>٨٧٨</sup> (٣). مستدرک الصحيحين وتلخيصه ٣ / ١٠٩. وخصائص النسائي ص ٣٠. وفى مسند أحمد ٣ / ١٧:

أ «إنى اوشك أن ادعى فاجيب» E\

وفى ص ١٤ و ٢٦ و ٥٩ منه أكثر تفصيلا. وطبقات ابن سعد ٢ / ٢ ق ٢ / ٢. وكنز العمال ١ / ٤٧ و ٤٨ وفى ٩٧ موجزا.

<sup>٨٧٩</sup> (٤). مستدرک الصحيحين ٣ / ١٠٩ بطريقين، وقريب منه ما فى ٣ / ١٤٨.

<sup>٨٨٠</sup> (١). مسند أحمد ٤ / ٣٦٧ و ٣٧١ و ٥ / ١٨١. وتاريخ بغداد للخطيب ٨ / ٤٤٢. وحلية الاولياء ١ / ٣٥٥ و ٩ / ٦٤. واسد الغابة ٣ / ١٤٧. ومجمع الزوائد للهيثمى ٩ / ١٦٣ و ١٦٤.

وفى رواية:

«لا يزال أمر الناس ماضيا...».

ص: ٥٢٦

وفى حديثين منهما:

«إلى اثني عشر خليفة...».

وفى سنن أبي داود:

«حتّى يكون عليكم اثنا عشر خليفة».

وفى حديث:

«إلى اثني عشر».<sup>٨٨١</sup>

وفى البخارى، قال: سمعت النبيّ (ص) يقول:

«يكون اثنا عشر أميراً».

فقال كلمة لم أسمعها. فقال أبي: قال:

«كلّهم من قريش».

وفى رواية:

ثمّ تكلم النبيّ (ص) بكلمة خفيت علىّ فسألته أباي: ماذا قال رسول الله (ص)؟ فقال: «كلّهم من قريش».<sup>٨٨٢</sup>

وفى رواية:

---

<sup>٨٨١</sup> (١). صحيح مسلم ٦/٣-٤ بباب الناس تبع لقريش من كتاب الامارة، واخترنا هذا اللفظ من الرواية لأنّ جابرا كان قد كتبها . وفى صحيح البخارى ٤/١٦٥، كتاب الاحكام . وسنن الترمذى، باب ما جاء فى الخلفاء من أبواب الفتن ٦/٦٦-٦٧. وسنن أبي داود ٤/١٠٦، كتاب المهدي، ح ٤٢٧٩ و ٤٢٨٠. ومسند الطيالسي، ح ٧٤٧ و ١٢٧٨. ومسند أحمد ٥/٨٦-٩٠ و ٩٢-١٠١ و ١٠٦-١٠٨. وكنز العمال ٣/٢٦-٢٧. وحلية أبي نعيم ٤/٣٣٣. وجابر بن سمرة بن جنادة العامريّ ثمّ السوائى، ابن اخت سعد بن أبي وقاص، وحليفهم، مات فى الكوفة بعد السبعين، وروى عنه أصحاب الصحاح ١٤٦ حديثا، ترجمته باسد الغاية.

وتقريب التهذيب. وجوامع السيرة ص ٢٧٧.

<sup>٨٨٢</sup> (٢). فتح البارى ١٦/٣٣٨. ومستدرک الصحيحين ٣/٦١٧.

«لا تضرهم عداوة من عاداهم».<sup>٨٨٣</sup>

ص: ٥٢٧

ب- وفي رواية:

«لا تزال هذه الامة مستقيما امرها، ظاهرة على عدوها، حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرج أو الهرج».<sup>٨٨٤</sup>

ج- وفي رواية:

«يكون لهذه الامة اثنا عشر قيما لا يضرهم من خذلهم كلهم من قريش».<sup>٨٨٥</sup>

د-

«لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا».<sup>٨٨٦</sup>

ه- وعن أنس:

«لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الارض بأهلها».<sup>٨٨٧</sup>

و- وفي رواية:

«لا يزال أمر هذه الامة ظاهرا حتى يقوم اثنا عشر كلهم من قريش».<sup>٨٨٨</sup>

ز- وروى أحمد والحاكم وغيرهم واللفظ للاول عن مسروق قال:

«كنا جلوسا عند عبد الله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله (ص) كم يملك هذه الامة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال:

ص: ٥٢٨

سألناه فقال: اثنا عشر عدة نقيب بني إسرائيل».<sup>٨٨٩</sup>

<sup>٨٨٣</sup> (٣). فتح الباري ١٦ / ٣٣٨.

<sup>٨٨٤</sup> (١). منتخب الكنز ٥ / ٣٢١. وتاريخ ابن كثير ٦ / ٢٤٩. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠. وكنز العمال ١٣ / ٢٦. والصواعق المحرقة ص ٢٨.

<sup>٨٨٥</sup> (٢). كنز العمال ١٣ / ٢٧. ومنتخبه ٥ / ٣١٢.

<sup>٨٨٦</sup> (٣). صحيح مسلم بشرح النووي ١٢ / ٢٠٢. والصواعق المحرقة ص ١٨. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠.

<sup>٨٨٧</sup> (٤). كنز العمال ١٣ / ٢٧.

<sup>٨٨٨</sup> (٥). كنز العمال ١٣ / ٢٧ عن ابن التجار.

ح- وفى رواية قال ابن مسعود: قال رسول الله:

«يكون بعدى من الخلفاء عدّة أصحاب موسى»<sup>٨٩٠</sup>.

قال ابن كثير: (وقد روى مثل هذا عن عبد الله بن عمرو وحذيفة وابن عباس)<sup>٨٩١</sup>. ولست أدري هل قصد من رواية ابن عباس ما رواه الحاكم الحسكاني عن ابن عباس أو غيره.

نصت الروايات الالفئة أنّ عدد الولاة اثنا عشر وأنهم من قريش، وقد بين الامام علىّ فى كلامه المقصود من قريش وقال:

(إنّ الائمة من قريش غرسوا فى هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم ولا يصلح الولاة من غيرهم)<sup>٨٩٢</sup>. وقال:

(اللهم بلى لا تخلو الارض من قائم لله بحجةٍ إمّا ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيئاته...)<sup>٨٩٣</sup>.

ص: ٥٢٩

وقال ابن كثير:

(وفى التوراة التى بأيدى أهل الكتاب ما معناه: أن الله تعالى بشر إبراهيم بإسماعيل وأنه ينميه ويكثره ويجعل من ذريته اثنى عشر عظيما).

وقال:

(قال ابن تيمية: وهؤلاء المبشر بهم فى حديث جابر بن سمرة وقرّر أنّهم يكونون مفرقين فى الامة ولا تقوم الساعة حتّى يوجدوا).

وغلط كثير ممن تشرف بالاسلام من اليهود فظنوا أنّهم الذين تدعو إليهم فرقة الرافضة فاتبعوهم.<sup>٨٩٤</sup>

<sup>٨٨٩</sup> (١). مسند أحمد ١/ ٣٩٨ و ٤٠٦.

قال أحمد شاعر فى هامش الاوّل: إسناده صحيح.

ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبي ٤/ ١٠٥. وفتح الباري ١٦/ ٣٣٩ مختصرا. ومجمع الزوائد ٥/ ١٩٠. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٢. وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٠. والجامع الصغير له ١/ ٧٥. وكنز العمال للمتقى ١٣/ ٢٧.

وقال: أخرجه الطبراني ونعيم بن حماد فى الفتن.

وفيض القدير فى شرح الجامع الصغير للمناوى ٢/ ٤٥٨. وذكر الخبرين ابن كثير فى تأريخه عن ابن مسعود باب ذكر الائمة الاثنى عشر الذين كلهم من قريش ٦/ ٢٤٨ - ٢٥٠.

<sup>٨٩٠</sup> (٢). ابن كثير ٦/ ٢٤٨. وكنز العمال ١٣/ ٢٧. وراجع شواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٤٥٥، ح ٦٢٦.

<sup>٨٩١</sup> (٣). ابن كثير ٦/ ٢٤٨.

<sup>٨٩٢</sup> (٤). نهج البلاغة، الخطبة ١٤٢.

<sup>٨٩٣</sup> (٥). ينابيع المودة للشيخ سليمان الحنفى فى الباب المائة ص ٥٢٣. وراجع إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٥٤. وفى حلية الاولياء ١/ ٨٠ بإيجاز.



قال المؤلف:

والبشارة المذكورة أعلاه في سفر التكوين، الاصحاح (١٧/ الرقم: ١٨- ٢٠) من التوراة المتداولة في عصرنا . وقد جاءت هذه البشارة في الاصل العبري كالآتي:

جاء في سفر التكوين قول (الربّ) لابراهيم (ع) ما نصّه بالعبرية:

نمایش تصویر

٨٩٥

وتعنى حرفيا:

«وإسماعيل الطيحه، واثمره، وأكثره جدًا جدًا، اثنا عشر إماما يلد، وأجعله أمة كبيرة».

ص: ٥٣٠

نمایش تصویر

أشارت هذه الفقرة إلى أنّ المباركة، والاثمار والتكثير إنّما يكون في صلب إسماعيل (ع) و «شنييم عسار» تعنى «اثنا عشر»، ولفظة «عسار» تأتي في «العدد التركيبي إذا كان ال معدود مذكرا»،<sup>٨٩٦</sup> والمعدود هنا «نسيثيم» وهو مذكّر وبصيغة الجمع لاضافة ال- (يم) في آخر الاسم، والمفرد «ناسي» وتعنى: «إمام، زعيم، رئيس».<sup>٨٩٧</sup>

وأما قول (الربّ) لابراهيم (ع) في الفقرة نفسها أيضا:

«في نيتيف كوى كدول»، نلاحظ أنّ «في نيتيف» مكوّنة من حرف العطف (في)، والفعل (ناتن) بمعنى: (أجعل، أذهب)،<sup>٨٩٨</sup> والضمير «يف» في آخر الفعل «نيتيف» يعود على إسماعيل (ع)، أى «وأجعله»، وأما كلمة (كوى) فتعنى: «أمة، شعب».<sup>٨٩٩</sup>

<sup>٨٩٤</sup> (١). تاريخ ابن كثير ٢٤٩ / ٦ - ٢٥٠.

<sup>٨٩٥</sup> (٢). «العهد القديم» سفر التكوين ٢٠: ١٧، ص ٢٢-٢٣.

<sup>٨٩٦</sup> (١). «المعجم الحديث» عبري- عربي ص ٣١٦.

<sup>٨٩٧</sup> (٢). المصدر السابق ص ٣٦٠.

<sup>٨٩٨</sup> (٣). المصدر السابق ص ٣١٧.

و «كدول» تعني: «كبير، عظيم»،<sup>٩٠٠</sup> فتصبح (وأجعله أمة كبيرة)، فيتضح من هذه الفقرة أن التكثير والمباركة إنما هما في صلب إسماعيل (ع)، مما يجعل القصد واضحا في الرسول محمد (ص) وأهل بيته (ع) باعتبارهم امتدادا لنسل إسماعيل (ع)، ذلك لأن الله (تعالى) أمر إبراهيم بالخروج من بلاد «نمرود» إلى الشام، فخرج ومعه امرأته «سارة»

ص: ٥٣١

و «لوط»، مهاجرين إلى حيث أمرهم الله (تعالى)، فنزلوا أرض فلسطين . ووسع الله (تعالى) على إبراهيم (ع) في كثرة المال، فقال: «ربّ ما أصنع بالمال ولا ولد لي»، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه «إني مكثرت ولدك حتى يكونوا عدد النجوم». وكانت «هاجر» جارية لسارة، فوهبتها لابراهيم (ع)، فحملت منه، وولدت له إسماعيل (ع)، وإبراهيم عليه السلام يومئذ ابن «ستّ وثمانين سنة».<sup>٩٠١</sup>

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الحقيقة من خلال توجّه إبراهيم (ع) بالدعاء إلى الله تعالى: رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ،<sup>٩٠٢</sup> فالآية الكريمة تؤكد أن إبراهيم (ع) قد أسكن بعضا من ذريته وهو إسماعيل (ع) ومن ولد منه في مكة ودعا الله تعالى أن يجعل في ذريته الرحمة والهداية للبشرية ما بقي الدهر، فاستجاب الله لدعوته بأن جعل في ذريته محمدا (ص) واثنى عشر إماما من بعده. وقد قال الامام الباقر (ع):

«نحن بقية تلك العترة وكانت دعوة إبراهيم لنا».<sup>٩٠٣</sup>

خلاصة الاحاديث الانفة:

نستخلص مما سبق ونستنتج: أن عدد الائمة في هذه الامّة اثنا عشر على التوالي، وأنّ بعد الثاني عشر منهم ينتهي عمر هذه الدنيا.

فقد جاء في الحديث الاول:

«لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر

ص: ٥٣٢

خليفة...».

<sup>٩٩٩</sup> (٤). المصدر السابق ص ٨٤.

<sup>٩٠٠</sup> (٥). المصدر السابق ص ٨٢.

<sup>٩٠١</sup> (١). تأريخ اليعقوبي ١/ ٢٤-٢٥، مؤسسة نشر ثقافة أهل البيت (قم).

<sup>٩٠٢</sup> (٢). سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

<sup>٩٠٣</sup> (٣). نقلنا ما جاء في الاصل العبري من التوراة والتعليق عليها من مقال للأستاذ أحمد الواسطي في مجلّة التوحيد، إصدار منظمة الاعلام الا سلامي في

طهران، العدد ٥٤، ص ١٢٧-١٢٨.

فإنّ هذا الحديث يعيّن مدّة قيام الدين ويحدّدّها بقيام الساعة، ويعيّن عدد الاثني عشر في هذه الامّة باثني عشر شخصا . وفي الحديث الخامس:

«لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش فإذا هلكوا ماجت الارض بأهلها».

ويدلّ هذا الحديث على تأييد وجود الدين بامتداد الاثني عشر وأنّ بعدهم تموج الارض.

وفي الحديث الثامن: حصر عددهم بإثني عشر بقوله:

«يكون بعدى من الخلفاء عدّة أصحاب موسى».

ويدلّ هذا الحديث على أنّه لا خليفة بعد الرسول عدا الاثني عشر . وأنّ ألفاظ هذه الروايات المصرّحة بحصر عدد الخلفاء بالاثني عشر وأنّ بعدهم يكون الهرج وتموج الارض وقيام الساعة تبيّن ألفاظ الاحاديث الاخرى التي قد لا يفهم من ألفاظها هذا التصريح.

وبناء على هذا لا بدّ أن يكون عمر أحدهم طويلا خارقا للعادة في أعمار البشر كما وقع فعلا في مدّة عمر الثاني عشر من الائمة أوصياء النبيّ (ص).

حيرتهم في تفسير الحديث:

لقد حار علماء مدرسة الخلفاء في بيان المقصود من الاثني عشر في الروايات المذكورة وتضاربت أقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذى:

(فعددنا بعد رسول الله (ص) اثني عشر أميرا فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، عليّا، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن

ص: ٥٣٣

محمد بن مروان، السّفاح ...».

ثمّ عدّ بعده سبعا وعشرين خليفة من العباسيين إلى عصره، ثمّ قال:

(وإذا عددنا منهم اثني عشر، انتهى العدد بالصورة إلى سليمان وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الاربعة وعمر بن عبد العزيز ولم أعلم للحديث معنى).<sup>٩٠٤</sup>

وقال القاضي عياض في جواب القول: أنّه ولي أكثر من هذا العدد:

<sup>٩٠٤</sup> (١). شرح ابن العربي على سنن الترمذى ٩ / ٦٨ - ٦٩.

«هذا اعتراض باطل، لأنه (ص) لم يقل: لا يلي إلا اثنا عشر، وقد ولي هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم». ٩٠٥

ونقل السيوطى فى الجواب:

(أن المراد: وجود اثني عشر خليفة فى جميع مدّة الاسلام إلى القيامة يعملون بالحقّ وإن لم يتوالوا). ٩٠٦

وفى فتح البارى:

(وقد مضى منهم الخلفاء الاربعة ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة). ٩٠٧

وقال ابن الجوزى:

(وعلى هذا فالمراد من «ثمّ يكون الهرج»: الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده). ٩٠٨

قال السيوطى:

ص: ٥٣٤

(وقد وجد من الاثنى عشر الخلفاء الاربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضمّ إليهم المهديّ العباسى لأنه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى الامويين، والظاهر العباسى أيضا لما اوتيه من العدل ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهديّ لأنه من أهل البيت). ٩٠٩

وقيل:

(المراد: أن يكون الاثنا عشر فى مدّة عزّة الخلافة وقوّة الاسلام واستقامة اموره، ممّن يعزّ الاسلام فى زمنه، ويجتمع المسلمون عليه). ٩١٠

وقال البيهقى:

٩٠٥ (٢). شرح النووى على مسلم ١٢/٢٠١-٢٠٢. وفتح البارى ١٦/٣٣٩، واللفظ منه، وكرّره فى ص ٣٤١.

٩٠٦ (٣). تأريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢.

٩٠٧ (٤). فتح البارى ١٦/٣٤١. وتأريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢.

٩٠٨ (٥). همان.

٩٠٩ (١). الصواعق المحرقة ص ١٩. وتأريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٢. وعلى هذا يكون لاتباع مدرسة الخلفاء، إمامان منتظران أحدهما المهديّ، فى مقابل منتظر واحد لاتباع مدرسة أهل البيت.

٩١٠ (٢). أشار إليه النووى فى شرح مسلم ١٢/٢٠٢-٢٠٣. وذكره ابن حجر فى فتح البارى ١٦/٣٣٨-٣٤١. والسيوطى فى تأريخ الخلفاء ص ١٠.

(وقد وجد هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة ثم ظهر ملك العباسية، وإنما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور).<sup>٩١١</sup>

وقالوا:

(والذين اجتمعوا عليه : الخلفاء الثلاثة ثم على إلى أن وقع أمر الحكيم في ص فبين فتسمي معاوية يومئذ بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ولم ينتظم للحسين أمر بل قتل قبل ذلك،

ص: ٥٣٥

ثم لما مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الاربع : الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد ابن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد هشام تولى أربع سنين).<sup>٩١٢</sup>

بناء على هذا فإن خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لاجماع المسلمين عليهم وكان الرسول قد بشر المسلمين بخلافتهم له في حمل الاسلام إلى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: (إنه أرجح الوجه).

وقال ابن كثير:

(إن الذي سلكه البيهقي ووافق عليه جماعة من أن المراد هم الخلفاء المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنه مسلک فيه نظر، وبيان ذلك أن الخلفاء إلى زمن الوليد بن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير، وبرهانه أن الخلفاء الاربعة، أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً خلافتهم محققة ... ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق ... حتى اصطلح هو ومعاوية ... ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم ابنه عبد الملك بن مروان، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد ابن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد ابن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاثني عشر يزيد بن

ص: ٥٣٦

معاوية ويخرج عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الائمة على شكره وعلى مدحه وعدوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الايام حتى الرافضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الائمة

<sup>٩١١</sup> (٣). نقله ابن كثير في تأريخه ٦ / ٢٤٩ عن البيهقي.

<sup>٩١٢</sup> (١). تأريخ الخلفاء ص ١١. والصواعق ص ١٩. وفتح الباري ١٦ / ٣٤١.

عليه لزمه على هذا القول أن لا يعدّ عليّ بن أبي طالب ولا ابنه، لأنّ الناس لم يجتمعوا عليهما وذلك أن أهل الشام بكما لهم لم يبايعوهما.

وذكر:

أنّ بعضهم عدّ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، لأنّ الامّة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عادة للخلفاء الثلاثة، ثمّ معاوية، ثمّ يزيد، ثمّ عبد الملك، ثمّ الوليد بن سليمان، ثمّ عمر بن عبد العزيز، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، فهؤلاء عشرة، ثمّ من بعدهم الوليد بن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه إخراج عليّ وابنه الحسن، وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنّة بل الشيعة.<sup>٩١٣</sup>

ونقل ابن الجوزي في كشف المشكل وجهين في الجواب:

أولاً:

(أنّه (ص) أشار في حديثه إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وإنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنّه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بنى امية، وكأنّ قوله : «لا يزال الدين» أى الولاية إلى أن يلى اثنا عشر خليفة، ثمّ ينتقل إلى صفة اخرى أشدّ من الاولى، وأول بنى امية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار، وعدّتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف في صحبته، أو لأنّه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على

ص: ٥٣٧

عبد الله بن الزبير، صحّت العدة، وعند خروج الخلافة من بنى امية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة حتّى استقرّت دولة بنى العباس فتغيّرت الاحوال عمّا كانت عليه تغييراً بيّناً).<sup>٩١٤</sup>

وقد ردّ ابن حجر في فتح البارى على هذا الاستدلال.

ونقل ابن الجوزي الوجه الثانى عن الجزء الذى جمعه أبو الحسين بن المنادى فى المهدي، وأنّه قال :

(يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذى يخرج فى آخر الزمان، فقد وجدت فى كتاب دانيال : إذا مات المهدي، ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الاكبر، ثمّ خمسة من ولد السبط الاصغر، ثمّ يوصى آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الاكبر، ثمّ يملك بعده ولده فيتمّ بذلك اثنا عشر ملكاً كلّ واحد منهم إمام مهديّ، قال : وفى رواية ... ثمّ يلى الامر بعده اثنا عشر رجلاً: سنّة من ولد الحسن، وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثمّ يموت فيفسد الزمان).

علّق ابن حجر على الحديث الاخير فى صواعقه وقال :

<sup>٩١٣</sup> (١) تاريخ ابن كثير ٦ / ٢٤٩ - ٢٥٠.

<sup>٩١٤</sup> (١) فتح البارى ١٦ / ٣٤٠، عن ابن الجوزي فى كتابه (كشف المشكل).

(إنَّ هذه الرواية واهية جدًا فلا يعول عليها).<sup>٩١٥</sup>

وقال قوم:

(يغلب على الظنَّ أنه عليه الصلاة والسلام أخبر - في هذا الحديث - بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتَّى يفترق الناس في وقت واحد على اثني عشر أميرًا، ولو أراد غير هذا لقال: يكون اثنا عشر أميرًا يفعلون كذا، فلمَّا أعراهم عن الخبر عرفنا أنه أراد أنَّهم يكونون في زمن واحد ...).<sup>٩١٦</sup>

ص: ٥٣٨

قالوا:

(وقد وقع في المائة الخامسة، فإنَّه كان في الاندلس وحدها ستَّة أنفس كلَّهم يتسمَّى بالخلافة ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدعى الخلافة في أقطار الارض من العلوية والخوارج).<sup>٩١٧</sup>

قال ابن حجر:

(وهو كلام من لم يقف على شيء من طرق الحديث غير الرواية التي وقعت في البخارى هكذا مختصرة ...).<sup>٩١٨</sup> وقال:

(إنَّ وجودهم في عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا يصحَّ أن يكون المراد).<sup>٩١٩</sup>

\*\*\*

قال المؤلّف:

هكذا لم يتفقوا على رأى في تفسير الروايات السابقة، ثمَّ إنَّهم أهملوا إيراد الروايات التي ذكر الرسول (ص) أسماء الاثني عشر لأنَّها كانت تخالف سياسة الحكم بمدرسة الخلفاء مدى القرون . وخرَّجها المحدثون بمدرسة أهل البيت في تأليفهم بسندهم إلى أبرار الصحابة عن رسول الله (ص) وقتصر هنا على إيراد نزر يسير منها في ما يأتي ممَّا رواه الفريقان:

أسماء الاثني عشر لدى مدرسة الخلفاء:

أ- الجويني<sup>٩٢٠</sup> عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله: أنا سيّد

<sup>٩١٥</sup> (٢). فتح البارى ١٦ / ٣٤١. والصواعق المحرقة لابن حجر ص ١٩.

<sup>٩١٦</sup> (٣). فتح البارى ١٦ / ٣٣٨.

<sup>٩١٧</sup> (١). شرح النووى ١٢ / ٢٠٢. وفتح البارى ١٦ / ٣٣٩، واللفظ للاخير.

<sup>٩١٨</sup> (٢). فتح البارى ١٦ / ٣٣٨.

<sup>٩١٩</sup> (٣). فتح البارى ١٦ / ٣٣٩.

النَّبِيِّ وَعَلَىٰ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، وَأَنَّ أَوْصِيَاءِي بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ، أَوْلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَآخِرُهُمُ الْمَهْدِيُّ.

ب- الجويني - أيضا- بسنده عن ابن عباس، قال : قال رسول الله : إِنَّ خَلْفَائِي وَأَوْصِيَاءِي وَحُجَجَ اللَّهِ عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي الْإِثْنَيْ عَشَرَ أَوْلَهُمْ أَخِي وَآخِرُهُمْ وَلَدِي.

قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟

قال: علي بن أبي طالب.

قيل: فمن ولدك؟

قال: المهدي الذي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما . والذي بعثني بالحق بشيرا ونذيرا لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوّلَ اللهُ ذلكَ اليومَ حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه، وتشرق الارض بنور ربّها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب.

ج- الجويني - أيضا- بسنده قال : سمعت رسول الله (ص) يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون.<sup>٩٢١</sup>

\*\*\*

اقتضت سياسة الحكم لدى مدرسة الخلفاء مدى القرون إخفاء أمثال

الاحاديث الانفة عن أبناء الامّة الاسلامية وإسدال الستار عليها. وجاهد القسم الاكبر من أتباع مدرستهم في هذا السبيل كما مرّ بنا فعلهم بأمثالها في بحث دراسة عمل مدرسة الخلفاء بنصوص سنّة الرسول (ص) التي تخالف

أتجاهها.

وليس هذا مجال إيراد تلكم الاحاديث، وإنما نذكر في ما يأتي تراجم الاثني عشر الذين تواترت الاشارة إليهم والتنصيب على أسمائهم في أحاديث الرسول (ص):

تراجم الائمة الاثني عشر بعد الرسول (ص):

<sup>٩٢٠</sup> (٤) قال الذهبي في ترجمة شيوخه بتذكرة الحفاظ ص ١٥٠٥: الامام المحدث الاوحد، الاكمل، فخر الاسلام، صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حمويه

الجويني النافعي، شيخ الصوفية . وكان شديد الاعتناء بالرواية وتحصيل الاجزاء. أسلم على يده غازان الملك.

<sup>٩٢١</sup> (١) . الاحاديث أ، ب، ج جاءت في فرائد السمطين نسخة مصورة مخطوطة في المكتبة المركزية لجامعة طهران برقم ١١٦٤ / ١٦٩٠ - ١٦٩١ الورقة ١٦٠.



## الامام الاول:

أمير المؤمنين علي (ع).

أبوه: أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم.

أمه: فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

كنيته: أبو الحسن والحسين، أبو تراب.

لقبه: الوصي، أمير المؤمنين.

مولده: ولد في الكعبة بيت الله الحرام،<sup>٩٢٢</sup> سنة ثلاثين بعد عام الفيل.

وفاته: قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة في رمضان سنة أربعين للهجرة . ودفن خارج الكوفة في النجف الاشرف.

## الامام الثاني:

الحسن بن علي بن أبي طالب.

أمه: فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص).

كنيته: أبو محمد.

ص: ٥٤١

لقبه: السبط الاكبر، المجتبي.

مولده: ولد في المدينة في النصف من رمضان سنة ثلاث بعد الهجرة.

وفاته: توفي لخمس ليالٍ بقين من ربيع الاول سنة خمسين للهجرة ودفن بالبقيع في المدينة المنورة.

## الامام الثالث:

الحسين بن علي بن أبي طالب.

<sup>٩٢٢</sup> (١). إن أمه فاطمة بنت أسد كانت تطوف بالبيت وهي حامل بعلي (ع) فضربها الطلق ففتحت لها باب الكعبة فدخلت فوضعت فيها، المستدرک ٣ / ٤٨٣.

وراجع تذكرة خواص الامّة ص ١٠. والمناقب لابن المغازي ص ٧.

أمّه: فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص).

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: السبط، شهيد كربلاء.

مولده: ولد في المدينة في شعبان سنة أربع للهجرة.

وفاته: قتله جيش الخليفة يزيد مع أهل بيته وأنصاره في محرّم سنة إحدى وستين. وقبره في كربلاء من مدن العراق.<sup>٩٢٣</sup>

### الامام الرابع:

عليّ بن الحسين الشهيد.

أمّه: غزّالة، وقيل: شاه زنان.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: زين العابدين، السجّاد.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان وثلاثين أو سبع وثلاثين أو ثلاث وثلاثين.

ص: ٥٤٢

وفاته: توفّي سنة أربع وتسعين للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب عمّه الحسن السبط.<sup>٩٢٤</sup>

### الامام الخامس:

محمد بن عليّ السجّاد.

أمّه: أمّ عبد الله بنت الحسن بن عليّ.

كنيته: أبو جعفر.

---

<sup>٩٢٣</sup> (١). راجع تراجم الائمة، على وابنيه الحسن والحسين (ع) في ذكر حوادث سنة ٤٠ و ٥٠ و ٦٠ للهجرة بتأريخ الطبرى. وابن الاثير والذهبي وابن كثير .

وفي ذكر تراجمهم بتأريخ بغداد ودمشق . والاستيعاب واسد الغابة والاصابة . وطبقات ابن سعد، ولم يطبع في المطبعة الاوربية والبيروتية من طبقات ابن سعد ترجمة السبطين وإنما طبع بعد ذلك.

<sup>٩٢٤</sup> (١). راجع ترجمته في ذكر حوادث سنة ٩٤ ه بتأريخ ابن الاثير وابن كثير والذهبي.

وترجمته بطبقات ابن سعد وحلية الاولياء. ووفيات الاعيان. وتأريخ يعقوبى ٢ / ٣٠٣.

والمسعودى ٣ / ١٦٠.

لقبه: الباقر.

مولده: ولد في المدينة سنة خمس وأربعين للهجرة.

وفاته: توفي سنة سبع عشرة ومائة للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب أبيه.<sup>٩٢٥</sup>

#### الامام السادس:

جعفر بن محمد الباقر.

أمه: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر.

كنيته: أبو عبد الله.

لقبه: الصادق.

مولده: ولد في المدينة سنة ثلاث وسبعين للهجرة.

#### ص: ٥٤٣

وفاته: توفي سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة. ودفن في البقيع إلى جانب أبيه.<sup>٩٢٦</sup>

#### الامام السابع:

موسى بن جعفر الصادق.

أمه: حميدة.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: الكاظم.

مولده: ولد في المدينة سنة ثمان وعشرين ومائة للهجرة.

---

<sup>٩٢٥</sup> (٢). راجع ترجمته بتذكرة الحفاظ للذهبي . ووفيات الاعيان . وصفوة الصفوة . وحمية الاولياء . وتأريخ اليعقوبى ٢ / ٣٢٠ . وتأريخ الاسلام للذهبي . وتأريخ

ابن كثير فى ذكرهما حوادث سنة ١١٥ ، ١١٧ و ١١٨ .

<sup>٩٢٦</sup> (١) . راجع ترجمته بحلية الاولياء ووفيات الاعيان وتأريخ اليعقوبى ٢ / ٣٨١ .

والمسعودى ٣ / ٣٤٤ .

وفاته: توفّي سنة ثلاث وثمانين ومائة للهجرة في سجن الخليفة هارون الرشيد ببغداد . ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي من بغداد يومذاك، وفي مدينة الكاظمية في العراق اليوم.<sup>٩٢٧</sup>

### الامام الثامن:

علي بن موسى الكاظم.

أمّه: الخيزران.

كنيته: أبو الحسن.

لقبه: الرضا.

مولده: ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة في المدينة المنورة.

ص: ٥٤٤

وفاته: توفّي سنة ثلاث ومائتين. ودفن بطوس خراسان.<sup>٩٢٨</sup>

### الامام التاسع:

محمد بن عليّ الرضا.

أمّه: سكينه.

كنيته: أبو عبد الله .

لقبه: الجواد.

مولده: ولد سنة خمس وتسعين ومائة للهجرة في المدينة المنورة.

وفاته: توفّي سنة مائتين وعشرين للهجرة ببغداد. ودفن إلى جانب جدّه موسى بن جعفر بمقابر قريش.<sup>٩٢٩</sup>

### الامام العاشر:

<sup>٩٢٧</sup> (٢). راجع ترجمته في مقاتل الطالبين. وتأريخ بغداد. ووفيات الاعيان. وصفوة الصفوة.

وتأريخ ابن كثير ١٨ / ٢. وتأريخ اليعقوبي ١٤ / ٢.

<sup>٩٢٨</sup> (١). راجع ترجمته بتأريخ الطبري. وابن الاثير. وتأريخ الاسلام للذهبي. وتأريخ ابن كثير في ذكر حوادث سنة ٢٠٣ هـ. ووفيات الاعيان. وتأريخ اليعقوبي

٢ / ٤٥٣. والمسعودي ٣ / ٤٤١.

<sup>٩٢٩</sup> (٢). راجع ترجمته بتأريخ بغداد ٣ / ٥٤. ووفيات الاعيان. وشذرات الذهب ٢ / ٤٨. والمسعودي ٣ / ٤٤٤.

على بن محمد الجواد.

أمّه: سمّانة المغربية.

كنيته: أبو الحسن العسكري.

لقبه: الهادي.

مولده: سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة في المدينة المنورة.

وفاته: توفي سنة أربع وخمسين ومائتين. ودفن بمدينة سامراء (سرّ من

ص: ٥٤٥

رأى) بالعراق.<sup>٩٣٠</sup>

الامام الحادي عشر:

الحسن بن عليّ الهادي.

أمّه: أمّ ولد اسمها سوسن.

كنيته: أبو محمد.

لقبه: العسكري.

مولده: ولد سنة إحدى وثلاثين ومائتين في سرّ من رأى.

وفاته: توفي سنة ستين ومائتين. ودفن في سرّ من رأى.<sup>٩٣١</sup>

وقبور جميع الائمة الاحد عشر المذكورين يزورها المسلمون اليوم وعليها قباب عالية عدا الائمة الاربعة المدفونين في البقيع بالمدينة المنورة، فإنّ الحكم الوهابي لمّا دخل المدينة هدمها مع سائر قبور أزواج الرسول (ص) وقبور صحابته.

الامام الثاني عشر:

المهدي، محمد بن الحسن العسكري.

<sup>٩٣٠</sup> (١). راجع ترجمته بتأريخ بغداد ١٢ / ٥٦. ووفيات الاعيان. وتأريخ اليعقوبي ٢ / ٤٨٤. والمسعودي ٤ / ٨٤.

<sup>٩٣١</sup> (٢). راجع ترجمته في وفيات الاعيان. وتذكرة خواصّ الامة لسبط ابن الجوزي الحنفى.

ومطالب السؤل في مناقب آل الرسول للشيخ كمال الدين محمد بن طلحة الشافعى (ت: ٦٥٤ هـ). وتأريخ اليعقوبي ٢ / ٥٠٣.

أمّه: أمّ ولد يقال لها نرجس، وقيل: صيقل.

كنيته: أبو عبد الله، أبو القاسم.

لقبه: القائم، المنتظر، الخلف، المهدي، صاحب الزمان.

ص: ٥٤٦

مولده: ولد في سامراء سنة خمس وخمسين ومائتين.

وهو آخر الائمة، وهو حيّ يرزق.<sup>٩٣٢</sup>

تنبيه مهم:

جاء في إحدى الروايات الماضية:

«... يمضى منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، ثم يكون المرح والهرج». وفي اخرى:

«لن يزال هذا الدين قائما إلى اثني عشر من قريش، فإذا هلكوا ماجت الارض بأهلها».

وكلا اللفظين يدلان على نهاية العالم بعد الثاني عشر ممّن يأتون من بعد النبيّ (ص)، وعلى هذا فلا بدّ أن يطول عمر أحد الاثني عشر إلى نهاية الدنيا، وهذا ما وقع فعلا بطول عمر الوصيّ الثاني عشر المهدي، محمد بن الحسن العسكري (ع)، فإنّ مجموع الروايات يصدق على الائمة الاثني عشر (ع) المذكورين ولا يصدق على من سواهم. والحمد لله.

ص: ٥٤٧

الفصل الرابع: خلاصة بحث الإمامة لدى المدرستين

ص: ٥٤٨

الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام.

أقوال مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة.

<sup>٩٣٢</sup> (١). تذكرة خواص الائمة لسبط ابن الجوزي. ومطالب السؤل. ووفيات الاعيان.

مناقشة مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والامامة.

الاستدلال بكلام الامام على (ع).

وجوب طاعة الحكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية.

الامامة لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أوصياء النبي (ص) الاثنا عشر من بعده.

إتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرنا.

ص: ٥٤٩

الواقع التاريخي لاقامة الخلافة في صدر الاسلام

ينبغي أن ندرس الواقع التاريخي لاقامة الخلافة قبل البدء بعرض آراء المدرستين في الخلافة والامامة.

بداية الامر:

عقد رسول الله في مرض وفاته لواء بيده لمولاه اسامة بن زيد، وأمره على جيش فيه المهاجرون والانصار، مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص، فعسكر بالجرف وغضب عليهم لما تكلموا في تأميره اسامة عليهم وقال: إنه لخليق بالامارة، فذهبوا إلى معسكرهم وثقل رسول الله فجاء اسامة وودّعه، وقال الرسول : أنفذوا بعث اسامة، وفي ما همّوا بالرحيل يوم الاثنين جاءهم الخبر أن الرسول قد حُضر،<sup>٩٣٣</sup> فلُقبِلوا إلى المدينة، وحضروا في بيت الرسول فقال: هلمّوا أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا . فقال عمر: إن النبيّ غلبه الوجد وعندكم كتاب الله، فحسبنا كتاب الله، فلمّا أكثروا اللغظ والاختلاف قال: قوموا عنّي، لا ينبغي عند نبيّ التنازع.

قال ابن عباس: فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ التنازع، فقالوا: هجر رسول الله، وبكى ابن عباس حتى خضب دمه الحصباء.

ص: ٥٥٠

موقف الخليفة عمر:

<sup>٩٣٣</sup> (١). حُضِرَ: حضره الموت.

توفى الرسول وأبو بكر غائب بالسنح فأخذ عمر يقول: ما مات رسول الله ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى وغاب عن قومه أربعين ليلة، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال يزعمون أنه مات . وقال: من قال إنه مات علوت رأسه بسيفي، فتلوا عليه الآية: **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ** آل عمران / ١٤٤.

وقال له العباس: إن رسول الله قد مات، هل عند أحدكم عهد من رسول الله في وفاته فليحدثنا.

لم ينته عمر من كلامه وتهديده حتى ازبد شذفاه، ولما أقبل الخليفة أبو بكر وتلا الآية **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ** ...، سكت عمر.

### سقيفة بنى ساعدة وبيعة أبي بكر:

اجتمعت الانصار في سقيفة بنى ساعدة وجثمان رسول الله (ص) بين أهله يغسلونه، وأخرجوا سعد بن عبادة - وكان مريضا - فذكر سابقة الانصار وقال: استبدوا بهذا الامر، فأجابوا: قد وقفت في الرأي ولن نعدو ما رأيت، نوليك هذا الامر . فسمع بذلك أبو بكر وعمر فأسرعا مع جماعتهما إلى السقيفة، وذكر أبو بكر سابقة المهاجرين وقال: هم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الامر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم.

فقال الحباب بن المنذر: يا معشر الانصار املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم ولن يجترئ مجترئ على خلافكم فإن أبي هؤلاء إلا ما سمعتم، فمننا أمير ومنهم أمير.

فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ... لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم.

### ص: ٥٥١

وهدد أحدهما الآخر بالقتل.

فقاتلت الانصار أو بعض الانصار: لا نبايع إلا عليا . فتخوف عمر من الاختلاف وقال لابي بكر: ابسط يدك ابايعك . وسبقه بشير بن سعد وبايع، فإداه الحباب بن المنذر: عقت عقاق أنفست على ابن عمك الامارة!؟

وبايع عمر وأبو عبيدة، وقالت الاوس: لئن وليتها الخزرج مرة لا زالت لهم الفضيلة عليكم وما جعلوا لكم فيها نصيبا، فبايعوا أبا بكر، فانكسر على سعد ابن عبادة والخزرج وكادوا يطأون سعد بن عبادة، فقال أصحابه: اتقوا سعدا لا تطأوه.

فقال عمر: اقتلوه قتله الله.

ثم قام على رأسه فقال: لقد هممت أن أطأك حتى تندر<sup>٩٣٤</sup> غُضوك. فأخذ قيس ابن سعد بلحية عمر فقال: والله لو حصصت منه شعرة ما رجعت وفي فيك واضحة.

فقال أبو بكر: مهلا يا عمر، الرفق ها هنا أبلغ. فأعرض عنه عمر.

<sup>٩٣٤</sup> (١). تندر غُضوك: تسقط أعضاؤك.



فحمل سعد إلى بيته.

واخرج أبو بكر من السقيفة، وجاءت قبيلة أسلم فبايعت، فانتصر بهم أبو بكر، وأقبلت الجماعة تزفّه إلى مسجد رسول الله (ص). فصعد المنبر، وشغلوا عن دفن رسول الله حتّى كان يوم الثلاثاء، فجاؤوا إلى المسجد ثانية فجلس أبو بكر على منبر رسول الله ووقف عمر وقال: إنّ قوله بالامس لم يكن من كتاب الله ولا عهدا من رسوله، ولكنّه كان يرى أنّ الرسول (ص) سيدبر أمرهم ويكون آخرهم، وإنّ الله أبقي فيهم القرآن يهتدون به، وقد جمع أمركم على صاحب رسول الله، قوموا فبايعوه، فبايعه الناس عندئذ بعد بيعة السقيفة، ثمّ خطب أبو بكر فقال:

قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن

ص: ٥٥٢

أحسنّت فأعينوني ....

شغلوا عن رسول الله بقيّة الاثنيين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء، وصلى المسلمون على رسول الله زمرا زمرا، وخطى أصحاب رسول الله (ص) بين جثمانه وأهله، فولوا إجماعه.<sup>٩٣٥</sup> ولم يشهد أبو بكر وعمر غسل الرسول (ص) وتكفينه ودفنه.

قالت عائشة: ما علمنا بدفن الرسول حتّى سمعنا صوت المساحي في جوف الليل.

وتخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار وبنو هاشم ومالوا مع عليّ ابن أبي طالب.

فذهبوا إلى العباس ليستميلوه فجابهم بالردّ.

وتحصّن في دار فاطمة جماعة من بني هاشم وجمع من المهاجرين والانصار، فبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم من بيت فاطمة وقال له: إن أبوا فقاتلهم.

فأقبل بقبس نار على أن يضرهم الدار، فلقيتهم فاطمة فقالت: يا ابن الخطاب أجيئت لتحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا في ما دخلت فيه الامّة.

وإليه أشار أبو بكر في مرض موته حين قال:

(أمّا إنّى لا آسى على شيء في الدنيا إلّا على ثلاث فعلتھنّ وددت أنّى لم أفعلنّ ... فوددت أنّى لم أكشف عن بيت فاطمة ولو اغلق على حرب ...).

ثمّ إنّ عليّا حمل فاطمة ليلا إلى بيوت الانصار يسألهم النصره وتسالهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو كان ابن عمك سبق إلينا أبا بكر ما عدلنا به، فيقول عليّ: أفكنت

<sup>٩٣٥</sup> (١). تولّوا دفنه.

ص: ٥٥٣

أترك رسول الله (ص) لم تجهزه وأخرج إلى الناس انازعهم في سلطانه؟ وتقول فاطمة : ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسبيهم.

وكان معاوية يعبر أمير المؤمنين عليًا بهذا الموقف ويقول:

(وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلا على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم بويع أبو بكر الصديق، فلم تدع أحدا من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إلى هم بامرأتك وأدلت إليهم بابنيك واستنصرتهم على صاحب رسول الله ... فلم يجيبك منهم إلا أربعة أو خمسة ... ومهما نسيت فلا أنسى قولك لابي سفيان لما حررك وهيجك: لو وجدت أربعين ذوى عزم لناهضتهم).

وروى البخارى ما دار بين ابنة رسول الله (ص) وأبي بكر وقال:

فهجرني فاطمة فلم تكلمه حتى توفيت بعد ستة أشهر، ودفنها زوجها ولم يؤذن بها أبا بكر، وكان لعل من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت انصرفت وجوه الناس عن علي فلم يبايع علي ستة أشهر ولا أحد من بنى هاشم حتى بايعه علي، فلما رأى علي انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر.

وقال البلاذري: ولم يخرج أحد إلى قتال العدو قبل أن يبايع علي.

وممن تخلف عن بيعة أبي بكر: فروة بن عمرو، وخالد وأبان وعمر بنو سعيد الاموى، فلما بايع بنو هاشم بايعوا.

وسعد بن عباد لم يبايع، وأشار الانصار أن يتركوه فإنه لا يبايع حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته، فتركوه، فقال له عمر في أول خلافته : من كره جوار جار تحول عنه . فذهب إلى الشام، فبعث عمر رجلا فقال له: ادعه إلى البيعة واحتل له، فإن أبي فاستعن الله عليه، فذهب الرجل إلى الشام ووجد سعدا بحوارين من قرى حلب فدعاه

ص: ٥٥٤

إلى البيعة فأبى فرماه بسهم فقتله.

بيعة عمر:

لما حضر أبو بكر دعا عثمان خاليا فقال : اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد- فاغنى عليه- فكتب عثمان: فإني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرا، ثم أفاق أبو بكر فقرأها عليه فأقرها أبو بكر.

ثمّ جاء عمر مع الكتاب إلى مسجد الرسول (ص) وقال للناس: اسمعوا وأطيعوا قول خليفة رسول الله (ص) إنّهُ يقول: إنّى لم ألكم نصحا.

وهكذا بايع الناس عمر.

### الشورى وبيعة عثمان:

لَمَّا طعن عمر قيل له: لو استخلفت. قال: لو كان سالم حيّا لاستخلفته، ولو كان أبو عبيدة حيّا لاستخلفته، ثمّ قال: لاجعلنّها شورى بين سنّة، وعينهم من قريش، وولّى أبا طلحة زيد بن سهل الخزرجى على خمسين من الانصار، وأمر صهيبا أن يصلّى بالناس ثلاثة أيام، فإذا انتهت الايام الثلاثة وأنفقوا على واحد فليضرب أبو طلحة عنق الذى يخالف، وإن اجتمع ثلاثة على رجل وثلاثة على رجل كانوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، وإن صفق عبد الرحمن بإحدى يديه على الاخرى، عليهم أن يتبعوه ومن أبى ضربوا عنقه، فلَمَّا توفّى الخليفة قال عبد الرحمن: إنّى اخرج نفسى منها وسعدا على أن أختار أحدكم فأجابوا إلّا عليّا فإنّه أبى من ذلك ولَمَّا أصرّوا عليه أن يقبل أحلف عبد الرحمن أن لا يميل إلى هوى وأن يؤثر الحقّ وأن لا يحابى ذا قرابة، فحلف له، فقال: اختر مسددا.

ثمّ اجتمعوا فى مسجد الرسول فمدّ يده إلى علىّ وقال:

ص: ٥٥٥

امدد يدك الطيعك على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين .

فقال: أسير فيكم بكتاب الله وسنّة نبيّه ما استطعت.

ثمّ مدّ يده إلى عثمان فوافق على ذلك.

ثمّ مدّ يده إلى علىّ فقال مثل مقالته الاولى، فأجابه مثل الجواب الاول.

ثمّ قال لعثمان مثل المقالة الاولى، فأجابه مثل ما كلن أجابه، ثمّ أتجه إلى علىّ فقال له مثل المقالة الاولى .

فقال الامام على: إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه لا يحتاج معهما إلى طريقة أحد. أنت مجتهد أن تزوى هذا الامر عنى.

فأتجه عبد الرحمن إلى عثمان وأعاد عليه القول، فأجابه مثل الجواب الاول، فصفق على يده وبايعه ، فقال الامام على لعبد الرحمن: حبوته حبة دهر، ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه علينا، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلّا ليردّ الامر عليك، والله كل يوم فى شأن.

وبايع أصحاب الشورى عثمان، وكان علىّ قائما فخرج مغضبا، فقال له عبد الرحمن: بايع وإلّا ضربت عنقك، ولم يكن يومئذ سيف مع أحد، ولحقه أصحاب الشورى فقالوا: بايع وإلّا جاهدناك، فأقبل معهم حتّى بايع عثمان.

بيعة الامام على:

لَمَّا قَتَلَ عِثْمَانَ وَرَجَعَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ وَانْحَلُّوا مِنْ كُلِّ بَيْعَةٍ سَابِقَةٍ، تَهَاوَتْوا عَلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ، اجْتَمَعَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ فِيهِمْ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ فَأَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: هَلُمَّ نَبَايَعُكَ.

فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لِي فِي أَمْرِكُمْ أَنَا مَعَكُمْ، فَمَنْ اخْتَرْتُمْ فَقَدْ رَضِيْتُ بِهِ.

فَقَالُوا: وَاللَّهِ مَا نَخْتَارُ غَيْرَكَ. فَاخْتَلَفُوا إِلَيْهِ مَرَارًا ثُمَّ أَتَوْهُ فِي آخِرِ ذَلِكَ.

فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يَصْلِحُ النَّاسُ إِلَّا بِإِمْرَةٍ وَقَدْ طَالَ الْأَمْرُ، لَا وَاللَّهِ مَا نَحْنُ

ص: ٥٥٦

بِفَاعِلِينَ حَتَّى نَبَايَعُكَ.

قَالَ: فِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّ بَيْعَتِي لَا تَكُونُ خَفِيًّا وَلَا تَكُونُ إِلَّا عَنْ رِضَى الْمُسْلِمِينَ.

فَاجْتَمَعُوا فِي الْمَسْجِدِ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ، وَأَوَّلَ مَنْ صَعَدَ إِلَيْهِ فَبَايَعَهُ طَلْحَةُ ثُمَّ تَتَابَعُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ ثُمَّ سَاطَرَ النَّاسُ فَبَايَعُوا عَلِيًّا.<sup>٩٣٦</sup>

\*\*\*

بَعْدَ هَذَا الْعَرْضِ نَدْرَسُ فِي مَا يَأْتِي آرَاءَ الْمُدْرَسَتَيْنِ فِي أَمْرِ الْإِمَامَةِ وَالْخِلَافَةِ.

ص: ٥٥٧

### أَقْوَالُ مَدْرَسَةِ الْخُلَفَاءِ فِي الْإِمَامَةِ

أَوَّلًا - الْخَلِيفَةُ أَبُو بَكْرٍ، قَالَ يَوْمَ السَّقِيْفَةِ : لَنْ يَعْرِفَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لِهَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ، هُمْ أَوْسَطُ الْعَرَبِ نَسَبًا وَدَارًا، وَقَالَ : رَضِيْتُ لَكُمْ عُمَرَ وَأَبَا عُبَيْدَةَ فَبَايَعُوا أَيُّهُمَا شِئْتُمْ.<sup>٩٣٧</sup>

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ:

هُمْ أَوْلِيَاؤُهُ وَعَشِيرَتُهُ وَأَحَقُّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا يَنْزَعُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا ظَالِمٌ.<sup>٩٣٨</sup>

<sup>٩٣٦</sup> (١). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط. الأولى / ١ - ٢٤٠ - ٢٤١، و ط. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٤ / ٨ - ٩.

<sup>٩٣٧</sup> (١). البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى ٤ / ١٢٠.

ثانيا- قال عمر في السقيفة مخاطبا الانصار:

(والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ووليّ امورهم منهم، ولنا بذلك على من أبي الحجّة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته؟ إلّا مدلّ بباطل أو متجانف لاثم أو متورّط في هلكة).<sup>٩٣٩</sup>

وقال في آخر شهر من عمره عندما بلغه أن أحدهم يقول:

لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانا.

فقال عمر:

ص: ٥٥٨

(من بايع رجلا من المسلمين على غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا).<sup>٩٤٠</sup>

وقال عندما طعن وعين الستة للشورى:

(لو أدركني أحد رجلين فجعلت هذا الامر إليه لو ثققت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة الجراح).<sup>٩٤١</sup>

وقال:

(لو كان سالم حيا ما جعلتها شورى).<sup>٩٤٢</sup>

ثالثا- أتباع مدرسة الخلفاء قالوا:

تنعقد الامامة بعهد الامام من قبل، لأنّ أبا بكر عهد بها لعمر ولم تتوقّف على رضا الصحابة، وتنعقد أيضا باختيار أهل الحلّ والعقد، واختلفوا في عددهم، فمن قائل تنعقد ببيعة خمسة لأنّ الذين بايعوا أبا بكر أيضا كانوا خمسة، ولأنّ عمر جعلها في ستة ليبايع خمسة منهم السادس.

وقال الاكثر منهم: تنعقد بواحد، لأنّ العباس قال لعليّ: امدد يدك ابايع، ولأنّه حكم، وحكم حاكم واحد نافذ.

وقالوا:

<sup>٩٣٨</sup> (٢). تأريخ الطبرى، ط. اوربا ١ / ١٨٤٠.

<sup>٩٣٩</sup> (٣). تأريخ الطبرى، ط. اوربا ١ / ١٨٤١.

<sup>٩٤٠</sup> (١). البخارى، باب رجم الحبلّى ٤ / ١٢٠.

<sup>٩٤١</sup> (٢). طبقات ابن سعد، ط. بيروت، دار صادر ٣ / ٣٤٣.

<sup>٩٤٢</sup> (٣). بترجمة سالم من الاستيعاب واسد الغابة ٢ / ٢٤٤.

(ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمى أمير المؤمنين فلا يحلّ لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبیت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً فهو أمير المؤمنين).<sup>٩٤٣</sup>

ص: ٥٥٩

وروا أن رسول الله (ص) قال:

«تسمع وتطيع للامير وإن ضرب ظهرک وأخذ مالک».

وإن الخليفة لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظ ه وتخويه للاحاديث الواردة بذلك.

كانت هذه آراء أتباع مدرسة الخلافة وينبغي لنا أن ندرس المصطلحات التي تدور في هذا البحث أولاً ثم نناقش الآراء المذكورة.

تعريف المصطلحات:

أولاً- الشورى:

التشاور والمشاورة في لغة العرب: استخراج الرأي بمراجعة البعض البعض الآخر، وبهذا المعنى جاء في قوله تعالى: وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ أى يتشاورون في امورهم فالكلمة ليست مصطلحاً شرعياً.

ثانياً- البيعة:

أ- البيعة في لغة العرب: الصفقة على إيجاب البيع، وصفق يده وعلى يده بالبيعة والبيع: ضرب بيده على يده عند وجوب البيع، وتصافقوا: تباعوا.

وكانت العرب تعقد الحلف والعهد بأساليب مختلفة، مثل أنهم كانوا يضعون أيديهم في جفنة مملوءة طيباً ويتعاهدون على أمر، أو في جفنة مملوءة دماً.

ب- البيعة في الاسلام علامة على معاهدة المبايع المبايع له أن يبذل له الطاعة في ما تقرّر بينهما ويقال: بايعه عليه ملبعة أى: عاهده عليه، قال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ... الفتح / ١٠.

وأول بيعة أخذها رسول الله من المسلمين في العقبة الاولى كانت على

ص: ٥٦٠

<sup>٩٤٣</sup> (٤). راجع قبله بحث الامامة لدى مدرسة الخلافة.

الاسلام.

**والثانية:** البيعة الثانية الكبرى أيضا بالعقبة بايعهم على الحرب لاقامة المجتمع الاسلامى.

وسميت البيعة الاولى ببيعة النساء لان البيعة كانت على الاسلام دونما قتال.

**والبيعة الثالثة:** أخذها تحت الشجرة فى الحديبية عندما ندب الناس إلى العمرة، فخرجوا محرمين للعمرة، ولما صدّتهم قريش عن البيت وتهيأت للقتال، تبدّلت السفرة من العمرة الى القتال وكانت الحالة الثانية مخالفة لما انتدبهم إليها فاقترضت الحال أن يأخذ منهم البيعة على العمل الجديد وغير المعهود، وفعل ذلك وأعطت البيعة ثمرها فى إرعاب أهل مكّة.

وعلى ما ذكرنا قامت البيعة الاولى : على الاسلام دونما قتال، والثانية: على إقامة الدولة الاسلامية والقتال من أجلها، والثالثة: البيعة على القتال فى تلك السفرة. هذا ما كان فى سيرة رسول الله (ص) من أمر البيعة. وجاء فى حديثه (ص) أنه كان يأخذ البيعة على الطاعة فى ما يستطيعون ولم يكن يبايع الغلام غير البالغ شرعا.

ويّضح لنا من دراسة سيرة الرسول (ص) أن للبيعة ثلاثة أركان:

أ- المبايع.

ب- المبايع له.

ج- المعاهدة على الطاعة.

وتقوم البيعة على تفهّم ما يطلب الطاعة بالقيام به ثمّ تتعقد المعاهدة بضرب المبايع على يد المبايع له، والبيعة على هذا مصطلح شرعىّ وشروط تحقّق البيعة وفق الشرع الاسلامى غير واضحة للكثير من المسلمين وهى:

أ- أن يكون المبايع ممّن تصحّ منه البيعة فلا تصحّ من صبيّ أو من مجنون

ص: ٥٦١

لأنّهما غير مكلفين شرعا، وأن يكون مختارا لان البيعة كالبيع لا ينعقد بأخذ المال من صاحبة قهرا ودفع الثمن له، ولا تتعقد البيعة بأخذها بالجبر وبحدّ السيف.

ب- أن لا يكون المبايع له من المتجاهرين بالمعصية لانّ الرسول (ص) قال:

«لا طاعة لمن عصى الله تبارك وتعالى».<sup>٩٤٤</sup>

ج- لا تصحّ البيعة للقيام بما نهى الله عنه وخلافا لاوامره وأوامر الرسول (ص) لانّ الرسول قال:

<sup>٩٤٤</sup> (١). راجع فصل المصطلحات، خامسا: البيعة.

«فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»<sup>٩٤٥</sup>.

ثالثا ورابعا- الخليفة وأمير المؤمنين:

الخلافة في لغة العرب: النيابة عن الغير، والخليفة: من يقوم مقام الغير ويسدّ مسدّه.

وبهذا المعنى جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى في سورة الاعراف:

وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ (٦٩).

وفي حديث الرسول (ص):

«اللّهم ارحم خلفائي»

وقال في تعريف الخلفاء:

«الذين يأتون بعدى يروون حديثي وسنتي».

إذا فالخليفة في القرآن والحديث ليست اسما للذي يحكم باسم النيابة عن رسول الله (ص)، وكذلك كان الامر إلى زمان الخليفة عمر حيث كان يقال له : خليفة خليفة رسول الله، ثم قيل له : أمير المؤمنين، وبقي الامر كذلك إلى عصر العباسيين وعلى عهدهم كانوا يصفونهم بخليفة الله إلى جنب تسميتهم بأمر المؤمنين وفي عصر العثمانيين سموا الحاكم الاسلامي الاعلى بالخليفة وبقيت هذه التسمية متداولة بين المسلمين حتى اليوم.

إذا فإن لفظ الخليفة من مصطلحات المسلمين وليست مصطلحا شرعيا

ص: ٥٦٢

وكذلك أمير المؤمنين.

خامسا- الامام:

الامام في اللغة: من يأتّم به الناس، وبهذا المعنى جاء في القرآن الكريم غير أنّه قيّد الامامة بشروط ذكرها في قوله تعالى لابراهيم: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا وَقَوْلُهُ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ.

إذا فالامامة جعل من الله وعهد لا يناله من اتصف بالظلم سواء أكان ظالما لنفسه أو لغيره وبذلك أصبح (الامام) مصطلحا شرعيا وتسمية إسلامية.

سادسا- الامر واولو الامر:



إنّ الامر استعمل في لغة العرب وعرف المسلمون والنصوص الاسلامية بمعنى الولاية على الناس والحكم.

أما اولو الامر فيصحّ اعتباره مصطلحا إسلاميا لمجيئه في القرآن بمعنى الولاية على الناس في قوله تعالى:

أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ النساء / ٥٩.

وتختلف المدرستان في تشخيص اولي الامر وولي الامر بعد رسول الله (ص)، فإن مدرسة أهل البيت ترى أنّ تعيين الامام وولي الامر بعد الرسول (ص) من الله يعين من يشاء ويبلغ الرسول أمته بذلك . وترى مدرسة الخلافة أنّه يتعين بالبيعة والاستيلاء على الحكم بالقهر والغلبة، وبعد استيلائه على الحكم كيف م اكان تجب طاعته . ومن ثمّ أطاعوا الخليفة يزيد وقتلوا وسبوا ذرية الرسول (ص) وأباحوا مدينة الرسول وقتلوا البقية من أصحابه والتابعين ورموا الكعبة بالمنجنيق، وبعد كلّ تلك الافعال لا يزالون يسمّونه بأمر المؤمنين إلى عصرنا الحاضر.

ص: ٥٦٣

سابعاً- الوصيّ ووصيّ النبيّ:

الوصيّ في الكتاب والسنة: هو الانسان الذي أوصى إليه غيره أن يقوم بعد وفاته بأمر يهّمه سواء في ذلك أن يقول الوصيّ لوصيّه: اوصيك أن تفعل كذا وكذا من بعدى، أو يقول: أعهد إليك أن تفعل كذا وكذا من بعدى، وكذلك الشأن في إخباره الاخرين بالوصية فإنه سواء في ذلك أن يقول: فلان وصيّي من بعدى، أو يقول: فلان يقوم بعدى بعمل كذا وكذا، وما شابهها من الالفاظ الدالة على الوصية. ووصيّ النبيّ: هو الانسان الذي يعهد إليه النبيّ بأمر شريعته وأمته من بعده.

ص: ٥٦٥

مناقشة آراء مدرسة الخلفاء في أمر الخلافة والامامة

أولاً- الشورى:

إنّ أول من ذكر الشورى لاقامة الخلافة هو الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يستند في ذلك إلى دليل من الكتاب والسنة بل اعتمد اجتهاده الخاصّ فمن اتّخذ سيرة الصحابة وأقوالهم في عداد كتاب الله وسنة رسوله من مصادر الشريعة الاسلامية فله أن يتّخذ من السنة العمريّة هذه سندا لهذا الحكم في إقامة الخلافة. على أنّ سنته هذه مخالفة لسنته وسنة الخليفة الاول أبي بكر في إقامة حكم الخليفة الاول أبي بكر فإنها كانت فلتة حسب تعبير الخليفة عمر وتقييمه لها وكذلك مخالفة - أيضا- لسنتهما في إقامة حكم الخليفة الثاني عمر بن ا لخطاب فإنّ الخليفة الاول وليّ الخليفة عمر على المسلمين من بعده، وكلاهما لم يستشيرا المسلمين في كلا المقامين، ومخالفة - أيضا- لقول الخليفة عمر: لو كان أبو عبيدة حيّا لاستخلفته ولو كان سالم مولى أبي حذيفة حيّا لاستخلفته، فإنّ هذا القول يخالف الالتزام بالشورى!

وعلى فرض صحّة إقامة الخلافة على أساس الشورى العُمريّة، فكيف ينبغي أن تكون الشورى، وكم ينبغي أن يكون عدد المتشاورين؟ فى الاغلب قالوا ينحصر عدد المتشاورين فى ستّة، يبايع خمسة منهم السادس، أضف إلى ما سبق السؤال عن المسوّغ لاعطاء عبد الرحمن بن عوف خاصّة حقّ اتّخاذ القرار النهائى من دون الاخرين فى تلك الشورى . ثمّ ما المسوّغ لقتل من خالف قرار عبد الرحمن ورأيه؟ ثمّ من الذى كان يُخشى منه المخالفة لرأى عبد

ص: ٥٦٦

الرحمن من دون الاخرين؟ وأخيرا هل أتّبع مدرسة الخلافة الشورى العمريّة مرّة واحدة وأقامت الخلافة كذلك لواحد من الخلفاء طوال القرون؟

هذه أمثلة تتوارد على الشورى العمريّة.

أمّا ما استدللّ به أتباع مدرسة الخلفاء فى هذا الصدد، فما كان من استدلالهم بالاية الكريمة : **وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** فإنّه لا يستفاد منها أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين فى امورهم، فإنّه سبحانه وتعالى لو أراد الوجوب فى هذا الامر لقال : كتب الله على المؤمنين أو قال: فرض عليهم، إلى ما شابهما من الالفاظ الدالّة على وجوب الفعل على المؤمنين.

وما كان من استدلالهم بآية **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** فقد أوضحنا فى ما سبق بأنّ الاية فى مقام توجيه الرسول ل (ص) أن يدعوا المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة؛ وليس بأسلوب الملوك الجبارة الذين يلقون أوامرهم إلى الناس بقولهم مثلا : أصدرنا أمرنا الملكى بكذا . وقد صرح الجليل سبحانه بعد هذه الجملة بأنّ رأى المسلمين ليس ملزما لرسول الله (ص) حيث قال: **فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ**، إذا فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول (ص) وليس على ما يرتثيه المؤمنون، ويوضح ذلك بجلاء الامثلة التى ذكرناها من مشاورة الرسول المسلمين فى موارد كانت عاقبة الامر معلومة لرسول الله مسبقا مثل مشاورته إيّاهم للقتال فى غزوة بدر.

ثمّ إنّ مشاوراته (ص) كانت فى مقام استجلاء رأى المسلمين فى كيفية تنفيذ الاحكام الاسلامية وليست فى مقام استنباط الحكم الشرعى بالتشاور، أضف إلى ذلك أنّ الله تعالى قال: **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** الاحزاب / ٣٦.

إذا فإنّ رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله (ص) فيه أمرا،

ص: ٥٦٧

وفى ما قضى الله ورسوله (ص) فيه أمرا، تكون المشاورة معصية لله ورسوله (ص) وضلالا مبينا.

ثاني- البيعة:

عرفنا ممّا سبق: أنّ البيعة لا تتعدّد للقيام بمعصية الخالق ولا لمتجاهر بمعصية الخالق ولا بالاكراه وحدّ السيف.

أما أصحاب مدرسة الخلافة فإنهم قالوا : تتعدّد الخلافة بيعة خمسة وقال بعضهم : تتعدّد بيعة واحد وحضور شاهدين، واستدلوا بعمل الصحابة.

### ثالثاً- عمل الصحابة:

يصح الاستدلال بعمل الصحابة في ما إذا اعتقدنا أنّ سيرة الصحابة مثل كتاب الله وسنة رسوله مصدر للتشريع الاسلامي، ثم إن عمل الصحابة يخالف بعضه البعض الاخر كما رأينا في ما سبق، ومن ثم وقع الخلاف في آراء أتباع مدرسة الخلافة كما شاهدنا في ما سبق. وعلى هذا بعمل أي من الصحابة نفتدى وقول من منهم ومن الاتباع نأخذ!؟

### الاستدلال بكلام الامام عليّ:

أما ما استدّلوا به من كلام للامام عليّ، فإنه كان في مقام الاحتجاج على معاوية وجماعته بما التزموا به . على أن إجماع الصحابة بما فيهم الامام عليّ وسبطا الرسول (ص) الحسن والحسين حجة. وهذا هو مفهوم كلام الامام المذكور.

### وجوب طاعة الحاكم وعدم عزله بالفسق وإعلان المعصية:

قالوا: لا ينزل الحاكم الذي سمّوه بالامام بالفسق والفجور وإعلان المعصية.

ص: ٥٦٨

وقالوا: على المسلم السمع والطاعة للامام الفاسق وإن ضرب ظهره وأخذ ماله، ولا يجوز الخروج عليه .

وقالوا: إن يزيد بن معاوية المتجاهر بالفسق والفجور بالبيعة أصبح

أمير المؤمنين، ونتيجة لاعتقادهم بصحة بيعته استطاع أن يجهز جيشا من المعتقدين بصحة بيعته ويقتل بهم ذرية الرسول بكرلاء ويسبيهم ويسير بهم أسرى من كربلاء إلى عاصمة ملكه الشام.

ونتيجة تلك البيعة استطاع أن يجهز جيشا آخر من المعتقدين بصحة بيعته ويغزو بهم مدينة الرسول (ص) ويبيحها لجيشه ثلاثة أيام، فقتلوا جمعا من أصحاب الرسول (ص) وتابعيهم، وأخذوا البيعة من الآخرين على أنهم عبيد أقنان ليزيد، وهاكوا أعراضهم وفعلوا ما شاؤوا من جرائم لم يشهد المسلمون نظيرها في تاريخهم الطويل، ثم غزا بهم مكة فضربوا بيت الله الحرام والكعبة بالمنجنيق . وبعد كل تلك الجرائم يلقبونه بأمير المؤمنين حتى اليوم ويكتبون في مدحه الكتب وينشرون، فإننا لله وإننا إليه راجعون.

ص: ٥٦٩

الامامة لدى مدرسة أهل البيت (ع)

كانت تلکم آراء مدرسة الخلفاء فى الامامة والخلافة وأدلتهم . أمّا مدرسة أهل البيت فإنها تستدلّ بخطاب الله لابراهيم وقوله له: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** وجواب الله لطلب إبراهيم حين قال: **وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** على أنّ الامامة عهد من الله لا يناله الظالم لنفسه أو لغيره . وتستدلّ بقوله تعالى فى حقّ أهل البيت: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا** على عصمة أهل البيت محمد وأهل بيته - صلوات الله عليهم أجمعين - من الذنوب، وكذلك تستشهد بسيرة أهل البيت، حيث لم يسجّل منهم فى التأريخ أمر مخالف للعصمة.

أمّا الأدلّة على إمامتهم فإننا إذا درسنا سيرة الرسول فى أمر تعيين ولىّ الامر من بعده نجد أنه لم يغب عن بال الرسول (ص) ومن حوله أمر الامامة من بعده، فإنّ بعضهم طلب من الرسول أن يكون لهم الامر من بعده فأجابه الرسول: «الامر إلى الله يضعه حيث يشاء» وأخذ منهم البيعة فى إقامة المجتمع الاسلامى «أن لا ينازعوا الامر أهله» وعيّن الامام عليًا فى أوّل يوم دعا إلى الاسلام وزير له وخليفة من بعده، وشاهدناه - أيضا - يستخلف على المدينة كلّما غاب عنها لامر ما وإن كانت المسافة ميلا أو أقلّ من ذلك.

وكذلك لم يترك أمته هملا أبد الدهر، وفعل (ص) كما فعل الرسل من قبله فى تعيينهم الاوصياء من بعدهم وإخبارهم امهم بذلك، وعيّن وصيّه وولىّ الامر من بعده فى أماكن مختلفة وأزمنة متعدّدة بأقوال تواترت عنه مثل قوله (ص)

ص: ٥٧٠

لسلمان عندما سأله عن وصيّه من بعده:

«إِنَّ وَصِيَّيَّ وَمَوْضِعَ سَرِّي ... عَلَى بِنِ أَبِي طَالِبٍ (ع)» إلى غير هذا من أحاديث النبىّ (ص) التى نصّ فيها (ص) على أن عليا ولىّ الامر من بعده، ولذلك اشتهر الامام علىّ بلقب الوصىّ مدى القرون، وجاء ذكره فى أشعار الشعراء وأقوال الخطباء واحتجاجات المناظرين صحابة وتابعين وعلماء وخلفاء وامراء، كما مرّ بنا أمثلة منها.

ولمّا كان اشتهار الامام بأنّه وصيّ خاتم الانبياء يخالف سياسة الخلفاء وأتجاه مدرستهم، بالغوا جيلا بعد جيل فى كتمان أحاديث الرسول (ص) التى نصّ فيها علىّ أن عليًا (ع) وصيّه سواء كان التعيين بلفظ الوصىّ أو بألفاظ اخرى مثل الولىّ واولى الامر. وقد ذكرنا عشرة أمثلة من أنواع كتمانهم فى ما سبق مثل حذفهم بعض الحديث وتبديله بكلمة مبهمه، كما فعلوا مع نصّ «وصيّى وخليفتى فيكم» الذى جاء فى سنّة الرسول (ص) فإنهم حذفوه وأبدلوه بقولهم: (وكذا وكذا).

وتأويلهم بعض النصوص من سنّة الرسول فى هذا الشأن.

ومثل نهيهم عن كتابة سنّة الرسول.

وقتلهم من خالفهم فى ذلك مثل قتل النسائيّ أحد أصحاب الصحاح السنّة الذى كتب (خصائص الامام علىّ).

ولم يقتصر نهيهم عن نشر الحقائق بالنصوص الواردة فى حقّ الأئمة الاثني عشر، بل شمل النهى كلّ ما يخالف مصلحة السلطة الحاكمة، فقد قال رسول الخليفة يزيد لعبد الله بن الزبير، عندما خلع يزيد وقد اجتمعوا فى بيت الله بمكة:

يا ابن الزبير، أتصعد المنبر وتتكلّم في أمير المؤمنين بكلّ قبيح ثمّ تشبّه نفسك بحما م مكّة؟ ثمّ قال: يا غلام! ائتنى بقوسى وسهمى. قال: فاتى

ص: ٥٧١

بقوسه وسهامه، فأخذ سهما فوضعه في كبد قوسٍ ثمّ سدّده نحو حمام مكّة.

وقال: يا حمامة، أيشرب أمير المؤمنين؟ قولى: نعم! أما والله لو قلت: نعم، لما أخطأك سهمى هذا. يا حمامة: أيلعب أمير المؤمنين بالقرود والفهود ويفسق في الدين؟ قولى: نعم! أما والله لئن قلت: نعم لا أخطأك سهمى هذا....<sup>٩٤٤</sup>

وفي شأن وصى الرسول (ص) خاصّة بالغوا في قلب الحقائق إلى حدّ أنّهم لعنوه في خطب صلاة الجمعة زهاء تسعين عاما في جميع بلاد المسلمين عدا سجستان (سيستان)، ومع كلّ ذلك الحجر و الشدّة المتناهية فيه - إلى حدّ قتل من روى عن الرسول (ص) في فضله حديثا - مع كلّ ذلك انتشر شىء مما يضرّ بمصلحة الخلفاء في بعض كتب الحديث والتفسير والسيرة وما شابهها، فعالج ذلك أتباع مدرستهم بإحراق مكنتات كان فيها مئات الالوف من الكتب بخطوط مؤلّفيها<sup>٩٤٧</sup> لما فيها من شىء يضرّ مصلحة الخلفاء، وبعد كلّ تلك الشدّة في منع نشر الحقائق بقى في سنّة الرسول (ص) التي بأيدينا من طرق مدرسة الخلفاء النصوص الاتية في أئمة أهل البيت. مثل قوله (ص):

«علىّ منى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدى».

وفي غدير خمّ لما أمره الله أن يعين ولىّ الامر من بعده ونزلت آية:

يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ صعد منبرا من أحداج الابل ورفع عليّا.

وقال:

«اللّه مولاي وأنا مولاكم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»

وتوجّ عليّا بعمامته السحاب فنزلت آية:

ص: ٥٧٢

اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا.

ونزلت فيه:

<sup>٩٤٤</sup> (١). تمام الخبر مع ذكر مصادره في ذكر خبر (ثورة أهل الحرمين) في ما يأتي من الجزء الثالث من هذا الكتاب.

<sup>٩٤٧</sup> (٢). راجع قبله بحث (إحراق الكتب والمكنتات).

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ .

وقال فى حقّ كلِّ من الحسنين:

«هذا منّى».

وقال: «الحسن والحسين سيطان من الاسباط».

وفى حقّ الائمة من بعده: الامام علىّ والاحد عشر من بنيه. أخبر الرسول:

أنهم اولو الامر فى آية:

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ .

وفيهم قال رسول الله (ص):

«مثل أهل بيتى كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها

غرق».

وجعلهم أعدال القرآن وقال:

«إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أ هل بيتى ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدى، وقد أنبأنى اللطيف الخبير أنهما لا يفترقان حتى يردا علىّ الحوض».

ويظهر من قول الرسول هذا: أن أحد الائمة لا بدّ أن يطول عمره ويبقى مع القرآن إلى يوم القيامة.

وعين عددهم فى قوله:

«لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر».

وفى رواية:

«لا يزال أمر الناس ماضيا إلى اثني عشر».

ص: ٥٧٣

وفى رواية بعدها:

«ثم يكون المرج والهرج».

وفى رواية:

«فإذا هلكوا ماجت الارض بأهلها».

وفى رواية قال عن عددهم أنهم اثنا عشر عدّة نقباء بنى إسرائيل.

ولا تصدق هذه الروايات على غير الأئمة الاثنى عشر من أهل بيت رسول الله (ص) الذين طال عمر آخرهم وبعدهم يكون فناء الدنيا. وبما أنّ علماء مدرسة الخلافة لم يرتضوا أئمة أهل البيت، فقد حاروا فى تفسير هذه الروايات الصحيحة ولم يستطيعوا تأويلها بما يرضون به أنفسهم.

وفى ما يأتى أسماء اولئك الاثنى عشر كما نصّ عليهم الرسول (ص) فى أحاديث اخرى له:

أوصياء النبيّ الاثنا عشر من بعده:

الاول: علىّ بن أبى طالب، أمير المؤمنين، الوصىّ.

الثانى: الحسن بن علىّ، السبط الاكبر.

الثالث: الحسين بن علىّ، السبط الاصغر، الشهيد.

الرابع: علىّ بن الحسين، السجّاد.

الخامس: محمد بن علىّ، الباقر.

السادس: جعفر بن محمد، الصادق.

السابع: موسى بن جعفر، الكاظم.

الثامن: علىّ بن موسى، الرضا.

التاسع: محمد بن علىّ، الجواد.

العاشر: علىّ بن محمد، الهادى.

ص: ٥٧٤

الحادى عشر: الحسن بن علىّ، العسكريّ.

الثانى عشر: محمد بن الحسن، المهديّ، الحجّة، المنتظر.

## اتجاه السلطة الحاكمة زهاء ثلاثة عشر قرنا:

اقتصرنا في ما أوردنا من الأدلة على إمامة أئمة أهل البيت الاثنى عشر (ع) في ما سبق على ما جاء في أوثق مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء، وبالإضافة إلى ذلك فقد جاءت في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة أهل البيت النصوص الكثيرة المتواترة الواردة عن رسول الله (ص) في النص على إمامة الائمة الاثنى عشر (ع) بأسمائهم وصفاتهم.

ويقول أتباع مدرسة أهل البيت (ع): ينبغي أن لا يغرب عن بالنا أن صحّة خلافة الخلفاء أمويين وعباسيين وعثمانيين وغيرهم من الخلفاء ومن تبعهم من الامراء والولاة والقضاة وأئمة الجمعة والجماعة في البلاد الاسلامية زهاء ثلاثة عشر قرنا كانت متوقفة على كتمان ما جاء في إمامة الامام علي بن أبي طالب والائمة من ولده (ع).

فإنه مثلا في زمن الخليفة هارون الرشيد أصبح أبو يوسف قاضي قضاة الم سلمين بتعيين الخليفة هارون الرشيد ومشروعية منصبه متوقفة على صحّة خلافة هارون الرشيد وصحّة خلافة الرشيد متوقفة على عدم وجود نص على إمامة الائمة الاثنى عشر، وكذلك الامر بالنسبة إلى وزارة البرامكة، فإنهم أصبحوا وزراء لخليفة المسلمين بسبب صحّة خلافة هارون، وكذلك جميع امراء جيوش المسلمين في عصره أصبحوا امراء لجيوش المسلمين بتعيين خليفة المسلمين هارون الرشيد، وكذلك شأن ولاة الخليفة على البلاد، فإن أمير صنعاء وأمير مكّة وأمير المدينة والكوفة والشام والاسكندرية والرى وخراسان وسائر البلاد الاسلامية في جميع الاقاليم، وكذلك أئمة الجمعة والجماعة في جميع

ص: ٥٧٥

البلاد الاسلامية من أقصى بلاد أفريقيا إلى ما وراء خراسان وبلاد الحجاز واليمن والشام والعراق إلى غيرها من البلاد الاسلامية، كل أولئك أصبحوا في مناصبهم يعيشون معيشة المترفين بشرعية خلافة هارون الرشيد وشرعية خلافة هارون الرشيد متوقفة على عدم وجود إمامة معيّنة منصوبة من قبل الله ومنصوص عليها من قبل رسول الله (ص) في ذلك العصر وهو الامام موسى بن جعفر (ع) ولا في إمامة سائر الائمة (ع) قبله.

وهذا الامر كان جاريا وساريا في زمن يزيد و معاوية و عثمان وغيرهم إلى آخر خل فاء العثمانيين، فإن كل أولئك المنتفعين بخلافة الخلفاء جلّ العصور إنما انتفعوا بمناصبهم ومعايشهم لعدم وجود نص على إمامة أي إمام غير الخلفاء على حدّ زعمهم ومع كل ذلك بقيت النصوص السابقة في إمامة الائمة من أهل البيت (ع) منتشرة في مصادر الدراسات الاسلامية بمدرسة الخلفاء إلى اليوم، وذلك لأن الله شاء أن يتمّ الحجّة على الناس مدى العصور، وما شاء الله كان.

\*\*\*

بعد الانتهاء من دراسة رأي المدرستين في الصحابة والامامة نستعين الله وندرس في ما يأتي رأي المدرستين في مصادر الشريعة الاسلامية وكيفية استفادة كل منهما منها، إن شاء الله تعالى.

ص: ٥٧٧



مرّ بنا في الصفحة ١٣٨ هامش رقم ١١: إنّ بمصادر أتباع أهل البيت أنّ نفر المنافقين لناقة رسول الله (ص) كان في عقبة هرشي بالقرب من الجحفة وعند رجوعه (ص) من حجّة الوداع بسبب ما قام به وقاله في حقّ الامام علي بغدير خم<sup>٩٤٨</sup>.

وجاء في ترجمة هرشي بمعجم البلدان:

هرشي: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكلّ من سلك واحدا منهما أفضى به إلى موضع واحد ولذلك قال الشاعر:

كلا جانبي هرشي لهنّ طريق

خذا أنف هرشي أو قفاها فإنّما

ولمّا كانت هذه العقبة قريبا من الجحفة يناسب أن يكون الخبر في هذا المكان أضف إليها أنا لا نعلم وجود عقبة مثلها في طريق تبوك إلى المدينة.

---

<sup>٩٤٨</sup> (١). مرّ مصدره في ص ١٣٨ من هذا الكتاب.